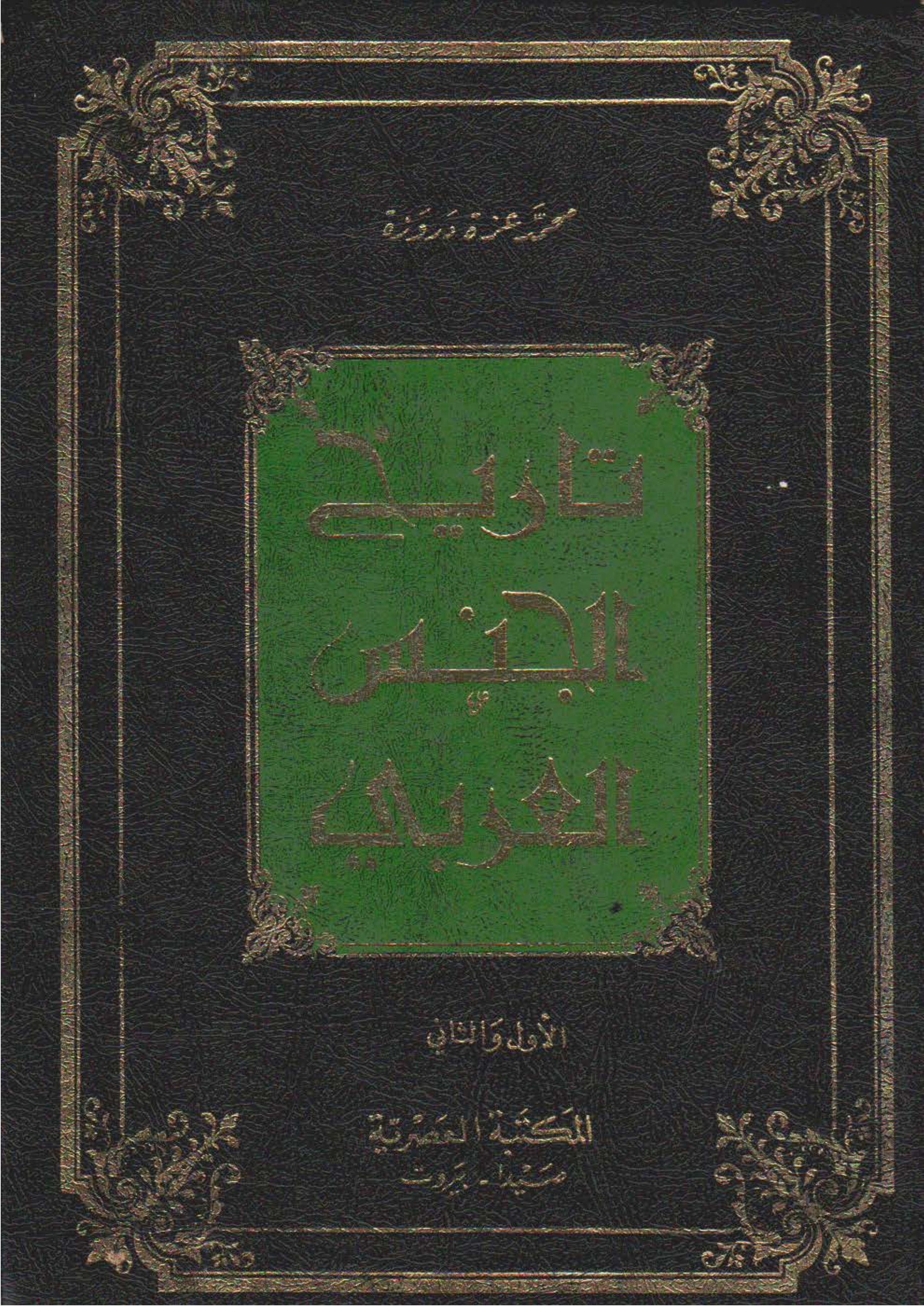

محمد عزة دروزة
تاريخ الجنس العربي
الأول والثاني
المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

تاريخ الجنس العربي

في

مختلف الأطوار والأدوار والأقطار

الجزء الثاني

تأليف

محمد عزة دروزه

الموجات العربية الى وادي النيل ومآثرها فيه

قبل طور العروبة الصريحة

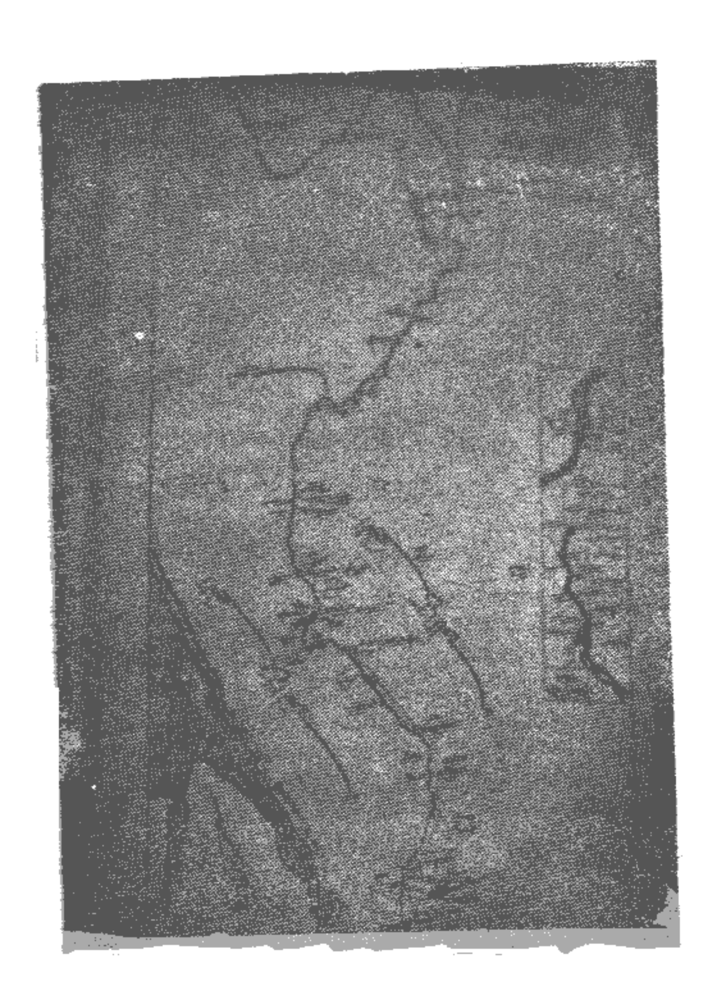
١٣٧٩ ـ ١٩٥٩

منشورات

المكتبة العصرية للطباعة والنشر

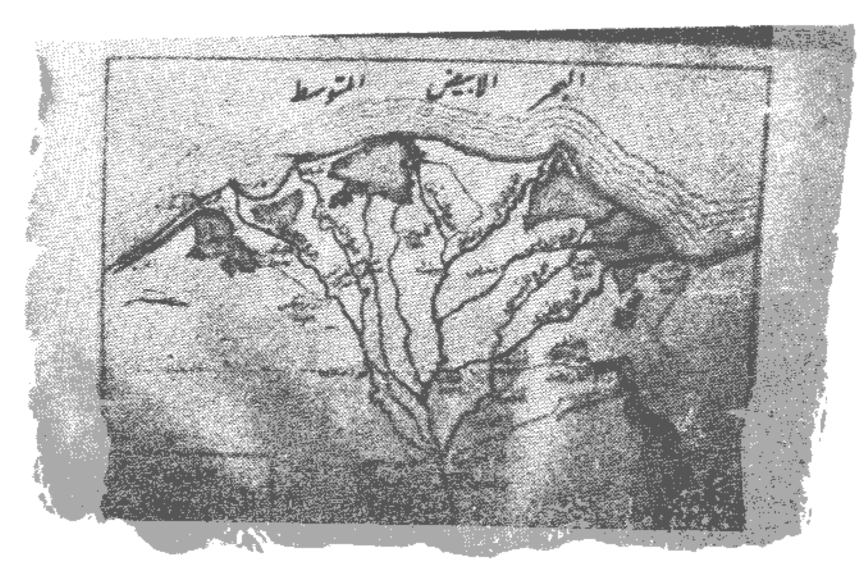
صيدا - بيروت

موجز مشتمل هذا الجزء



خريطة الوجه القبلي
←

خريطة الوجه البحري
↓



بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيدات في سكان مصر الاقدمين

والموجات العروبة الجنس التي انساحت اليها

— ١ —

يذكر الذين كتبوا تاريخ مصر القديمة تعبير حاميين وجنس حامي كعنصر اصلي أوأساسي من العناصر الاولى التي تكوّن منها سكان مصر القدماء قبل العصور التاريخية المعروفة .

وليس لهذا التعبير سند علمي أثري وانما هو كتعبير الساميين والجنس السامي استنتجه الباحثون ممّا جاء في سفر التكوين من أسفار العهد القديم الذي ورد فيه أن حام ابن نوح وانه ولد في مصرايم (١) وهو ابو المصريين ومن اسمه اشتق اسم مصر . وقد عمم الباحثون اطلاقه فيما بعد فجعلوه يشمل العناصر الزنجية في افريقية الشمالية الشرقية بنوع خاص بل منهم من جعله يشمل سكان بعض انحاء جزيرة العرب الجنوبية ايضاً او جعلوا هؤلاء السكان كجماعات منه هاجرت الى هذه الأنحاء من افريقية الشرقية الشمالية .

والحقيقة انه لا يعرف على وجه التحديد أصل الذين سكنوا مصر في عصور ماقبل التاريخ والذين خلفوا آثارهم الزراعية والصناعية والمدنية والدينية واوانيهم ومدافنهم المتنوعة في مختلف أنحائها .

وقد ذهب الذين درسوا هذه الآثار إلى انهم لم يكونوا من جنس واحد لما رأوه من اختلافات بارزة في طريقة الدفن والمساكن والأواني ثم خمنوا انهم عناصر افريقية زنجية بيضاء وسوداء لوبية وزنجية وغير زنجية كانت تنساح إلى مصر من الجنوب والغرب وقتاً بعد آخر مع عدم استطاعتهم الجزم في أصل اللوبيين الذين كانوا متميزين عن العناصر الزنجية والسوداء والذين تدل ملامحهم على انهم من الجنس الأبيض الذي كان يقطن اوروبا وآسيا الجنوبية والغربية .

وإلى هذا فان الباحثين متفقون على ان مصر كانت مباءة لعناصر اسيوية من الجنس

(١) الاصحاح العاشر .

الأبيض كانت تطرأ عليها في عصور ما قبل التاريخ وبعدها وتمتزج بالعناصر الأفريقية المذكورة مع تقرير اكثرهم بأن هذه العناصر او معظمها من الجنس الذي اطلق عليه تعبير الساميين خطأ وجزافاً استنتاجاً من انساب سفر التكوين والذي يجب أن يسمى بالجنس العربي الذي كان موطنه جزيرة العرب على ما شرحناه واثبتنا دلائله واقوال الباحثين المؤيدة له في مقدمة الكتاب في الجزء الأول ، وان موجات هذه الجزيرة كانت تنساح إلى وادي النيل من حين لآخر بدون انقطاع من طريق برزخ السويس حيناً ومن طريق باب المندب وشواطيء افريقيا حيناً كما كانت تنساح من حين لآخر بدون إنقطاع الى الأقطار الاخرى المجاورة للجزيرة على ما شرحناه في المقدمة في الجزء الأول كذلك .

— ٣ —

ولقد جاء في كتاب تاريخ مصر من اقدم العصور إلى الفتح الفارسي لجمس هنري بريستيد من مشاهير علماء الآثار المصرية والتاريخ المصري وترجمة الدكتور حسن كمال (١) أن جماعات من الليبيين والجالا والصومال والبجا كانوا يطرأون على مصر منذ اقدم الأزمنة وان من المعروف الى هذا ان اقواماً ساميين من عرب آسيا طرأوا على وادي النيل وعمموا فيه لغتهم وصبغوه بصبغتهم كما هو ظاهر من النقوش المصرية القديمة ؛ وان لغتهم حافظت على ساميتها (عروبتها) بمرور الزمن بالرغم مما طرأ عليها من تغيير وتحريف باختلاط السكان ، وان تاريخ الهجرات السامية الاولى يرجع بلا مراء الى ما قبل العصور التاريخية المعروفة ، وان من الثابت ان هذه الهجرات قد تكررت مراراً في العصور التالية ، وانه إذا كان من الصعب معرفة الطريق التي سلكوها فان الأقرب للذهن ان يكونوا أتوا من برزخ السويس كما فعل العرب في بداية الاسلام (٢) .

---

(١) ص ١٧

(١) هناك بعض باحثين لا يسلمون بأن جزيرة العرب هي مهد الساميين ومنهم من يقول ان هذا المهد هو جزيرة الفرات او بادية الشام او ارمينية او اثيوبية ومنهم من يتردد في الجزم . غير ان كثيراً من الباحثين يقررون ان هذا المهد هو جزيرة العرب . ومنهم من يخصص جنوبها ويقول ان الشعوب السامية انساحت منه الى سائر انحاء الجزيرة ثم الى الاقطار المجاورة لها شمالا نحو بلاد الشام والعراق وجنوباً نحو شواطيء افريقية فوادي النيل . على انه يبدو من خلال اقوال الفريقين ان الخلاف هو على مهد الجرثومة الاصلي لهذه الشعوب قبل التاريخ . ومن اصحاب القول الاول من يقول ان هذه الجرثومة هاجرت من مهدها الاول الى جزيرة العرب قبل التاريخ ثم اخذت تنساح منها الى الاقطار المجاورة وبعبارة اخرى يلتقون مع الاولين في دور من ادوار تاريخ الجنس العربي ونحن اذ نقول الجنس العربي لا نقصد المعنى الفني الدقيق الذي يتميز به جنس بشري عن جنس آخر بخصائص جسمانية في الدرجة الاولى وانما نقصد المجموعة البشرية التي عاشت في جزيرة

«لقد جاء في كتاب تاريخ السودان القديم للدكتور كمال حسن بن المصريين والسودانيين من اصل واحد وانهم جاؤوا الى وادي النيل من بلاد العرب عن طريق الصومال على ما تدل عليه البحوث والاستقراءات ، وقد نقل هذا المؤلف عن ديودور الصقلي ان أصل المصريين القدماء هم من بلاد العرب الجنوبية نزلوا إلى شواطيء اثيوبيا ثم تقدموا نحو الشمال حتى دخلوا مصر ، وبسبب ذلك يقول الاثيوبيون إن مصر مستعمرة من مستعمراتنا على اعتبار ان سكانها القدماء جاؤوا اليها من ناحيتهم » . وقد نقل كذلك عن احمد كمال العالم الأثري المشهور (١) إن اصل اللغة المصرية القديمة واللغة العربية واحد وأن الاختلاف الظاهر بينهما ليس إلاّ نتيجة اسقاط بعض كلمات في بلاد العرب وبقائها في وادي النيل او العكس ثم نتيجة لما يعتري الكلمات من القلب والابدال وما يطرأ على اللغات من تغيير بمعاملة الأجانب .

ولقد جاء في كتاب الأثر الجليل لسكان وادي النيل لأحمد نجيب العالم الأثري(٢) «ومن

العرب منذ اقدم الازمنة التاريخية المعروفة وتشاركت في اللغة والافكار والتقاليدحتى صارت بذلك جنساً واحداً فلما اخذ ينساح من هذه المجموعة موجات الى المناطق المجاورة للجزيرة كان ذلك التشارك قد تم بينها ثم ظل قائماً وهذا لا يتعارض كما هو واضح مع احتمال كون المهد الاول لنواة هذه المجموعة ليس جزيرة العرب على ما يقرره بعض الباحثين ولا مع احتمال تكوّن هذه المجموعة في عصور ما قبل التاريخ من عناصر افريقيةواسيوية على ما يقرره بعض الباحثين كذلك . ولقد درج باحثو الغرب وتبعهم كتاب العرب علىتسمية الشعوب التيتنتسب الى جزيرة العرب او التي تتشارك في اللغة والافكار والعقائد من سكان العراق والشام ووادي النيل ودولها بالساميين . وهذه تسمية حديثة وضعها مستشرق نمساوي سنة ١٧٨١ م نسبة ال سام بن نوح الذي يذكر سفر التكوين من ذريته اقواماً عاشوا في جزيرة العرب والاقطار المجاورة لها كالكنعانيين والاراميين والسبئيين والكوشيين والمصريين الخ بعد ان لاحظ وجوه التشابه الظاهرة بين لغاتها وافكارها وعقائدها وتابعه كتاب العرب لانهم لاحظوا ما لاحظه وفي اعتقادنا ان هذه التسمية لا تقوم على سند من تاريخ وعلم وآثار وان الاولى ان تسمى هذه الشعوب بالجنس العربي ما دامت قد نزحت من جزيرة العرب . فجزيرة العرب اخذت تذكرباسم العروبة الصريح في كتب اليونان والرومان واشعار العهد القديم منذ الفين وخمسمائة سنة واسم العرب الصريح اخذ يطلق على اهلها المستقرين في داخلها وتخومها الشمالية جزئياً ثم شمولياً منذ الفين وخمسمائة سنة او اكثر على ما تدل عليه النقوش والمدونات القديمة . وهذا ما حملنا نكتب كتابنا تاريخ الجنس العربي ونسلك فيه تاريخ هذه الشعوب . (انظر لاجل هذا الذيل تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج ١ ص ١٤٩ وما بعدها و ج د ص ٢٨٧ وما بعدها وفيها خلاصة اقوال العلماء والباحثين ومقارنتها ببعضها وانظر ايضاً محاضرات في تاريخ العرب للدكتور احمد صالح العلي ص ١ — ٢ وكتاب الاساس في الامم السامية ولغاتها لعطية الابراشي ورفاقه ص ١٥ وما بعدها والجزء الاول من تاريخ العرب لحتي وتاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولنفسون ومقدمة الكتاب في الجزء الاول من تاريخ الجنس العربي للمؤلف) ، وبعض هؤلاء المؤلفين قرروا كما قررنا ان تسمية الشعوب السامية بالشعوب العربية هي الاصح والاوجه . وهو ما سرنا عليه في اجزاء كتابنا ومنها هذا الجزء .

(١) ص ٧٧ تاريخ السودان القديم . واحمد كمال هذا ضليع في اللغة المصرية القديمة .

(٢) ص ١٢ .

تأمل في التماثيل القديمة المصرية المحفوظة بدار التحف علم يقيناً ان هذه الامة من الجنس الأبيض القاطن في آسيا وان كثيراً من اصول لغتهم مشتق من اللغة العبرانية والارامية كما ان الضمائر المتصلة والمنفصلة منها متشابهة» وخلاصة القول ان اصل المصريين من الجنس (السامي) ـ العربي حسب اصطلاحنا ـ وقد اتوا إلى هذا الوادي من برزخ السويس وربما وجدوا فيه طائفة من الزنوج .

ولقد قال احمد كمال العالم الاثري المشهور في كتابه العقد الثمين (١) ان المصريين القدماء كانوا يطلقون على بلاد حضرموت واليمن اسم بون وكانوا يعتقدون ان اصلهم منها ولقد قال المؤرخ التركي احمد رفيق في الجزء الاول (٢) من كتابه التاريخ العام الكبير نقــلا عن مصادر المانية مثل تاريخ مصر القديم لادوار ماير ومصر وحياتها في العصور القديمة لادولف ارمان وتاريخ مصر لويدمان وتاريخ مصر في حكم الفراعنة لبورغش والتاريخ العام لشبامر وتاريخ الامم القديمة لماكس دوفكر « ان معظم علماء تاريخ مصر يقررون ان المصريــين القدماء قد جاؤوا من آسيا الغربية منهم من جاء عن طريق باب المندب من الجنوب ومنهم من جاء عن طريق برزخ السويس من الشمال ، وان بين لغتهم واللغات السامية في مفرداتها وصرفها ونحوها مشابهة كبيرة ، ومع انه لم يقل صراحة إنهم جاؤوا من جزيرة العرب او انهم من الشعوب السامية فان هذا الوصف يعني ذلك كما هو المتبادر .

ولقد قال غوستاف لوبون في كتابه الحضارة المصرية [٣] « إن كل جذور اللغة المصرية القديمة ومعظم قاموسها يتركب من عناصر سامية حتى اجروميتها فيما يتصل بتركيب المؤنث والجمع . والكلمات البعيدة عن الأصل السامي ترد الى الجنس الأسود الذي طرأ على مصر .

ولقد جاء في تاريخ مصر الى الفتح العثماني لسفيد ج الاسكندري [٤] « إن ارجح الآراء ان مؤسسي حضارة مصر الاولى التي ترجع الى ما قبل الاسر الملكية ـ أي الى ما قبل خمسة واربعين قرناً او اكثر ـ قوم لوبيو الأصل ؛ غير أن حضارتهم ليست هي اساس مدنيــة المصريين الذين تكونت منهم الأسر المختلفة والذين وصلوا بمصر الى اعظم درجات الرقي . وقد ثبت ان هؤلاء قوم ساميون قدموا إلى مصر من آسيا . ولا يعلم يقيناً من أين دخلوا .

(١) ٤٥ - ٤٨ .
() ص ٥٥ - ٥٦ .
(٣) ص ١٢
(٤) ج ١ ص ٦-٧

فهناك من يقول إنهم دخلوا من برزخ السويس وهناك من يقول إنهم جاؤوا من طريق الجنوب وعلى كل حال فالمعلوم يقيناً ان الذين نشأ منهم (مينا) ـ وهو اول من عرف من ملوك المملكة المصرية المتحدة قبل نحو اربعين قرناً ـ كانوا قبل ظهوره يقطنون الجهة الجنوبية من مصر . ومما يدل على ان اجداده من الساميين ان اقدم ما وصل من لغتهم يغلب فيه العنصر السامي على الافريقي . وقد دخلوا ومعهم حضارة ارقى مما كان في مصر . وهم الذين جاؤوا بفن التحنيط والكتابة الهيروغليفية. »

ولقد جاء في كتاب الأساس في الامم السامية ولغاتها لعطية الابراشي ورفقاه [1] : ان المدنية الانسانية العامة قد ابتدأت في وادي النيل . وسكان هذا الوادي وان كانوا مزيجاً من عناصر مختلفة فالعنصر السائد فيها والذي انتج اول مدنية انسانية هو العنصر السامي أي العربي؛ وانه على أي تقسيم قسمت اللغات السامية فان الحقيقة الكبرى انها لغات جماعة بشرية كونت جنساً بشرياً واحداً ، وهو الجنس الذي عرف باسم الجنس السامي والذي عرفت شعوبه باسم الشعوب السامية ولغاته باسم اللغات السامية ، والتي تحضرت في اطراف جزيرة العرب وفيما وراء هذه الاطراف مع بقاء وحدة التفكير والخيال جامعة بينها ؛ وقصارى القول إن الجماعة السامية هي الجماعة العربية، وان مهدها الأول هو نجد والحجاز والعروض واليمن وما والى هذه البقاع ،ومنها كانت الهجرات الاولى الى شمال الجزيرة ومشارق الشام والعراق ثم الى بلاد الحبشة ومصر.

ولقد جاء في الجزء الاول من تاريخ العرب لحتي [2] ان موجة من المهاجرين الساميين انساحت الى مصر عن طريق افريقية الشرقية حوالي سنة ٣٥٠٠ ق م وكان فيها جماعة من الحاميين فحلت بينها وامتزجت بها فتألف من هذا المزيج سكان مصر القدماء . ولقد سلك هذا في كتاب آخر له [3] اللغة المصرية القديمة في سلك اللغات الأشورية والبابلية والآرامية والكنعانية والعبرانية والعربية القديمة والحبشية الاثيوبية وقال اننا لو دققنا النظر فيها لوجدنا تشابهاً جلياً بينها يخولنا حق ردها الى ام واحدة .

ولقد قال جوستاف حيكي استاذ الاثريات المصرية في كلية نيو شاتيل في كتابه تاريخ المدنية المصرية ان سكان مصر القدماء جاؤوا اليها من جزيرة العرب قبل ستة آلاف سنة

---

(١) ص ١٥ـ ٣٧

(٢) ص ١١

(٣) سورية والسوريون من نافذة التاريخ ص ١٣

وان الاسر الفرعونية الاولى من هؤلاء القادمين [١] . وقال مثل هذا بروخ الألماني وهنري جونسون الانكليزي في كتابيهما تاريخ مصر ايضاً [٢] .

ولقد نبه جبرائيل هانوتو في مقدمة كتابه تاريخ الجنسية المصرية (٣) على بروز مميزات العنصر السامي العربي في سحن وصور ومخنطات ملوك مصر منذ اقدم ازمنة التاريخ المصري او بتعبير ادق ملوك الدولة الاولى والأسلاف الذين انحدروا منهم الذين طرأو إعلى مصر من شمالها الشرقي ومن جنوبها الشرقي بالاضافة الى قوله إن الدم المصري غدا مزيجاً من عناصر سامية وافريقية وزنجية واوروبية وسكان شواطىء البحر الأبيض .

ولقد قال والس بدج مؤلف كتاب سواء السبيل في سكان ارض النيل [٤] إن الذي حققه العلماء أن الذين ملكوا مصر ووضعوا شرائعها منذ البدء جماعات هاجروا اليها من المشرق منذ بضعة الوف من السنين قبل التاريخ المسيحي،وليس في مشرق مصر الا جزيرة العرب من الجنوب والشرق وسيناء المتصلة بالجزيرة من الشرق الشمالي كما لا يخفى .

ولقد قال المؤرخ الشهير ماسبرو إن لعروق المصريين الأقدمين والعرب والفينيقيين والكنعانيين روابط تشد بعضها الى بعض وليس المصريون سوى ساميين انفصلوا عن مهد الساميين قبل غيرهم [٥] .

ولقد جاء في الجزء الأول من كتاب مصر القديمة لسليم حسن العالم الأثري المصري الكبير [٦] في نبذة اصل المصريين ان مصر كانت مسكونة منذ عصور ما قبل التاريخ بقوم من الجنس الحامي يقال إنه نشأ من البلاد نفسها أي افريقي الأصل وينسب الى لوبيي افريقية الشمالية المسمين الآن بالبربر والى السكان الحاميين من افريقية الشمالية الشرقية الصوماليين ، ثم اخذ يدخل على هذا الشعب تغييرات عن طريق الهجرة ، وكانت اهم العناصر الجديدة التي دخلت البلاد عن هذا الطريق من اصل اسيوي لهم مميزات خاصة تختلف اختلافاً بيناً عن الشعب الأصلي ، وقد اختلطوا شيئاً فشيئاً بالسكان الأصليين واندمجوا فيهم .

---

(١) و (٢) عن منير الشريف البحاثة السوري المعروف .

(٣) ص ٥ — ١٠

(٤) ص ٣٦ — ٣٧

(٥) محاضرات في الاستعمار لمصطفى الشهابي ج ٢ ص ٧

(٦) ص ١٤٠ — ١٤٥

ويخمن أن المهاجرين الفـــاتحين جاؤوا إلى مصر من شبه جـــزيرة العرب ودخلوهـــا عن طريق البحر الأحمر من جهة قفط او عن طريق اعالي وادي النيل او عن طريق فلسطين فسينا فشرقي الدلتا ؛ وقد ادخلوا معهم مدنية ارقى من مدنية الجنس الحامي الأصلي الذي لم يكن يعرف إلا الآلات والاواني الحجرية، كما ادخلوا معهم معرفة المعادن وبخاصة النحاس وادخلوا كذلك عبادتهم للأموات وديانتهم وكتابتهم وفنونهم ونظمهم الاجتماعيـــة والسياسبة . ويخمن انهم اتوا إلى البلاد تدريجاً من غير عنف فتوصلوا الى الاستيلاء عليها بنجاح . واهم الوثائق التي بقيت من عهدهم أو عثر عليها الواح اردوازية منقوشة على اشكال مختلفـــة لم يتيسر حلها ، وهي التركة الوحيدة لدينا لهذا الفتح الطويل الذي كانت نهايته على ما يظهر اتحاد كل البلاد من أسوان الى البحر الأبيض المتوسط تحت صولجان ملك واحد اتفقت كل المصادر التاريخية على انه الملك منا . ولقد غدا الاندماج بين المهاجرين الجدد والسكان الاصليين عظيماً منذ العصر التاريخي حتى انه اصبح من الصعوبة بمكان معرفة الفوارق بينهما بشيء من الدقة .

وكلام المؤلف يفيد كما هو المتبادر ان المهاجرين الأسيويين هم من جزيرة العرب وانهم فتحوا البلاد وسيطروا عليها وحكموها ووحدوها تحت صولجان الملك منا الذي كان منهم .

وقد ذكر هذا المؤرخ ايضاً في نفس الجزء في نبذة « تقسيم البلاد الى اربعة اقاليم[١] » عزواً الى مؤرخ اسمه لورية مستنداً الى دراسة دقيقة للآثار العتيقة كما يصفه ان قبائـــل وشعوباً مـــن بلاد لوبيـــة وآسيا الصغري وجنـــوب مصر جاءت الى مصر فتنـــازعت وتحاربت ثم تحالفت فتألفت منها اربع طوائف رمز اليها في الآثار برموز النحلة والبوصة والثعبان والنسر التي كانت رموزا للآلهة التي كانت هذه الطوائف تتعبدها على اعتبارها آلهتها الخاصة او الحامية ثم تألفت من النحلة والبوصة مملكة ومـــن الثعبان والنسر مملكـــة ، ثم وفد على البلاد قوم من آسيا من بلاد العرب عن طريق الصومال وتوغلوا في الشمال حتى الوجه القبلي وتأصلوا في البلاد وكانوا جنساً ذا مواهب عظيمة فاقاموا مملكة ثالثـــة رمز لها في الآثار برمز الصقر في نهايتها فغدت الممالك الثلاثة موحدة تحت سلطان صولجان

(١) ١٧٤ — ١٧٥

واحد فقامت بذلك المملكة الفرعونية.(١)

ولقد ذكر هذا المؤلف(٢) في سياق سيرة أحد ملوك الاسرة السادسة التي حكمت بين سنتي ٢٦٢٥ و ٢٤٧٥ ق . م على أقل التقديرات ــ لان هناك تقديرات ابعد ــ ان هــذا الملك ارسل جماعة إلى سواحل البحر الاحمر لانشاء سفينة تسافــر إلى بلاد بنت التي كان يعتقد المصريون انها شبه مقدسة وان اصلهم يرجع اليها على ما ذكرته النقوش التي نقشها احد رجال الملك . والسياق يفيد ان هذه البلاد على سواحل البحر الاحــمر الشرقيــة إلى سواحل بلاد اليمن والحجاز وان كان المؤلف فسرها بانها بلاد الصومال(٣) ومعنى هذا على كل حال ان المصريين في هذا العهد كانوا يتداولون جيلا بعد جيل عن آبائهم الاولين انهم قد جاؤوا الى مصر من سواحل جزيرة العرب رأساً او بطريق الصومال على تقــدير ان تكون هي المقصودة من بلاد بنت ، وفي هذا ما فيه مغزى ودلالة .

ولقد جاء في كتاب مصر والحياة المصرية في العصور القديمة (٤) ان سكان مصر قبل التاريخ خليط من شعوب مختلفة . ويمكن إرجاع اللغة المصرية القديمة إلى مجموعة من اللغات

---

(١) من العجيب انهذا العالم الجليل الذي يقرر هذاباسلوب قوي قال كلاماً فيه شيء من المناقضة باسلوب تخميني واجتهادي باعثه على ما يبدو منه حماس للوطن المصري والمواطنين المصريين القدماء لا طائل مــن ورائه ولا محل له في مجال البحث العلمي حيث قال في نبذة اهل المصريين (ج ١ ص ١٤٠ – ١٤٥) انه لا محل للمبالغة في انتشار الجنسية الاسيوية فيمصر وان النازحين لم يؤثروا في تغيير شيء كبير من اللغة والزراعة والديانة التي كانت نمت وترعرعت في البلاد مصبوغة بصيغة اهلها الاصليين بل كان تأثيرهم سطحياً وانه يجب ان نتخيل ان النازحين لم يكونوا الا عدداً ضئيلا بالنسبة الى السكان الاصليين وانهم لبسوا المدنية الــتي وجدوها زاهرة في البلاد مــع ادخال بعض الاصلاحات والتحسينات عليهـــا ، ولا ندري كيف استطاع النازحون اذا كانوا عدداًضئيلا ودخلوا البلادبدون عنف ان يستولوا عليها ويبسطوا سلطانهم فيها ثم يتمكنوا من توحيدها والاستمرار في حكمها بعد التوحيد في ظل الاسرة الاولى التي منها وما بعدها من الاسر التي كان معظمها من ارومتهم على ما جاء في نبذته المذكورة . ثم لا ندري كيف يكون تأثيرهم تافهاً سطحياً في لغة البلاد ومدنيتها وهو يقول انهم احضروا مدنية ارقى من مدنيــة الجنس الاصلي الذي لم يعرف الا الالات والاواني الحجرية وانهم ادخلوا معرفة المعادن وعبادتهم وكتابتهم وفنونهــم ونظمهم الاجتماعية والسياسية . على ان معظم الباحثين لا يقرونه على ما وقع فيه من تناقض على ما تفيده النبذ التي اوردناها قبل .

(٢) مصر القديمة ج ص ٣٩٠ – ٣٩ .

(٣) اوردنا قبل تفسير احمد كمال لبلاد بون التي هي على الارجح بلاد بنت التي يذكرها المؤلف بانها بلاد اليمن وحضرموت . وهذا التفسير يتفق مع سياق المؤلف دون تفسيره ونعتقد انه هو الاوجه .

(٤) تأليف ادولف ارمان وهرمان رانكن وتعريب عبد المنعم ابو بكر ومحرم كمال ص ٢٢،٢١

اشتقت من السامية (البابلية والاشورية والعبرية والعربية) والافريقية الشرقية والافريقية الشمالية بعد أن امتزج بعضها ببعض . واستناداً إلى تشابه الحوادث في العصر التاريخي من الجائز ان يكون أجناس البدو الذين عاشوا في البلاد المتاخمة وفي بلاد العرب قد انحدروا إلى وادي النيل الخصيب ثم فرضوا لغتهم على السكان المستقرين هناك على اختلاف أجناسهم وسرعان ما تميزت اللغة وتميزت سمة وسحنة سكان مصر فصارت لغتهم متميزة و رومتهم متميزة .

ولقد قال جرجي زيدان (١) ان الساميين (العرب في اصطلاحنا) قد نزحوا إلى مصر من عهد قديم جداً وان الاكتشافات الأثرية الأخيرة تدل على أن العصر الحديدي بمصر يبدأ بدخول الساميين اليها ، وان مما يستدل به على ذلك اسم « فتاح » السامي الذي هو أقدم آلهة المصريين .

وننبه على أن الأقوال التي أوردناها تدور في نطاق موضوع طروء الجماعات او الموجات السامية - العربية الجنس على حسب اصطلاحنا — قبل التاريخ المصري الوثيق وقبل اتحاد مصر في مملكة واحدة وقيام الاسر الحاكمة على رأسها واحدة بعد اخرى الذي كان في الألف الرابع قبل الميلاد في تقدير بعض المؤرخين وفي الألف الخامس في تقدير بعض آخر على ما سوف نشرحه بعد .

اما طروء جماعات او موجات سامية — عربية الجنس — بعد ذلك فليس موضع شك او خلاف . وقد سجل التاريخ المصري الوثيق في مدوناته ونقوشه القديمة محاولات عديدة ومستمرة لتسرب هذه الجماعات من الشمال والجنوب الى مصر واهتمام ملوك مصر لصدها وتحصينهم الحدود الشمالية والجنوبية بسبيل ذلك ونجاح بعض هذه المحاولات اكثر من مرة في التسرب والاستقرار في مصر السفلى والعليا .

وكان من اهم هذه المحاولات الناجحة موجات متلاحقة من ناحية سيناء فالدلتا في النصف الأول من الألف الثالث قبل المسيح في عهد الاسر السادسة والثامنة والتاسعة بأعداد كبيرة استطاعت ان تستولي على الدلتا وتغمرها وتحكمها ثم موجة الرعاة الكبرى - الهكسوس - التي طرأت على مصر من هذه الناحية ايضاً في المئة الاولى من الألف الثانية قبل المسيح واستطاعت بدورها ان تغمر الدلتا وان تفرض حكمها على جميع مصر ردحاً من الزمن وان يبقى غالبها في الدلتا بعد تقويض حكم الهكسوس ، ثم موجات متلاحقة صغيرة وكبيرة

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام طبعة جديدة ص ٦٧

تسربت بهدوء في القرون الرابع عشر والثالث عشر والثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد في عهد الاسرتين التاسعة عشرة والعشرين . هذا إلى تسرب موجات عديـــدة من ناحيـــة الجنوب اهمها واكبرها الموجة التي جاءت من بلاد النوبة واستولت على الصعيد وقام منها الاسر الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة ثم السابعةعشرة والثامنة عشرة والموجةالتي جاءت من هذه البلاد في القرن الحادي عشر وقام منها الاسرة الثانية والعشرونممـــا سوف نشرحه ونورد دلائله في فصول الكتاب بعد ومما هو مظهر من مظاهر طبيعة جزيرة العرب منذ اقدم الأزمنة الى الآن دون انقطاع في إرسال موجاتها من آن لآخر إلى الأقطار المجاورة لها في الشمال والجنوب على ما شرحناه في مقدمة الكتاب في الجزء الأول . وقد كانت بلاد الهلال الخصيب (العراق وجزيرة الفرات وبلاد الشام) تعج دائماً بهذه الموجـــات فينساح منها جماعات بعد جماعات إلى مصر عن طريق بلاد النوبة . ومهما بلغ التزمت في احد فلا يصح ان يصل في حال الى درجة المكابرة في حقائق هذه الموجات وصلتها بجزيرة العرب .

وعلى الذين يجنحون الى المكابرة ويقولون ان هذه افتراضات او يمارون في ان ما يسمونهم شعوباً سامية قد جاؤوا الى بلاد الشام والعراق ووادي النيل من جزيرة العرب ان يذكروا انه قام دليل لا يدحض ولا نزال نعيش فيه وهو ما عرف معرفة اليقين من انسياح القبائل من جزيرة العرب في دور العروبة الصريحة ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد بل وقبل ذلك الى بلاد العراق وجزيرة الفرات وبلاد الشام شمالها ووسطها وجنوبها وغمرها جميع هذهالبلاد واقامتها الدول فيها من عربيبة وقيدارية وايطوزية ونبطية وتدمرية وتنوخية ولخمية وغسانية وكندية الخ قبل الاسلام ثم انسياحها تحت راية الاسلام ومنذ الفتح الاسلامـــي الى بلاد العراق والشام ثم الى مصر والسودان وبلاد الحبشة والصومال من طريق باب المندب حيناً وسيناء حيناً كما كان يجري في القديم البعيد وانتشارها في جميع انحاء هذه البلاد مما اطنب به ابن شهاب (في مسالك الأبصار) وابن خلدون (في العبر) والمقريزي (في الخطـــط وفي رسالة البيان والاعراب بما في مصر من الاعراب) ورسالة (الالمام بما في الحبشة من ملوك الاسلام) والقلقشندي في صبح الاعشى والحمداني وابن اياس والجبرتي اطناباً يدل علـــى استمرار حركتها وعظيم جيشانها وسعة انتشارها طيلة القرون التي اعقبت الفتـــح بحيث لم يكد يخلو منهم دور وناحية ، ومما وصف حاضره في وادي النيل خاصة نعـــوم شقـــير في كتابيه تاريخ السودان وتاريخ سيناء ومما تتمثل آثاره وحقيقته في العدد العظيم من القبائـــل العربية التي تحتفظ الى اليوم بتقاليدها واسمائها العشائرية وتنتشر في جميع انحاء مصر وسيناء والسودان والحبشة والصومال ويبلغ عددها الملايين العديدة ويبلغ عددها في مصر وحدها

مليوناً وربع مليون عدا الأعداد الكثيرة الذين اندمجوا خلال هذه القرون في حياة المدن والقرى والذين لا يحصون كثيرة ولا تخلو منهم ناحية ولا قرية ولا حي في مدينة والذين لا يتميز عنهم السكان الأصليون بشيء من الملامح والعادات والذين لا يزال كثير منهم يحتفظون مع ذلك بأنسابهم وتقاليدهم وذكرياتهم العشائرية (١) بحيث يصح ان نقول ان دعوى اتصال النسب والجنس بين سكان مصر منذ اقدم ازمنة التاريخ وبين سكان جزيرة العرب ليست قائمة على عاطفة وتخمين ، وغير مستندة الى علم او انها شيء من مجاهل التاريخ الذي يتحمل الأخذ والرد والنفي والشك وانما هي حقيقة علمية تسندها ادلة تاريخية وثيقة ودراسات واقوال خبراء موثوقين وواقع لم ينقطع مدده وفيضه .

ونتيجة للانسياح العربي الجنس الذي بدأ قبل العصور التاريخية الوثيقة واستمر بعدها غدت الصبغة العربية — والمؤلفون يسمونها الصبغة السامية — قوية البروز في اللغة المصرية القديمة . وقد قرر هذا بريستيد وغيره من العلماء على ما تفيده النبذ التي اوردناها عنهم . ولقد اثر عن العالم الأثري المصري الشهير احمد كمال انه وضع قاموساً فيه آلاف المفردات المصرية القديمة المتشاركة في المعنى والمبنى مع المفردات العربية كدليل على ما قرره واوردناه قبل نقلا عن كتاب تاريخ السودان العام للدكتور حسن كمال من أن أصل اللغة المصرية واللغة العربية واحد لأن أصل المصريين من جزيرة العرب (٢) . وهناك مستشرق الماني اسمه ارمان ألف كتاباً بين فيه ما بين اللغة المصرية واللغات السامية — العربية حسب اصطلاحنا — من توافق ، حيث ينطوي في هذا نفس الدلالة في صدد اللغة والجنسية المصرية . ولقد اعتنق كثيرون رأي ارمان هذا حتى لقد قرر بعضهم ان اللغة المصرية هي لغة سامية محضة (٣) ومع ان هناك من يتحفظ ازاء هذا التعميم بسبب ما بين اللغة المصرية القديمة واللغات الأفريقية من تقارب او توافق فان هذا الفريق المتحفظ لا ينكر قوة بروز العنصر السامي — العربي حسب اصطلاحنا — في اللغة المصرية وكل ما يقوله ان اللهجات البربرية او اللوبية والكوشية في هذه اللغة بارزة بروز اللغات السامية فيها (٤) .

---

(١) سوف نذكر باسهاب في احد اجزاء الكتاب تموج وتوزع القبائل العربية الصريحة في وادي النيل وظروف طروئها ومراكزها واحداثها ودولها منذ الفتح الاسلامي الى اليوم استناداً الى المشاهدات والاخبار التاريخية المتصلة بها وستثير على ما نظن هذه البيانات عجب القارئ لسعة وانتشار حركة التموج العربي الى مصر وسائر وادي النيل وتجعله يرى فيها اثراً ودلالة على ما كان يجري قبل هذا الفتح ، وامتداداً له من جهة ودلالة على ان عروبة مصر الصريحة متصلة بعروبتها غير الصريحة قبل الاسلام الى اكثر من ستة آلاف عام.

(٢) ص ٥ و ٧٧ .

(٣) و (٤) مصر تأليف درايتون وجاك فانديه وتعريب عباس بيومي ص ٤ — ٥ .

ولقد نقل الينا وسيط بيننا وبين المؤرخ المصري الجليل سليم حسن رأياً قوياً في هذا الصدد حيث قال للوسيط ان ٦٥٪ على الأقل من اللغة المصرية القديمة هي سامية وهذا اكبر علماء هذه اللغة في مصر ان لم يكن في جميع البلاد (١) .

ولقد احتوى معجم ياقوت الحموي المتوفى في القرن السابع الهجري اسماء مئات من القرى والقصبات المصرية التي تحمل السمة المصرية القديمة والتي كانت تطلق الى عهده امتداداً للقرون القديمة السابقة للاسلام والعروبة الصريحة ، والتي تبدو عليها لمحة العروبة المتقدمة على دور العروبة الصريحة قليلاً او كثيراً بناء ومعنى مما يمكن ان يكون فيه دليل على اتصال النسبة بين المصريين القدماء الذين انشأوها وبين الجنس العربي ، مع التنبه على ان معجم ياقوت لم يحتو الا الأقل من أسماء قرى وقصبات مصرية حاضراً تحمل أسماء قديمة لم ترد فيه . وهذه جملة منها في مقام الشاهد على ذلك .

ابشاي ــ ابليل ــ ابنود ــ ابريط ــ ايبوهه ــ اتريب ــ اتنوهه ــ داخيمم ــ اخنا ادفو ــ ادفه ــ ارمنت ــ اسوان ــ اسيوط ــ اشمون ــ اشنين ــ اطفيح ــ اطسا ــ افوى اقصر ــ إقنا ــ انصا ــ يبا ــ يبشي ــ بذقون ــ بذرمان ــ بردنيس ــ برديس ــ بركوث برلس ــ بلبيس ــ سلجوت ــ بنها ــ بوب ــ بوتيج ــ بومير ــ بويط ــ بهجورة ــ بهنسا تتا ــ ترنوط ــ تزمت ــ تنده ــ تيده ــ جرجير ــ جيزة ــ حلوات ــ حيدين ــ دجرجا دجوه ــ دسبندس ــ دشنتي ــ دقهله ــ دلاص ــ دماط ــ دمسيس ــ دفقله ــ دمنهور دمنور ــ دميره ــ دمياط ــ دنجوية ــ دومرية ــ دهشمين ــ دهروط ــ دهشور ــ ديرابشيا دير ابومنا ــ دير ابي نجوم ــ دير ابي سوبرس ــ دير ابي هور ــ دير طمويه ــ ديرطورسينا دير القلمون ــ زفتا ــ زويلة ــ سخا ــ سرسنا ــ سرياقوس ــ سفط ابي جرجا ــ سفط عرفا ــ سفط قدور ــ سلطيس ــ سلمنت ــ سمخراط ــ سمديسة ــ سمسطا ــ شملوط ــ سمنود ــ سمهوط ــ سنبور ــ سندبلس ــ سندقا ــ سندور ــ سنطه ــ سنهور ــ سواكن سوهاي ــ سويس ــ سهواج ــ سهو ــ سيله ــ سينا ــ شبشر ــ شومــوه ــ شرقيــون

---

(١) لقد بحثنا عن قاموس احمد كمال لننقل منه نماذج فعلمنا انه لم يطبع وسعينا للاطلاع عليه فلم نوفق الى ذلك . وبذلنا جهدنا مع علماء اللغة المصرية من المصريين للحصول على نماذج نثبتها هنا فذهب جهدنا هباء . فمنهم من وعد ولم يف ومنهم من لم يتفضل بالجواب ومنهم من طلب خمسين جنيهاً لتهيئة ٢٠٠ كلمة ظاناً على ما يبدو ان الكتاب سيكون كنزاً لنا يجب ان يحصل على حصته منه سلفاً . والقاموس الذي نشره احمد بدوي وهرمن كيس قاصر على شرح معاني العلامات الهيروغليفية . وعلى كل حال فاننا كنا نحب ان نورد بعض النماذج لزيادة التوكيد وليس لان دعوانا مفتقرة اليها . فان وجود مفردات عربية الجنس او سامية حسب اصطلاح غيرنا بكثرة عظيمة في اللغة المصرية القديمة امر متفق عليه لدى جميع العلماء .

شرونه ـ شطا ـ شطب ـ شطنوف ـ شميرق ـ شندوخ ـ شنودة ـ شبين ـ صا ـ صات صنت ـ صهرجت ـ صربيط ـ طبندا ـ طقيثا طحا ـ طحطوط ـ طرا ـ طرابيه ـ طلخا ـ طغت ـ طنشتا ـ طوخ ـ طوّه ـ طهرمس ـ طهنه ـ طهنطور ـ طيبه ـ طينه عريش ـ عيذاب ـ فاقوس ـ فرشوط ـ فرطسا ـ فرما ـ فشن ـ فوّه ـ فيشة ـ فيوم قالوص ـ قرطسا ـ قرقشنده ـ قسا ـ قطية ـ قنط ـ قلوسنا قفّا ـ قوسينا ـ قوص مراغه ـ مراقيه ـ مرصفا مسبر ـ مطريه ـ ملقس ـ منبونه ـ متف ـ منفلسوط ـ منقباط ـ منوف ـ منيمون ـ منية زفتا ـ منية شنشا ـ منية شيرج ـ منية غمر ـ منية قوص ميمون ـ نوبه ـ نهيا ـ وردان ـ وسيم .

وننبه على أننا لم ننقل من المعجم ما جاء في صيغة عربية فصحى وهو كثير ، ولايستبعد أن يكون كثير من الأسماء العربية الفصحى مطلقة على أعيان مصرية قديمة .

ولا تزال مئات القرى والقصبات المصرية تسمى بأسماء قديمة تلمح عليها لمحة العروبة المتقدمة على دور العروبة الصريحة قليلا أو كثيراً بناء ومعنى امتداداً للقرون القديمة السابقة للاسلام والعروبة الصريحة مما فيه كذلك دلالة اخرى على ذلك الاتصال . وكثير منها لم يرد في معجم ياقوت . وهذه جملة اقتبسناها من الخطط التوفيقية الجديدة التي الفها علي مبارك في أربعة مجلدات مقسمة إلى عشرين جزءاً وهي مطبوعة في المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق سنة ١٣٠٦ هجرية.

ابريم ـ ابسوج ـ ابشاده ـ ابناس ـ ابنوب ـ ابوتيج ـ ابو جوان ـ ابو صير ـ ابو كسا ـ ابو كلس ـ ابيار ـ اتريب ـ أجا ـ أجهور ـ اخميم ـ اخنا ـ ادفا ـ ادفو ادكو ـ اسنون ـ اسنا ـ اسوان ـ اشمنت ـ اشمون ـ اشمونين ـ اسطال ـ اصطا ـ اطفيح ـ اطيا ـ ام دومه ـ آمون ـ انبابه ـ انبو ـ انشاص ـ انصنا ـ انطيل ـ اهريت اهناس ـ ايله ـ بابل ـ باجور ـ باقور ـ بانوب ـ ببا ـ ببلا ـ بتنون ـ بجام ـ بجاوه بجيرم ـ بداري ـ بدرشين ـ براوه ـ بردين ـ برشه ـ برشوم ـ برما ـ برمون ـ برنبال برنبل ـ بسطه ـ بسبون ـ بشبيش ـ بشواي ـ بصري ـ بقيره ـ بـلاق ـ بلبيس ـ بلتان ـ بلقاس ـ بلقينه ـ بلاص ـ بليتا ـ بنبت ـ بنبان ـ بنجا ـ بنها ـ بنهو ـ بنود ـ بني سويف ـ بهبيط ـ بهيتم ـ بهجورة ـ بهنا ـ بهيتا ـ بوش ـ بوصير ـ بوطه ـ بوقرقاص ـ بوقير ـ بولاق ـ بوبط ـ بيسوس ـ بيله ـ بيوم .

تبين ـ تتا ـ ترسا ـ تلا ـ تلبانه ـ تل حاوين ـ تل راك ـ تله ـ تمي ـ تلوانه تنده ـ تنيس ـ تونه ـ تيره ـ تروجه ـ تفهنا ـ تلبنت .

جاولى ــ جبرو ــ جبلاو ــ جدريه ــ جرجا ــ جردابت ــ جرده ــ جره ـ جرنوس جروان ــ جيزة ــ جلف ــ جناح ــ جنان ــ جحزور ــ جوسق .

حرافشة ــ حجازه ـ حانوت ــ حفن ــ حفنة ــ حلوان ــ دجوه ــ دارو ــ در ــ دروط ــ دسوق ــ دشطوط ــ دشنا ــ دفرا ــ دفته ــ دقدوس ــ دقهله ــ دلتا ــ دلجه دماص ــ دمامين ــ دمرو ــ دمشيت ــ دمنهور ــ دموه دمياط ــ دميره ــ دندره ــ دندنا ــ دهسه ــ دهشو ــ دوير ــ دونيه ــ ديرب ــ ديرين ــ دلاص ــ ديما ــ ذروه .
رادسيه ــ راكوتي ــ رقه ــ رودانيه ــ ريرمون ــ ريفه ــ زاره ــ زرابي ــ زرقا ــ زرقان ــ زقازيق ــ زفته ــ زوامل .

سيلين ــ سجين ــ سحيم ــ سخا ــ سمنود ــ سدود ــ سرسن ــ سرمون ــ سرو ــ سفط ــ سفط ميدوم ــ سفيسطة ــ سلاقوس ــ سلطيس ــ سلكه ــ سلموت ــ سلمات سماجات ــ سمادون ــ سمالوط ــ سماليج ــ سمنود ــ سمهود ــ سنباط ــ سنبور ـ سنيلاوين سنجا ــ سندوب ــ سندفا ــ سندسيس ــ سندنهور ــ سنديون ـ سفطه ـ سنهور ـ سنورس سنيطه ــ سنيكه ــ سواده ــ سوهاج ــ سويس ــ سيفه ــ سيله ــ سيزو ــ سيوف ــ سيوه ــ سيوط .

شارونه ـ شباس ـ شبانات ـ شبرى بابل ـ شبرا خيت ـ شبرا دمنهور ـ شبرى سندس شبري صوره ـ شبرى فاش ـ شبرى قاص ـ شبرى فلوج ـ شبرى قباله ـ شبرى ملس ـ شبرى ملكات ـ شبرى منت ـ شبرى نطول ـ شبرى نونه ـ شبري نيس ـ شبرى هارس شبرى هور ـ شبرى وسيم ـ شبرى ويش ـ شبشر ـ شربين ـ شرشمه ـ شرونه ـ ششت ـ شطا ـ شطنوف ـ شعشاع ـ شعلقيل ـ سكينه ـ شمشمون ـ شلفان ـ شنبارو ـ شنشا ـ شنشور ـ شنوان ـ شها ـ شوبر ـ شوبك ـ شوف ـ شبين الكوم ـ شمس .
صان ـ صدفه ـ صنفين ـ صنافر ـ صوره ـ صراوه ـ صهرجت .

طانبيس ـ طاروت ـ طاشبرى ـ طما النحل ـ طحا بوش ـ طحا البشا ـ طحا العمودين طحا المرج ـ طحا نوب ـ طحلا طرا ـ طلخا ـ طرانبه ـ طرافيه ـ طرانه ـ طرهونه ـ طليا طما ـ طماى ـ طميه ـ طمويه ـ طملوها ـ طنياره ـ طنبول ـ طنبدا ـ طهطا ـ طهنا ـ طوبه طوخ دلكه ـ طوخ طنبشا ـ طوخ قراموص ـ طوخ مدين ـ طبه ـ طينه ـ طيوه ـ عجرود عجره ـ عدوه ـ عرابه ـ عريش ـ عرين ـ عزبة شلقان ـ عزبة المناشي ـ عسيرات ـ عشما عفادره ـ عنبيس ـ عونه ـ عيذاب ـ غراقه ـ غمازه ـ غمرين ـ غورى ـ غنبه ـ غيفه ـ فاران

فاراس ـ فاقوس ـ فدمين ـ فرشوط ـ فرما ـ فشن ـ فوّه ـ فيشه ـ فيوم .

قاد ـ قابات ـ قباب ـ قراقص ـ قرنفيل ـ قرين ـ قصرهور ـ قصررشوات ـ قضابه ـ قطريا ـ قطيفه ـ قطيعه ـ قفط ـ قلشان ـ قلقشنده ـ قليا ـ قلوسنا ـ قليوب ـ قلين ـ قمانه قولى ـ قنا ـ قنيات ـ قوميه ـ قويسنه .

كانوب ـ كدايه ـ كرداسه ـ كريون ـ كفر الباجور ـ كفر الباز ـ كفر البرمون ـ كفر حشاد ـ كفر حكيم ـ كفر داود ـ كفر ديما ـ كفر بيع ـ كفرالزيات ـ كفرعزاز ـ كفرالعيص كفر اللاوندى ـ كمشيش ـ كنيسة الغشاشة ـ كنيسة مردوس ـ كنيسةدمشيت ـ كنيسةشبرى تور ـ الكوم ـ كوم اشفين ـ كوم امبوها ـ كوم مرتبين ـ كوم دربي ـ كوم روس ـ كوم زمران ـ كوم نطون ـ كياد دجوه .

لاهوت ـ لقانه ـ لقين .

ماي ـ مجدول ـ مشاق ـ مخنان ـ مدين ـ مرصفا ـ مريوط ـ مسير ـ مسيد ـ مطاى ـ مطرطارس ـ مطريه ـ معصرة دوده ـ معصرة اطفيح ـ معنبه ـ مفاغه ـ ملطه ـ ملوى ـ مليبح ـ منارجه ـ منا ـ منبال ـ منشاة سدود ـ منشاة شنوان ـ بها ـ منطاى ـ منفلوط ـ منف منوف ـ منقريش ـ منيا ـ منية ابيار ـ منية اشنا ـ منية اندونة ـ منية بز ـ منية برا ـ منية بندرا ـ منية جناح ـ منية جيش ـ منية حلفا ـ منية حلوج ـ منية دمياط ـ منية دينى ـ منية رهينه ـ منية زرافه ـ منية زنقر ـ منية سمنود ـ منية سنتا ـ منية سندوب ـ منية شبرى ماس منية شاس ـ منية شنتنا عباس ـ منية شندى ـ منية شهاله ـ منية شبين ـ منية شيرج ـ منية صافور ـ منية بشنين ـ منية طيبل ـ منية طوخ ـ منية عزوت ـ منية غريط ـ منية عمر ـ منية قرمادى ـ منية قادوس ـ منية قلين ـ منية نحال ـ منية نما ـ منية ميدوم .

نارادوس ـ نبتيت ـ نبروه ـ نجيله ـ نحراريه ـ نزه ـ نشرت ـ نشيل ـ نفره ـ نقيطن نهيا ـ نواج ـ نواى ـ نوسا ـ نويره ـ نيده ـ نيشوط ـ هربيط ـ هلبا ـ هله ـ هوّه ـ هور مهيار ـ وادي هيب ـ وادي حلفا ـ وادى بحر بلاما ـ الوايلي ـ واقدا ـ وراده ـ وراق ـ وردان ـ وسيم ـ ونا .

ولم ننقل الأسماء الفصحى العربية ولا المضافات الفصحى لكلمات منية وسفط وشبرى وكوم التي يبدو انها كلمات عامة تعني قرية او عزبة او حصناً والتي نرجح ان مضافاتها الفصحى قد اطلقت على أسماء قديمة لقرى او قصبات قديمة .

وكثير من هذه الأسماء مماثل لأسماء كنعانية وآرامية وكلدانية وبابلية وعمورية ـ وهذه

أرومات وقبائل طرأت على بلاد الشام والعراق من جزيرة العرب وسماها المؤرخون الغربيون ساميين – سميت بها مدن وقرى عراقية وشامية وما تزال تطلق على أعيان قائمة في بلاد الشام والعراق مما سوف يتبين من الأسماء التي سنوردها في الجزئين الثالث والرابع ومما فيه دلالة ما على وحدة الجنس.

وقد تكون صيغ الأسماء التي نقلناها من الخطط ومعجم ياقوت قد جاءت بصيغة او اوزان عربية نتيجة لانطباع مصر بطابع العروبة الصريحة بعد الفتح الاسلامي . وقد لا تكون بعض الأسماء هي نفسها التي سميت بها المدن في التاريخ القديم ولكن التروي فيها يثبت ان كثيراً منها ان لم نقل أكثرها عليه سمة القدم السابق كثيراً للفتح الاسلامي ويحمل في الوقت نفسه اللمحة العربية القديمة معنى ومبنى بحيث يسوغ القول أن الأسماء التي ليست هي نفس الأسماء القديمة هي أيضاً تسميات اطلقها موجات عربية الجنس متأخرة الطروء ، وهذا وذاك يلمح في تسميات بلاد الشام والعراق كذلك .

يضاف إلى هذا ما يلمح من اللمحة العربية القديمة على كثير من أسماء الفراعنة ورجال دواتهم ومعبوداتهم ومدنهم على ما سوف يأتي في ثنايا فصول الكتاب .

فكل ما قدمناه يجعلنا نقرر بشيء من الوثوق ان الموجات العربية انساحت الى مصر منذ عصور ما قبل التاريخ ثم ظلت تنساح اليها خلال العصور التاريخية بدون انقطاع حتى غدت العنصر الغالب من سكان مصر القدماء وان هذا يسوغ ان يسلك تاريخها في سلك تاريخ الجنس العربي خلافاً لما جرى عليه المؤرخون .

ومن الحق ان نقرر ان الليبيين الذين لا يعرف على وجه التحديد جنسهم الأصلي – والذين يذهب بعض الباحثين إلى أنهم امتداد لموجات سامية الجنس – عربية الجنس – طرأت على وادي النيل قبل الأزمنة التاريخية مؤيدين رأيهم بالأوصاف البيولوجية للجنس الأبيض الذي يشترك فيها الجنس العربي او ما يسمونه بالساميين – كانوا وظلوا ينساحون الى مصر من ناحيتها الغربية في مختلف حقب التاريخ ويستوطنون خاصة قسمها الأوسط وكان لهم في بعض الظروف دولة فيه وكانوا ذوي كثافة نوعاً ما . غير أنهم لم يكونوا كثرة كبيرة من شأنها ان تغمر مصر وتصبغها بصبغتها كما كان شأن الموجات السامية – العربية التي صبغت مصر بصبغتها وعممت فيها لغتها على ما ذكره بريستيد وغيره وأوردناه في النبذ السابقة .

ومن الحق كذلك ان نقرر انه كان يطرأ من بلاد النوبه او من البلاد التي كانت تسمى

بلاد كوش موجات على مصر الجنوبية وتستوطنها قبل التاريخ المعروف وبعده غير أن هذه الموجات ليست زنجية على كل حال وهناك باحثون يقررون انها قبائل سامية الجنس — اي عربيته — تسربت إلى هذه البلاد من طريق الصومال وسواحل اثيوبيا بعد تسربها من جزيرة العرب فامتزجت بعناصر زنجية فغدت ذات سمة ولهجة خاصة متميزة مع بقاء غلبة العنصر السامي العربي وملامحه عليها (١) .

ومن الحق كذلك ان نقرر انه طرأ على مصر جماعات من جنس أبيض غير عربي من طريق البحر الأبيض ونعني بهم اليونانيين ومن اليهم من سكان شواطيء اوروبا الجنوبية وجزر هذا البحر .

ولكن ذلك إنما بدأ يحدث في عهد متأخر أي قبل الميلاد المسيحي بنحو الف وثلاثمائة سنة ولم يكن الطارئون مع ذلك جماعات كثيفة من شأنها ان تغمر مصر فضلاً عن أن المصريين لم يأنسوا بهم ، وكانوا ينظرون اليهم بعين المقت ويعتبرونهم أنجاساً ويتجنبون معاشرتهم على ما ذكره المؤرخون استناداً إلى الروايات والمدونات القديمة (٢) .

ولقد لبثت مصر تحت حكم اليونان والرومان نحو الف سنة ٣٣١ ق . م — ٦٤٠ ب.م وقدم اليها منهم وخاصة من اليونانيين الآلاف المؤلفة وتوطنوا فيها ونشروا لغتهم وثقافتهم وقد جمع بينهم وبين المصريين الدين النصراني نحو اربعة قرون وترجمت كتبه المقدسة الى اليونانية وصارت لغة عبادة وطقوس ومع ذلك لم يستطيعوا ان يفرضوا طابعهم على مصر بل ظل المصريون كما ذكرنا آنفاً منقبضين عنهم يتحرجون من معاشرتهم فضلاً عن الامتزاج او الاندماج فيهم ، في حين انه لم يمض على قدوم موجة الفتح العربية الكبرى وما بعدها تحت راية الاسلام إلا بضعة أجيال حتى أخذ الطابع العربي الصريح يطبع مصر واهلها الى تمت له السيادة الخالدة المقدسة ، وليس من تفسير معقول لهذه الظاهرة إلا وحدة الارومة

---

(١) انظر تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته لنعوم شقير ج ١ ص ٤٥ — ٦٤ و ج ٢ ص ٣٠ — ٣٩ واسم كوش ورد في الآثار المصرية القديمة اسماً لبلاد او قوم يسكنون بلاد النوبة او السودان . وورد كذلك في سفر التكوين كأحد ابناء حام بن نوح . ونرجح ان هذا مرتكز الى او مستمد من الاثار المصرية التي ذكر فيها الاسم لأنها اقدم من موسى الذي ينسب اليه سفر التكوين . وننبه بهذه المناسبة على ان اسماء مواليد سفر التكوين الاولى التي تتفرع عن نوح كانت تطلق على قبائل وشعوب ومدن قبل موسى أيضاً .

(٢) الكافي لشاروبيم ج ١ ص ١٦٤ — ١٤٧ والتاريخ العام الكبير بالتركي لأحمد رفيق ج ١ ص ١١٥ والقرون القديمة لبريستيد ترجمة قربان ص ٣١٥ .

والروح والدم والجنس والمنبت التي تجمع بين هذه الموجة وما بعدها وبين معظم سكان مصر القدماء .

وقد يورد البعض في هذا المقام ان تاريخ العروبة في ظل الاسلام في مصر قد سجل مواقف عديدة تحررية وثورية من سكان مصر ضد حركة الفتح ثم ضد السلطان الاسلامي العربي في القرون الثلاثة الاولى بنوع خاص كما قد يورد بعض آخر ان العروبة والاسلام في مصر قد توطدتا بقوة الفتح او السيف كما يحلو لهم ترديده احياناً . فمن جهة النقطة الاولى نقول إن ذلك لم يكن عاماً بل كان من شراذم من جهة وان التاريخ سجل مقابله مواقف إيجابية من الأقباط نحو الفاتحين اوسع وأعم من جهة اخرى ، وان ما كان منه قد كان لأسباب اخرى ، منها الاعتبارات الدينية التي كانت فى تلك الظروف هي المؤثر الأشد في حياة البشر ؛ ومنها ما كان بقي في مصر من عناصر يونانية ورومانية مضافاً اليها ما كان من صنائع ومأجورين للرومان من اهل البلاد وما كان من هؤلاء من متمذهبين بالمذهب الملكي المسيحي الروماني الذين كانوا اقلية بالنسبة لأ كثرية أهل مصر المتمذهبة بالمذهب اليعقوبي ، حيث كانت هذه العناصر تستجيب لتحريض الرومان . ولقد كان مثل هذا في بلاد الشام والعراق من المتمذهبين بالمذهب الملكي والعناصر اليونانية الرومانية ، بل وكان مثل ذلك من قبائل صريحة العروبة مثل بني تغلب والنمر وعقه وبهراء وجدام وبلى وغسان الخ (١) . ومن جهة النقطة الثانية نقول ان اليونان والرومان فتحوا مصر وحكموها الف سنة فلم يقلبوا أهلها يونانيين ولا رومانيين من جهة وان اجسم دليل على تفاهة ذلك القول هو من جهة اخرى احتفاظ من رغب في الاحتفاظ بدينه منذ الفتح الاسلامي إلى اليوم !

ونحن إذ نتبني دعوى كون دم كثرة سكان مصر القدماء مع الذين كان لهم الحكم والسلطان فيها قبل قيام المملكة المتحدة الاولى وبعدها هو دم موجات قدمت الى مصر من جزيرة العرب ونورد خلاصة اقوال العلماء والباحثين في ذلك ونسوق البراهين والقرائن والشواهد من اثار المصريين القدماء ولغتهم واوصافهم ومسمياتهم وصورهم ومخطاتهم من الوقائع التاريخية اليقينية المستمرة لا نريد ان ننفي تأثر هذه الموجات بالبيئة الطبيعية والاجتماعية واختلاط دمائها بدماء امم اخرى كانت في مصر قبل مجيئها وبعده ـ قبل الاسلام ـ وتأثرها بأصحاب هذه الدماء لغة وعادات واكتسابها بذلك كله شخصية خاصة نوعا ما في الأرض

---

(١) انظر الطبري ج ٢ ص ٥٧٦ و ٥٧٨ مثلا .

الجديدة التي حلت فيها (١) غير أننا نتوخى بذلك من جهة تقرير الحقيقة التاريخية المتصلة بالواقع المستمر منذ عشرات القرون قبل الميلاد والمؤيدة بالشواهد المتنوعة وتقارير جمهرة من العلماء والباحثين، والتدليل على أن عروبة مصر الحاضرة هي امتداد لما كان من عروبتها التي سبقت الاسلام بعشرات القرون؛ وتصحيح التوجيه التاريخي بالنسبة لتاريخ مصر القديم وسلكه في سلك تاريخ الجنس العربي استناداً إلى حقيقة صلة منبت هذا الجنس بمصر منذ أقدم الأزمنة وانسياح موجاته المتوالية اليها منذ آلاف السنين دون انقطاع، وغلبة طابعها عليها، ومن جهة اخرى احباط مكر المستعمرين والمبشرين المغرضين وتلامذتهم وأعداء العروبة الذين تتجاوز مكابرتهم كل حد ومنطق فيتجاهلون ويكابرون حتى في ما سجلته الآثار المصرية القديمة من محاولات التسلل العربي الجنس إلى مصر من شمالها وجنوبها ومن نجاح كثير من هذه المحاولات بصورة واسعة حيناً وضيقة حيناً، ويتجاهلون كذلك السيل العربي الصريح الذي أخذ يتدفق على مصر منذ الفتح الاسلامي إلى الآن دون انقطاع ويغمر مدنها وقراها وصحاريها استمراراً لما كان يجري قبل دور العروبة الصريحة، والذي تفوق أعداده اعداد سكان مصر قبل الاسلام اضعافاً مضاعفة، والذي يتمثل في كل ناحية من أنحاء مصر وفي كل مظهر من مظاهر حياتها وتقاليدها ولغتها تمثلا شاملا قوياً، بقصد فصل تاريخ مصر عن تاريخ العرب ليوقروا في أذهان المصريين وهن الصلة بينهم وبين العروبة الأصيلة ويجعلونهم يعتبرون العرب الذين جاؤوا هذه المرة تحت راية الاسلام غزاة كسائر الغزاة الذين طرأوا على مصر ووطدوا حكمهم عليها بالقوة العسكرية وحسب؛ وكون ما هنالك من فرق هو أنهم اعطوا مصر دينهم ولغتهم كما كان وما يزال يبث همساً تارة وصراحة تارة أخرى، حتى لقد جاء وقت حاربوا فيه مظاهر الاسلام والعروبة اشد حرب وحاولوا ان يجعلوا النعرة الفرعونية اصلا في الحياة المصرية وامجادها بزعم انها تغطي مع الزمن على النعرة العربية الاسلامية جاهلين او متجاهلين ان معظم الاسر الفرعونية

---

(١) لا نرى ان من شأن ذلك الاخلال بفكرة الكتاب او بالصلة الجنسية الوثيقة التي تربط بين معظم سكان مصر وجزيرة العرب واهلها بل ونراه مشابهاً بعض الشيء لما جرى في دور العروبة الصريحة، فقد غمرت موجات الجزيرة في هذا الدور قبل الاسلام وبعده العراق والشام ووادي النيل ولم تلبث ان تطورت بتأثير البيئة الاجتماعية والطبيعية فاكتسبت شخصية خاصة ابتعدت بها قليلا او كثيراً عما كانت عليه في جزيرة العرب، فلم يكن من شأن ذلك ان يخل بصفة الجنسية العربية التي ظلت تجمع بين جزيرة العرب واهلها وبينهم وظل الجميع يعتبرون من جنس واحد واصل واحد في الواقع والحقيقة وفي نظر جميع الباحثين. وليس من فرق بين هذا وذاك الا ما كان من اثر القرآن الحاسم وحيلولته دون ابتعاد هؤلاء واولئك عن الطابع العربي الصريح.

التاريخية من الجنس العربي ، ودعوا إلى نبذ اللغة الفصحى والاكتفاء بال... الدارجة ...لا بأن تتطور حتى تبتعد عن اصلها وتغدو لغة خاصة فتنقطع بذلك الصلـــة بـــين العروبـــة ومصر بزعمهم .

وهذا بالاضافة الى أننا حينما نقرر صلة المصريين القدماء بالجنس العربي او بكلمة ادق حينما نبرز هذه الصلة نكون قد أبرزنا سعة نطـــاق نشاط الجنس العربي وحيويته في مختلف المجالات الفكرية والأدبية والحضارية والسياسية والعسكرية حينما برز هذا الجنس على مسرح مصر القديمة التي كانت مصدراً رئيسياً من مصادر الحضارة البشرية التي شعت على العـــالم وكانت من مشاعل هداية البشر وحضارتهم الاولى من جهة ونكون من جهة اخـــرى قد وصلنا بين حيوية العروبة في دورها الصريح على مسرح مصر وبين حيويتها عليه قبل هذا الدور فصار من ذلك سلسلة متصلة الحلقات يمسك بعضها بعضاً من جهة اخرى .

ولقد سلك المؤرخون (١) تاريخ المعينيين والسبئيين والقتبانيين والحضرموتيين في جنوب جزيرة العرب والهيجانيين والتموريين في شمالها والنبطيين والتدمريين في بلاد الشام والرهاويين في حوض الفرات في سلك التاريخ العربي القديم ؛ وسلك بعضهم (٢) تاريخ الرعاة في مصر واسرة حمورابي في العراق في هذا السلك ، ولم تكن هذه الامم تتسمى باسم العروبة وتتكلم العربية الصريحة . وقد فعلوا ذلك بسبب انتمائهم جميعاً الى جزيرة العرب وتشاركهم في اللغة والعادات والأفكار على ما شرحناه في مقدمة الكتاب . وما دام هذا هو شأن معظم سكان مصر ودولها على ما قدمنا عليه الشاهد وايده جمهرة الباحثين فلا غبـــار في اعتقـــادنا على ما فعلنـــاه .

---

(١) فيليب حتي في تاريخ العرب وجرجي زيدان في تاريخ العرب قبل الاسلام وجواد علي في تاريخ العرب قبل الاسلام وغيرهم وغيرهم بل جميع الذين كتبوا تاريخ العرب .

(٢) جرجي زيدان في كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام.

مصادر تاريخ مصر وتقسيماته

- ١ -

لقد كتب ملوك مصر وحكامها وكهانها وعلماؤها وكتابها كتابات كثيرة على جدران المعابد والمسلات والأحجار والأنصاب وأوراق البردي ، منها الديني ومنها السياسي ومنها الأدبي ومنها العلمي . غير ان كثيراً منها ظل مطموراً الى عهد قريب فضلاً عن ان قراءتها قراءة سليمة لم يتيسر إلا منذ نحو مئة سنة .

وكان تاريخ مصر قبل ذلك يستمد اولا من تاريخ لمؤلف مصري من رجال القرن الثالث قبل الميلاد اسمه مانيتون وهو من الكهان ، كتبه بناء على طلب احد الملوك البطالسة وقد ضاع اصله (١) ولكن بعض المؤلفين اليونانيين القدماء قرأوه واقتبسوا منه أشياء كثيرة في تاريخ مصر وأسماء ملوك الاسر الحاكمة وسيرتهم وسني حكمهم (٢) ومن هذه المقتبسات ما تطابق مع ما قرىء من الآثار من أسماء وأحداث ومنها ما لم يتطابق وفيه مفارقات ومبالغات بحيث يسوغ القول انه الى جانب ما احتواه من أخبار مستندة إلى الكتابات والمدونات القديمة احتوى روايات وتخمينات متداولة شابتها تلك المفارقات والمبالغات كما هو الشأن فيما احتوته كتب العرب القديمة في تاريخ العرب قبل الاسلام . ولا سيما ان كثيراً من الآثار المصرية التي عليها كتابات قديمة لم تكن مكتشفة . ولقد كان هذا التاريخ او بكلمة أدق ما اقتبسه منه ودونه كتاب اليونان القدماء مصدراً رئيسياً من مصادر التاريخ المصري القديم فيما كتب فيه باللغات الأجنبية واللغة العربية . وقد استند اليه ثلاثة مؤلفين

---

(١) مما جاء في كتاب تاريخ مصر الفرعونية المسمى أيضاً بموكب الشمس للدكتور احمد بدوي ج ١ ص ٥١ – ٦٨ ان مانيتون كتب ثلاثة كتب وليس كتاباً واحداً .

(٢) مما ذكره المصدر المذكور آنفاً ان مؤرخاً يونانياً اسمه جوزج كتب في مطلع القرن التاسع الميلادي تاريخاً لمصر نقلا عن مؤلفين قبله ذكر فيه كتاب مانيتون وقال انه قسم الحكام – الملوك – الى اسر ونسب هذه الاسر الى اقاليم او مدن مثل الاسرة الطيبية نسبة الى طيبة والاسرة المنفية والاسرة الاسوانية الخ ومما قاله ان مدونات مانيتون نوعان مختصر وفيه تاريخ اشهر الملوك وجامع وهو الاصل وفيه صورة كاملة شاملة لتاريخ الملوك المصريين جميعهم وحدد حكمهم بالاعوام والاشهر والايام .

عرب مصريين من رجال القرن السابق في ثلاثة كتب كتبوها بالعربية في أواخر ذلك القرن وهم احمد كمال معلم التاريخ واللغة الافرنسية والبربائية ــ اللغة المصرية او الخط المصري القديم – ومترجم الأنتيقة خانه المصرية وناظر مدرستها ، وهذه الأوصاف التي وصف بها هي على غلاف كتابه المسمى العقد الثمين في محاسن أخبار وبدائع آثار الأقدمين المصريين وهو مطبوع في مطبعة بولاق الأميرية سنة ١٣٠٠ هجرية ، والثاني أتربي ابو العز الذي عنون كتابه بعنوان الدر المنتخب في تاريخ المصريين والعرب وهو مطبوع في سنة ١٣١١ هـ ــ ١٨٩٤ م ، والثالث مخائيل شاروبيم الذي عنون كتابه بعنوان الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث وهو مطبوع في سنة ١٨٩٨ م ١٣١٥ هـ والجزء الأول من كلا الكتابين الأخيرين هو الذي خصص لتاريخ مصر القديم . هذا مع التنبية على ان المؤلفين الثلاثة لم يقتصروا على الاقتباس من مقتبسات اليونانيين من مانيطون بل استندوا إلى الآثار المكتشفة وما قرىء عليها من كتابات بعد ان عرفت معانيها وإلى المدونات اليونانية والرومانية القديمة والى كتب كتبها علماء غربيون في الحقبة الحاضرة ، وعلى ان المؤلفين الأخيرين كثيراً مما اورداه في كتابيهما إلى كتاب الأول الذي كتب كتابه قبلهما والذي كان ضليعاً بالاثار واللغة المصرية القديمة . وثانياً من كتب كتبها أجانب قدماء قبل الميلاد المسيحي وبعده مثل هيرودوت وبلوتارخ وتيودور الصقلي وهكاتية المالطي وهكاتيه الايدوري وسترابون ويوسب وافريقانوس ويوسيفوس اليهودي وكاتب اسمه جورج من رجال القرن التاسع للميلاد(١) وبعض ما كتبه هؤلاء عن مصر مقتبس من تاريخ مانيتون الذي فيه الغث والثمين وبعضه مستمد من مشاهدات عيانية ومسموعات متداولة حيث زار معظمهم مصر واقاموا فيها قليلا او كثيراً ، ومن تخمينات حول ما كان قائماً او مكتشفاً قديماً من الاثار المصرية في مختلف انحاء مصر وما عليها من نقوش وصور ورموز وكتابات . وكثير منها غير قائم على أساس وثيق ولا يخلو من المبالغات والمفارقات .

ولقد احتوت الكتب العربية القديمة كثيراً من أسماء واحداث ملوك مصر الأقدمين . وقد اورد احمد كمال العالم الأثري (٢) نقلا عن المسعودي والمقريزي والمرتضى اسماء مئة واربعين ملكاً . غير أن هذه الأسماء والأحداث لا تتطابق مع ما عرف يقيناً من الكتابات المصرية القديمة ، مما يدل على ان المؤلفين العرب تلقفوها من الأفواه والروايات المتداولة او المؤلفات التي تستند الى ذلك بحيث يصح ان يقال انها لا يعول عليها كمصدر وثيق من تاريخ مصر القديم.

(١) كتاب احمد بدوي المذكور سابقا ص ٥١ — ٦٨

(٢) مجلة المعهد المصري للسنة ١٩٠٣ باللغة الافرنسية

وفي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي او سنة ١٨٩٩ بالتدقيق (١٢٠٧ هـ) اكتشف ضابط افرنسي اسمه بوسارد (١) حجراً بازلتيا صلداً أسود قرب مدينة رشيد عرف منذئذ بحجر رشيد وهو موجود في المتحف البريطاني عليه نقوش مصرية قديمة ويونانيــة . وكان قسمه الأعلى مكسوراً ولم يبق عليه إلا أربعة عشر سطراً بالقلم الهيروغليفي المصري المقدس وعلى قسمه الأوسط (٣٢) سطراً بالقلم الديموطيقي المصري الدارج القديم وعلى قسمه الأدنى ٥٤ سطراً باللغة اليونانية وفي آخرها جملة تفيد انها ترجمة القسمين الأولين ، فأخبر الضابط جمعية معارف فرنسة باكتشافه ، وأخذ اكربلدا السويدي يجتهد في حل الكلمات الديموطيقية بمقارنتها على اليونانية ، وتابع يونج الانكليزي ثم شامبوليون الافرنسي هذه الجهود التي كان التوفيق فيها حليفاً للاخير بفضل اجتهاده ودأبه ، ثم تابع هذه الجهود علماء طليــان والمان وانكليز وافرنسيس وهولانديون ودانماركيون ولعوا بالآثار المصرية ودراسة نقوشها وكتاباتها وتخرج على أيدي بعضهم علماء من مصر أيضاً فأدّت جهودهم الى تنظيم وتصنيف آثار مصر وقراءة ما عليها من كتابات . وقد ظهر ما قريء من هذه الكتابات ان المصريين ولعوا منذ عهد مبكر بتسجيل أحداثهم ومآثرهم السياسية والحربية والعمرانية والداخليــة والخارجية بشيء من الاسهاب .

ولقد اجريت بعد اكتشاف حجر رشيد تنقيبات كثيرة في مختلف انحاء مصر من قبل أجانب ومصريين كشفت عن أحجار وآثار جديدة عليها كتابات مصرية قديمة . منها لوح من نقوش الملك نعرمر . ومنها حجر بارم وهو أقدم المدونات الحجرية وقد عرف بهذا الاسم لأن جزءه الأكبر موجود في بالرم عاصمة صقلية وأجزاؤه الباقية موجودة في متحف القاهرة وعليه أسماء واخبار بعض ملوك مصر الى ايام الأسرة الخامسة . ومن أشهــر اوراق البردي القديمة التي عليها كتابات مدونة عرفت باسم مدونة تورينو لأنها موجودة في متحف تورينو وفيها اسماء عدد كبير من ملوك مصر ومددهم الى الاسرة التاسعة عشرة . ومنهــا مدونة صقاره التي عرفت بهذا الاسم لأنها وجدت في حفائر صقارة وهي مكتوبة في زمن رمسيس الكبير وفيها اسماء (٤٧) ملكاً من ملوك مصر . ومنها مدونة وجدت في الكارناك وعرفت باسم مدونة الكارناك ومدونة وجدت في معبد الملك سيتي في حفائر العرابة المدفونة

---

(١) العقد الثمين ص ٢١٨ - ٢٢١ ومصر القديمة ج ١ ص ١٢٧ وما بعدها .

حجر رشيد

فيها أسماء ٧٦ من ملوك مصر هذا فضلا عما قرىء على جدران ما كان موجوداً او اكتشف من معابد وهياكل وخاصة الكارناك من اسماء واحداث كثيرة ، فأخذت بكل ذلك معالم تاريخ مصر ومآثرها تبرز اكثر فأكثر مما ساعد إلى درجة كبيرة على كتابة تاريخ لمصر القديمة مستند إلى اسناد وثيقة مع التنبيه على انه لا يزال هناك حلقات مفقودة وثغرات بادية في الأسماء والأحداث . وما دام أنه ظهر كما قلنا ان المصريين كانوا مولعين بتسجيل أحداثهم ومآثرهم منذ أقدم الأزمنة فتكون تلك الحلقات والثغرات اما بسبب تعرض الكتابات للضياع واما بسبب بقاء كثير من آثار مصر واوراقها تحت الأرض . وقد يكون هذا هو الأغلب لأنه ما زال يكشف من آن لآخر عن آثار عليها كتابات فيها سداد شيء من هذه الثغرات .

وننبه على أن ما امكن كتابته من تاريخ مصر بشيء من التسلسل استناداً الى النقوش المصرية والمدونات القديمة يبدأ من الدولة القديمة المتحدة الاولى . اما قبل ذلك فليس هناك إلا نتف يسيرة لا تساعد على رسم صورة وافية .

ويؤرخ بريستيد في كتابه تاريخ مصر من اقدم العصور قيام الدولة المتحدة الاولى بسنة ٣٤٠٠ ق.م (١) بينما يؤرخ احمد كمال (٢) قيامها بسنة ٥٦٢٦ قبل الهجرة اي حوالي القرن الرابع والأربعين قبل الميلاد وشارويبم (٣) وانطون ذكرى (٤) بسنة ٥٠٠٤ ق.م . وقد أرخ دالس بدج (٥) واحمد رفيق (٦) قيامها بسنة ٤٤٠٠ ق . م أي بما يقارب تاريخ أحمد كمال .

ويلحظ فرق كبير بين بداية الدولة القديمة وبين بريستيد وشارويبم وانطون ذكرى . ويلحظ مثل هذا الفرق بين الفريقين كذلك بالنسبة لبداية الدور المتوسط او الدولة الوسطى حيث يؤرخ بريستيد (٧) بداية الأسرة الثانية عشرة بسنة ٢٠٠٠ ق.م بينما يؤرخها(٨) شارويبم وانطون ذكري بسنة ٣٠٦٤ ق.م. وقد أرخها احمد كمال (٩) بسنة ٣٥٢١ قبل

---

(١) ص ٣٠٤
(٢) العقد الثمين ص ١٩
(٣) الكافي ج ١ ص ١٣ - ١٤
(٤) الادب والدين عند قدماء المصريين ص ٦٢ وما بعدها
(٥) سواء السبيل في سكان ارض النيل ص ٦ - ٩
(٦) التاريخ العام الكبير بالتركي ج ١ ص ٦٢
(٧) ص ٥٠٤
(٨) ج ١ ص ٤٩
(٩) العقد الثمين ص ١٩

الهجرة ووالس بدج (١) بسنة ٢٢٦٦ وأرخ احمد رفيق (٢) بداية الاسرة الحادية عشرة بسنة ٢٧٠٠ق م .

ويظل الفرق مستمراً بين الفرقاء الثلاثة إلى الاسرة الثامنة عشرة التي هي أول الدور الثالث حيث يتقاربون فيؤرخ بريستيد (٣) بدايتها بسنة ١٥٨٠ ق م وشارويم (٤) بسنة ١٧٠٣ ق م وانطون ذكرى (٥) بسنة ١٦٠٠ ووالس بدج (٦) بسنة ١٧٠٠ ق م والفرق الكبير او الاضطراب في المدد انما هو عائد الى ما قبل هذا الدور .

ويتجمع قسم كبير من هذا الفرق من الفروق في مدد الاسر فمجموع مدة الاسرة الاولى إلى نهاية الاسرة الثانية عشرة عند بريستيد (٧) ١٥٠٧ سنوات بينما هي عند شارويم (٨) (٢١٥٣) سنة . ومجموع مدة الاسر الثالثة عشرة الى نهاية السابعة عشرة عند بريستيد (٩) (٢٠٨) سنوات بينما هي عند شارويم (١٠) (٨٥٠) سنة . ويدخل في رقمي بريستيد وشارويم عهد الشاسو . وبذلك يبلغ فرق مدد المجموعتين بين المؤلفين ١٢٨٨ سنة .

وليس هناك ما يمكن الاستعانة به على ترجيح اي من البدايتين . ولو كان تقدير المؤلفين مستنداً الى اثر مصري قديم لكان متقارباً او متطابقاً عندهما . ولو يصح ان يوفق بينهما اعتباطاً لامكن ان يقال ان البداية التي يذكرها كل من احمد كمال ووالس بدج واحمد رفيق وهو حوالي ٤٤٠٠ ق م هي المقاربة .

ولقد قال شارويم (١١) عزواً الى مانيطون إنّ عدد ملوك الاسرة الثالثة عشرة مثلا ٨٧ ومدتهم ٤٥٣ سنة وان عدد ملوك الاسرة الرابعة عشرة ٧٦ ومدتهم ١٨٤ سنة وانه عثر على ورقة من البردي موجودة اليوم في متحف تورينو فيها اسماء ملوك الاسرتين (١٢)

---

(١) ص ٧

(٢) ج ١ ص ٨٤

(٣) ص ٤٠٥

(٤) ج ١ ص ٤٩

(٥) ص ١٠٨

(٦) ص ٧

(٧) استنتاجاً من الارقام في صحف ٤٠٣ و ٤٠٤

(٨) استنتاجاً من الارقام في صحف ٢٥ – ٤٩ من الجزء الاول من الكافي .

(٩) ص ٤٠٥

(١٠) الكافي ج ١ ص ٤٩ – ٦٣

(١١) الكافي ج ١ ص ٤٩ – ٦٣

(١٢) يستفاد من العقد الثمين ان هذه الورقة تحتوي أسماء ملوك أسر اخرى انظر مثلا ص ٢٨ و ٣٥

ولكنها وجدت ممزقة ثم أخذ يسرد ما امكن قراءته من اسماء الملوك في الورقة وقد ناف عددهم عن المئة . ولقد ذكر بريستيد (١) ورقة تورينو هو الآخر وقال ان مجموع الملـوك الذين فيها هو ١١٨ ومجموع مدة حكمهم ١٥٠ سنة . والفرق بينه وبين شارويـيم في مـــدة الاسرتين فقط (٤٢٩) سنة ولا ينفي بريستيد ان عدد ملوك الاسرتين اكثر من ١٨٠ كمـــا هو واضح . وهو لا يذكر كيف قدر مدتهم بمئة وخمسين سنة ولا من اين اتى هذا الرقم . ولو كان في ورقة تورينو مدة لذكرها الكافي . ولقد قال بريستيد (٢) في تبرير قصر مدة ملوك الاسرتين الذين يبلغ عددهم عند شارويم (١٦٣) والذين يذكر بريستيد منهم (١١٨) بدون نفي الزيادة ان مدة حكم الواحد منهم كانت تتراوح بين سنة وثلاث سنوات وقصرت حيناً فبلغت يومين وثلاثة دون ان يسند هذا القول بسند ، ثم قال (٣) ان الحالة تشبه تماماً حال مصر في عهد الخلفاء العباسيين الذين بلغ عددهم (٧٧) خليفة في ١١٧ عامـــاً اي من سنة ٧٥٠ إلى سنة ٨٦٩ ب م . وفي ارقامه هذه غلط عجيب فعدد الخلفاء العباسيين المصريين هو ١٧ ومدتهم ٢٦٩ سنة من سنة ٦٥٨ إلى ٩٢٣هـ اللتين توافقان لسنتي ١٢٥٩ ـ ١٥١٦ ب م

- ٣ -

ويقسم المؤرخون تاريخ مصر منذ قيام المملكة المتحدة الاولى الى ادوار يشتمل كـــل منها على عدد من الاسر المالكة في كل اسرة عدد من الملوك . ومعظم ملوك الاسر من اسرة واحدة . غير انهم يختلفون في عدد الأدوار وعناوينها وعدد الاسر التي يشتمل عليها كل دور وفي عدد ملوك كل اسرة . وبعضهم يدخل ملوكاً في اسرة في حين ان بعضهم يدخل هؤلاء الملوك في اسرة اخرى . ويظهر من كلامهم ان تقسيم تاريخ مصر إلى ادوار وتقسيم هـــذه الأدوار الى اسر مروي عن مانيتون . وقد سار جميع المؤرخين تقريباً على رأيـــه في تقسيم ادوار التاريخ المصري الى اسر . غير ان بعضهم خالفه في تقسيم الأدوار وبعضهم تابعه .

ومن هؤلاء احمد كمال الذي قال (٤) غزواً اليه ان تاريخ مصر ثلاث طبقات وهـــي القديمة وتشتمل على احدى عشرة اسرة و « الوسطى » وتشتمل على ست اسر وفيها يندمج عهد الهكسوس مع افراد باب خاص بهم و « الأخيرة » وتشتمل على اربع عشرة اسرة منها اسرتان فارسيتان ومنهم من خالفه في شيء ووافقه في شيء . فبريستيد يقسم تاريخ مصر القديم الى خمسة ادوار هي (١) المملكة القديمة وتشتمل على ست اسر و (٢) المملكة الوسطى

---

(١) و (٢) و (٣) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ١٣٧ - ١٣٧

(٤) المقد الثمين ص ١٩ و ٧٤ - ٧٦ .

وتشتمل على إحدى عشرة أسرة و (٣) الامبراطورية وتشتمـل على ثلاث اسرو (٤) دور الاضمحلال ويشتمل على خمس اسر و (٥) دور الاصلاح الذي ينتهي باستيـلاء الفـرس ويشتمل على اسرة واحدة . وينتهي كتابه عند هذا الحد فيكون ما ذكره من الاسر ستـاً وعشرين (١) .

ودرايتون في كتابه مصر الذي ترجمه عباس بيومي (٢) يقسمه إلى نحو سبعة ادوار (١) الدولة القديمة ويشمل ست اسر (٢) الفترة المتوسطـة الاولى من السابعـة إلى العاشرة (٣) الدولة المتوسطة وتشمل اسرتين (٤) الفترة المتوسطة الثانية وتشمل من الاسرة الثالثة عشرة الى السابعة عشرة بما في ذلك عهد الهكسوس وعهد طيبه الأول (٥) الدولة الحديثةمن الثامنة عشرة إلى نهاية العشرين (٦) دور ما بعد الدولة الحديثة الى العهد الصاوي وبدون عنـوان ويشمل الاسر الحادية والعشرين الى الخامسة والعشرين (٧) دور ما بعد الاسرة الخـامسة والعشرين الى الثلاثين بدون عنوان ومن جملتها اسرتان فارسيتان . ويبدو مع ذلك شيء من التطابق بين درايتون وبريستيد .

ويسير سليم حسن (٣) على غرار درايتون وبريستيد من جهة ويخالفهما من جهة. فالدور الأول هو الدولة القديمة وفيها ست اسر ثم اربع اسر بدون عنوان ثم الدولة الوسطى من الحادية عشرة الى السابعة عشرة مع نبذة خاصة بالهكسوس . ثم الدولة الحديثة من الثامنـة عشرة الى العشرين ثم الاسر الباقية بدون عنوان .

ويبدو من هذا ان تقسيمات بريستيد ودرايتون وسليم حسن تقديرية من اصحابها ؛ وقد جاءت مخالفة بعض الشيء لتقسيمات مانيطون التي لا يبعد ان تكون هي الاخرى تقديرية منه ايضاً وهناك كذلك خلاف على مدة الأدوار والاسر والملوك . فمدة الدولة الاولى عند بريستيد مثلا (٤) ٩٢٥ سنة من سنة ٣٤٠٠ الى ٢٤٧٥ ق.م وهي ست اسر بينما تكون مدة الدولة القديمة عند احمد كمال (٥) عزواً الى مانيتون ٢١٠٥ سنين وهي مدة إحـدى عشرة

(١) تاريخ مصر من اقدم العصور المقدمة حرف م وص ٤٠٣ — ٤٠٤
(٢) ص ٧٩٠ — ٨٠٠
(٣) مصر القديمة ج ١ ص ٤٤٦ — ٧٤٤ و ج ٣ ص ١ وما بعدها و ج ٤ ص ٧٠٧ — ٨٠٩ و ج ٥ ص ٦٤٩ و ج ٦ و ج ٧
(٤) ص ٤٠٣ — ٤٠٤
(٥) العقد الثمين ص ١٩

اسرة وعند شارويم (١) وانطون ذكرى (٢) ١٩٤٠ سنة اي من سنة ٥٠٠٤ الى سنة ٢٦٠٤ ق م وهي مدة احدى عشرة اسرة ايضاً . ومدة الهكسوس عند بريستيد (٣) ٩٥ سنة بينما مدة اسرتين منهم عند احمد كمال (٤) ٥٠٠ سنة دون تعيين مدة الاسرة الثالثة التي يقول المؤلف عزواً الى مانيتون ان عدد ملوكها ٤٣ ، ومدتهم عند شارويم (٥) ٨٠٤ سنوات حينما تجمع مدة اسرهم الثلاثة ويقول المؤلف مع ذلك ان مدتهم ٦٠٠ سنة في رواية و٤٠٠ سنة في رواية ومدتهم عند انطون ذكري (٦) ٥١١ سنة وعند والس بدج (٧) ٥٠٠ سنة .

وبعضهم يذكر مدة ملك ما عشرين سنة مثلا بينما يذكرها بعضهم ثلاثين أو أربعين . وبعضهم يذكر مدة اسرة ما ٣٦٠ سنة بينما يذكرها بعضهم مثلا ١٣٣ سنة ومثل هذا كثير . والمتبادر ان ذلك ناشيء من اختلاف التقدير والحساب وتطبيق الأحداث على التواريخ الميلادية .

ولقد عرف من الكتابات الأثرية والمدونات القديمة اسماء عدد كبير من ملوك الاسر ومن الاسر من عرف جميع ملوكها او معظمهم ، ومنهم من عرف من سيرتهم ومآثرهم الشيء الكثير في حين ان هناك اسراً لم يعرف إلا بعض ملوكها ولم يعرف إلا القليل من سيرتهم ومآثرهم . وهذا من الثغرات او الحلقات المفقودة التي نرجو ان تسد باستمرار التنقيب وما سوف يكشف عنه من آثار وكتابات ما تزال مطمورة . ويبذل الأثريون المصريون وغير المصريين جهوداً مشكورة في سبيل ذلك يزداد بها معالم التاريخ المصري القديم حيناً يغد حين .

وهناك اختلاف في اسماء الملوك في كتب المؤرخين سواء في الأسماء المنقوشة مع الآثار او الواردة في المدونات القديمة المصرية والاجنبية . والمتبادر ان هذا الاختلاف ناشيء عن الاختلاف في قراءة الاثار وتهجئة الالفاظ وتعدد الالقاب . ولا سيا ان اكثر خبراء اللغة

---

(١) الكافي ج ١ ص ١٣ — ١٤
(٢) الادب والدين عند قدماء المصريين ص ١٥٥ وما بعدها
٣) ص ١٣٧ — ١٣٨
(٤) ص ٧٤ — ٧٦
(٥) ص ٢٥ — ٤٩ و ٦١ — ٦٧
(٦) ص ١٥٥ وما بعدها
(٧) سواء السبيل في سكان ارض النيل ص ٦ — ٧

المصرية الذين اكتشفوا الاسماء وقرأوها اجانب تختلف اساليب تهجئتهم ونطقهم . وبعض الاسماء وارد في الكتب الاجنبية القديمة اقتباساً من مدونات مصرية اقدم منها واكثر هذه الكتب يونانية فاكتسبت السمة او الصيغة اليونانية واختلف في نقلها الى العربية .

— ٤ —

وواضح مما تقدم ان موجات الجنس العربي قد أخذت تنساح الى وادي النيل قبل العصور التاريخية المعروفة وقبل قيام المملكة المتحدة الاولى تحت صولجان الملك منا ثم استمرت تنساح اليه حيناً بعد حين وأن الملك منا واسرته منها . ولما كان معظم الاسر التي جاءت بعد اسرة منا منها كذلك على ما سوف نذكره بعد مع دلائله وشواهده فسوف تكون الفصول التي سندونها في تاريخ هذه الموجات ومآثرها في مصر هي فصول وتاريخ مصر القديمة في حلقات متتالية تامة ، وسنلحق بها نبذة في تاريخ الموجات العربية القديمة في شطر وادي النيل الجنوبي الذي يتألف الآن من السودان والحبشة وسنراعي في الفصول الايجاز مع عدم الاخلال بقدر الامكان .

ولقد كتبت كتب كثيرة في تاريخ مصر القديمة منها المختصر ومنها المطول ومنها ما كتبه علماء عرب ومنها ما كتبه اجانب وترجم الى العربية . غير ان فائدة هذا الكتاب تظل قائمة لانه يسلك هذا التاريخ في سلك تاريخ الجنس العربي ويهتم بنوع خاص بابراز قوة الصلة بين هذا الجنس ووادي النيل وتوالي حلقاتها .

ولا سيما ان ما اطلعنا عليه من كتب تاريخ مصر القديمة اما مطول كثيراً وفيه من الجزئيات والتفصيلات والنصوص ما يصح به ان يكون مرجعاً للمتخصصين لا كتاباً تستوعبه ناشئتنا بيسر وسرعة ورحابة صدر واما مبتور غير متسلسل الحلقات ، مما جعلنا نأمل ان يسد كتابنا بحجمه واسلوبه وتكامل حلقاته حاجة ناشئتنا التي يجب ان تكون ملمة بهذا التاريخ الذي هو جزء من تاريخ امتها العظيمة .

وسوف تكون كتب سليم حسن (مصر القديمة) وبريستيد (تاريخ مصر منذ اقدم العصور الى الفتح الفارسي ترجمة الدكتور حسن كمال) واحمد كمال (العقد الثمين) ونعوم شقير (تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته معتمدنا في الدرجة الاولى فيما سوف نكتبه من فصول مع الاعتماد على مصادر اخرى سوف نشير اليها في مناسباتها.

والكتب الاربعة تعتمد على الاثار المصرية والمدونات والبحوث الاثرية والتاريخية القديمة والحديثة العربية وغير العربية مما ورد اسماؤها فيها . واقدمها تأليفاً العقد الثمين وصاحبه

عالم اثري مصري جليل وقد كتبه في اواخر القرن السابق ويليه في التاريخ كتاب نعوم شقير الخاص بالسودان . ويلي هذا كتاب بريستيد . ومؤلفه عالم متخصص بتاريخ وآثار مصر. ويلي هذا في التاريخ كتاب سليم حسن . وهو في ثلاثة عشر جزءاً ضخمة ولعله أو هـــو في الواقع اوسع كتاب في تاريخ مصر القديمة بالعربية . ومؤلفه عالم اثري جليل . وقد بدأ بطبع اجزاء كتابة سنة ١٩٤٠ م وكتابا بريستيد واحمد كمال من مصادره وسيكـون جـــل اعتمادنا عليه لانه الاحدث صدوراً والاجمع مادة والاوفى بياناً مع ما يبعثه اسلوب بحثه من ثقة واعتماد . وجله بل كله مستند الى الاثار والنقوش القديمة . وقد احتوى الى هذا كثيراً من اخبار وصور ووثائق التموج العربي الجنس الى مصر بمقياس ضيق حيناً وواسع حيناً في مختلف ادوار التاريخ المصري القديم وقبل قيام المملكة المتحدة الاولى وبعدها اكثر من غيره. ونعترف ان مادة الكتاب ستكون اقتباساً كلها من هذه المصادر وغيرها وانه ليس فيه جديد من حيث المادة . وهذا ليس بدعاً . فجميع المتأخرين ينقلون عن المتقدمين ومادة التاريخ لا تتجدد . غير ان هناك جديداً هاماً وهو ابراز قوة الصلة بين الجنس العربي ووادي النيل كما قلنا آنفاً ، وهو الهدف الجوهري منه كما هو كذلك من بقية اجزاء الكتاب . ونرجو ان يكون الله قد وفقنا الى تحقيق هذا الهدف القومي الجليل وهو ولي التوفيق .

اولية الانسياح العربي الى مصر

والفترة السابقة لقيام الدولة المتحدة الاولى

لقد قلنا قبل انه ليس هناك الا نتف ضئيلة عن الفترة السابقة لقيام الدولة المتحدة الاولى . ولقد ذكر الباحثون نتيجة للاستدلالات الاثرية انه كان في شمالي مصر ـ الوجه البحري ـ وفي جنوبها ـ الوجه القبلي ـ قبل قيام الدولة المتحدة الاولى الى قبل خمسين قرناً قبل المسيح عند بعضهم وقبل خمسة وثلاثين قرناً عند آخرين على ما شرحناه قبل ممالك او امارات صغيرة عديدة . ثم اتحدت كل من دول الوجهين في مملكتين ثم اتحدت المملكتان فكانت المملكة المتحدة الاولى ، وان ذلك جرى بعد طروء المهاجرين الساميين (العرب) من جزيرة العرب واستيلائهم على البلاد . والمعقول ان يكون ذلك قد جرى خلال قرون عديدة قبل قيام المملكة المتحدة الاولى . وقد يفيد هذا ان الانسياح العربي الذي ظل متصل الاثر والواقع قد جرى قبل ستين قرناً او قبل خمسة واربعين قرناً ـ حسب الفرق بين التقديرين ـ قبل الميلاد المسيحي . ومما قاله بريستيد في صدد ذلك بعد قوله الذي اوردناه في طروء الساميين على مصر قبل العصور التاريخية وتلاحق طروئهم بعدها ان تكوين الامارات الصغيرة ثم اتحادها في مملكتين واحدة في الوجه القبلي واخرى في الوجه البحري يرجع الى زمن بعيد جداً يصعب الاهتداء اليه كما يصعب الاهتداء الى اسباب اتحاد الامارات الصغيرة في مملكتين وان كل ما يمكن ان يقال ان هذا قد تم قبل سنة ٤٠٠٠ ق م(١) .

والظاهر الراجح ان وحدات الموجات العربية بعد ان استولت على البلاد وفرضت سيطرتها عليها تقاسمتها حسب قبائلها وبطونها ومع كل منها طوائف السكان القدماء التي اندمجت معها وخضعت لها فقام نتيجة لذلك اولا امارات او ممالك صغيرة عديدة في كل وجه . ثم تنافست امارات كل وجه فيما بينها فأدى ذلك الى قيام مملكتين في كل وجه ثم الى قيام مملكة في الوجه القبلي واخرى في الوجه البحري ثم الى قيام المملكة المتحدة الاولى وهذا ما جرى في جنوب جزيرة العرب ثم في بلاد الشام والعراق فيما بين الارومات العربية على ما شرحناه في الجزء الاول وعلى ما سوف نشرحه في الجزء الثالث والرابع . ولقد قال

---

(١) ١٧ – ٢٢

سليم حسن (١) في سياق سيرة الملك ستفرد اول ملوك الاسرة الرابعة ان مصر كانت تقسم الى مقاطعات هي التي كانت سكنتها القبائل قبل عهد الاسرات ، وكان عددها في الوجه القبلي الممتد من الشلال الأول جنوباً الى منف ٢٢ وفي الوجه البحري ٢٠ مما فيه تأييد لما ذكرناه .

ومما قاله سليم حسن في مطلع النبذة التي كتبها تحت عنوان « نحو توحيد البلاد » (٢) ان الشكل الذي وجدنا عليه اندماج الجنسين ـ ويعني الجنس الجديد الذي جاء من جزيرة العرب والسكان القدماء ـ كما نشاهده في عصر منا وهو العصر الذي ظهرت فيه الكتابة المصرية يحتم علينا بأن نحكم ان الجنسين قد عاشا معاً زمناً طويلا قبل ان يحدث الاندماج الكلي بينهما وان كنا نجهل الامور التي مرت ببطء وتم خلالها النمو الاجتماعي وتكوين الجماعات تحت حماية معبود في شكل وثن يحكمها مجلس مكون من شيوخها ثم الملكية المحلية ثم اتحاد المقاطعات معاً ثم في النهاية الملكية الفرعونية المتحدة ، وان منا الذي قامت المملكة المتحدة تحت صولجانه هو من بلدة طينة على مقربة من المكان المعروف بالعرابة مركز البلينا وان من المحتمل ان يكون من عظماء البلدة كما ان من المحتمل انه كان ملك الجنوب ثم ورث ملك الشمال من امه وانه لا يعرف اذا كان التوحيد تم بالحرب او السلم .

والى هذا فقد قال المؤلف تحت نبذة تقسيم البلاد الى اربعة اقاليم (٣) وعزواً الى مؤلف اسمه لوريه يستند الى دراسة دقيقة للآثار العتيقة ـ وهذا وصف المؤلف ـ ان الوافدين على مصر من آسيا ولوبيا وجنوب مصر تنافسوا وتحاربوا ثم تألفت منهم اربع طوائف عظيمة يرمز اليها في الآثار برموز النحلة والبوصة والثعبان والنسر وهي رموز آلهة هذه الطوائف ؛ وكان جماعة النحلة يسكنون الدلتا ومدينتهم التي كانت بيت آلهتهم هي سايس وكان جماعة البوصة يسكنون مصر الوسطى ـ بين بحر يوسف وبداية فرعي الدلتا ـ ومدينتهم او بيت آلهتهم اهناس التي سماها اليونان هيراكلبوبوليس وان جماعة الثعبان كانوا يسكنون المقاطعة العاشرة من الوجه القبلي ومدينتهم افروديتو وان جماعة النسر كانوا يسكنون بلدة الكاب وانه تألف من جماعتي النحلة والبوصة مملكة ومن جماعتي الثعبان والنسر مملكة ثم وفد على البلاد قوم من بلاد العرب عن طريق الصومال وتوغلوا نحو الشمال حتى الوجه القبلي وتأصلوا فيه وانشأوا مملكة ثالثة يرمز اليها في الآثار برمز الصقر وكانوا ذوي مواهب

---

(١) مصر القديمة ج ١ ص ٢٨٤ – ٢٨٥

(٢) مصر القديمة ج ١ ص ١٤٦ – ١٥١

(٣) ص ١٤٧ – ١٧٧

عظيمة فاستطاعوا ان يتغلبوا نتيجة للحروب المتتالية على المملكتين الأولين ويوحدوا الممالك الثلاثة تحت صولجان واحد فكانت المملكة الفرعونية وكان اسم إلههؤلاء القوم حور فغدا رئيساً لآلهة جماعات المملكة ، وكان يرمز اليه برمز الصقر (١) .

وكلام المؤلف هذا يفيد ان الجماعات التي جاءت من جزيرة العرب قد وفدت مرة بعد مرة واستقرت في البلاد بعد تنافس وتنازع مع من كان فيها ثم كانت الغلبة للجماعة الأخيرة التي جاءت من طريق الصومال الى الوجه القبلي فتوحدت البلاد تحت صولجانها .

ومما عرف من أحوال الأمارات الصغيرة التي تكونت في مملكتين في الشمال ومملكتين في الجنوب ثم في مملكة في الشمال ومملكة في الجنوب قبل قيام المملكة المتحدة انه كان لكل منها معبود خاص بمثابة حام يرمز اليه برمز من حيوان او نبات او معدن ؛ ويكون معبده الرئيسي في مدينة تكون العاصمة ، ويقوم على الحكم فيها امير او شيخ او كاهن يعاونه مجلس استشاري من الشيوخ . وحينما اتحدت هذه الامارات في مملكتين واحدة شمالية واخرى جنوبية صار لكل منهما إله رئيسي فكان حور إله الشمال وعنزتي ثم اوزير ثم ست إله الجنوب ، وكانت مدينة بوتو عاصمة الشمال ومدينة نخن او نخب عاصمة الجنوب وكانت مملكة الجنوب تتميز بشارة نبات الزنبق والتاج الابيض تحميه الالهة تخبت (النسر) ومملكة الشمال تتميز بشارة نبات البردي والتاج الاحمر تحميه الالهة وزيت (الثعبان) .

ولقد روى شارويم (٢) ان الملك منا الذي توحدت البلاد لاول مرة تحت صولجانه قد اقرّ رؤساء القبائل على ما هم عليه من قبل حيث يفيد هذا ان ممالك الشمال والجنوب لم تزل بالمرة بقيام المملكة المتحدة وانما خضعت لسلطان منا مع احتفاظ ملوكها او امرائها بسلطانهم المحلي مما هو متسق مع طبيعة وسيرة الارومات العربية في جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق على ما مر بيانه في الجزء الاول وعلى ما سوف يرد في الجزئين الثالث والرابع .

ولم يعثر على آثار هامة من عهد الامارات والممالك الصغيرة بل والمتحدة في الوجهين القبلي والبحري تساعد على معرفة امور ذات بال من سيرتها ، وان كان عثر على اطلال مدنها وقراها وشيء من مخلفاتها الحجرية والمعدنية والفنية يدل على ان اهلها كانوا على حظ غير يسير من الحياة الحضرية .

---

(١) انظر في صدد كون الصقر رمزاً للاله حور ص ٢٠٧ من الجزء نفسه

(٢) الكافي ج ١ ص ٢٥ – ٢٦

الدولة المتحدة القديمة

او

الطبقـــة الاولى

من الاسرة الاولى الى نهاية الاسرة السادسة

الاسرة الاولى

- ١ -

ان ملوك الاسرة الاولى الذين عرف خبرهم من الاثار على ما جـــاء في كتـــاب مصر القديمة (١) هم :

١ ـــ مينا الذي يسمى أيضاً نعرمر .

٢ ـــ أز

٣ ـــ اتوتيس الذي يقرأ اسم خنت أيضاً

٤ ـــ زت (الملك الثعبان)

٥ ـــ دنى حسبت

٦ ـــ عزايت

٧ ـــ سرحشت سيمبس

٨ ـــ قع او عى او حور عى

اما بداية ونهاية حكم هذه الاسرة فليس هناك فيها اثر وثيق . فأحمد كمال (٢) يؤرخ بدايتها بسنة ٥٦٢٦ قبل الهجرة الى نحو القرن الرابع والأربعين قبل الميلاد ويقول ان مدة حكمها حسب جدول مانيتون ٢٧٩ سنة . وبريستيد (٣) يعين بداية حكمها بسنة ٣٤٠٠ق م ويمزج مدتها مع مدة الاسرة الثانية ويقول ان حكم الاسرتين امتد من هذا التاريخ الى سنة ٢٩٨٠ ق م. وقد قال سليم حسن (٤) ان المؤرخين مختلفون في تاريخ بدء حكمها ونهايته ويتراوح تخمينهم بين ٥٠٠٠ ـ ٤٣٢٦ و ٢٩٠٠ ـ ٢٧٠٤ ق م غير أن الاراء الان أصبحت متفقة على ان بداية حكمها هو تاريخ ٣٢٠٠ ق م ولقد اورد احمد كمال جدولا معزواً الى مانيتون فيه اسماء ملوك هذه الاسرة مع مدة حكمهم هكذا :

---

(١) مصر القديمة ج ١ ص ٢٧٥ - ٢٧٧

(٢) العقد الثمين ص ٢٠

(٣) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٤٠٣

(٤) مصر القديمة ج ١ ص ١٥٤

منيس ومدة حكمه ٦٢ سنة ، اثوثيس ومدة حكمه ٥٧ سنة ، كنكنيس ومدة حكمه ٣١ سنة ، ونيفس الأول ومدة حكمه ٣١ سنة ، أسافاييدوش ومدة حكمه ٤٢ سنة ميا بيدوس ومدة حكمه ٢٠ سنة ، سحميس ومدة حكمه ١٨ سنة ، بيا نحس ومدة حكمه ٢٦ سنة .

والاسماء مصوغة بالصيغة اليونانية لان احمد كمال وغيره يقتبسون عن كتب اليونان القديمة ما يعزونه الى مانيتون من حيث ان كتاب هذا الأصلي لم يصل الى عصرنا وان الكتاب اليونانيين القدماء هم الذين رأوه ونقلوا الكثير منه . والمباينة بين الأسماء المعزوة الى مانيتون والمقروءة من الاثار كبيرة . وطبيعي ان هذه هي اصح من تلك . والمتبادر ان مانيتون استند في ما رواه او في اكثره الى الروايات القديمة التي من العادة ان تشاب بالشوائب .

وأحمد كمال يورد الى جانب جدول مانيتون جدولا من الاثار أيضاً وهذه الأسماء التي يوردها (١) : منا ـ تتا ـ اتت ـ اتا ـ سبتي ـ مر بابن ـ أتي ـ قبح . وقد اورد بريستيد أيضاً (٢) استناداً إلى الاثار اسماء ملوك هذه الاسرة هكذا: منا ـ يدس ـ يوسفايس تامر ـ نتمريد ـ سمرخست .

ومع ذلك فهناك مباينة بين هذه الاسماء وبين الاسماء التي اوردها سليم حسن كما هو ظاهر وهو عجيب لان الثلاثة اثريون وقارئون للاثار . ولعل من أسباب المباينة اختلافهم في تهجئة الأسماء والاجتهاد في ترتيبها .

وهذه المباينة في الاسماء والعدد والترتيب تتكرر في كثير من قوائم الاسر الاخرى ان لم نقل في أكثرها . واحمد كمال يورد بالنسبة لكل اسرة جدولين واحداً من الاثار وآخر من مانيتون وتظل المباينة قائمة متكررة .

والأسماء التي يوردها سليم حسن من الاثار هي الاجدر بالتعويل عليها لان كتابه هو الأحدث ، ولان كشفيات كثيرة تمت بعد احمد كمال وبريستيد (٣) كما ان علم اللغة المصرية قد تقدم بعدها كثيراً .

وبسبب ذلك كله سوف نقتصر بالنسبة للأسر الاتية على إيراد الاسماء نقلا عن سليم حسن فقط إلا ما يكون في النقل عن غيره فائدة او ضرورة .

---

(١) العقد الثمين ص ٢٠

(٢) تاريخ مصر من اقدم العصور تعريب حسن كمال ص ٢٩ ـ ٣٢

(٣) لقد مر على كتاب احمد كمال اكثر من ستين سنة وعلى كتاب بريستيد اكثر من ثلاثين .

اما تاريخ وأحداث هذه الاسرة فقد ذكر سليم حسن (١) منها بالاضافة الى ما نقلناه من اسماء ملوكها والتخمينات حول قيامها ان التقاليد تنسب الى مينا بناء عاصمة جديدة على مقربة من عين شمس سماها « من — نفر » — ومعنى الكلمة الميناء الجميلة — وهي التي اطلق عليها اليونان اسم منفيس ومنف ومكانها اليوم « البدرشين وميت رهينة » وان اتوتيس زر ابن مينا حينما تولى الحكم حصنها بقلعة ضخمة سماها الجدران البيضاء وان هذه الحاضرة بقيت نحو عشرة قرون نامية زاهرة خلال حكم الاسر الثمانية الاولى وان اسم إلهها المحلي الحامي صار بتاح . ومع ذلك فان الاثار تدل على ان ملوك هذه الاسرة بل والاسرة الثانية لم يجعلوا هذه المدينة عاصمتهم الرسمية وانما اتخذوها مركزاً حربياً لردغارات اللوبيين الذين كانوا يغيرون على الجهة الغربية للدلتا . وان قسمي مصر اي الوجه القبلي والوجه البحري اللذين كان كل منهما تحت سلطان مملكة مستقلة ظلا يحتفظان بشخصيتهما في نطاق المملكة التي قام على رأسها مينا حيث ظل هذا الملك وخلفاؤه من بعده يحملون لقب ملك الوجه القبلي الى لقب ملك الوجه البحري ويحملون علامتي النسر مع التاج الابيض شارتي الوجه القبلي الى علامتي الصل مع التاج الاحمر شارتي الوجه البحري ، ولم يحمل ملوك الاسرة التاج المزدوج إلا في أواسط حكم الاسرة . وان الفن قد تقدم في عهد هذه الاسرة ، وان الروايات تعزو كتاباً في علم التشريح الى ملكها الثاني زر الذي وجدت له آثار عديدة ، وان لوحة باسم زت ملكها الثالث عثر عليها موجودة اليوم في متحف اللوفر تدل على دقة الصنع ، وان اسم هذا الملك قرىء على صخرة في الصحراء الشرقية بالقرب من مدينة ادفو يظن انه من نقش رئيس إحدى كتائبه التي كان يرسلها الى جهات البحر الاحمر لاستغلال مناجمها ومحاجرها ولصد البدو الرحل الذين كانوا يرودون هذه الجهات من أقدم العهود . وان دمو احد ملوك الاسرة قام بحملة ضد القبائل الرحل في شبه جزيرة سينا ، الذين كانوا يغيرون على سكان الدلتا ، وان هذا الملك هو اول من فكر في تنظيم مياه النيل وفيضانه في منطقة الفيوم ، وأول من فتح ابواب بلاده بمقياس عظيم للتجارة الخارجية وحصن المدن ونمى موارد البلاد وحبس الاوقاف على المعابد ، واول ملك ذكر قبل اسمه لقب « نيسوت — بيتي » اي ملك الوجه القبلي والبحري ، وانه دفن في مقبرة عظيمة في العرابة وجدت ارضيتها مكسوة بقطع الغرانيت ، وأنه يعزى اليه فصل من كتاب الموتى وانه عثر له على لوحة من العاج عليها احتفال تتويجه . ويظهر فيها لابساً تاج الوجه القبلي

---

(١) ج ١ ص ١٤٠ — ١٥١ و ١٥٤ و ٢٦٧ — ٢٧٥ كتاب مصر القديمة .

الأبيض وتاج الوجه البحري الأحمر . وعليها له صورة اخرى وهو يجري بين ست علامات موزعة ثلاثة ثلاثة في صفين عموديين كأنما كان يقوم بطقس ديني ملزم به اثناء حفلة تتويجه. ومما عرف عن هذا الملك انه أقام حفلة انقضاء ثلاثين عاماً على حكمه وتعرف بعيد السد" وهي حفلة جرت عادة الملوك من قبله على اقامتها حين انقضاء مثل هذه المدة على حكمهم. وقد عثر على مقبرة فخمة لزوجة هذا الملك ايضاً الـــتي كان اسمها مرت نيت (اي محبوبة الالاهة نيت) (١) فيها لوحة مأتمية جميلة الصنع . ومما عرف من احداث سمرخست احـــد ملوك الاسرة انه محا اسمي الملكين اللذين حكما قبله وهما دمو وابنه عزايب عن بعض الآثار مما يثير احتمال كونه مغتصباً للعرش وانه اقام حفلة السد لنفسه لانقضاء ثلاثين عامـــاً على حكمه ، وسير حملة إلى وادي مغارة في شبه جزيرة سيناء . وقد عثر على نقوش له في هذه المنطقة تعد من اقدم النقوش . وقد رسم فيها مرة وهو لابس التاج الابيض كأنه يهم بذبح أعدائه ومرة وهو لابس التاج الأبيض والأحمر معاً وامامه قائده ومع أن سمر خست قد محا اسم عزايب عن آثاره الا ان بعض نتف من تاريخ هذا الملك وردت في نقوش حجر بالرمو منها خبر انتصاره على قوم سموا باسم ايونيتو يحتمل ان يكونوا من السكان القدماء فتشتتوا نتيجة لهذا الانتصار الى ثلاث فرق ؛ واحدة استوطنت شبه جزيرة سينا وثانية الواحات وثالثة بلاد النوبة . وان مما عرف من احداث الملك قع آخر ملوك الاسرة اقامته حفلة عيد السد وهي حفلة تقليدية قديمة كان الملوك يقيمونها بمناسبة انقضاء ثلاثين عاماً على حكمهم.

- ٣ -

ويتطابق أحمد كمال وبريستبد مع سليم حسن في كثير مما اورده مـــع بعض زيادات وايضاحات .

ولقد اطنب بريستيد في ما كان لملوك هذه الأسرة من هيبة ومحبـــة جعلت رعاياهم يعتبرونهم آلهة ولا يذكرونهم الا بضمير الغائب اجلالا . ومما قاله عنهم انهم كانوا يتلقبون بلقب ابناء حوريس او خلفائه وحور هو اسم الإله الرئيسي الخاص لجماعات الجنس العربي الذين تلغبوا على مصر اولا ثم تغلبوا على الممالك المصرية ووحدوهم تحت صولجانهم على ما

---

(١) هذه الآلاهة كانت معبودة مقاطعتين في الدلتا الشرقية وكان مقر عبادتها او معبدها سايس (تينس سابقاً وصان اليوم) وانتشرت عبادتها في كل البلاد في بداية الاسرة الاولى ونعتت في النقوش القديمة بالأم العظيمة للاله رع (انظر مصر القديمة ج ١ ص ١٩٠)

ذكرناه قبل . وهذا يؤكد بأن الأسرة منهم ، وقد غدا إلههم حور الذي كان يرمز إليه بالصقر رئيس آلهة المملكة المتحدة .

ومما قاله عنهم ايضاً أن حكومتهم كانت متينة البنيان ذات اجهزة ادارية حسنة ومتعددة عرف منها ادارة التموين وادارة المالية وادارة الجباية وإدارة مصروفات الموتى ، وان اثاث قصورهم كان في غاية الابهة وان الرسم والحفر وصناعة الأواني البلورية والمرمرية والنحاسية والحلى وفن الهندسة والعمارة قد وصل في عهدهم الى درجة رفيعة على ما ظهر من مخلفاتهم ، وان الخط الهيروغليفي بلغ في هذا العهد شأواً بعيداً من الاتقان وصار يسجل به شؤون علمية ودينية واحداث تاريخية ؛ ومما لا شك فيه ان هذه المظاهر الحضارية لايعقل الا ان تكون امتداداً مما قبل قيام المملكة المتحدة ومن آثار الحضارة الثقافية والفنية التي اتي بها جماعات الجنس العربي الذي تمت اليه هذه الاسرة حينما طرأت على مصر على ما ذكره سليم حسن ومؤلف تاريخ مصر قبل الفتح العثماني واوردناه قبل .

ومما ذكره بريستيد إلى ما تقدم ان سمرخست اوفد بعثة لاستخراج النحاس من مناجم وادي المغارة في سيناء فقاومها البدو الذين كانوا يغيرون على حدود مصر الشمالية فنكل بهم ، وان يوسنايوس الذي ذكر اسمه من جملة اسماء ملوك الاسرة قد فعل مثله ، وان هذا غزا سكان جنوب الصحراء الشرقية واخضعهم وتمكن من استخراج الغرانيت من منطقتهم ونقله الى العاصمة حيث استعمله في المنشآت والمقابر الملكية ، وان تامر الذي ذكر اسمه من جملة اسماء ملوك الاسرة غزا الليبيين القاطنين غرب مصر واسر منهم عدداً عظيماً واستولى على مقادير كبيرة من مواشيهم فذلوا له ؛ وبهذا وذاك توطدت سيادة المملكة وامنها وحدودها وتهيأ المجال لنشاطها العمراني والفني والتنظيمي الذي بلغ شأواً رفيعاً منذ عهد مبكر .

ومما قاله بريستيد ان خلفاء منا تلقبوا بلقب برعوى الذي تطور الى فرعون وان معنى الكلمة في الأصل البيت الكبير وانها كانت تطلق على قصر الملك او دار الحكومة فصارت بيتاً للملوك . (١)

---

(١) قال ماسبرو في كتابه تاريخ المشرق الذي ترجمه احمد زكي باشا ان الكلمة مؤلفة من مقطعين بير وعوى وان كلا منها كان يطلق على دار من دارين كبيرتين كان قصر الملك يتألف منها واحدة منهما كانت ترمز للوجه البحري والثانية للوجه القبلي . ولعل احداهما كانت مخصصة لادارة شؤون وجه من الوجهين وثانيتهما لإدارة شؤون الوجه الاخر .

ومما ذكره احمد كمال (٢) من أخبار هذه الاسرة عزواً إلى الآثار ومـــدونات مانيتون وديودور وهيرودت زيادة عما تقدم الى نسف مجرى النيل من الجهة الشرقية وابطله مـــن صحراء ليبية وامر بحفر بحيرة حولها ، وغزا ليبيا وقهر اهلها واخضعهم لسلطانــــه ، وان خلفاءه جنحوا الى ابداع انواع الزينة والمهرجان وابهة الملك ، وان تتا الثاني اسس القصر الملوكي في منف واشتغل بعلم التشريح وألف فيه رسالةاستمد منها اطباء المصريين القدماء ، وانها هي التي جددت كتابتها في عهد رمسيس الثاني واشير اليها في الصحيفة الخامسة عشرة من كتاب الأموات بجملة « هي اولى مجموعة في التذاكر الطبية النافعة لمعالجـــة البرص » وقد نقلت عن صحيفةقديمة جداً وجدت داخل حجرةتحت تمثال انوب فيمدينة ليثوبوليس وان هرم كوكمة ينسب الى ونيفس احد ملوك هذه الاسرة وهـــو على شمال هرم سقارة المدرج بحيث اذا صحت النسبة كان هذا الهرم اقدم هرم مصري بل اقدم عمـــاره حجرية ضخمة على شكله ، وان سبتي اسافيدوس هو الذي وجدت الرسالة الطبية التي ألفها تتـــا في عهده الوارد ذكرها في الباب الرابع والستين من كتاب الاموات وهي من ضمن الرسائل الطبية المشتملة عليها الصحيفة القديمة الموجودة في برلين .

ونقول تعليقاً على ما ذكره المؤلفون من استغلال مناجم النحاس في عهد هذه الأسرة ان هذا اول تسجيل لهذا العمل الذي تكرر كثيراً بعد ذلك بالنسبة للنحاس والمعادن الأخرى غير انه ليس أول استغلال . ولقد ادخل مهاجرو جزيرة العرب معرفة المعـــادن وخاصة النحاس معهم حينما طرأوا على مصر قبل قيام المملكة المتحدة بامد طويل على مـــا ذكره مؤرخو مصر الأثريون المصريون واوردناه قبل، فما لا شك فيه انهم قد نشطوا الى الاستفادة من معرفتهم فيوادي النيل قبل اسرة مابامد طويل حينما استتب لهم الأمر وامكنتهم الفرص .

ونقول كذلك تعليقاً على ما ذكره المؤلفون من غارات وحركات البدو الرحل نحو مصر من ناحية الدلتا وسيناء من الشمال الشرقي ومن ناحية سواحل البحر الاحمر ان هذا قد تكرر كثيراً بعد هذه الاسرة ايضاً .وهذه النواحي هي طريق جزيرة العرب التي اعتادت موجات الجزيرة ارتيادها بسبيل طروئها على وادي النيل قبل هذه الاسرة . فليس مـــن التجـــوز في شيء ان يقال ان حركة هؤلاء البدو الرحل هي صورة مـــن صور وحركات موجات جزيرة العرب نحو مصر وان تسجيل ملوك الاسرة الاولى لها هو بمثابة تثبيت يقيني لهـــذه الصور منذ ذلك العهد السحيق .

---

(٢) العقد الثمين ٢٠-٢٢

ونلفت النظر في هذه المناسبة الى ما في تسمية « سيناء » من مغزى متصل بحركة التموج العربي ومؤيد لها . فان سينا او سين اشتقاق واحد وكلمة سين تطلق في لغة جنوب الجزيرة العربية على ما ذكرناه في الجزء الاول على اله القمر من قبل الكلدانيين والاكاديين الذين طرأوا من جزيرة العرب قبل القرن الثلاثين قبل الميلاد على ما سوف نذكره في الجزء الثالث. ومعنى هذا أن تسمية سين وسيناء عربية الجنس قديمة وأنها آتية من كون الطراء الأقدمين على شبه جزيرة سينا هم من الجنس العربي فأطلقوها على المكان الذين نزلوا فيه اقتباساً من اسم الههم سين اي القمر (١).

(١) في الجزء الاول من تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي (١٦٠ – ١٦١) نقلا عن فيلبي صاحب الدراسات المسهبة في احوال جزيرة العرب ان العربية الجنوبية قد ارسلت موجات متعاقبه من البشر سلكت الطريق البرية والبحرية حتى وصلت الى المناطق التي استقرت فيها حاملة معها كل ما تملكه من اشياء ثمينة من ثقافة وخط وآلهة اولها الاله القمر .

الاسرة الثانية

— ١ —

ان ملوك هذه الاسرة الذين عرفوا من الآثار على ما جاء في كتاب مصر القديمة هم :
حتب سخ موي ـ نب رع ـ كاكاو ـ نتر إن ـ بر إب سن ـ خع سخ موي .

ويلفت النظر الى مقاطع موي وبروسن فهي من مفردات اللغة العربية القديمة المشتركة بين لغة الجزيرة وموجاتها . فان موي نواة الماء وبر بمعنى ابن في الكنعانية وسن بمعنى القمر واله القمر في السبئية والكلدانية .

ومؤلف الكتاب لا يذكر بدء ونهاية حكم الاسرة . وقد قال استنتاجاً من دراساته الأثرية ان مدة حكم نتر إن اكثر من ٣٥ سنة ومدة حكم خع سخ موي لا تقل عن ١٥ سنة. وقد ذكرنا قبل ان بريستيد خرج من حكم الاسرتين الاولى والثانية فقال انه من سنة ٣٤٠٠ ق م الى سنة ٢٩٨٠ فيكون بدء ونهاية حكم هذه الاسرة ٣١٠٠ ـ ٢٩٨٠ .

ومقطع (رع) الذي كان يعني اله الشمس يلحق باسماء ملوك هذه الاسرة لأول مرة . وكان اله عين شمس المحلي ثم اصبح الهاً رئيسياً انضوى اليه معظم الاسر على ماسوف يأتي بعد.

— ٢ —

ومما ذكره احمد كمال (٢) من سيرة هذه الاسرة ان سلطانها كان موطداً وان منف بلغت في عهدها مرتبة عظيمة من العمران وان عبادة الحيوانات المقدسة وخاصة العجل ـ الذي كان يمثل اله الخصب في الأرض ـ قد انتشرت في زمنها ، وان ثالث ملوكها سن قانوناً أجاز فيه حكم النساء وانتقال المالك البهن ، وقانوناً آخر قرر فيه ان حكم الملوك هو نيابة عن الآلهة وان لهم السلطان التام على رعاياهم بناء على ذلك ولقب نفسه ابن الشمس فصار ذلك سنة متبعة من بعده ،وان الخامس كان ولوعاً بالعلم واتم رسالة طبية وجدت في سخم من آثار الأسرة السابقة ، وان مقبرة توت حتب في منف وتمثال سبا المحفوظ في متحف باريس من آثار هذه الاسرة .

---

(١) مصر القديمة ج ١ ص ٢٧٥ ـ ٢٧٨

(٢) العقد الثمين ص ٢٢ ـ ٢٤

ولم يذكر بريستيد شيئاً معيناً عن هذه الاسرة ولكنه نوه (١) بما كان من تقدم الفن والخط وهندسة العمارة وصناعة الحلى والاواني النحاسية والبلورية وتنظيم الدولة وهيبة الملوك في عهدها وعهد الاسرة السابقة معاً .

أما سليم حسن (٢) فانه ذكر ما ذكره احمد كمال معزواً الى مانيتون وزاد عليه بعض زيادات ملخصها انه عثر على اختام لبعض ملوك هذه الاسرة وان الاحتفال بالأعياد انتظم في عهد الملك نتر إن كما انتظمت في عهده عمليات الاحصاء فصارت تجري كل عامين مرة ، وان الملك بر إن سن نقل عاصمته الى طينه التي كانت عاصمة او بلدة منا والتي تعرف اليوم باسم العرابة كما غير نسبته الالهية من ابن الاله صور الى ابن الالهست مما عده المؤلف انقلاباً عظيماً . وكان حور هو الاله الخاص الرئيسي للوجه البحري . وكان اتباع الاله حور هم اصحاب الغلبة الذين قامت المملكة المتحدة في النهاية تحت صولجانهم والذين سماهم المؤلف بالقبيلة الحورية على ما شرحناه قبل . وهذا معنى الانقلاب العظيم الذي نبه عليه المؤلف كما هو المتبادر (٣) .

ولقد قال هذا المؤرخ في صدد سيرة خع سخموي آخر ملوك هذه الاسرة انه رجع الى الاله حور دون ان يتخلى عن ست ووضع على واجهة قصره علامة الالهين مما قد يدل على انه كان تشاد وتنازع بين الوجهين جعل بر اب سن يترك الاله حور ويلتزم الاله ست ثم جاء خع سخموي على أثره فاصلح الموقف بمراعاة الالهين معاً . ومثل هذا التنازع الذي كان يمثله التنازع الديني كان يتكرر كثيراً بل كان ناظماً من نواظم الحكم في مصر بل في الجنس العربي بل في الجنس البشري . وقد رأينا مظاهر ذلك في سيرة المعنيين والسبئيين في الجزء الاول من الكتاب .

ولقد ذكر هذا المؤرخ اسم الملك (٤) بر اب سن في نبذة تقسيم البلاد الى اربعة اقاليم وقال فيما قاله إن المملكة الفرعونية اصبحت منظمة تحت سلطانه بعد ان تغلبت مملكة الصقر التي انشأها الجنس الجديد الذي قدم من جزيرة العرب عن طريق الصومال على مملكتي الثعبان والنسر واتحدت المملكة ؛ حيث يفيد هذا ان شيئاً كان يعتور استتباب نظام المملكة المتحدة فزال في عهد هذا الملك . ولعل الانقلاب الديني الذي قام به هذا الملك ذو علاقة بذلك .

---

(١) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٢٩ و٧٣

(٢) مصر القديمة ج ١ ص ٢٧٥ — ٢٧٧

(٣) قال سليم حسن انه قصد بالتحول في نسبته من حور الى ست ان يقول ان الذي ولاه على البلاد هو الاله ست الذي حكم الوجة القبلي قبل حور (ص ٢٧٧)

(٤) ج ١ ص ١٧٤—١٧٥

(٥) يلفت نظر إلى مقطع بر الذي كان يعني «ابن» في بعض اللهجات العربية القديمة كالكنعانية .

الاسرة الثالثة

– ١ –

ان مؤلف مصر القديمة قال في صدد ملوك هذه الاسرة (١) ان (نترخت زوسر) يعد مؤسساً لها وان من المحتمل ان يكون الأخ الأصغر للملك خع سخموي آخر ملوك الاسرة السابقة وانه خلفه بعض ملوك لا يزال تاريخهم غامضاً وهم : (سانخت) ثم (حابي) ثم (نفركا) وان آخر ملوك الاسرة (حور) او (جوني) وهذه الاسماء مستمدة من الآثار على ما يبدو من سياق كلامه . وقد ذكر احمد كمال وبريستيد (٢) ملكاً اسمه سنغرو من الآثار كآخر ملوك الأسرة . ولكن سليماً حسناً جعله على رأس الاسرة الرابعة ، والراجح انه فعل هذا اجتهاداً مستنتجاً من دراساته الأثرية . اما بدء ونهاية حكم هذه الاسرة فهما ٢٩٨٠ ـ ٢٩٠٠ ق م على ما ذكره هذا المؤلف .

– ٢ –

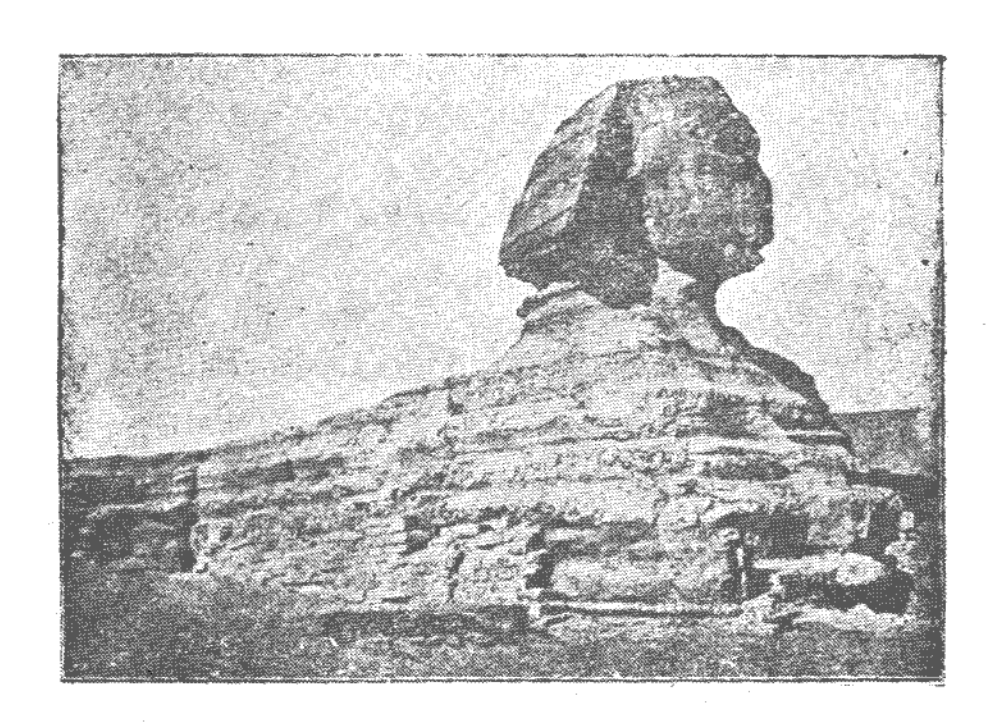
ويتطابق المؤلفون الثلاثة بعض الشيء في سيرة ملوك هذه الاسرة . والمستفاد من كلامهم في صدد سيرة زوسر انه هو باني هرم سقاره المدرج ذي المصاطب الست ليكون مقبرة له . وهو على ما يرجح اقدم بناء حجري في مثل ضخامته ، وكان زوسر فيه قدوة لغيره من ملوك مصر الذين شيدوا كثيراً من الأهرام بعده ما تزال قائمة في انحاء عديدة من مصر السفلى والعليا . ولقد انشأ الاسرتان الأوليان لانفسهم مقابر ضخمة حجرية ولكنها لم تكن بالشكل الهرمي الا اذا صحّت نسبة هرم كوكمة الى احد ملوك الأسرة الاولى وهي غير يقينية .

ويبلغ ارتفاع هرم زوسر ١٧٥ قدماً . وقد استدل من الآثار على ان لهذا الملك مباني عظيمة اخرى ، وانه كان له وزير اسمه محوتب على جانب عظيم من الحكمة والتدبير وطول الباع في الدين والطب وفن العمارة والسحر ؛ كذلك مما عرف من احداث عهده ان قبائل صحراء ليبية تمردت على الحكم المصري فتمكن من اخضاعها .

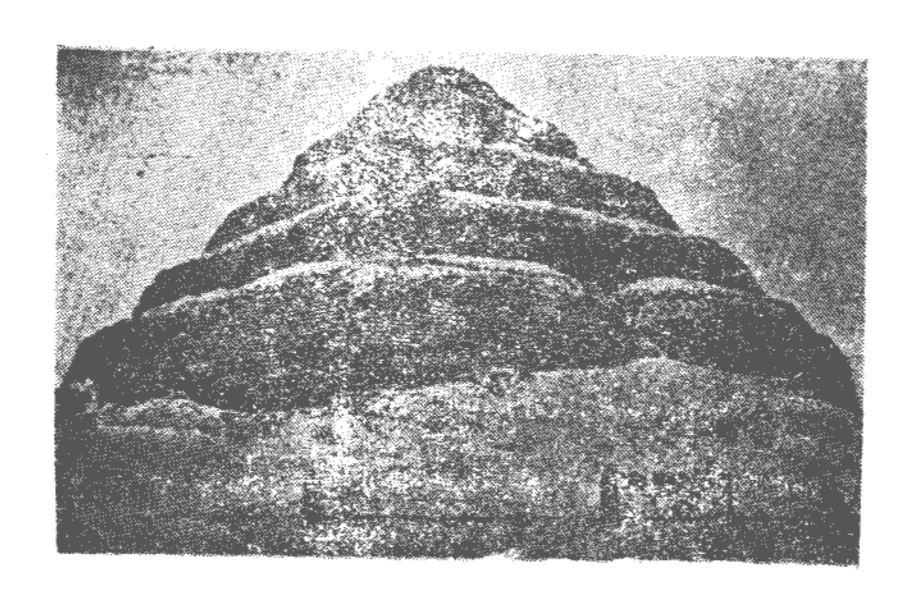
---

(١) مصر القديمة ج ١ ص ٢٧٨–٢٨٢

(٢) العقد الثمين ٢٥–٢٨ وتاريخ مصر من اقدم العصور ص ٧٤



ابو الهول



هرم سقاره المصطبة

ومما عزاه احمد كال الى مانيطون ان سكان ليبيا عصوا في عهد اول ملوك هذه الاسرة فتغلب عليهم ثم استتبت الراحة واتسعت دائرة الصنائع والفنون ؛ وان فن الكتابة قد تحسن في عهد الثاني وكان ماهراً في الطب مثل الملك تتا . وقد ألف كتباً تداولها الناس الى القرن الاول المسيحي ؛ وان نقش الاحجار ونحتها قد تقدم في زمنه وكان هو نفسه ولوعاً بذلك وان ثروة المملكة ومبانيها تعاظمت في عهود الملوك الذين جاؤوا بعده ؛ وان بناء ابي الهول العظيم كان من آثارهم ، وكانوا يسمونه حور مخي اي شمس الافقين ويعنـون بذلك وقت شروق الشمس ووقت غروبها وهو على هيئة اسد برأس انسان وطوله ١٩ متراً وسبعون سنتيماً وطول أذنه متر وثمانون سنتيماً وطول فمه متر وستة وسبعون سنتيماً وفمه متران واثنـان وثلاثـون سنتيماً واعظم عرضه اربعة امتار و١٥ سنتيماً . ومنها الهيكل الموجود بالجهة القبلية من اهرام الجيزة الذي يعرف بالكنيسة وهو من بدائع عصرهم؛ هذا بالاضافة الى محاريب ومقابر عديدة في تلك الجهة من آثارهم .

ولقد نوه ماسبرو في كتابه تاريخ المشرق (١) بابي الهول وقال انه تمثال لوحش مرعب موجود في الصحراء وان المصريين صنعوه ليكون رمـزاً او رصداً للاله الشمس على سبيل الزلفى والنذر واقاموه بحيث يظهر كأنه يرفع رأسه فوق الوادي كله ليكون اول من يمتع نظره بالقرص المضيء والسراج المنير .

وهو شاهد على ما وصلت اليه مصر في ظل الذين انشأوه في عهد مبكر جداً من التاريخ من قوة وعظمة وفن .

وقد قال مؤلف الاثر الجليل لسكان وادي النيل انه يوجد في المتحف المصري حجـر عرف مما عليه من الكتابة ان ابا الهول كان موجوداً قبل عهد خوفو باني هرم الجيزة الاكبر حيث يكون في ذلك الدلالة الحاسمة على ان هذا الاثر العظيم من مآثر الاسرة الثالثة .

ولقد ذكرنا قبل ان احمد كمال وبريستيد يجعلان سنفرو آخر ملوك هذه الاسرة . وقد ذكرا صدد سيرته (٢) انه كان نشيطاً مقداماً وانه عبد كثيراً من الطرق وانشأ كثيراً من السفن وفتح باب التجارة مع الممالك الشمالية الساحلية وارسل اسطولا الى شاطىء لبنـان لاحضار خشب الارز منه وغزا بلاد النوبة وسيطر عليها لتأمين حدود مصر الجنوبية وصد القبائل التي كانت تغير على هذه الحدود وتحاول التسرب منها الى مصر ، وان سكان جبل الطور على حدود مصر الشمالية اغاروا على مصر فصدهم وقهرهم واستولى على اراضيهم

(١) ترجمة احمد زكي باشا

(٢) العقد الثمين ٢٥-٢٨ ومصر من اقدم العصور ٧٤

وبنى فيها قلاعاً وحصوناً وبيوتاً وآباراً واقام فيها جامية وعمـــالا لاستخراج النحـــاس والحجارة النفيسة ومنها الفيروزج من مناجمها . وقد رسم نفسه على صخرة في وادي مغارة في سيناء على هيئة مقاتل يقمع اعداءه ونقش عليها اسمه وخبر غزوته ووصف نفسه بالحاكم صاحب التاجين والمنصور الظافر باعدائه وملك الوجه القبلي والوجه البحري وابن الشمس؛ وقد صنع سنفرو لنفسه هرماً سماه خع اي العيد لم يكشف عنه بعد ويظن انه موجود في جهة ميدوم.

ومما ذكره سليم حسن من سيرة هذه الاسرة (١) زيادة عما تقدم ان زوسر انشأ لنفسه مقبرتين لا واحدة حيث انشأ واحدة على شكل مصطبة شمالي موقع العرابة بصفته ملكاً للوجه القبلي وانشأ الثانية التي هي هرم سقار . بصفته ملكاً للوجه البحري ، مما فيه الدلالة على ما كان قائماً من تميز شخصيتي الوجهين حتى يبلغ هذا المبلغ العجيب. وقد قال ان هرم سقارة يعد حلقة متوسطة بين المصطبة والهرم الحقيقي وانه عمل هندسي بارع يضع صاحبه في اعلى مرتبة العلم والشرف وهو امحوتب . ومما ذكره كذلك انه عثر اخيراً على تمثال جميل لزوسر في سرداب هرمه كما كشف عن عدة مبان له وبخاصة معبده الجنازي ومقبرتي ابنتيه ؛ وان الملك شانخت بنى لنفسه مقبرة قرب مقبرة زوسر ، وان أسم هذا الملك وجد منقوشاً على صخور وادي المغارة في شبه جزيرة سينا ، وان آخر ملوك الاسرة حوني اقام لنفسه هرماً في دهشور ، وانه عثر على ورقة من عهد الدولة المتوسطة تذكر ان هذا هو السلف المباشر للملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة . ويستفاد من كلام هذا المؤلف ان ابا الهول من آثار الاسرة الرابعة مخالفاً بذلك ما قاله المؤلفون الآخرون .

ويلفت النظر إلى ما ذكره المؤلفون من حركات القبائل في جبل الطور وسيناء في الشمال والنوبة في الجنوب وما سجله ملوك هذه الاسرة من اعمال تنكيلية ضدهم ؛ وقياساً على السوابق ليس من التجوز ان يقال انها حركات تسلسل جمـــاعات الجنس العربي ؛ وان في تسجيلها تكراراً لتسجيل الصورة الدائمـــة التي نوهنا بها قبل .

(١) ص ٢٧٨–٢٨٣

الاسرة الرابعة

– ١ –

ملوك هذه الاسرة حسب ما يستنبط من الآثار هم في كتاب سليم حسن (١) :
سنفرو – خوفو – رع ددف – خفرع – منكورع – شبسكاف – خنت كاوس .
ويقول المؤلف بالاضافة الى هذا ان المؤرخين ذكروا ثلاثة ملوك بعد شبسكاف لم يكشف لهم اي اثر الا خنت كاوس التي كشف هرمها في الجزيرة مؤخراً وهو الهرم الرابع .

اما احمد كمال (٢) فانه ذكر الاسماء المستنبطة من الآثار هكذا : خوفو – ع ددف – خفرع – منكورع – شبسكاف – وترك اربع محلات فارغة واحداً قبل خوفو . وواحداً بعد منكوزع واثنان بعد شبسكاف ؛ مع قوله ان عدد ملوك هذه الاسرة (١٤) وان مدة حكمها ٢٨٤ سنة بدؤها سنة ٤٦٢٩ قبل الهجرة .

ويتطابق بريستيد (٣) مع احمد كمال في الاسماء اجمالا . اما بدء ونهاية تاريخها فبريستيد يتطابق مع سليم حسن فيهما حيث يذكران سنتي ٢٩٠٠ – ٢٧٥٠ ق م لذلك .

– ٢ –

والمؤلفون الثلاثة متطابقون في الاشادة بعظمة عهد هذه الاسرة استدلالا من ما عليه منشآتها من دقة وفخامة وروعة ومما عرف من سيرة ملوكها وما كانت عليه من قوة في عهد معظمهم .

وهم مجمعون على ان خوفو هو صاحب الهرم الاكبر في الجيزة الذي يعد من عجائب الدنيا ، وقد خلد به اسمه ابد الدهر بقطع النظر عما تكلفه العمل من قسوة واسراف وقيمة الهرم ليست في حجمه فقط بل في ما دل عليه من قوة الملك الذي انشأه وعظمة ثروة الدولة ، وما كانت عليه من دقة صناعة وفن هندسة مما ادهش اعاظم مهندسي العالم الى الآن

---

(١) مصر القديمة ج ١ ص ٢٨٣–٢٩١
(٢) العقد الثمين ص ٢٥–٢٨
(٣) تاريخ مصر من اقدم العهود ص ٤٠٣ و ٧٤ – ٧٩

على ما قاله مؤلف الاثر الجليل (١) وقد قدر انه اشتغل فيه مئة الف عامل لمدة عشرين سنة وجلب مليونان وثلثمائة الف صخرة متوسط ثقل الواحدة منها طنان ونصف !

ومن عجائب تصميمه ان مهندسيه جعلوا زاوية الميل فيه واحدة وهي ٥١ درجة و ٤٥ دقيقة ليكون متعامداً مع اشعة كوكب سبيتي (الشعرى اليمانية) الذي كان المصريون يعبدونه باسم الاله نوت بحيث كانت اشعته تقع عمودية على الهرم من جهة الجنوب ليتبرك بها الاموات المدفونون داخله على ما عرفه الفلكيون والمهندسون الحديثون نتيجة للتمحيص والحساب . وكان هذا الاله خفير السماء وملك الكواكب وحارس الشمس ـ الاله الاكبر ـ والموكل بكتابة اعمال الاموات يوم الحساب وبيده الميزان. وكانوا يصورونه قابضاً على رقعة يكتب فيها اوزان الناس .

ومما جاء في بريستيد للتدليل على اتقان بنائه وان مواضع تلاصق صخوره الضخمة لا تزيد مسافتها عن $\frac{١}{١٠٠٠٠}$ من البوصة وان نسبة الخطأ في الطول والمسح والفراغ لا تزيد عن ذلك ايضاً .

ومما ينسب الى خوفو معبد بمدينة دندره التي كانت تسمى تنترر على شاطىء النيل الغربي. وقد انشأه للاله حات حور . وروي عنه انه استمر على استخراج النحاس من مناجم سيناء وعين ابنه وزيراً وقاضياً للقضاة ، وانه كان صاحب بأس ؛ وحارب قبائل بني عون التي كانت تكثر الغارات في عهده على ناحية الدلتا الشرقية .

ومما عرف من المصادر التي ذكرناها ان رع ددت الذي خلف خوفو كان متمسكاً بدينه مراعياً لحقوق رعيته فقدسته واتخذته معبوداً من جملة معبوداتها على ما ذكر في الآثار ، وان خف رع الذي يجيء اسمه بعد هذا هو باني هرم الجيزة الثاني الذي هو اصغر من هرم خوفو واقل اتقاناً ، وانه عثر على تمثال لهذا الملك آية في دقة النحت وقوة تعبير الملامح وشاهد على ما وصل اليه الفن المصري من مبلغ رفيع منذ ذلك العهد السحيق ؛ وان منكورع هو باني هرم الجيزة الثالث ولم يتممه فاتمه خلفه وقد سماه حور اي الاعلى ، وان هذا الملك كان حليماً عادلا محباً للرعية ولوعاً باصلاح المعابد والهيا كل ؛ وتنسب اليه رسائل دينية عديدة ؛ وقد عثر على كتابة له يأمر فيها ابنه حور دف بالطواف في البلاد وتعمير هيا كلها ومعابدها كما عثر على لوح رخامي عليه كتابة باللون الازرق فيها مواعظ وحكم منسوبة لحور دف هذا ؛ وانه ينسب الى شبسطاف الايوان الغربي الموجود في معبد بتاح ــ ومعناه

(١) ص١٧-٢٢

فتاح على ماقاله احمد كمال (١) في منف كما ينسب اليه هـرم وصفه هيرودوت وقال إنـه كان معروفاً باسم شبسكا قلب ؛ وكان مبنياً بالطوب وعليه كتابة تخاطب مشاهده بعـدم احتقاره لانه غير مبني بالحجارة وتذكر ان الملك يفضلـه على الهرم المبني بالحجارة كفضل المشتري على جميع الكواكب . وقد قال هيرودوت عن هذا الملك انه من الملوك المشرعين وانه وضع انظمة دينية واخرى مدنية في صدد الديون والرهون وانه كان ولوعـاً برصد الكواكب وفن الهندسة .

ولقد اخـذ سلطان الملك يضعف في أواخر عهد هذه الاسرة واخـذ حكام الاقاليم يستبدون في اقاليمهم حتى صارت مناصبهم تنتقل الى ابنائهم من بعدهم ، كما اخذ كهان معبـد رع يتدخلون في شؤون الدولة ويغدون اصحاب نفوذ عظيم فيها ، فكان هذا مما اربك الدولة وقضى على حكم هذه الاسرة .

- ٤ -

ويتطابق سليم حسن (٣) مع بريستيد واحمد كمال في ما اوردناه عنهـما في سياق سيرة الاسرة السابقة من سيرة سنفرو الذي يذكره كأول ملوك هذة الاسرة ويزيد عليهما فيقول ان المصريين ألهوا هذا الملك وعبدوه وانه كان في عهده لكل مقاطعة من مقاطعات الوجه البحري والوجه القبلي (وعددها ٢٠ في الاول و ٢٢ في الثاني) حا كم بلقب (الاول بعـد الملك)مسئول امامه فقط . ويفيد كلامه ان هذا كان امتداداً لما قبل ؛ كما يفيد ان المملكة كانت اتحاداً مؤلفاً من ملك مركزي وملوك او امراء مستقلين استقلالا داخلياً على رأس المقاطعات .

كذلك يتطابق معهما في سيرة خوفو(٤) مع زيادة ايضاحية عمـا كان ينشأ في جـوار الاهرام من معابد جنائزية وينحت من سفن ضخمة للعبور عليها ويقام حولها مـن اسوار ضخمة وبنايات متنوعة لسكنى الكهان والخدم . وقد قال فيما قاله ان خوفو لم يشغله بناء الهرم العظيم عن اعمال الدولة الاخرى فقد قام باعمال عمرانية عديـدة واشعل نار الحرب ضد الساميين الجائلين في شبه جزيرة سينا الذين يعرفون باسم منيتو وكان يضطر احيانا إلى

(١) العقد الثمين ص ١٨

(٢) بريستيد ص ٧٨ – ٧٩

(٣) ج ١ ص ٢٨٣ – ٢٨٦

(٤) ص ٢٨٧ – ٢٩٧

اقتفاء آثارهم الى مسافة بعيدة شمالا . وقــد ترك في شبه الجزيرة التي كان يستغل مناجم الفيروز والنحاس فيها نقوشاً فيها اسمه وخبر من ردته لهؤلاء الرحل الساميين .

ومما ذكره زيادة او توضيحاً في صدد سيرة خف رع (١) انه قام بعد موت ابيه نزاع بين اولاده الذين كان هو من جملتهم واستطاع ان يوطد الملك لنفسه وان اخويه كا وعب وباكارا ظلا مع ذلك ينازعانه الملك .

وقد افرد نبذة خاصة بابي الهول (٢) في سياق سيرة خف رع قال فيها انه لم يعثر على تاريخ يدل على زمن نحته بالضبط فظل مثل اللغز حتى غالى البعض وزعم انه نحت في عهد ما قبل الأموات ؛ وان الكشف الحديث دل على انه نحت في عهد الملك خف رع ليمثل اله الشمس عند الغروب وانه وجد فيه لوحة نصبها امحوتب الثاني (احد ملوك الاسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ ـ ١٣٥٠ ق م) سماه فيها الاله حور ام اخت والاله اتوم ؛ وان اسم ابي الهول تطور لعبارة « بر حول » او « بر حور » التي اطلقها عليه جماعة من الكنعانيين وفدوا الى مصر في عهدالاسرة الثامنةعشرة وسكنوا فيمنطقة ابي الهول وكان لهم في بلادهم اله اسمه حور أو حورودون فأطلقوه عليه واعتبروه رمزاً لالههم وهــو اسم سامي لان الكنعانيين ساميون ــ من الجنس العربيحسب اصطلاحنا ــ وان لهذا امثالا حيث ادخــل الساميون ــ الهكسوس على ما سوف يرد بعد ــعبادة الاله سنح فاصبح موحداً مع الاله سن المصري وعبارة الالاهة عشتروت فاصبحت موحدة مع الالاهــة حتحور في ظروف كان ملوك مصر يقربون بين مصر وبين البلاد السورية بكل الوسائل .

ويلفت النظر الى ما قاله المؤلف من وفود الكنعانيين الى مصر في عهد الاسرة الثامنــة عشرة وتوطنهم في منطقة ابي الهول . ففي هذا صورة من صور التسلل العربي الجنس الي مصر الذي لم يكن ينقطع باسلوب هادىء سلمي مثل هــذا تارة وباسلوب عنيف بالقوة تارة وبمقياس ضيق تارة وبمقياس واسع تارة .

ومما ذكره هذا المؤلف كتعليل لمخالفة شبسكاف لأسلافه في شكل مقبرته (٣) انــه فعل هذا مناوأة لعبادة رع اله الشمس التي استشرت قبله حتى صار مقطع رع يدخل فياسماء ملوك مصر الذين قبله لان الهرم كان رمزاً لعبادة الشمس فلم يلحق مقطع رع باسمه وانشأ

---

(١) ٢٩٥-٢٩٩

(٢) ٣٠٠-٣١٠

(٣) ٣١٣ - ٣١٨

مقبرته في شكل يخالف مقابر أسلافه . ومن المحتمل أن يكون انقلابه هذا هو مناوأة لكهنة رع في عين شمس الذين أخذ سلطانهم يزداد في الدولة ثم تابعـــه في عمله الملـــوك الـــذين جاؤوا بعده .

وقد ذكر المؤلف بعد سبتسكاف اخته الملكة خنتكادس في سياق سيرة الاسرة الرابعة وقال (١) ان تاريخها وتاريخ ملكين قبلها ظل مجهولا إلى سنة ١٩٣٢ حيث كشفت الحفريات عن هرم لها في الجيزة هو الهرم الرابع الذي عليه اسمها والذي يجمع بين الشكل الهرمي القديم وشكل المقبرة الجديدة التي بناها اخوها شبسكاف لنفسه . ويخمن هذا المؤلف انها كانت زوجة احد عظماء كهان عين شمس وانها عادت الى عبادة رع وعقيدته فكان ذلك مما عزز مركز هذا الاله وكهان معبده ، وانها تعد الحلقة الموصلة بين الاسرتين الرابعة والخامسة ، وانها من المحتمل انها الملكة التي ذكرها الكتاب اليونانيون القدماء باسم نيتوكريس ووصفوها بأنها كانت اقوى من كان في عهدها واجمل النساء جميعاً . وقد ساق نبذة في الأساطير الـــتي وردت منها في كتب اليونانيين القدماء لم نر فائدة ولا طائلا في ايرادها .

هذا ، ونقول تعليقاً على ما مر ان في تسجيل ملوك هذه الاسرة لاخبار حركات القبائل الرحل في شبه جزيرة سيناء استمراراً على تسجيل الصور المماثلة التي كانت وظلت تتكرر . ويلفت النظر إلى تسمية احمد كمال هذه القبائل باسم « بني عون » ونعت سلـــيم حسن لهـــا بالساميين . ولا ندري من أين جاء أحمد كمال باسم بني عون . ونرجح انه عربه تعريباً من كلمة قريبة مثل منيتو او ما يقاربها مما ورد في نقوش خوفو في شبه جزيرة سيناء لأنه عربي فصيح لا يعقل ان يكون هو الاسم المستعمل في ذلك العهد السحيق . ومهما يكن من أمر فاننا لا نشك في ان هذه القبائل عربية الجنس . وقد كانت بـــلاد الشام وخاصة جنوبهـــا (فلسطين وشرق الاردن) تعج في الألف الثالث قبل الميلاد الذي يصادف عهد هذه الاسرة بالموجات العربية الكنعانية والعمورية التي كان لها فروع عديدة ذكر كثير منها في سفر التكوين في سياق ذكر الشعوب التي كانت تقطن بلاد الشام الجنوبية قبل القرن العشرين الذي يخمن أنه زمن قدوم ابراهيم إلى فلسطين (٢) وقد ذكر من هذه الفروع اسماء قريبة مما ذكـــره المؤرخون المصريون مثل الحوريين والحويين والأموريين والايميين الخ ولقد قال سليم حسن فيما قاله ان حور او حول او حورون كان اسماً لاله كنعاني فأطلق جماعة من الكنعانيين اسمه على أبي الهول فغدا يعرف بهذا الاسم . ونقول ان فيما ذكره صوراً لما كان من تواصـــل

(١) ٣١٩ – ٣٢٨

(٢) انظر كتاب تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم المؤلف ص ١٢ – ٤٠

وتواثق وآثار متقابلة بين مصر والكنعانيين الذين هم من الجنس العربي والذين طرأوا على بلاد الشام وعمروها حوالي القرن الثلاثين قبل الميلاد بل وقبله على ما سوف نشرحه في الجزء الرابع من هذا الكتاب . ولما كان اسم إله مملكة الوجه البحري قبل قيام المملكة المتحدة تحت صولجان منا هو حور على ما مرّ ذكره فان هذا يجعل الصلة بين الكنعانيين وبين مصر اقدم عهداً من الاسرة الثامنة عشرة . بل قد يجعل القول ان الجماعات التي جاءت للمرة الثانية قبل قيام الاسر وكان الهها حور على ما نقلناه من سليم حسن (١) قبل من هؤلاء الكنعانيين أكثر وروداً . ولا يمنع هذا بطبيعة الحال ان يكون جماعة من الكنعانيين وفدوا على مصر في عهد الاسرة الثامنة عشرة وسكنوا في منطقة أبي الهول وأطلقوا اسم الههم عليه . فقد كثر انسياح الكنعانيين وغيرهم من الارومات العربية الجنس من بلاد الشام الى مصر قبل قيام هذه الاسرة وبعدها كثرة عظيمة بل كان هذا الظرف من ظروف انسياح احدى الموجات العربية الكبرى التي يقال انها كنعانية ونعني بها موجة الهكسوس على ما سوف نذكره بعد .

---

(١) مصر القديمة ص ١٧٤ – ١٧٧

الاسرة الخامسة

- ١ -

ذكر سليم حسن (١) ملوك هذه الاسرة استنباطاً من الآثار كما يلي :
وسركاف ــ سحورع ــ نفراركارع كاكاو ــ شبسكارع ــ نفراف رع ــ نوسر رع منكاومر ــ زدكارع اسيس ــ وناس .
وبين هذا المؤلف وبريستيد واحمد كمال (٢) تطابق إجمالا في هذه الأسماء . وقد ذكر بريستيد وسليم حسن ان مدتها ١٢٥ سنة وان بدءها سنة ٢٧٥٠ ونهايتها سنة ٢٦٢٥ ق م .

-٢-

ومما ذكره أحمد كمال من سيرتها ان الملك وسر كاف مدّ سلطانه الى الجنوب ، وابتنى هرماً سماه (عب ستو) أي المكان الطاهر . وان الملك سحورع سير حملات بحرية إلى شواطىء فينيقية واخرى برية إلى سيناء ، وابتنى هرماً في شمال أبي صير سماه « خعبا » أي بعثة الروح وانه وجد في وادي مغاره في سيناء لوح عليه صورته على هيئة المنتصر على أعدائه ، وان المصريين عبدوه طويلا ؛ وانه وجد في عهد اليونان هيكل كان معداً لعبادته وعليه أسماء الكهنة الذين كانوا يقومون على خدمته ، وانه انشأ مدينة سماها باسمه على مقربة من موقع أسنا ، وان نطاق المعارف اتسع في عهد نفرو حرس ، وانه كان لهذا الملك هرم اسمه «با» أي الروح ، وانه وجد في قبور عهد هذا الملك اسماء عدد من الادباء والعلماء منها اورخو ونيحوك الذين تدل الكتابات على انهما كانا أصحاب مكانة علمية عالية ، وان رعنوسر كان محارباً كثير الغزوات ، وقد غزا قبائل سيناء وانتصر عليهم وبنى هرماً بأبي صير سماه « من ستو » ومعناها المحل المتين ، وان مقبرة سقارة العجيبة هي لرجل من رجال هذا الملك اسمه تي ، وقد وجد عليها من الرسوم والنقوش العجيبة ما يثير الدهشة من انواع الصنائع والحرف ومشاهد اصطياد السمك والطير والبحار والسفن الخ .

---

(١) مصر القديمة ج ١ ص ٣٢٨ – ٣٦١

(٢) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٤٠٤ والعقد الثمين ٣٥ – ٢٩

وان منكا حور الذي ولي بعده انشأ لنفسه هرماً سماه « نترستو » اي المحـل المقدس يظن انه قرب سقاره ولوجود حجر عليه صورته في هـذه الناحية ؛ وان دركا رع كان شديد العناية بالعلوم والصنائع وقـد استكشف في ايامه مناجم جديـدة في وادي مغارة واستغلت ، وانه بنى هرماً « تفر » ومعناه الجميل ، وانه كان له ولد اسمه بتاح حتب كان على حظ عظيم من الحكمة والفلسفة والعلوم واثر عنه مواعظ وحكم كثيرة وان اسم اوناس قد قرىء على بغض صخور الشلال الاول متلقباً . بلقب « رب البلاد » وانه بنى هرماً بسقاره بجانب الهرم المدرج الى الجنوب وقد فتح وسرق وانـه آخر سلسلة ذريـة الملك منا .

— ٣ —

ومما جاء في كتاب بريستيد (١) زيادة عما تقدم من سيرة هذه الاسرة ان الملك انتقل اليها بقوة نفوذ الكهان الذي قوي في عهدها اكثر كمـا قوي الحكام في اقاليمهم فيه وان مكانة رع ارتفعت في عهدها كثيراً وان ملوكها اقاموا له معابد كثيرة حبسوا لها الاوقاف واعتنوا بزخرفتها واكثروا من موظفيها ، وان جدران المعابد كانت تزين في عهدهم بنقوش جميلة تظهر فيها احوال المعيشة ومناظر الانهار والحقول والصحارى والـبرك وان اقامـة المسلات بدأت في عهد هذه الاسرة وكانت تعتبر رمزاً لرع وتقـام في مداخل معـابده وان الاسطول الذي انشأه سحورا جعل مصر دولة بحرية قوية ، وانه عثر على لوح في هرم هذا الملك عليه رسوم سفن عظيمة مشحونة بالاسرى الفينيقيين وحولهم بحـارة مصريون وتعتبر هذه الرسوم اقدم رسوم بحرية وجدت للآن واقـدم صور لسكان سورية الساميين وان هذا الملك سير اسطولا في البحر الأحمر وصل الى خليـج عـدن وسواحل الصومال وجلب عليه البخور والمعادن النفيسة من جنوب الجزيرة وبلغ ما عليه ٨٠ الف مكيال من المرّ و ٦٠٠ مثقال من مخلوط الذهب والفضة و ٢٦٠٠ ساق من النباتات الثمينة على ما عرض من النقوش ، وان الفنون الجميلة والصناعة بلغت شأواً عظيماً وارتقت الآداب ارتقاء كبيراً وتقدم العمران تقدماً عظيماً ، وان اقدم ما عرف من النصوص الدينية المصرية واقدم مـا عرف من النماذج الوافية للغة المصرية القديمة هو الذي عثر عليه منقوشاً على جدران اونيس آخر ملوك هذه الاسرة ولا يعني هذا ان هذه النصوص من عهد هذا الملك او عهد هـذه الاسرة بل قد تكون اقدم من ذلك بطبيعة الحال .

(١) ص ٨٠ — ٨٤ مصر منذ اقدم العصور .

وفي كتاب مصر القديمة (١) كثير مما ذكره المؤلفون الثلاثة مع زيادات او توضيحات ومما جاء فيه ان عبادة اله الشمس رع انتشرت من اقصى البلاد الى إقصاها وازداد من جراء ذلك نفوذ كهان عين شمس بعد ما كان من تحول شبسكاف والملوك الذين خلفوه على عرش الاسرة الرابعة حتى اصبحت عبادة الدولة الرسمية واعتبر رع حاكم العالم العام وحل محل حور في هذا الاعتبار وصار ملوك مصر يتسمون باسم ابن رع وابن الشمس . وقد انشئت في عهد هذه الاسرة معابد عديدة باسم معابد الشمس . وعادت المقابر الهرمية فاحتلت مركزها الهام الذي كان لها قبل شبسكاف .

ومما ذكره هذا المؤلف في صدد سيرة الملوك زيادة او توضيحاً — وكان كل ما ورد فيه او جله مستند الى الآثار والنقوش — ان الملك وسركاف كان كاهنا اعلى في عين شمس قبل ان يتولى الملك ، وانه اهتم بالمعابد محافظاً على حقوقها ووهبها بعض الاملاك وامد مذابحها بالقرابين والعطور ، وبنى محراباً في معبد حور في مدينة بوتو — وهذا يدل على ان حور اله الارومات العربية القديمة لم يهمل بالمرة — وخصص ضياعا في الدلتا لطقوس عبادة البقرة حتحور (٢) . وانه عثر على لوحة في سينا للملك سحو رع رسم عليها صورته مرتدياً تاج الوجه القبلي وهو يضرب اعداءه الأسيويين كما عثر له على نقوش في بلاد النوبة تدل على انه وطد سلطانه فيها ، وانه عثر في مقبرة دشاشة على نقوش تحمل اسمه وتمثل مناظر حربية بين الاسيويين والمصريين يشاهد المصريون فيها يغزون مكاناً اسمه نديا ويحاصرونه ويثقبون جدرانه ويصعدون اليه بالسلالم وينتصرون على أهله وتمثل الملك وهو يتقبل الغنائم وفي حضرته رجال دولته وفصائل من جنوده تحمل شعارات باسمه منها « ما اجمل سحو رع امام الزينة » و « ما اعظم حب سمو رع » وان الملك نفر اركا رع نقش على هرمة القاب واسماء بعض موظفيه وانه كان محبوباً لدى رجال بلاطه ومعنياً كسلفه بالمحافظة على المعابد وبذل الهبات وتقديم القرابين لها . وقد كشف عن مقبرة لأحد عظماء دولته اسمه رع ورتعد اكبر مقبرة ظهرت في الدولة القديمة . وقد احتوت من المقاصير والحجرات والتماثيل ما يضارع مقابر الملوك . وعرف من النقوش انه كان يحمل ما لا يقل عن ثلاثين لقباً

---

(١) ج ١ ص ٣٢٨ — ٣٦١ .

(٢) كلمة حتحور معناها بيت حور . وكانوا يعتقدون ان البقرة هي مسكن الاله حور في الارض فيتعبدون لها على هذا الاعتبار .

من القاب الدولة مثل الكاهن لآلهة الوجه القبلي والكاهن لآلهة الوجه البحري واكبر كاهن في الدولة والسمير الوحيد ورئيس اسرار الملك الخ ... وانه عثر على لوحة في وادي المغارة في سيناء تمثل الملك نوسررع الذي خلف هذا الملك وهو يضرب الأسيويين في الاقطار كما كشف في معبد هرمه في ابي صير نقوش تمثل انتصاراته على الاعـــداء اللوبيين والسوريين ، وتمثل احتفاله بعيد السد التقليدي بمناسبة بلوغ حكمه الثلاثين سنة . ومما ذكره مـــن اخبار منكاو الذي خلفه انه ارسل حملة الى شبه جزيرة سينا على ما تدل عليه نقوش تحمل اسمه فيها ولم يعرف بواعثها لان النقوش وجدت مهشمة . ومما ذكره من اخبار أسيس زدكارع الذي خلف منكا وحر ان عصره كان حافلا بالاعمال العظيمة وانه ارسل مستشاره في رحلة الى بلاد بنت القاصية (فسرها انها الصومال (١) واحضر له فيما احضر قزماً من نوع نادر وانه عثر له على عدد من النقوش وصف في احدها بانه ابن الشمس حور الذهبي ملك الوجه القبلي والوجه البحري .

ويختلف المؤلف مع احمد كمال في هوية فتاح حتب الحكيم . فهو يقول انه مربي الملك اسيس في حين ان احمد كمال يذكر انه ابن الملك دد كارع . وقد وصف المؤلف الملك اوناس ــ الذي قال انه خلف اسيس وانه آخر ملوك الاسرة حسب التاريخ المعروف ــ بانه من اعظم ملوك الاسرة وان حكمه استمر نحو ثلاثين عاماً وان له هرماً في سفاره نقش على حجرة الدفن فيه تعاويذ دينية تعد الأساس لمعرفة ديانة قدماء المصريين في عهد الدولة القديمة ؛ وانه كشف حديثاً عن معبده الجنازي فظهر على جدرانه وسقفه مناظر في غاية الاتقان بعضها جنازي وبعضها تمثل الحياة والاحداث من سماء مرصعة بالنجوم ومن جند يقتلون جماعة من الاعداء البدو بحرابهم ومداهم ومن مناظر للزرع والحصاد ونباتات الفصول وحيوانات الصحراء مـــن غزلان واسود وزرافات ومشهد مائي نيلي فيه انواع الاسماك الخ الخ .

ثم يشاهد صور مراكب اعظم حجماً من السفن النيلية فيها قوم اسيويون شبه اسرى ، ولا شك انها تمثل سفناً آتية من سورية مما يدل على العلاقة بين البلدين في هذا العصر بـــل

---

(١) قال ادولف ارمان وهرمان رانكين في كتابها مصر والحياة المصرية في العصور القديـــة تعريب عبد المنعم ابي بكر (ص ٢٤) ان بنت هي بلد البخور الذي يقع الى جنوب بلاد العرب . وكلام بريستيد السابق يفيد هذا حيث يقول ان بعثة وصلت الى خليج عدن . واحمد كمال يفسرها ببلاد اليمن وحضرموت على ما مر قبل العقد الثمين ٤٥ ــ ٤٨ .

وسيطرة مصرعليها بعض الشيء .

ومما يلفت النظر تعدد تسجيلات ملوك هذه الاسرة لغزواتهم الى شبه جـزيرة سيناء واشتباكهم بالقتال مع الاسيويين والسوريين . ونحن لا نشك في أن هؤلاء هم من قبائل الجنس العربي التي كانت تعج بجر كاتها بلاد الشام والانحاء الجنوبية منها خاصة فيهذهالظروف وتحاول التسلل الى مصر استمراراً على ما كان من محاولات أسلافها وشقائقها على ما نبهنا عليه قبل.

ومدة حكم هذه الاسرة المتراوحة بين القرن السابع والعشرين والثامن والعشرين قبل الميلاد بالنسبة لاتقصر التقديرات تصادف حركة انسياح قبائل الموجة الكنعانية من جـزيرة العرب الى سواحل بلاد الشام وجنوبها أي إلى فلسطين وشرق الاردن والسواحل الممتدة بين صور واللاذقية على ما سوف نذكره في الجزء الرابع . فمن المحتمل كثيراً ان لم نقل يقيناً ان تكون القبائل التي كانت تتموج نحو مصر عن طريق سينا ويسارع ملوك مصر الى صدها من هذه القبائل . والفينيقيون هم من هذه الموجة أيضاً . واسمهم هذا إنما اطلق عليهم مؤخـراً . وهكذا يكون الذين حاربهم سحورع وامرهم وسماهم المؤرخون فينيقيين وسوريين واسيويين هم من نفس الارومة . ولا ندري هل كان هؤلاء يتموجون نحو مصر بحراً فجعل هذا سحورع يسير عليهم قوة بحرية . وهذا وارد كثيراً لان الكنعانيين في السواحل الشامية لم يلبثوا بعد قليل من طروئهم ان اخذوا يتمرسون بالملاحة استجابة لمقتضيات الطبيعة الجغرافية للبلاد التي نزلوا فيها.

ولقد فسر سليم حسن وبريستيد كلمة بنت التى أرسل اليها سحورع ثم اسيس حملاتها وجلبت حملته الاولى ما جلبت له من المر والابنوس والذهب والنباتات الثمينة بالصومال بينما فسرها احمد كمال (١) ببلاد حضرموت واليمن . ولقد ذكر بريستيد اسم خليج عدن في سياق ذكره حملة سحورع ولا ندري إذا كان ذلك من عنده ام استناداً الى النقوش. ولما كانت بلاد اليمن ومنها حضرموت هي التي كانت مشهورة قديما بالطيوب والعطور والذهب على ما شرحناه في الجزء الاول فاننا نرجح تفسير احمد كمال . وخليج عدن الذي ذكره بريستيد هو خليج اليمن وسواحل بلاد اليمن هي الاقرب بالنسبة للاسطول المصري . ولقد تكررت رحلات المصريين الى هذه البلاد بعد ذلك . ولقد كان المصريون القدماء يعتقدون ان اصلهم منها على ما نقلناه قبل . ففي هذه الاحداث ما فيها من مظاهر التواصل بين مصر وجزيرة العرب ، ولعله من وحي الاصل الذي يمت اليه ملوكها ومعظم سكانها . حتى لو كانت الصومال هـي التفسير الصحيح لتسمية بنت فان ذلك لا يغير من هذا المظهر ومداه لان الصومال كانت من محطات القفز والتموج بين جنوب جزيرة العرب ووادي النيـل .

(١) العقد الثمين ٤٠ — ٤٨

الاسرة السادسة

— ١ —

ان سليا حسناً ذكر السلسلة التالية (١) كأسماء ملوك هذه الاسرة مع التحفظ إزاء بعض الأسماء بسبب الغموض التي يكتنفها .

سحتب تاوي تيتي — وسر كارع — آني — ببي الأول — مرن رع محتي ام ساف — نفر كارع المسمى ببي الثاني — مرن رع محتي ام شاف الثاني .

وقد قال بعد ذكره سيرة الملك الأخير ان مانيتون ذكر ان الذي تولى بعده هي ملكة تدعى نيتوكريس . والأسماء التي اوردها مستنبطة من الآثار .

والتطابق إجمالا موجود بين الأسماء في ماذكره هذا المؤلف وذكره أحمد كمال وبريستيد(٢) وقد أرخ بريستيد وسليم حسن بدء ونهاية حكم الاسرة بسنتي ٢٦٢٥ — ٢٤٧٥ ق . م .

— ٢ —

والمؤلفون الثلاثة متطابقون إجمالا في سيرة الاسرة وبياناتهم فيها يتمم بعضها بعضاً . وأوفاهم تفصيلا سليم حسن . وكلامه في مطلع الفصل الذي عقده لها يفيد انها اسرة جديدة وانها استولت على الحكم بدون عنف . ومما يفيده كلامه بعد ذلك ان سطوع نجم الاله فتاح في عهد هذه الاسرة قد يفسر هذا الانقلاب الذي يبدو انه كان بمثابة حركة ضد سيطرة عين شمس وكهانها . وقد غدا نباح الذي كان الاله المحلي لمنف صاحب السيادة ووصف بأنه الاله الواحد الخالق لكل شيء ، وصار كاهنه سابو ببي يتمتع بمركز ممتاز يقرب من مركز الملك .

ولا يذكر المؤلف شيئاً عن جنسية هذه الاسرة . والراجح الذي تؤيده الأحداث والأسماء انها من جنس الاسر السابقة وان رجالها كانوا اصحاب مركز اقطاعي قوي فتمكن زعيمها في ظروف غامضة من الاستيلاء على الحكم . وقد ذكر أحمد كمال ذلك في العقد الثمين(٣)

---

(١) مصر القديمة ج ١ ص ٢٦١ — ٣٩٨

(٢) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٤٠٤ و ٣٧٦ والعقد الثمين ٣٩ — ٤٣

(٣) ص ٣٩ — ٤٣

والاسرة السابقة متسلسلة من منا الذي هو من قبائل مملكة الصقر التي فرضت سلطانها على مصر ووحدتها والتي هي من الجنس العربي على ما ذكرناه قبل ، واللمحة العربية القديمة ملموحة على الأسماء .

ومما ذكره سليم حسن من سيرة ملكها الأول (١) انه اهتم بتنظيم كهنوت فتاح على ما يستنتج من وثيقتين صادرتين من الكاهن سابو المذكور آنفاً ، وان الغموض يكتنف تاريخ هذا الملك ولم يعثر في هرمه الذي كشف عنه في سقارة إلا على نقوش دينية ، وان عصراً غامضاً تلا عصره ربما كان سببه الاضطراب الذي حدث بعد قتله الذي رواه مانيتون .

ولم يذكر المؤلف شيئاً عن أسرةوسركارع الذي خلف هذا الملك حسب ماعرف من قائمة الملوك التي عثر عليها بالعرابة . ثم قال (٢) انه ظهر بعد ذلك الغموض فى يدعى ببي جلس على العرش وظل قابضاً على زمام الأمر بقوة وعزم نحو نصف قرن .

ويظن بعض المؤرخين انه ابن أتي . ويعد بحق من اكبر الفراعنة الذين قبضوا على ناصية الحال في مصر في كل عصور تاريخها بحزم ونشاط . وكان محبباً إلى رعيته بدليل تسمي كثير منهم باسمه ، وقد عثر له على تمثال من النحاس آية في دقة الصنع تفوق كل ما صنع قبله ويعد من أعظم الكنوز التي عثر عليها علماء الاثار في العصر الحالي . وقد كشف عن هرم له في سقارة يمتاز بالتفنن في إخفاء حجرة الدفن وعلى جدرانه نقوش دينية مماثلة لنقوش هرم تيتي .

وقد نوه المؤلف بمدونة كتبها (وني) أحد عظماء هذه الدولة الذي عاصر وخدم ببي ثم ابنه مرن رع وقال انها من أعظم مخلفات هذا العصر النقشية . وسرد محتوياتها . وفيها تنويه بما كان عليه من مركز ممتاز لدى الملك ببي وما كان له من القاب ووظائف مثل سمر وكاهن أعظم وقاض في نخن ورئيس المجلس الأعظم للستة . ومما ذكر فيها حملةارسلها ببي بقيادته لمحاربة الاسيويين رؤساء الرمال وسمى بلادهم باسم انف الغزال الذي فسره المؤلف بنواحي الكرمل حيث يفيد هذا ان سلطان مصر كان يمتد إلى هذه الأنحاء.وكانت الحملة برية وبحرية معاً . وقد نكلت بالثوار تنكيلا شديداً قتلا وأسراًوتقطيعأشجار الكروم والتين . وقد ذكر في النقش ان الحملة سيرت بناء على الأخبار الواردة بأن ثورة انفجرت إثر حادث بين المتوحشين في جهة الكرمل . وكان في الحملة عدد من الامراء وحاملي خاتم الملك في الوجه البحري وأصحاب القلاع العظيمة ونوابها في الوجه البحري والوجه القبـ

---

(١) ج ١ ص ٣٦١ - ٣٦٢

(٢) ص ٣٦٥ - ٣٧٦

ومديري الكهنة في الوجهين ومديري الجيوش المرتزقة .. ومع نقل المؤلف هذاعن المدونة قال : والظاهر ان سبب قيام هذه الحملة هجرة جمع غفير من الشمال الشرقي من بلاد ما بين النهرين الى فلسطين وتقدمهم وهجرتهم حتى وصلوا الى حدود مصر مماجعل الفرعون يهتم لصدهم ومنعهم من دخول مصر . ومع ان كلام المؤلف يبدو تخميناً من عنده فنحن نرجح انه استند إلى آثار او قرائن أثرية . ومن المحتمل ان يكون طروء الطارئين الجند الذين وصفهم بالجم الكبير قد اثار الاضطراب في المنطقة كلها ، مما فيه تعليل لذكر الثورة التي انفجرت في بلاد أنف الغزال (بلاد الكرمل حسب تفسير المؤلف الواقعة في الطرف الشمالي من فلسطيـــن) .

والمؤلف يصف القادمين بالاسيويين . غير ان سياق كلامه عنهم يسوغ القول انهـــم موجة كبيرة من موجات جزيرة العرب التي كانت تنساح من حين لآخر الى الهلال الخصيب «١» ولا يبعد ان يكونوا موجات لاحقة من الكنعانيين او العموريين الذين كانوا في حركة تموج عظيمة في هذا الهلال في الألف الثالث قبل الميلاد على ما اشرنا اليه قبل . «٢» وفي هـــذا صورة من صور محاولات التسرب العربي المستمرة الى مصر كما هو واضح .

ومما ذكره «وني» في نقوشه ان الملك ارسله خمس مرات على رأس الجيش لسلب بلاد العدو في كل مرة يثورون وانه عمل بطريقة امتدحه الملك من اجلها ، حيث يدل هذا على ان الحركة لم تقف الا بعـــد تكرر الحملات عليها ، بل وان كلاماً للمؤلف يأتي بعد يدل انهـــا لم تقف بالمــــرة وانما كانت تهدأ لتعود من جـــديد .

ومما ذكره المؤلف خبر كشف مقبرة مؤخراً لاحد عظماء هذا الملك واسمـــه « تي عنخ ببي » وقد نقش عليها نقوشاً ذكر فيها القابه العديدة مثل السمير الوحيد ورئيس الكهنـــة المرتلين ورئيس اوقاف هرم ببي . وفيها نبذة يستجدي بها من المارين القرابين والتعاويذ لقبره ويقول فيما يقوله انتم الأحياء على الارض الذين سيمرون بهذا القبر صبوا الماء والجعة مما معكم واذا لم يكن لديكم شيء فقولوا بأفواهكم وضعوا مما في أيديكم خبزاً نقيـــاً وجعة وحيوان قربان وطيور وبخور نقياً لشريف الملك ني عنخ ببي مما لا يـــزال آثاره التقليدية قائمة في بلادنا الى اليوم .

---

(١) الهلال الخصيب اصطلاح اجنبي يطلق على المنطقة الشاملة لبلاد العراق وبين النهرين وبلاد الشام .

(٢) ان كتاب مصر والحياة المصرية لرانكن ولدمان تعريب محرم كمال وابي بكر عبد المنعم فسر الاسيويين بالبدو الساميين وقال انهم كانوا يحاولون الدخول الى ارض مصر والاقامة مع قطعانهم في ارضهـــا الخصبة على نحو ما وفق الساميون اليه كثيراً ص ٥٩٩

ومما قاله المؤلف ان الآثار التي كشف عنها حديثاً تدل على ان اشراف البلادوعظماءها اخذ نفوذهم يزداد تدريجاً وينالون الحظوة لدى الفرعون وانهم رأوا إن يدونوا ذلك على مقابرهم . وكانت نقوش وني المذكورة آنفاً وكذلك نقوش ني عنخ بيبي من جملة ذلك .

وقد ذكر المؤلف في صدد سيرة مرن رع (١) ان معنى لقبه محتي ام ساف (الاله محتي حاميه) وان مومياء وجدت سليمة في هرمه وهي اولى جثة عثر عليها لفرعون وانوني كاف يده اليمنى في الحكم على ما تدل عليه نقوش هذا الرجل السابق ذكرها حيث ذكر فيها ان هذا الملك عينه حاكماً على الوجه القبلي وانه ادى مهمته بكل نشاط حتى استحق ثناء سيده . وقد لقب وني نفسه في سياق ذكر ذلك بلقب حامل نعلي الفرعون في القصر العظيم! ومما ذكره ان الملك ارسله الى ابهات في بلاد النوبة ومحاجر الفنتين (اسوان وهذا التفسير للمؤلف) لاحضار احجار ورخام لتابوت الملك وهرمه . وامره بحفر خمس ترع في الجنوب وصنع نقالات وقوارب من اجل ذلك ، وعلق المؤلف على هذا الخبر بأن الملك كان مهتماً بكشف الجهات الجنوبية وتحسين طرق التجارة وانمائها بين مصر وبلاد النوبة وان ذلك كان جزءاً من سياسة عامة شرع في تنفيذها في عهد هذا الفرعون . ومما ذكره المؤلف ان آخر عمل قام به هذا الملك زيارة حدود بلاده . وقد خلدها بنقشين عند الشلال الأول . والنقوش تمثله متكئاً على عصا وخلفه الاله خنوم إله الشلال وامراء النوبة وقد لقب نفسه فيها ملك الوجه القبلي والوجه البحري مرن رع محبوب خنوم رب الشلال » .

وقد ذكر المؤلف حاكما عظيما من حكام الفنتين في عهد هذا الملك اسمه حرقوف عرف من النقوش التي نقشها على قبره انه قام بثلاث رحلات الى داخل البلاد الافريقية بأمر الملك واحدة الى بلاد أيام لكشف الطريق الذي يؤدي الى البلاد الأجنبية وواحدة إلى بلاد سماها « ارتن وفحر وقرس لارتياد مجاهلها وثالثة الى بلاد أيام حيث رحل اليها عن طريق منطقة الواحات ووجد رئيس ايام الذي قام ضد بلاد لوبيا لمحاربتهم وسار بعده لغاية هذه البلاد واخضع هذا الرئيس لدرجة انه عبد آلهة ملكية . وقد وصف ما لاقاه من مخاطر في هذه الرحلات وما كان يأتي به منها من طرف نباتية وحيوانية ومعدنية .وذكر القابه التى كان يتلقب بها من قبل الملك ومنها الأمير والسمير الوحيد والكاهن المرتل وتشريفي الملك ونائب الملك في نخن ورئيس عبادة نخن وحامل الختم الملكي ومدير القوافل ورئيس كل الأسرار الخاصة بكل أوامر الحدود الجنوبية والذي يحمل كل محصولات الأقطار الأجنبية لسيده ويجبي الجزية وينشر سطوة حوريين الممالك الأجنبية وينفذ كل ما يرغب فيه سيده .

---

(١) ج١ ص ٣٧٧

ونقول تعليقا على ذكره للاله حور ان ذلك يدل على ان الاسرة الجديدة هي من أرومة الاسر السابقة العربية الجنس التي كان حور الذي يرمز اليه برمز صقر إلهها الخــاص على ما مر ذكره .

ومما ذكره المؤلف من سيرة بيبي الثاني (١) انه تولى الحكم وهو طفل وعمره مئة سنة وبلغت مدة حكمه ٩٤ سنة وان خالا له اسمه زاو تولى تدبير الملك بالتعاون مع اختــه ام الملك فسار عهده في السنين الاولى بدون اضطراب ، وان هذا العهد كان مليئا بالبعثات إلى البلاد الأجنبية حيث سارت سياسة استثمار البلاد الجنوبية التي رسمت من قبل اسلافه بكل نشاط وفلاح ، وان حرقوف قام في عهد هذا الملك برحلته الرابعة وتوغل في بلاد النوبـة ونقش خبر رحلته على قبره وفي جملة ما اثبته خطاب من الملك كتبه له جوابا أرسله اليه بما جرى له في رحلته ، ومن جملة ذلك خبر اصطياده قزما . وقد أثنى الملك عليه وأبدى سروره بخبر القزم وأمره باحضاره معه والمحافظة عليه في الطريق . ونوه المؤلف برحلات اخرى قام بها موظفان بامر الملك ونقشا أخبارهما على قبريهما . واسم احدهما بيبي نخوت وقد قام برحلتين إحداهما إلى بلاد النوبة وثانيتهما إلى شمالي الهحر الأحمر . وكانت الرحلة الاولى لاخماد ثورة في بلاد (ارثت) فتمكن من ذلك وخضعت البلاد ثانية . والثانية لمعاقبة جماعة من البدو في بلاد العامو الأسيويين في سواحل البحر الأحمر اعتدوا على حملة ارسلها الملك إلى هذه السواحل بقيادة ضابط او خبير اسمه عنخت بيبي لانشاء سفينة والسفر بها إلى بلاد بنت التي كان المصريون يعتقدون انها شبه مقدسة وان اصلهم يرجع اليها . وقد نكل بالبدو وقتل منهم جماعة وأحضر جثة الضابط القتيل . أما الموظف الثاني فقد قام برحلة إلى الجنوب لاحضار جثة والده الذي ذبحه الزنوج في رحلة من رحلاته .

ويلفت النظر إلى ما قاله المؤلف في سياق رحلات الموظف الأول وهو اعتقاد المصريين ان أصلهم من بلاد بنت . وليس في كلامه ما يدل على ان هذا ورد في نقــوش الموظف ولكنا نرجح انه لم يقله جزافا وإنما كان يستند فيه إلى آثار وثيقة . ولقد كان المؤلف فسر بلاد بنت بأنها بلاد الصومال . وسياق الكلام يفيد ان هذه البلاد كانت على سواحل البحر الأحمر بينما الصومال تقع على ساحل اليحر المحيط الهندي مما يجعل ما ذكره احمــد كمال وأوردناه قبل من أن المصريين كانوا يطلقون اسم «بون» على بلاد حضرموت واليمن هو الأوجه والأقرب إلى الصواب . وهذا يعني أن المصريين القدماء كانوا يتناقاون فيما بينهم جيلا بعد جيل انهم قد أتوا إلى مصر من هذه البلاد . وفي ذلك تأييد جديد عم التأييدات

---

(١) ص ٣٨٤

المتنوعة الاخرى . ويلفت النظر إلى كلمة « عامو » التي سمى بها البدو أو بلادهم .والكلمة عربية اللمحة ونرجح أن أهل البلاد من قبائل الجنس العربي التي جاءت وتوطنت على سواحل البحر الأحمر الغربية مما يلي شمالي القطر المصري ولعلها خليج العقبة . ولقد كانت هذه المنطقة وما يليها شمالا من أراضي شرق الاردن تعج إذذاك بحركة القبائل العربية الجنس مما يجعل فرضنا قوياً لا مجازفة فيه .

وقد استطرد المؤلف بعد هذا إلى التنويه باسرة الوزير زاو خال الملك وأورد بعض نصوص نقشت على قبره وقبر ابن له اسمه ابي تدل على انه كان لهذه الاسرة ولهذين الشخصين منها مكانة عظيمة في الدولة . ثم قال ان قوة الملك ببي الثاني أخذت في التدهور شيئاً فشيئاً وان البلاد بعد موته هوت الى الحضيض دفعة واحدة ؛ وان فرعوناً آخر يدعى مرن رع محتي اساف خلفه في الملك غير انه لا يعرف عنه شيئاً ، وان مانيتون روى ان ملكة تدعى نيتوكريس تولت الحكم بعد هذا وكانت مشهورة بالحسن والجمال ، وان نهاية الاسرة السادسة ظلت غامضة لانها كانت حقبة ثورات واضطراب لم يقم فيها من الآثار ما ينير الطريق .

ومما قاله سليم حسن (١) في النبذة التي عقدها بعد هذا بعنوان سقوط الدولة القديمة في سياق شرح اسباب ما طرأ على البلاد من تدهور وانحلال ان السبب في ذلك يرجع الى أمرين هامين الأول اغارة الاجانب من البدو على البلاد والثاني الحروب الداخلية ، ثم قال ان البدو رغم الهزيمة المنكرة التي لحقت بهم في عهد ببي الأول لم يفقدوا الامل في غزو البلاد المصرية التي كانت في هذا العهد تزخر بالثراء والغنى وان الفرصة سنحت لهم في عهد ببي الثاني لنيل مآربهم لأن الاحوال كانت مهيأة لهم . والكلام يفيد ان البدو استطاعوا أن يتسربوا الى مصر في جماعات كبيرة . ولقد ذكر المؤلف خبر اكتشاف وثيقة ادبية هامة من ذلك العصر لحكيم يدعى ابور احتوت وصفاً لما صارت اليه حالة البلاد في نهاية عهد الاسرة السادسة واشارة الي الاجانب الذين غزوا البلاد وتحريضاً على محاربتهم ووصفاً لهم بالاعداء وقد قال الحكيم في ما قاله على ماذكره المؤلف ان اهالي الصحراء حلوا مكان المصريين في كل مكان وامتلأت البلاد بالعصابات حتى ان الرجل كان يذهب لحراثة ارضه ومعه درعه وان الناس قد فقدوا الأمن وان الموظفين تشردوا والادارة تفككت والتجارة الخارجية تعطلت مما يؤكد ذلك التسرب وما احدثه من ارتباك واضطراب في البلاد . ولقد قال المؤلف

---

(١) ص ٣٩٨ – ٤٠٦

في النبذة التي عقدها على الاسرتين السابعة والثامنة (١) ان الاستاذ بديري أحد علماء آثار وتاريخ مصر من ان الوجه البحري وجزءاً من الوجه القبلي قدغزيا في نهاية الاسرةالسادسة بل يقال ان قوماً من الشمال الشرقي من سورية فتحوا مصر ولا يبعد ان يكون ذلك مقدمة للغزوة العظيمة التي قام بها الهكسوس للبلاد فيما بعد وان من اهم ما لدينا من الدلائل على حدوث هذه الغزوة ظهور الازرار التي كانت تتخذ شارات منذ نهاية الاسرةالسادسةوالتي كان الطابع الاجنبي ظاهراً واضحاً في صناعتها ، ثم الاسطوانات الخضراء التي عثرعليها في عصر الملك خندو احد ملوك الاسرة الثامنة والتي هي صناعة اجنبية بدون شك ، ثم بعض الاسماء التي وجدت في هذا العصر مثل (شماي) و (ني) و (تلولو) و (عانـــو) التي هــي سامية الاشتقاق .

والمتبادر ان هؤلاء الغزاة هم البدو الذين جاؤوا من بين النهرين ووصلوا الى حـــدود مصر في عهد ببي الاول على ما مر ذكره . وقد رجحنا انهم من القبائل العربية الجنس لان ما بين النهرين وبلاد الشام كانت تعج بحركة القبائل الكنعانية والعمورية في هذا الظرف . ووصفهم بالساميين مما يؤيد ذلك فالساميون ليسوا الا الجنس العربي على ما شرحنــاه في مقدمة الكتاب في الجزء الاول وفي مطلع هذا الجزء . وهكذا تبدو من خلال ذلك صورة قوية من صور تسرب الجنس العربي الى مصر باعداد كبيرة في القرن الخـــامس والعشرين قبل الميلاد .

ومما ورد في الوثيقة خبر عصيان الجنود المرتزقة من الاجانب لقادة البلاد . وهذا يفيد انه كان في الجيش المصري عناصر اجنبية . ومع انه لا يذكر شيء عن هوية هذه العناصر فان من المحتمل كثيراً ان لم نقل من المرجح ان تكون عناصر عربية الجنس تسللت الى مصر في ظرف من الظروف في عهد بعض اسر الدولة الاولى ، وقد ذكرنا في سيرة اسر هـــذه الدولة صوراً عديدة عن محاولات قبائل الجنس العربي وتموجها نحو مصر من ناحية سينـــاء والدلتا حيث يحتمل ان يكون بعضها قد ينجح في محاولاته ، وان منها من دخل مرتزقـــاً في الجيش المصري ، وفي هذا كذلك صورة اخرى من صور التسلل العربي الجنس .

— ٣ —

ومما ذكره احمد كمال وشاروبيم ولم يذكره سليم حسن ان اول ملوك هذه الدولـــة كان حاكماً في الوجه القبلي ، وان هذه الاسرة اتخذت جزيرة اسوان قاعدة لها مانجط مجدمنف

---

(١) ص ٤٠٦ – ٤٠٨

واخذت بهجتها تزول ، وان مر يرع ببي (ببي الأول) وصل الطريق بين فنا والقصير واحتفر جملة آبار فيها وكان شديد العناية باستكشاف المعادن واستغلالها ، وانه اصلح معبد حتحور وانه ملأ مصر بالآثار العظيمة فكان اعظم ملوك اسرته ونالت مصر شهرة عظيمة وراحة كبيرة في عهده ، وان حرقوف الذي ذكره سليم حسن ــ هو من عظماء الأنحاء الجنوبية فعينه الملك مرن رع لمنصب حاكم البلاد الجنوبية فتفانى في خدمتة ومد سلطان سيده الى بلاد الواوات . ومما ذكره المؤلفان من اخبار مرن رع الثاني ــ وهو الذي ذكره سليم حسن بعد ببي الثاني ــ ولم يذكر هذا المؤلف انه قتل غيلة نتيجة لمؤامرة دبرت ضده فتولت اخته نيتا قرت التي كانت في الوقت نفسه زوجته مكانه ووضعت نصب عينها الانتقام لاخيها وزوجها من المتآمرين حتى نجحت في النهاية حيث دعت المتآمرين الى وليمة ثم سلطت الماء على المكان الذي انزلتهم فيه فماتوا غرقاً . ولم تلبث هي الاخرى ان ماتت فانتقل الحكم الى اسرة جديدة هي الاسرة السابعة .

ومما ذكره بريستيد زيادة عما تقدم (٢) ان الاسر الخمس الاولى هي من ذرية منا دون الاسرة السادسة ، وان حكام الأقاليم في عهد هذه الاسرة صاروا يمارسون الحكم مستقلين استقلالا داخلياً واسعاً ويلقبون انفسهم بالسيد العظيم وينقشون اسماءهم واحداثهم على ما ينشئونه من منشآت في اقاليمهم ويرتبون لأنفسهم مقابر خاصة في عواصمهم بعد ان كانوا يدفنون حول قبور الملوك وبالجملة ان علاقتهم بالملك اخذت تضعف . غير ان ببي الأول استطاع ان يوطد سلطانه بقوة ومهارة في جميع اقاليم القطر وعين للوجه القبلي حاكماً عاماً وتزوج باخت حاكم طينة فوطد بذلك سلطانه في المنطقة الوسطى ، وانه انشىء في عهد ببي الثاني سفن جديدة للبحر الاحمر فاشتد بذلك النشاط التجاري بين مصر وموانيء هذا البحر وظلت اساطيل البحر الابيض في عهده مستمرة على نشاطها بين مصر وسواحل هذا البحر الشامية خاصة تنقل خيرات هذه السواحل ولا سيما خشب الارز من غابات لبنان الى مصر .

– ٤ –

هذا ، ولقد كتب سليم حسن مجلداً ضخماً ــ وهو الجزء الثاني من كتابه ــ في شرح حالة الحكم والشؤون العمرانية والزراعية والصناعية والثقافية والفنية في عهد المملكة المتحدة الاولى استنتاجاً من الاحداث والآثار .

---

(١) العقد الثمين ص ٣٩ – ٤٣ والكافي ج ١ ص ٤٠ – ٤٣

(٢) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٨٥ – ٩٣

ومنهج الكتاب لا يتحمل مجاراته في ذلك ولو بايجاز ، فنكتفي بالتنويه بما اشتملت عليه فصول هذا المجلد من شرح كيفية الحكم في المركز والمقاطعات وما كان للحكومة من مصالح متنوعة كمصالح الضرائب والحقول والري والمالية والتموين والتجارة والجمارك والاشغال العامة والمحاجر والمناجم ، وما كان من تشكيلات المحاكم ودرجاتها واجراآتها والتشريعات القضائية والاجرائية ، وما كان من اهتمام للعمران والزراعة والتعدين والتشجير ، وأنواع الاشجار والبقول والخضراوات والمعادن والاحجار الكريمة وما كان من اهتمام للحيوان وتربية المواشي والدواجن والنحل وحيوانات الصيد واستعمال جلودها واوبارها واصوافها وزراعة القطن والكتان وحياكتها وصناعة ورق البردي من النبات المعروف باسمه وما كان للكتاب من اهمية ومكانة وما كان من القاب متنوعة تشريفية واجرائية كان الملوك يوجهونها لرجال دولتهم وموظفيهم وما كانت عليه الملاحة النهرية والبحرية ـ في البحر الابيض والبحر الاحمر معاً ـ والرحلات والبعوث الخارجية والداخلية للتجارة والتعدين ، وما كانت عليه فنون النحت والتصوير والهندسة المعمارية والنقش وصناعة التماثيل الحجرية والخشبية والمعدنية والحلي والأواني والخرز والخزف وما كانت عليه العلوم من رياضية وطبية وفلكية وانواع الخطوط والكتابة ، وما كانت عليه من الآداب من شعر وقصص وحكم واناشيد وخطابة واغان وما كان من اهتمام لتنظيم الجيوش والاساطيل وانواع الاجهزة والوسائل الحربية وما كان عليه حال المجتمع والاسرة والمرأة الخ الخ . وما ورد في هذا المجلد الضخم من تفصيلات يدل في جملته على ان عهد المملكة القديمة كان على درجة غير يسيرة من الازدهار والرقي في مختلف مجالات الحياة .

الدور المتوسط

من الاسرة السابعة الى نهاية الاسرة السابعة عشرة

ويدخل في ذلك عهد الاقطاع والهكسوس

تمهيد

ذكرنا من قبل اختلاف المؤرخين في تقسيم ادوار تاريخ مصر القديمة . وقد اتفق كل من بريستيد ودرايتون وسليم حسن - والمرجح ان هذا رأي معظم المؤرخين المعاصرين — على أن الدور الاول المسمى بالدولة القديمة ينتهي بانتهاء عهد الاسرة السادسة باستثناء احمد كمال الذي سار على ما عزاه الى مانيطون من تقسيم جعل به الطبقة الاولى أوالقديمة إلى نهاية الأسرة الحادية عشرة وجعل الطبقة الوسطى من الثانية عشرة إلى السابعة عشرة .

ولما كان التغيير واضح في حالة الحكم في مصر بعد الاسرة السادسة فقد رأينا أن نسير على ما ذهب اليه المؤرخون الحديثون مع شيء من الفرق وهو إطلاق تعبير الدور المتوسط على ما بعد الاسرة السادسة إلى نهاية الاسرة السابعة عشرة . وليس هذا في الحقيقة فرقـاً إلا بالتعبير . فان درايتون ينعت ما بعد السادسة إلى العاشرة من الاسر بنعت الفترة المتوسطة الاولى وينعت الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة بالدولة الوسطى وينعت الاسر الثالثة عشره إلى نهاية السابعة عشرة بالفترة المتوسطة الثانية . وسليم حسن لا يعنون الاسر السابعة إلى العاشرة بعنوان ثم يعنون الاسرة الحادية عشرة الى الاسرة السابعة عشرة بالدولة المتوسطة . وبريستيد يدخل في عنوان المملكة الوسطى جميع الاسر من السابعة الى السابعة عشرة على ما مر بيانه مع نعته عهد الاسر السابعة الى العاشرة بعهد الاقطاع ومع إفراده نبذة خاصة للهكسوس .

ولقد شرح بريستيد (١) حالة البلاد بعد انهيار الدولة القديمة وقبل سيرة الاسرة السابعة فنعت العهد الذي أعقب الاسرة السادسة بعهد الاقطاع والمملكة المتوسطة مع التنبيه على ان بوادر عهد الاقطاع أخذت تبدو منذ أواخر الاسرة الرابعة حيث أخذت سلطنة الفراعنة تضعف ونفوذ حكام المقاطعات يقوى وقال فيما قاله استناداً الى دراساته الأثرية إن حكام المقاطعات غدوا فراعنة صغاراً وصاروا يجبون ضرائب أقاليمهم ويشرفون على شؤونها الدينية والمدنية ويسجلون على الأحجار أعمالهم ومآثرهم وتاريخ اسرهم ويسنون الأنظمة ويعيشون عيشة الملوك ويتلقبون بالألقاب الفخمة ويتخذون لأنفسهم مقابر خاصة ويشيدون

---

(١) ص ١٠٣ وما بعدها

القصور والمعابد ويهتمون لتحسين مرافق اقاليمهم الخاصة وترفيه رعاياها وتشجيع الزراعة والصناعة والعلوم والفنون وتربية المواشي فيها . وكان لكل منهم املاك خاصة يتوارثها الابناء عن الآباء واملاك مقطعة من الملوك للحاكم تنتقل من حاكم الى خلفه ، وكان الحكام يربون قطعان الماشية ويزرعون الحقول لحسابهم كما كانوا يحتفظون بجيش خاص تحت قيادتهم لتوطيد حكمهم ، ويقومون بغزوات يغنمون ويأسرون فيها لحسابهم ، ويرسلون البعثات للتعدين والتحجير لحسابهم كذلك فكان كل هذا مما يسر لهم ما تمتعوا به من أبهة ورفاه عيش وطاعة ونفوذ حكم ، وقد كان للوراثة شأن عظيم في هذا العهد لانه كان يقوم عليها من حيث التملك والحكم .

ولم يختف الملوك في هذا العهد؛ ولكنهم كانوا يسايرون الوضع وينسجمون معه مضطرين وكان لهم نواب في الاقاليم لحراسة املاك الدولة العامة والاشراف على قطعان الغنم التابعة لهم ؛ وكان الحكام ينسجمون مع الملوك مع احتفاظهم بسلطانهم الذاتي فيعترفون بهم ويرسلون اليهم نصيباً من المال ويساعدون على حسن ادارة الاملاك والقطعان الخاصة بهم .

وقد كان للملوك موارد خارجية بالاضافة إلى هذه الموارد مثل ما ينتج عن استخراج الذهب واستغلال المناجم الاخرى في سيناء والنوبة ، وعن الاعمال التجارية مع الصومال وشواطىء البحر الاحمر ؛ وكان لهم قوات مسلحة دائمة يستخدمونها في الغزوات التي يغنمون ويأسرون فيها بدورهم وفي حفظ القانون ؛ فكان كل هذا مما يسر لهم الاحتفاظ بهيبتهم وأبهتهم وشمول سيادتهم العليا .

وكان هناك قوانين عامة متبعة ؛ في جميع الاقاليم ومحكمة عامة للقضايا الهامة لجميع الاقاليم مؤلفة من ثلاثين قاضياً وتسمى « بيت الثلاثين وتعقد برئاسة وزير الملك » ، وكان القضاء يوسد الى المضطلعين بالقانون من ابناء الاسر الكبيرة العريقة . وكان هناك كذلك محكمة خاصة بالوجه القبلي واخرى بالوجه البحري مكونة من عشرة قضاة للاشراف على تطبيق القوانين العامة .

وقد ظهرت في هذا العهد فيما ظهر طبقة متوسطة من التجار والصناع أخذت تقتدي بالطبقة العليا في حياتها ومدافنها وتقتني العبيد والاراضي وتتباهى بما وصلت اليه من الرفاه والبروز وتتلقب بلقب « آهل البلد » وتضيف الى اسمائها صفات عملها ، وتسجلها على مقابرها .

وقد كثرت الوظائف الحكومية بسبب اتساع نطاق السلطان الاقطاعي وشموله فتهافت الناس عليها حتى ظهرت طبقة موظفين من الطبقة المتوسطة ، وأخـذ الآباء يعتنون بتعليم أبنائهم الكتابة والفنون المتنوعة للقيام بالاعمال التي اقتضاها هذا السلطان ؛ فكثر بهـذه الوسيلة عدد الكتاب والمهندسين والرسامين والحفارين الخ ...

ولقد كان النزاع والمناحرة ينشبان من حين لآخر بين حكام الاقاليم ثم بينهم وبـين الملوك بسبب التنافس والتوسع في الحكم والسلطان فكان ذلك سبباً في اكتناف تاريخ هذه الحقبة التي امتدت مئات السنين وخاصة تاريخ الاسر الملكيـة بالغموض والاضطراب والفوضى ؛ كما مهد السبيل امام غزوة الشاسو وقيام عهدهم .

ولقد شرح سليم حسن بدوره حالة البلاد في اواخر الاسرة السادسة وبعدها في نبذة خاصة عقدها بعنوان سقوط الدولة القديمة وقبل سيرة الاسرة السابعة وقال فـيما قاله (١) بالاضافة الى تطابقه مع ما ذكره بريستيد ان الشعب قام بثورة اجتماعية طاحنة امتد امدها اكثر من قرنين كانت البلاد ترزخ خلالها تحت عبء ثقيل من الفوضى والخراب وكان سلطان فرعون قد زال واملاكه اختفت والحقوق المدنية والدينية قد تولاها كل من كان في قدرته ان يبسط يده عليها واخذ كل شخص يغير على ما يستطيع ان يصل اليه ضارباً بكل نظام وقانون وتولى الغوغاد مراكز الطبقات العليا واصبح اللصوص اصحاب ثروات وانهارت الملكية واصبح الاغنياء فقراء . وقد استنتج هذا من نصوص الوثيقة الادبية التي كتبها الحكيم ايور واشرنا اليها قبل .

ولقد عقد هذا المؤلف نبذة اخري في الجزء الثالث من كتابه بعنوان نظام الحكم في العهد الاقطاعي الاول قال فيها إن اقدم عهد اقطاعي معلوم لنا من النقوش هو العصر الذي جاء بعد تفكك الدولة المتحدة الاولى في الاسر الثالثة والرابعة والخامسة حيث تحـولت المديريات القديمة الى امارات وراثية . ويمتد من اواخر الدولة القديمة حوالي سنة ٢٤٧٥ ق م الى بداية الاسرة الحادية عشرة حوالي سنة ١٢٤٠ ق م ثم حلت الاسرة الثانية عشرة محل الاقطاعيات المفككة فكونت مملكة اقطاعية متحدة مهدت السبيل الى الدولة الحديثة التي بدأت بالاسرة الثامنة عشرة حوالي سنة ١٥٨٠ ق .

ومما قاله هذا المؤلف ان اللقب الـذي كان يحمله رؤساء الاقطاع هو لقب (ورو)

---

(١) مصر القديمة ج ١ ص ٣٩٨ – ٤٠٦

الذي معناه العظيم . وهذا اللقب هو الذي كان يحمله الاقطاعيون في عهد ما قبل الأسرات أيضاً . وهو اللقب الذي كان يحمله امراء اسيوط في عهد الاسرتين التاسعة والعاشرة .

وقد كان للاسياد الاقطاعيين قلاع عظيمة تسمى (حتِ ــ عات) مثل ما كان من ذلك لحكام الاقطاع في عصر ما قبل التاريخ . وكانوا يتعاقبون على حكم مقاطعاتهم حسب قواعد الوراثة الملكية ، مع بقائهم رسمياً تابعين للملك وخاضعين لتشريعه ويحصلون منه على هبات وثروة . ومدينون له بالخدمة العسكرية غير أنهم كانوا يقودون جيوشهم الخاصة.

وكانت الدلتا خلافاً لمصر الوسطى تتألف من مراكز لكل مركز مدينة عظيمة حاضرة له . وفي كل من هذه المدن كانت السيادة في ايدي عشرة رجال. وكان الحاكم يستمد ايراده من الضرائب المختلفة . اما الكاهن فكان له حقل مرتب يستغله هبة وراثية .

ونقول تعليقاً على ما بدا من تفكك الدولة واستبداد حكام الاقاليم وتحولهم الى فراعنة صغار انهم لم يكونوا ليستبدوا في اقاليمهم لو لم تسندهم عصبياتهم المحلية والراجح كذلك ان لم نقل المحقق انهم كانوا احفاد زعماء القبائل التي تقاسمت البلاد فيما بينها حينما طرأت على جنوب مصر وشمالها من جزيرة العرب في عصور ما قبل التاريخ وكانت الزعامة والحكم عليها لهم على ما شرحناه في نبذة اولية انسياح الجنس العربي فكل هذا ينتقل من الآباء الأبناء . وقد أشار بريستيد (١) الى هذا المعنى فقال ان حكام الاقاليم لم يكونوا موظفين عاديين وحيث نبّه على ان مصر كانت مجزأة منذ القديم إلى أقسام صغيرة لكل منها حاكم قوي.

وفي كلام سليم حسن شيء يؤيد هذا كما هو واضح منه والمتبادر ان الحكم الاقطاعي ظل قائماً في ظل الدولتين المتحدتين في الشمال والجنوب ثم في ظل الدولة المتحدة الأولى وكل ما في الأمر ان ملوك هذه الدول في عهد الاسر الاولى استطاعوا ان يفرضوا سلطانهم النافذ فبقي حكام الاقاليم بمثابة ولاة خاضعين لهم فلما آنسوا في الاسر الرابعة ومابعدها ضعفاً اخذوا يستبدون بالسلطان في اقاليمهم عوداً على بدء .

(١) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ١٠٣ وما بعدها .

الاسر السابعة الى العاشرة

- ١ -

إن هذه الاسر كانت في ذروة حقبة الاقطاع . وقد اكتنف تاريخها الغموض ولم يكن يعرف من أحداثها شيء .

وقد قال احمد كمال (١) إنه لم يوجد تواريخ ولا آثار تدل على سيرة ملوكها وان مانيتون القسيس اعرض عن ذكرهم وحوادثهم إما لعدم وجود شيء يذكره في تاريخه عنهم وإما لاغارة قوم محت آثارهم وإما لأمور عرضت لاهل مصر أوجبت لهم الفتور عن الالتفات لشيء ما من مآثرهم وإما لعدم الوقوف على الجهات التي يوجد فيها آثارهم وان الذي يظهر ان القول الأخير هو الارجح ويؤيده ما ذكره مريت باشا (٢) في تاريخه من انه يوجد بوجه الظن لهذه العائلات آثار في نواحي ميدوم واللشت واهناسن المدنية وفي سائر المنطقة التي في مدخل وادي الفيوم ؛ ثم قال ان ما ورد عن مانيتون في هذه العائلات الاربع هو ان قاعدة السابعة منها كانت مدنية منف وعدد ملوكها خمسةوسبعون يوماً وفي رواية سبعون (هكذا) ؛ ولكن الذي وجد من اسمائهم في ورقة تورينو اربعة وهم :

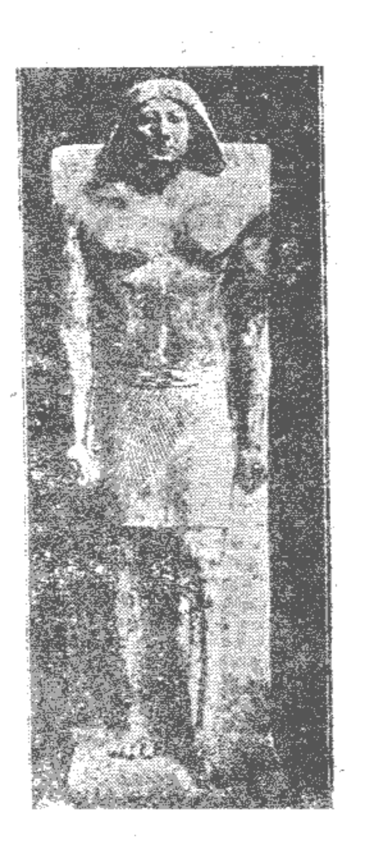
		سنة	شهر	يوم
نفر كارع	ومدة حكمه	٢	١	١
نفروس	«	٤	٢	١
اب ...		١	١	١
... محل اسمه مقطوع من الورقة		٨	٠	١

، ان الثامنة كانت قاعدتها ايضاً مدينة منف وعدد ملوكها سبعة وعشرون في رواية او تسعه عشر او تسعة او خمسة في روايات اخرى ومدة حكمها اربعمئة واربعون سنة في

---

(١) العقد الثمين ٤٣ – ٤٥

(٢) احمد مدبري المتحف المصري في القرن السابق .



تمثال الملك رع نفر



تمثال الاميرة نفرت وزوجها

رواية ومئة سنة في رواية اخرى ؛ وان التاسعة كانت قاعدة ملكها اهناس المدينة قرب بني سويف على شاطىء بحر يوسف وعدد ملوكها تسعة عشر في رواية اخرى عرف منهم واحد يدعى « أكتوس » ومدة حكمهم اربعمئة وتسع سنين في رواية ومئة سنة في رواية اخرى ؛ وان العاشرة كانت قاعدتها اهناس المدينة ايضاً وعدد ملوكها تسعة عشر ومدة حكمهم مئة وخمس وثمانون سنة .

وهذا الكلام رواه احمد كمال عن مانيتون ثم قال وقد وجد بعض اسماء ملوك الأسر الاربع منقوشة على لوحة حجرية في هيكل سيتي الأول بالعرابة المدفونة(١) ومرتبة على الشكل التالي:

رقم اللوحة	اسماء	القاب
٤٠	نتركارع	
٤١	منكارع	
٤٢	نفر كارع	
٤٣	تفركارع	نبي
٤٤	ددكارع	شمـــا
٤٥	تفركارع	خوندو
٤٦	مرنحور	
٤٧	سنفركا	
٤٨	زعنكا	
٤٩	تفركارع	ترل
٥٠	تفركاحور	بيبيسنب
٥١	تفركارع	
٥٢	تفزكارع	هنو
٥٣	كوزع	
٥٤	تفركورع	
٥٥	تفركوحور	
٥٦	نفراركارع	

ثم عقب احمد كمال على هذا الجدول فقال إنــه اصح ترتيب وجد لأسماء ملوك هــذه الاسر ، ويلحظ ان الاله رع ظل صاحب النفوذ الأقوى في هذه الاسر برغم ان عواصمها لم تكن عاصمة الاسر الست الاولى حيث يدل هذا على قوة العقيدة به كإله اعلى .

ويستفاد من كلام احمد كمال ان سبب انقراض الاسرتين السابعة والثامنة هيجان داخلي استمر نحو مئة وخمسين سنة وقــد ظهرت بعدها الأسرتان التاسعة والعاشرة اللتان كانت عاصمتيها اهناس المدينة التي كانت نسمى قديماً خين نسبو (في منطقة الفيوم) والتي يسميها اليونانيون (هير اقليوبوليس) وهي على بعد ثلاثين فرسخاً من منف وكان موقعها جهة الغرب في جزيرة عظيمة احدثها فرع النيل الذي كان جارياً اذ ذاك تحت سفح جبل ليبيا ؛ واشهر ملوكها ملك يدعى « اخيثوس » ذكرته كتب اليونان وكان رجلا جباراً متمرداً

(١) هذا اسم حديث اطلق على مكان مدينة طينة القديمة على ما ذكرناه قبل

اكثر من سبعة من الملوك ، وقد اصيب في آخر مدته بجنون ثم اغتاله تمساح على ما ذكره هيرودوت . وكانت مدة حكم هاتين الاسرتين ستمائة سنةعلى قول وثلثمائة سنة على قول آخر ولم نعلم هل كان حكمهما على جميع ارض مصر او على بعضها وانما تحقق من الآثار انه حصل بين الملكين المتممين للعاشرة وبين امراء طيبه بالوجه القبلي حرب انتصر فيه هؤلاء ثم حصل التراضي بين الفريقين على ان يكون الوجه القبلي لامراء طيبة بشرط ان يحكموا تابعين لملوك اهناس . ولكن الامراء تهوروا بعد ذلك فجعلوا لهم عائلة — يعني اسرة ملكية — هي الحادية عشرة واقاموا عليهم « أنتف الأول حاكماً مع بقاء تبعيته لملوك اهناس .

— ٢ —

ولا يذكر بريستيد (١) في قائمته اسماء الملوك الاسر الاربعة ويقول في القائمة إن مدة الاسرتين السابعة والثامنة ثلاثون سنة وبدايتهاسنة ٤٢٧٥ ق م . وان مدة الاسرتين التاسعة والعاشرة تقدر بمئتين وخمس وثمانين سنة اي من سنة ٢٤٤٠ الى ٢١٦٠ ق م وعدد ملوكها ثمانية عشر وعاصمتهم اهناس ؛ وقد ذكر في سياق تاريخه (٢) عن الاسرتين الاهناسيتين ما ذكره احمد كمال وزاد عليه ان سلطة ملوكها كانت ضيقة ؛ وان كل ما كشف من آثارهم كتابات تفيد ان حكام اسيوط في الاجيال الثلاثة الاخيرة من عهدهم كانوا بارزين، وكانوا يتوارثون الحكم ، وكان لهم عند ملوك اهناس مكانة عظيمة ، وان واحداً منهم اسمه « ختى » جهز نفسه بجيش بري واسطول بحري وحفر الترع وخفف الضرائب وشجع الزراعة وتربية المواشي فكان سبباً لرخاء منطقته وتقدمها ، وقد عينه ملوك اهناس حاكماً عاماً على مصر الوسطى ، وان حكام اسيوط ارادوا ان يحفروا مقابر لهم في الصخور ويدونوا اعمال اسرتهم العظيمة فنهم ملوك اهناس من ذلك ، وان حاكم طيبة انتف شق عصا الطاعة على اهناس فتصدى له حاكم اسيوط نتيبي الذي يظن انه ابن ختي وزحف عليه وهزمه فرقاه ملك اهناس الى منصب « السيد الاكبر لمصر الوسطى »

— ٣ —

ولقد عقد سليم حسن نبذة للاسرتين السابعة والثامنة واخرى للاسرتين التاسعة والعاشرة فيها بعض زيادات هامة مع تنبيهه في الوقت نفسه إلى غموض تاريخ هذه الاسر واضطراب الأحوال في عهدها .

---

(١) ص ٤٠٤

(٢) ص ٩٧ — ٩٨

وقد قال في النبذة الاولى (١) ان فراعنة الأسرتين السابعة والثامنة لم يشيدوا على ما يظهر مباني عظيمة ولم يتركوا اثراً ما في محاجر سيناء والحمامات كما كان يفعل أسلافهم . وكل ما يمكن الاشارة اليه من آثارهما بعض جعارين لفرعون اسمه (تفر كارع) من الاسرة السابعة واسطوانة من حجر اليشم الأخضر تعزى إلى فرعون اسمه (خندو) من الاسرة الثامنة يقال انها من من صناعة سورية وخاتم لفرعون اسمه تفر كارع تلولو رب الشمال) ومراسيم لفرعون اسمه (تفرحاوحور) وجعران لفرعون (اسمه (رغ ان كا) وجد عليه رسم يدل على انه من اصل سامي ـ عربي الجنس ـ محض يشبه الرسم الذي على اسطوانة خندو . وعقب المؤلف على ذلك قائلا ان هذه الدلائل تزكي الفكرة القائلة ان البلاد في هذه الفترة غزاها قوم من اهل سورية وهي نظرية يميل اليها الكثيرون من المؤرخين المحدثين . ثم ذكر ما ضمنه الاستاذ بترى من غزو وقع على مصر من جانب قوم من شمالي شرقي سورية استولى الغزاة نتيجة لذلك على مصر وفتحوها مما اوردناه قبل في اواخــر سيرة الاسرة السادسة وعلقنا عليه . وقد قال المؤلف في صدد ما ذكره مانيتون من ان عدد ملوك الاسرة السابعة سبعون وحكمهم سبعون يومــاً انه يظن ان هذا من قبيل ضرب المثل للفوضى التي كانت ضاربة أطنابها في البلاد وليس حقيقياً ، ومما قاله في صدد الاسرة الثامنة أن القائمــة التي عثر عليها في العرابة احتوت ١٧ اسماً لفراعنة حكموا من هذه الاسرة في حين ان ورقة البردي المحفوظة في متحف تورين لا تحتوي اسم ملك ما من ملوك الاسر السابعة الى العاشرة وان وجود خمسة اسماء في قائمة العرابة باسم (نفركارع) وواحد باسم دفرع) وآخر باسم (تفراكاراع) يدل على ان ملوك هذه الاسرة ظلوا محافظين على تسمية انفسهم باسماء أسلافهم. ومما ذكره كذلك ان حاكم احدى المقاطعات القبلية آنس من نفسه القوة فضم الى مقاطعته المقاطعات السبع العليا من الوجه القبلي فقامت بذلك مملكة مستقلة عن مملكة الاسرة الثامنة التي كان مركزها منف وكان مركز هذه المملكة قفط . وقــد حفظت الآثار اسماء بعض فراعينها منهم تفركاوحور ومنهم دامز اب تاوي ؛ وكان فراعينها يتلقبون بجميع الألقاب الفرعونية ، ويرجح ان مدة حكمها كانت اربعين سنة . وقد عثر على مراسيم عديدة صادرة عن الاول منها مرسوم خاص بوقف تمثال لفرعون وجه إلى رئيس كتبة الحقول للمقاطعات الخامسة الى التاسعة من مقاطعات الوجه القبلي . ومنها مرسوم بنصب وزيره المسمى شماي مديراً على الوجه القبلي ووضع المقاطعات الاثنتين والعشرين القبلية تحت حكمه . ومنهــا

(١) مصر القديمة ج ١ ص ٤٠٦ – ٤١٤

مرسوم بتعيين وزير آخر مديراً لهذا الوجه ـ ربما كان ابن شماي . وقدعثر على مرسوم صادر من الفرعون الثاني فيه تهديـــد بالعقاب الصارم للذين يعتدون على الاوقاف او يهشمون النقوش والمقابر وموائد القربان او تماثيل الوزير أدى التي توجد في كل المعابد والأماكـــن الدينية مما يدل على ما كان لهذا الوزير من مكانة ومما يعد فريداً في بابه . ومن المحتمل ان تكون الاسره الثامنة المنفية قد سقطت واختفت حوالي سنة ٢٢٤٠ ق م حيث هناك ما يدل على انها حرمت ريفها الخصيب قبل ذلك بسنتين واقتطع منها اقليم يحتوي عدة مقاطعات من قبل حاكم مقاطعة اهناس ختي الذي اعلن نفسه فرعوناً على مصر السفلى والعليا واتخــذ لنفسه لقب مرايب . وكان غزاة اسيويون قد احتلوا الدلتا ايضاً . فكان كل هذا مما ازال حكم هذة الاسرة . وقد كانت مصر في هذه الظروف كما هو ظاهر مقسمة الى ثلاثة اقسام يقوم على كل منها حكام او ملوك اصحاب سلطان مستقل ؛ حيث كان الشمال – اي الدلتا ـ في يد الاسيويين ، والوسط تحت سيطرة حكام اهناس الذين يظن أنهم لوبيون ؛ والوجه القبلي تحت سيطرة حكام طيبة . ويظن الاستاذ بترى - والكلام لسليم حسن ـ ان الوجه القبلي قد غزي من قبل قوم جاؤوا من الجنوب واستوطنوا طيبة ومنهم الاسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة ؛ وهؤلاء نوبيون على ما عرف من ملامحهم . وهكذا تكون مصر في هذه الظروف قد اجتيحت بالغزوات الاجنبية من كل الجهات فانقض عليها الأسيويون من الشمال والنوبيون من الجنوب واللوبيون من الوسط فعادت سيرتها الأولى من الفوضى ولم يبق تحت سلطان الجنس المصري الاصلي اقليم واحد .

والكلام يفيد ان الاسيويين ـ وتعبير الاسيويين هو من اصطلاحات المصريين القدماء على ما عرف من النقوش وكان يطلق على الذين يقطنون بلاد الشام وما وراءها ويحاولون غزو مصر من ناحية سيناء من حين لآخر ـ الذين غزو الدلتا هم غير الذين غزوها في اواخر حكم الاسرة السادسة لأن بين العهدين مدة طويلة قد تزيد عن مئتي سنة ، ولقد كانت بلاد الشام شمالها وجنوبها وسواحلها الى مابين النهرين مع بلاد العراق نعج في هذه الآونــة بقبائل عربية الجنس من كنعانيين وعموريين وكلديين وغيرهم على ما ذكرناه قبل . وقــد جاءت افواج كبيرة منهم الى مصر وتمكنت من الحلول فيها في نهاية الاسرة السادسة فضلا عما قبل ذلك ؛ فليس من التخرص ان يقال ان هؤلاء ايضاً من نفس الأرومات . وهكذا يستمر التسلسل العربي إلى مصر في اعداد كبيره وموجات متلاحقة .

ونقول في صدد الذين غزوا الجنوب من بلاد النوبة ونعتوا بالنوبيين ان بلاد النوبة على طريق القبائل التي كانت تقفز من جنوب جزيرة العرب الى سواحل افريقية وتتجه نحــو

وادي النيل بشطريه الجنوبي والشمالي . ومن الباحثين من يقول عن سكان هذه البلاد القدماء انهم مزيج من قبائل سامية ـ عربية الجنس حسب اصطلاحنا وعناصر افريقية وزنجية مع غلبة العنصر السامي فيهم ، حيث كان الطارئون من جزيرة العرب يجدون في هذه البلاد تلك العناصر الافريقية فيمتزج العنصران مع غلبة عنصر الطارئين لانهم كانوا الاكثر والاقوى (١) . ومن الباحثين من يقرر ان غالبية سكان النوبة القدماء من العنصر الحامي كغالبية سكان مصر القدماء على ما تدل عليه الفحوص البشرية والآثار المعاشية ويعتبر غالبية سكان البلدين القدماء من جنس واحد هو الجنس الحامي (٢) مع ان هذا التعبير جزافي ليس له سند علمي ولا اثري اطلقه الباحثون على سكان افريقية الشمالية الشرقية وجنوب جزيرة العرب القدماء على ما ذكرناه في مطلع هذا الجزء . وملامح النوبيين منذ عرفوا تشبه الى حد كبير الملامح العربية ، وتماثيل ومومیات ملوك الاسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة ومن بعدها ممن يخمن انهم نوبيو الاصل ورسوم الاشخاص الآخرين من عهودهم تحمل هذه الملامح واضحة . فليس من التخرص والحالة هذه ان يقال إن غزاة جنوب مصر في هذه الآونة ايضاً عرب الجنس كغزاتها من الشمال او على الاقل من عناصر مزيجة من العرب والافريقيين مع غلبة العنصر العربي عليها . وليس هذا بدعاً فقد كان يجري من قبل على ما ذكرناه سابقاً وانما فيه صورة جديدة من صور التسلل العربي الجنس الى مصر باعداد كبيرة من ناحية الجنوب .

وما دمنا نعرف بل وما دام سليم حسن وغيره يقررون ان الاسر الفرعونية بل والارومات الحاكمة قبلها التي منها الملك منا موحد مصر هم طراء على مصر ومعظمهم من جزيرة العرب او من الساميين كما يحلو لهم ان يقولوا فاننا لا نرى محلا لتعبير « الجنس المصري الاصلي » الذي استعمله سليم حسن ويستعمله غيره من مؤرخي مصر الا على اعتبار القديم وحسب . ومن الطريف ان سليم حسن الذي يستعمل هذا التعبير ليقول عن الموجات الجديدة التي استولت على السلطان في مصر الجنوبية والشمالية انها ليست مصرية اصلية قد استعمله في سياق سيرة موجة الهكسوس فوصف هذه الموجة بالاجنبية بينما وصف الاسر الحاكمة في طيبة والتي هي امتداد للاسر النوبية بالمصرية الصميمة ناسياً انه نعتها

(١) انظر تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته لنعوم شقير ج ١ ص ٤٥-٦٤ وج ٢ ص ٣٠-٣٩ وانظر كتاب مصر القديمة لسليم حسن ج ١٠ ص ١ - ٨ و ٧٥ - ٧٦ و ٨٢ .

(٢) كتاب سليم حسن المذكور ص ٢-٧

بالاجنبية قبل ! (١)

ولا يذكر سليم حسن ولا غيره هوية الاسرتين السابعة والثامنة . وما دامتا قد قامتا في منف كسابقاتها فقد يسوغ القول انها من نفس ارومات هذه السابقات وهي الارومة العربية الجنس .

— ٤ —

اما في النبذة التي عقدها سليم حسن على الاسرتين التاسعة والعاشرة فقد قال (٢) ان مدينة هيرا كليوبوليس المعروفة الآن باسم اهناس — في منطقة الفيوم كانت مقر فراعنة هاتين الاسرتين وان بعض المؤرخين يظنون ان ملوكها من اصل لوبي وانهم غزوا مصر من طريق الفيوم واتخذوا اهناس قاعدة لانها اعظم مدينة صادفتهم . وكان لها مكانة دينية وسياسية قديمة . وكان اسمها الفيوم نسوت . وكانت حاضرة ملوك الوجه القبلي قبل توحيد البلاد ، وان بعض المؤرخين يقدرون عدد ملوك الاسرتين ١٩ ومدة حكمهم ٤٠٩ سنوات في حين ان مانيتون ذكر ان عدد فراعنة الاسرة العاشرة فقط ١٩ ومدة حكمها ١٨٥ سنة .

وليس هناك ما يمكن ان يساعد بشيء من الجزم والوثوق على تعيين اصل سكان لوبية القدماء . غير ان الشيء الذي يمكن الجزم به هو انهم ليسوا من الجنس الزنجي المتميز بملامحه ولونه على كل حال ، وان ملامحهم تدل على انهم او على ان معظمهم من الجنس الابيض . ومن المحتمل ان يكونوا جاؤوا إلى لوبية من سواحل وجزر البحر الابيض الجنوبية كما انه من المحتمل ان يكونوا من العناصر التي كانت تطرأ على مصر من الجنوب والشمال فيستقر منها من يستقر فيها وينساح بعضها الى الغرب اي الى صحراء ليبية . وهذا ما نرجحه اكثر ولا سيما انه يلمح كثير من وجوه التشابه والتشارك بين سكان مصر القدماء والقبائل الليبية (٣) . ولما كانت مصر مباءة للموجات التي كانت تنساح من جزيرة العرب منذ عصور ما قبل التاريخ بطريق الشمال حيناً والجنوب حيناً فليس من التخرص ان يقال ان من المحتمل كثيراً ان تكون جزيرة العرب اصلهم او من اصولهم .

---

(١) انظر ج ٤ ص ٥٤ وما بعدها و١٩٩ وما بعدها .

(٢) مصر القديمة ج ١ ص ٤١٤ — ٤٣٢

(٣) اقرأ الفصل الطويل عن تاريخ لوبية في كتاب مصر القديمة ج ٧ ص ١٦ وما بعدها .

هذا والمستفاد من سياق سليم حسن انه عرف من ملوك الاسرة التاسعة خمسة ملوك وهم:

مرى ايب رع	الملقب بخيتي الاول
تف ايب	ابن خيتي الاول
خيتي الثاني	
خيتي الثالث	ـ واح . كا . رع
خيتي الرابع	مرى ـ كا . رع

ولم يعرف من ملوك الاسرة العاشرة الا ملك واحد اسمه (سنيس) قرىء اسمه على بعض الجعارين ويظن انه من ملوك هذه الاسرة .

كذلك المستفاد من سياقه ان فترة الاسرتين كانت مرتبكة مضطربة بحيث يعسر توكيد شيء يقيني عن سيرتها ، وان سلطانها ، كان ضئيلا بل منعدماً فيما خلف حدود طينة وبلدة العرابة المدفونة شمال طيبة ، وان ذلك كان بسبب امراء اسيوط الذين كانوا اعظم منهم قوة وأعز نفراً مع انهم كانوا رسمياً تابعين لهم ؛ وان مانيتون كان ينعت خيتي الاول اول ملوك الاسرة التاسعة المعروفين بالظلم والوحشية والعنف وانه حكم من سنة ٢٢٤٢ الى سنة ٢٢٠٠ ق م ؛ وان خيتي الثالث استطاع ان يوطد سلطانه في الدلتا ولكن حظه ظل عاثراً في الجنوب بسبب قوة امراء اسيوط من جهة وتمرد حاكم طيبة انتف الملقب بالعظيم الذي كان زعيم أحد البيوتات الكبيرة في الجنوب من جهة اخرى . وكان هذا ذا قوة عظيمة وكان يدعي لنفسه السلطان على طينة والعرابة المدفونة التي تتاخمها . وقد تلقب بعد تمرده بلقب حور الفرعوني وسمى نفسه حور واح عنخ انتف عا واخذ يحرض على خيتي الثالث وقام نيلية نحو الشمال مظهراً عصيانه الصريح ضد فرعون . وأثارت حركته امير اسيوط الذي ظل موالياً لفرعون هناك فتصدى له واستطاع ان يصده الى اقصى الحدود الجنوبية . وكر ثانية فكان نصيبه الفشل والهزيمة وغرقت سفنه في النيل . ولكنه مع ذلك جمع شمله وكر للمرة الثالثة فسجل لنفسه النصر ومد حدود سلطانه الى اطفيح على ما يفيده نقش له . ثم جرت مفاوضات بينه وبين خيتي الثالث ادت الى انعقاد الصلح بينهما على ان لا يدفع جزية لخيتي وان يكون من حقه استخراج الغرانيت من محاجر اسوان وفي نقوش خيتي التي كشفت ما يفيد انه رضي بذلك لما رأى في خصمه القوة الفائقة ؛ وانه نصح خلفاءه بلين الجانب والبقاء على وئام مع الارض الجنوبية وعدم تحريك اهلها ضدهم . وقد ذكر خيتي الثالث هذا في

نقوشه خبر تغلبه على الدلتا وقال فيما قال « ان كل جهات الدلتا الشرقية والغربية قد هدأت وسادها الامن واصبحت السلطة التي كانت في يدحا كم واحد موزعة على عشرة حكام وصاروا يقدمون كل انواع الضرائب وقد وطدت سلطاني في الشرق فصارت الحدود من هبتوا الى بمر حور معمورة بالمدن الآهلة بالسكان لصد غارة الاسيويين . فان الاسيوي الخاسيء اينما حل يتبعه الشقاء للارض . فهو لا يسكن في مكان واحد ويرخي لساقيه العنان ويحارب ولا يهزم ولا يعلن اليوم الذي سيشن الغارة فيه دأبه منذ القديم » . والوصف ينطبق على البدو . ونعت الاسيويين والحالة هذه نعت جغرافي وحسب . والمقصود على الغالب هم القبائل التي كانت تتموج بها فلسطين وحدود مصر وتحاول التسرب الى مصر وتنجح في محاولتها مرة بعد اخرى . وهذه القبائل هي قبائل عربية الجنس على ما شرحناه قبل . وقد جاء في نقوش خيتي كنصيحة لابنه في صدد هذه القبائل « اذا قامت بلادك من جهة الجنوب بثورة فان ذلك يكون حافزاً لقيام الاجانب في الشمال بحروب ضدك ، فعليك اذن ان تقيم مدناً في الدلتا . فالبلـــد الآهل بالسكان لا يمس بسوء . فابن مدناً » .

وفي نقوش خيتي نصائح وتعاليم كثيرة في صدد ادارة الملك وسياسة الرجال واقامـــة العدل واستشارة العظماء واتقاء غضب الله وعقوبته بالاعمال الصالحة والحزم ضد المشاغبين والمنافقين تدل على ما كان عليه هذا الملك من المعية وبصيرة وصلاح وتلقي ضوءاً على مستوى الفكر الانساني في هذا العصر ؛ وتعد بسبب ذلك ذخيرة علمية وسياسية واخلاقية عظمى على حد تعبير المؤلف الذي اوردها في كتابه الكبير واستغرقت منه بضع صفحات (١) .

ولقد عثر على نقوش لامير اسيوط خيتي الثاني فيها شيء عن حالة الاسرة التاسعة في عهد آخر فراعينها يستفاد منها ان اضطراباً قام في اهناس ثم تخطاها الى الجهات الاخرى وان امير اسيوط هذا الذي بقي على ولائه لفرعون اهناس سار بجيشه واسطوله النيلي الى اهناس فاخمد الثورة ثم سار هو وفرعون بجيشيهما نحو الجنوب حتى آخــــر الحــــدود وهدأوا الامور . وقد جاء في هذه النقوش : لقد أدبت مصر الوسطى وذلك طلباً لمرضاة فرعون واصبحت كل البلاد تدين له كما دان له امراء مصر الوسطى . وكان كل الاهلين في وجل والقرى في فزع وموظفو العرش في خوف .

ويظهر ان حالة الارتباك عادت فقضت على الاسرة التاسعة وقام مقامها الاسرة العاشرة ولو لم يكن هناك ما يلقي ضوءاً على ذلك . وفي اثناء ذلك مات انتف العظيم حاكم طيبة وخلفه

---

(١) مصر القديمة ج ١ ص ٤٢٠ — ٤٢٩ و ج ٣ ص ١٥٨ — ١٥٩

اثنان من الامراء حكم كل منهما مدة قصيرة حدث خلالها بعض قلاقـل واضطرابات ثم خلفهما منتو حتب الثاني الذي كان يتلقب بلقب فرعون ؛ والذي على ما يظهر هو الذي قضى على الاسرة العاشرة ووطد حكمه على جميع البلاد فكان المؤسس للاسرة الحـادية عشرة وقد عثر على نقوش له ذكر فيها انه قبض على امراء الارضين وانه سيطر على الجنوب والشمال وعلى القطرين وعلى قبائل البدو التسع وعلى الارضين (١)

(١) قد ورد في معرض بيان امتداد سلطان بعض الفراعنة تعبير الاقواس التسع الذي فسره سليم حسن (ج ٩ ص ١٢٠) من كتاب مصر القديمة) بالوجه القبلي والوجه البحري والواحة وبلاد النوبة وبلاد لوبيا والبلاد الاسيوية التي كانت تشمل فلسطين وسورية وما بين النهرين . ولكن يبدو لنا ان تعبير قبائل البدو التسع غير هذا ولا سيا ان هذه الاسرة لم تكن ذات سلطان ممتد الى مابين النهرين . فاذا كان ما خمناه صورياً فتكون العناصر البدوية العربية الجنس التي تسربت الى مصر خلال المدة التي انقضت منذ اواخر الاسرة السادسة هي المقصودة وانها لم تكن اندمجت جميعها في الحياة المصرية الحضرية وبقي منها جماعات ظلت تعيش عيشة البدو مما هو مظهر من مظاهر القبائل العربية الى اليوم والتي تتمثل في العناصر القبلية التي تحتفظ ببداوتها وعشائريتها في بلاد الشام والعراق ووادي النيل مع اندماج كثير منها في الحياة الحضرية .

الاسرة الحادية عشرة

- ١ -

كان حظ هذه الاسرة من حيث معرفة تاريخها احسن من سابقاتها . وقـد ذكر سليم حسن (١) اسماء ملوكها ومدة حكمهم كما يلي استنباطاً من الآثار .

١ ـ سهر تاوي آنتف (٢)	ومدة حكمه	٢١٤٣ـ٢١٤٠ ق م
٢ ـ واح عتنح آنتف	»	٢١٤٠ـ٢٠٩١
٣ ـ نخت نب تب نفر آنتف	»	٢٠٩١ـ٢٠٨٨
٤ ـ سعنخ آب تاوي منتو حتب الاول	»	٢٠٨٨ـ٢٠٧٠
٥ ـ نتر حزت نب حتب رع منتو حتب الثاني	»	٢٠٧٠ـ٢٠١٩
٦ ـ سعنخ كارع ـ منتو حتب الثالث	»	٢٠١٩ـ٢٠٠٧
٧ ـ سنوسرت	»	٢٠٠٧ـ٢٠٠٠
٨ ـ نب تاوي رع ـ منتو حتب الرابع	»	٢٠٠٠

وبين سليم حسن واحمد كمال (٣) وبريستيد (٤) شيء من التطابق وشيء من التخالف في الاسماء والترتيب بل والعدد مما لا نرى ضرورة الى ذكره . ومما قاله احمد كمال ان ملوك

---

(١) مصر القديمة ج ٣ ص ١ – ١٥١

(٢) درج ملوك مصر منذ عهد مبكر على التلقب بالالقاب الفخمة التي يكون فيها في الوقت نفسه اسم اله رئيسي بقصد توكيد انضوائهم اليه واستنصارهم به . ومن الممكن بشيء من التجوز تشبيه ذلك بالقاب الخلفاء العباسيين والفاطميين الواثق بالله والقائم بامر الله والعزيز بالله والمعز لدين الله الخ .. وقد اشتهروا بهـا اكثر من اسمائهم . والالقاب هنا هي التي تسبق اسماء انتف ومنتوحتب . وهذه هي حالة القاب العباسيين والفاطميين وسهر تاوي لقب الملك الاول معناه حور مهدىء الارضين بن الشمس . وحور اسم اله السماء الذي كان الملوك يتسمون به على اعتبارهم ممثلين له في الارض . وواح منح لقب الملك الثاني معناه حور الذي يجعل قلب الارضين يعيش ابن الشمس . وسعنخ ابن تاوى لقب الرابع معناه السيد المقدس للتاج الابيض وهلم جرا ...

(٣) المقد الثمين ٤٥ ـــ ٤٨

(٤) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٤٠٥

هذه الاسرة ستة عشر اشتهر منهم تسعة بالمآثر مع ان سلسلة سليم حسن تامـة الحبك والتواريخ . وقد ارخ بريستيد بداية حكم هذه الاسرة بسنة ٢١٦٠ ونهايته بسنة ٢٠٠٠ قم

وقد قال احمد كمال ان هذه الاسرة عرفت بالطيبية لانها اتخذت طيبة عاصمة لها . ووصف طيبة قائلا انها تقع على بعد ٤٤٠ ميلا من جنوب منف و ١٤٠ ميلا من شمال الشلال الاول وانها كانت قرية صغيرة فغدت اعظم مدن مصر اسماً وآثاراً، وكان اسمها قبل نونواو او اونو آمون ثم صار يقال لها ثيبة وطيوه .

ويلحظ مقطع منتو ملخصاً باسماء الملوك مع رع ، ومنتو اله الحرب وكان اله ارمنت المحلي ايضاً (١) ولا يبعد ان تكون الاسرة من ارمنت فعمدت الى رفع شأن الهها الخاص .

ولم يذكر احمد كمال ولا بريستيد هوية هذه الاسرة وقد ذكر سليم حسن في سياق سيرة الاسرتين السابعة والعاشرة انها من قوم غزوا الصعيد من بلاد النوبة . وقد اوردنا ذلك قبل وعلقنا عليه مرجحين انهم من الجنس العربي او على الاقل مزيج من الجنس العربي والعناصر الافريقية مع غلبة العنصر العربي والملامح العربية بادية على ما عثر عليه من موميات وتماثيل ملوك ورجال ونساء هذه الاسرة (٢) .

وعلى احتمال عدم صحة ذلك لان هذا ظن من مؤرخ اثري اسمه بتري على ما رواه سليم حسن واوردناه قبل فتكون هذه الاسرة من العناصر القديمة التي كان منها ممالك الجنوب قبل التوحيد والتي كان معظمها من العنصر السامي حسب التعبير المصطلح عليه والعربي حسب اصطلاحنا على ما سبق تقريره في المناسبات السابقة .

– ٣ –

والمؤلفون الثلاثة متطابقون إجمالا في خطوط سيرة هذه الاسرة بل وفي تفصيلاتها . واوفاهم سليم حسن الذي عقد عليها فصلا طويلا في الجزء الثالث من كتابه (٣) عنونه بعنوان الدولة الوسطى وسنكتفي بتلخيص السيرة منه .

ولقد ذكر هذا المؤلف في سياق سيرة اول ملوكها سهر تاوي وانتف (٤) ان هذا الملك وخلفاءه الثلاثة لم يلبسوا التاج المزدوج ولكنهم تلقبوا مع ذلك بلقب نسوت بيتي (اي ملك الوجه القبلي وملك الوجه البحري) وانه تلقب بلقب حور، وكان مناهضاً للملك اهناس

(١) مصر القديمة ج ١ ص ٢١٥ و ج ٣ ص ١

(٢) انظر الصور في كتاب مصر القديمة ج ٣ ص ١ – ١٥١

(٣) مصر القديمة ج ٢ ص ١ — ١٥١

(٤) ٨ — ١٠ من نفس الجزء

فافلح في مناهضته واستولى على الضفة الغربية للنيل واقام عليها قبره وادخل اسمه في داخل طفراء وهذا من خصائل الفراعنة .

وذكر في سياق سيرة ملكها الثاني واح منخ انتف (١) انـه احد ابنـاء الاول ، وانه عثر على لوحـة لموظف اسمه ثي ينعت هـذا الملك بنعت ملك الوجـه القبـلي وملك الوجه البحري ويلقبه بلقب حـور ابن الشمس ؛ ويذكر ان العظمـاء ـ وهـذا الاصطلاح الذي كان يطلق على زعماء الاقطاع على ما مر ذكره ـ كانوا يدونون لـه الضرائب وان رؤساء الصحراء كانوا يقدمون له الجزية وان حكمه كان يمتد مـن اسوان الى طيبة والعرابة المدفونة ، وانه عثر على لوحة من مخلفات هذا الملك نقش عليها سيرتـه غير ان جزءها الاعلى مهشم ؛ وان نقوش الجزء الاسفل تذكر خبر استيلائه على طيبـة وفتحه معاقلها وجعله اياها باب الشمال العظيم . وقد سمى نفسها فيها حور واح عنخ ملك الوجه القبلي والوجه البحري ابن الشمس انتف العظيم ؛ ومما عرف منها انها كتبت في العام الخمسين من حكمه وانه انشأ معابد للاله منتو الاله المحلي لارمنت وغيره من الآلهة وملأها باواني القربان الفاخرة .

وذكر المؤلف في سياق سيرة الملك الثالث نخت نب تب نفر انتف (٢) انه ابن الملك الثاني وانه لم يلبث في الحكم الا فترة قصيره .

وذكر في سياق سيرة الملك الرابع سفنخ اب تاوي منتوحب (٣) انه ابن الثالث ، وانه تلقب بلقب حور واول من الحق باسمه مقطع منتو حتب بدلا من انتف وان مدة حكمه كانت مليئة بالمتاعب والحروب ؛ وان طيبة والعرابة خرجتا من حكمه نتيجة لذلك ..

والحاق اسم منتو يدل على سطوع نجم هذا الاله وتحوله من مركز الاله المحلي الى اله عام تبعاً لتطور مركز الاسرة . ويظهر ان هذا التحول لم يكسف نجم رع الذي ظل يلحق ايضاً باسماء ملوكها .

وقد ذكر المؤلف في سياق سيرة الملك الخامس نتر حزت ـ نب حتب رع منتو حب الثاني (٤) انه ابن الرابع . وان الحرب نشبت بينه وبين امير اسيوط وفرعون اهناس وكان النصر حليفه فامتد سلطانه الى حدود اسيوط اولا ثم تمكن من فرض سلطانه على اهناس

(١) ص ١١ ـ ٢٦
(٢) نفس الجزء ص ٢٧ ـ ٢٨
(٣) ٢٩ ـ ٣٢
(٤) ٣٣ ـ ١٠٤

فزالت الاسرة الفرعونية وصار سلطان البلاد من اقصاها الى اقصاها له وغدت طيبة عاصمتها فكان اول ملوك هذه الاسرة الذين شمل سلطانهم جميع القطر فعلا ؛ وقد تلقب كاسلافه بلقب حور ايضاً . وقد عثر على آثار له في الشلال الاول وفي منطقة ذراع ابي النجا . وقد عثر على حجر في أحد المعابد عليه صورته وبقربه امير لوبيا وعلى حجر آخر عليه صورته كذلك وهو يذبح اربعة من الأسرى ويقول اني المسيطر على رؤساء الارضين في الصعيد والدلتا وشاطىء النيل والأقواس التسعة وكلا المصريين والاجانب . وخمّن بعض الباحثين ان الاسرى يمثلون مصر وليبية والنوبة والأسيويين كاشارة الى تغلبه وسيطرته عليهم . والى هذا الملك يعزى بدء انشاء معبد الكارناك الذي تتابع تكامله في العهود التالية حتى غدا من روائع الآثار الفرعونية . وقد ازدادت اهمية الالهة صخور في زمنه وصارت البقرة التي هي رمزها تمثل الام الالهية . وفي زمن هذا الملك تقدم الفن على ما يدل عليه بعض الآثار . ومن جملة ذلك توابيت لزوجته ولاميرتين أخريين تعد قطعاً فنية رائعة الجمال بما عليها من نقوش وتزيينات ودقة صناعة . وتدل الآثار على ان هذا الملك قد اقام احتفالا بعيد حكمه الثلاثيني ، وانه امر بهذة المناسبة نحت تماثيل لنفسه بالملابس المقدسة التقليدية ووضعها على طول الطريق المؤدي إلى المعبد . وقد عرف من نقوش عثر عليها في اسوان ان هذا الملك قام بحملة الى بلاد الواوات . وقد وجدت لوحتان لموظف اسمه خيتي احد موظفي هذا الملك عرف من نقوشها ان منصبه حامل خاتم الاله ، وان الملك ارسله على رأس بعثات او حملات عديدة ؛ لاضعاف قوة البلاد الاجنبية ، ولفحص اقليم المعادن ، ولختم خزائن بيت رجل الشمال في جبل بيت حور ، ولمعاقبة الأسيويين في بلادهم فانتشرت هيبته المستمدة من هيبة الملك ، وقد قال المؤلف استنتاجاً من اسماء اماكن وردت في اللوحات ان البلاد التي ذهبت اليها الحملات بقيادة هذا الموظف هي سيناء ، وكان سبب ذلك كثرة غارات القبائل الاسيوية على سيناء وحدود مصر ، وان الموظف تمكن من صدها واستخرج الحجارة والمعادن الثمينة من مناجم سيناء . والمتبادر ان هذه القبائل من قبائل جزيرة العرب التي كانت تعج بها بلاد الشام وتتموج فيها وتحاول التسلل منها الى مصر على دأب ما قبلها . ولهذا الملك آثار ومنشآت عديدة اكثرها ديني في اماكن عديدة . وقد عثر في طيبة على مائدة قربان قدمها هذا الملك للمعبد وعليها صورتان لاله النيل ونقش ذكر فيه اسمه هكذا (حور موحد الارضين . نب حتب — رع — ابن الشمس منتوحتب) .

وقد وجدت نقوش في المكان المسمى بشط الرجال جنوب ادفو تحتوي اسماء اشخاص عديدين كانوا ذوي مناصب في عهد هذا الملك تدل مناصبهم والقابهم على اجهزة العمل

الحكومي في ذلك الوقت . وهكذا يتكرر في نقوش عهود ملوك كثيرين بعدحيث يفيد هذا ان هذه المناصب والالقاب تستمر تقليدية من جيل الى جيل . ومن الاسماء التي قرئت على هذه النقوش (وسر إنر)ملقباًبالقاب الكاهن المطهر المشرف على محاجر المرمر وحفار القصر والمشرف على الحفارين (وسبك حتبو) المشرف على بيت الملك و (مكتت رع) مدير المحاكم الست العظيمة والسمير الوحيد وحامل خاتم ملك الوجه البحري والامير الوارثي وحاكم المقاطعة و (محيا بن دجا) حاجب الملك المتصرف لدى الاله والذي يسمع اسمه في الجنوب والشمال والمحبوب من سيده و (اتو) قريب الملك حقاً وحاكم الارض الشمالية و (مرو) حامل خاتم ملك الوجه القبلي والسمير الوحيد وحاكم الصحراء الغربية الذي يأتي اليها الامراء مسلحين عند باب قصر الملك المحبوب من سيده المشرف على امناء الخزانة و (ابا) حامل خاتم ملك الوجه البحري والسمير الوحيد وكاتب سجل الملك (ومرو) ضام اقطار الملك في كل ممتلكاته و (حبي) المدير الملكي الممدوح حقاً من سيده والامير الوارثي كبير المرتلين وكاتب الكلمات المقدسة (وسبك حتب) المشرف على امناء الخزانة .

والمستفاد من شروح سليم حسن (١) ان لقب السميرهو لقب تشريفي وان لقب الامير الوارثي يعني أن صاحبه يرث منصبه من آبائهويورثه لأبنائه مما فيه مظهر من مظاهر الحكم الاقطاعي ؛ وان منصب حامل خاتم الملك في الوجه البحري او القبلي يعني ان صاحبه يقوم بالنيابة عن الملك او برسالة منه ببعض المهام في هذا الوجه ، وان منصب مدير المحاكم الست يعني ان صاحبه هو الرئيس الاعلى لمحاكم البلاد .

وذكر المؤلف في سياق سيرة الملك السادس سعنخ كارع ـ منتوحتب الثالث (٢) انه اخو الملك السابق ، وان عهده كان عهد استقرار ورخاء بعد انتصار اخيه وتوحيده البلاد تحت صولجانه فانصرف هو الى تنمية الفنون فبلغت في عهده شأواً رفيعاً . وقد اقام منشآت عديدة معظمها ديني كأخيه . وعثر على تمثال له من المرمر كتب عليه اسمه هكذا « ملك الوجه القبلي وملك الوجه البحري سعنخ كارع العائش مخلداً » ومن منشآته هيكل على قمة عالية في طيبة الغربية وجد فيه تابوت بديع الصنع نقش عليه اسمه هكذا « حور ـ سعنخ تاوي ـ سيد الالهيين ـ حور الذهبي ـ حتب ملك الوجه البحري وملك الوجه القبلي » . وقد عرف من الآثار أنه سيّر مبعوثاً إلى محاجر وادي الحمامات لاستغلالها ومهد الطريق من من قفط إلى البحر الاحمر لتسهيل طرق التجارة بين مصر وبلاد بنت . وكانت بعوثه ذات

(١) انظر مصر القديمة ج ٢ ص ١٤ وما بعدها .

(٢) نفس الجزء ص ١٠٥ ـ ١٤٠

صفة عسكرية لاخضاع بدو الصحراء الشرقية ؛ وكان قائدها موظف اسمه حنو الذي استطاع ان يمهد الطريق ويتغلب على البدو يجهز سفينة قامت برحلة الى بلاد بنت وعادت محملة بالطرف والتحف . وقد عـادت الحملة الى مصر بطريق وادي الحمامات حيث استخرج حنـو منه الاحجار النادرة . وقد سجل حنو اخبار رحلته على صخور محاجر وادي الحمامات . وذكر فيما ذكره فيها القابه وهي حامل الخاتم الملكي والسمير الوحيد والمشرف على مـا وجد وما لم يوجد ومدير المعابد والمخازن والمالية ومدير كل ماله قرن وحافر ورئيس محاكم العدل الست وصاحب الصوت العالي عند اعلان اسم الملك ... ومما ذكره في نقوشه انه حفر اثني عشر بئراً في طريق الصحراء الى البحر . ووصف الاقليم الذي ذهب اليه باقليم ارض الاله وقال انه احضر من التحف مـا لم يحضر مثلها قط .

ولم يذكر المؤلف هوية بدو الصحراء الشرقية . ولكن اتصال هذه الصحراء بسواحل البحر الاحمر يسوغ القول باحتمال كونها قبائل تسربت مـن سواحل البحر الاحمر الشرقية (من سواحل جزيرة العرب) الى سواحله الغربية ثم حلت في الصحراء الشرقية .

وبلاد بنت هي بلاد اليمن وحضرموت على ما ذكرناه قبل . وهكذا تكون المواصلات بين مصر وهذه البلاد التي كان يعتقد المصريون انهم منها على ما اوردناه قبل قد استؤنفت في عهد هذه الاسرة .

ومن الجدير بالذكر ان احمد كمال الذي اورد بدوره خبر رحلة حنو اورد ترجمة لنقوشه نقلا عن عالم اسمه تاباس جاء فيها اسم بلاد العرب صراحة حيث قـال حنو في نقوشه ان الملك ارسله الى بلاد العرب لاحضار الصمغ ذي الرائحة الزكية الذي جمعه رؤساء البـلاد للملك خوفاً منه لان رعبه عم جميع الأمم (١) . غير اننا نشك في ان اسم العرب الصريح جاء في النقوش ونرجح ان هذا من احمد كمال او من ثاباس تفسيراً لكلمة اخرى او لكلمة بنت اذا كانت هي الواردة . لان هذا الاسم الصريح لم يبدأ وروده الا قبل المسيح في حين ان هذا الخبر قبل المسيح باكثر من الفي عام ! وعلى كل حال فهذا التفسير لتلك البلاد ممـا يعضد ما ذكرناه في صددها .

وقد ذكر المؤلف ـ سليم حسن ـ خبر العثور على رسائل لكاهن اسمه حتا نخت تعود الى عهد هذه الاسرة ووصفها بأنها من اهم الكنوز التي عثر عليها في حفائر طيبة حيث احتوت صوراً متنوعة وطريقة للحياة المصرية البيتية والاسروية والمعاشية استغرقت مـن كتابه اكثر من عشر صفحات (٢) .

---

(١) العقد الثمين ص ٤٥–٤٨

(٢) مصر القديمة ج٣ ص ١١٣ – ١٢٤

كذلك ذكر خبر العثور على تمثال للملك سغنخ الذي نحن في صدده وعلى خاتم ذهبي له وعلى لوحة بديعة الصنع نقش عليها اسمه .

ويستفاد من سياق المؤلف المستند الى دراسات اثرية (١) انه اعقب عهد هذا الملك فترة مليئة بالفوضى والاضطراب ، وانه جلس على العرش ملك اسمه سنوسرت لا تعرف صلته بالملك الراحل ثم توارى في هذه الفترة ومن المحتمل ان يكون قتل . ثم جلس على العرش منتو حتب الرابع نب تاوي رع وقد ورد اسمه في نقوش له في وادي الحمامات هكذا : حورنب تاوي رب الارضين وصاحب الالهتين الواحد المقدس ملك الوجه القبلي والوجه البحري ابن الشمس العائش مخلداً » .

ونقوش وادي الحمامات المذكورة نقشها وزير الملك المسمى امنمحات في رحلة له بأمر الملك لجلب الاحجار وقد ذكر في رحلته انه نجح في مهمته وعاد دون اي خسارة ولقب نفسه بالقاب عديدة مثل الامير الوارثي ـ الشريف ـ حاكم المدينة ـ الوزير ـ المقرب من فرعون ـ رئيس الاشغال ـ المتفوق في وظيفته . العظيم في درجته . المشرف على الموظفين رئيس محاكم القضاء الست . القاضي بين الناس . الذي يأتي اليه الحكام راكعين واهل الارض ساجدين . محبوب الملك وحارس باب الجنوب . ممثل فرعون في مصر العليا والعظيم عند الملك في مصر السفلى . مدير القصر . حاكم كل الصعيد . مدير ادارة سيد الارض . قائد القواد . مرشد الرؤساء .

وقد ذكر المؤلف خبر بعثة اخرى ارسلها الملك بقيادة قائد اسمه سعنخ الى الصحراء الشرقية ووصولها الى البحر الاحمر واحضارها معها اسرى من البدو لتعمير واحة سلجة مع مواشيهم . ويقول المؤلف انه منذ ذلك العهد اصبحت البعثات التي ترسل الى بلاد بُنت المشهورة وقتئذ بروائحها العطرية والبخور لا تذهب عن طريق السويس بل صارت تخرج من قفط الى وادي الحمامات ثم الى البحر الاحمر حيث انشئت ميناء اسمها ساوو تقع في شمال القصير . وقد نقش القائد خبر رحلته وسمى نفسه قائد جنود هذه الارض قاطبة ومدير بيت فرعون . ووصف بلاد بُنت يؤيد كونها بلاد اليمن وحضر موت لانه مطابق مع ما اشتهرت به هذه البلاد على ما شرحناه في الجزء الاول ؛ ويدل على ان تفسير احمد كمال الذي اوردناه قبل هو الأوجه . وهذه البلاد هي التي كان المصريون القدماء يتداولون ويعتقدون ان اصلهم منها على ما مرّ شرحه .

وقد ذكر المؤلف كذلك خبر ارسال الملك موظفاً ثالثاً اسمه انتف الملقب بلقب مدير

(١) نفس الجزء ١٤٠-١٥١

البيت ومدير القافلة على رأس بعثة ثالثة الى وادي الهورى لاحضار حجر الجشيت الثمين وقد تقش هذا الموظف خبر رحلته على اربع لوحات عشر عليها في هذا الوادي وقال فيما قاله انه قهر العبيد السود في واوات واولئك الذين في جنوبي بلاد النوبة وشمالها وعاد سالماً بعد ان نفذ جميع اوامر سيده . والكلام يفيد ان هذا الوادي في الجنوب من مصر .

وهذا الملك هو آخر الاسرة . وقد استولى وزيره امنمحات صاحب الالقاب الطويلة العريضة المار ذكرها على الحكم في ظروف غامضة فقامت به الاسرة الثانية عشرة .

هذا ؛ وتنبه على ان سليماً حسناً ذكر في الفصل الذي عقده بعنوان المدينة في الدولة الوسطى (١) ان عهد الاقطاع الوراثي الذي كان طابع عهد الاسر السابعة الى العاشرة لم يتوار بالمرة في عهد هذه الاسرة . وكل ما كان من امر هو استطاعة ملوكها ان يفرضوا سلطانهم على الاقاليم وان يجعلوا حكامها الوراثيين يخضعون لهم اكثر مما كان في عهد الاسر السابقة .

(١) ج ٣ ص ٣٥٩ وما بعدها

الاسرة الثانية عشرة

-١-

كذلك كان حظ هذه الأسرة من جلاء التاريخ حسناً بل أحسن من سابقتها

وأسماء ملوك هذه الأسرة وألقابهم ومدة حكمهم التي أوردها سليم حسن (١) استنباطاً من الآثار هي هذه :

١ ــ امنمحات الاول ــ سحتب انرع ومدة حكمه ٢٠٠٠ــ١٩٧٠ ق م

٢ ــ سنوسرت الاول ــ خبر كارع	«	١٩٨٠ــ١٩٣٦
٣ ــ امنمحات الثاني ــ نب كاورع	«	١٩٣٨ــ١٩٠٣
٤ ــ سنوسرت الثاني ــ خع خبررع	«	١٩٠٦ــ١٨٨٣
٥ ــ سنوسرت الثالث ــ خع كاورع	«	١٨٨٧ــ١٨٤٩
٦ ــ امنمحات الثالث ــ ني ماعت رع	«	١٨٤٩ــ١٨٠١
٧ ــ امنمحات الرابع ــ ني ماعت خبررع	«	١٨٠١ــ١٧٨٨
٨ ــ الملكة سبك نفرو ــ مريت رع	«	١٧٨٧ــ١٧٩٢

ويتطابق احمد كمال (٢) وبريستيد (٣) في الاسماء مع تسمية بريستيد اسبنوسرت بصيغة سينروستريس وتسمية احمد كمال هذا الملك بصيغة اوسورتسون . وقد ارخ بريستيد (٤) بدء كلمة الأسرة بسنة ٢٠٠٠ ونهايته بسنة ١٧٨٨ . ويلحظ شيء من التداخل في بدء سني حكم بعض الملوك وهذا آت من كون هؤلاء قد شاركوا آباءهم في الحكم على ما ورد في سيرتهم ويلحظ ان هذه الاسرة عدلت من منتو إلى آمون في ملاحق أسمائهـا مع الاحتفاظ برع . وآمون هو اله طيبة المحلي . ولعل الاسرة عمدت إلى ذلك لتثبيت كيان مستقل لها عن الاسرة السابقة .

-٢-

ويتطابق المؤلفون الثلاثة في خطوط سيرة هذه الاسرة بل وفي تفصيلاتها . وسليم حسن

(١) مصر القديمة ج ٣ ص ١٦٩-٢٥٩

(٢) العقد الثمين ص ٥٢

(٣)و(٤) مصر من اقدم العصور ص ٤٠٥

أوفى بياناً عنها (١) . وينعت عهدها بالعصر الذهبي . لذلك سوف نكتفي بتلخيص سيرتها عنه كما فعلنا في سيرة الأسرة السابقة .

ولقد ذكر سليم حسن في سياق سيرة الملك الاول (٢) ان من المحتمل ان يكون هو وزير الملك منتوحتب الرابع امنمحات الذي مر ذكره والذي كان يتلقب بالالقاب الضخمة في حياة ملكه وان يكون قد قوي حتى تمكن في النهاية من الاستيلاء على الحكم عنوة بعد وفاة هذا الملك ، وان هناك آثاراً تدل على احتمال وجود صلة دم وقربى بينه وبين الاسرة الحادية . والاسرة الحادية عشرة اما ان تكون من الموجة التي غزت الوجه القبلي من طريق النوبة أو من الموجات القديمة التي كان منها ممالك دول الجنوب قبل التوحيد على ما ذكرناه قبل ورجحنا في سياقه كونها من الجنس العربي وينطبق هذا على هذه الأسرة كما هو المتبادر والملامح العربية بادية على تماثيل ملوك هذه الأسرة وصور رجالها ونسائها (٣) .

(١) ومما عرف من سيرة ملكها الاول (٤) انه أنشأ مدينة جديدة وحصنها واتخذها عاصمة له وسماها آت تاوى (مكان اللشت الحالية) وأنشأ فيها قصراً حلاه بالذهب وجعل أبوابه من النحاس وأقفاله من الشبه . وقد عثر على تمثال له من النحاس في سيناء استدل به على انه استغل مناجم نحاسها . ولم يرتح امراء المقاطعات الوراثيون لتبدل الأسرة الحاكمة وقيام امنمحات على رأس الحكم فحاولوا أن يتمردوا عليه ويستبدوا في أقاليمهم غير انه تمكن بالحسنى وبالقوة من كبح جماحهم . وقد عثر على نقش لأحد قواده المسمى خنوم حتب يدل على ان حروباً نشبت في عهد هذا الملك بين مصر والسودان في الجنوب والآسيويين في الشمال وان النصر قد كتب فيها لمصر . وكانت الجيوش بقيادة هذا القائد فكافأه الملك وجعله أميراً على بلدة منعات خوفو (المعروف مكانها اليوم باسم بني حسن) . وقد يدل الخبر على ان قبائل الجنوب والشمال تحركت على حدود مصر بسبيل التسلل إليها بل لقد ذكر المؤلف بعد قليل ان الملك وجه همه لمنع هجرة الآسيويين إلى مصر كما اتخذ تدابير فعالة ضد بدو الصحراء الشرقية . والراجح ان لم نقل يقيناً ان الآسيويين هم من قبائل الجنس العربي ولا يبعد ان يكون بدو الصحراء الشرقية والبدو الجنوبيون من هذا الجنس قياساً على ما مر . ولقد عرف من الآثار انه كان من موظفي هذا الملك الكبار موظف يحمل

---

(١) مصر القديمة ج ٣ ص ١٦٩ - ٣٥٧

(٢) ص ١٦٩ - ٢٠١

(٣) انظر صور التماثيل والموميات في الجزء الثالث من مصر القديمة ص ١٦٩ - ٢٩٥

(٤) نفس الجزء ص ١٦٩ - ٢٠١

لقب مدير ضياع الملك في بلاد الآسيويين حيث يدل هذا على انه وطد سلطانه بأسلوب ما على بعض البلاد الشامية ايضاً .

ومما عرف من سيرته ايضاً انه اقام منشئآت كثيرة وعظيمة في طول البـلاد وعرضها أكثرها ديني على ما تدل عليه بقاياها في تنيس (طينه عاصمة منا الاولى) وتل بسطة والفيوم وطيبه وارمنت واللست ، وانه ارسل بعثاته إلى وادي الحمامات لاحضار الحجارة مـن مقالعه .

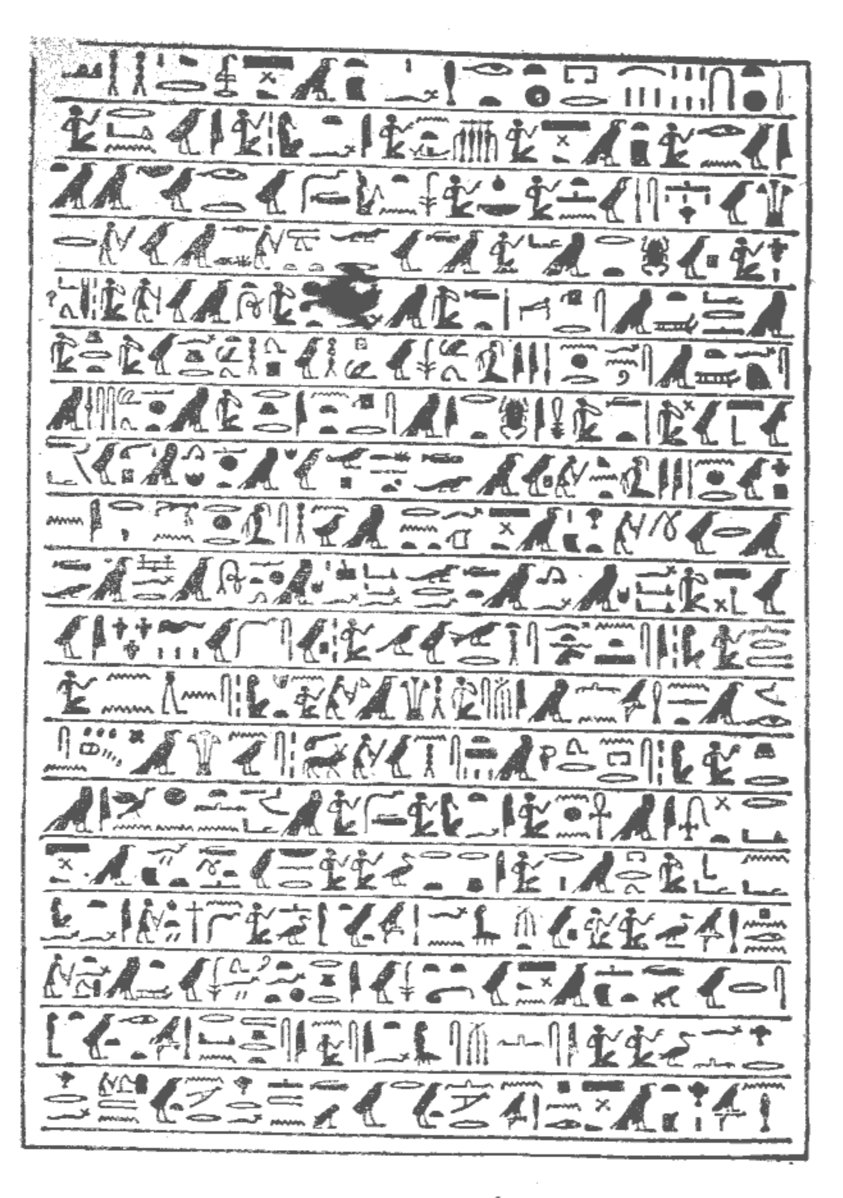
ويعزى إلى هذا الملك مدونة وجه الخطاب فيها الى ابنه فيها نصائح وتعاليم قيمة واشادة بما كان عليه عهده وسيرته من شفقة ورخاء مثل قوله : لقد اعطيت الفقير وعلمت اليتيم وجعلت الرجل المغمور الذكر يصل الى غرضه مثل صاحب المكانة ولم يجع انسان في سني حكمي ولم يعطش خلالها أحد وكل ما أمرت به كان في موضعه الصحيح وقد احبني نبر اله الحبوب والفيضان وحياني باحترام . وقد جاء في هذه المدونة كذلك اشارة إلى حروبه حيث قال في ذلك « لقد أذللت الأسود واصطدت التماسيح وقهرت أهل واوات وأسرت قوم المازوي وجعلت الآسيويين يمشون كالكلاب »

وقد رجح المؤلف ان هذه المدونة لم يكتبها الملك في حياته وربما كتبت على لسانه بعد موته . وعلى كل حال ففيها ما يدل على ما كان عليه عهد هذا الملك من رخاء وراحة وعدل وعلى ما كان من حروبه مع أهل بلاد النوبة والآسيويين وانتصاره عليهم . وهناك مدونة أخرى لأحد رجاله عرف فيها انه سير حملة بقيادة ابنه سنوسرت إلى الحدود الغربية لتأديب الوبيين وكبح جماحهم أيضاً .

ويعزو بعض المؤرخين الى هذا الملك بدء مشروع الخزان الذي عرف باسم بحيرة موريس في اقليم الفيوم لتنظيم الري .

ولما تقدم الملك في السن أشرك معه ابنه سنوسرت في الحكم فغدا ذلك سنة سار عليها خلفاؤه . وكانت من أسباب نجاحهم في الحكم وازدياد قبضة الحكومة المركزية على الاقاليم وحكامها الاقطاعيين الوراثيين الذين ظلوا على رأس أقاليمهم في عهد هذه الأسرة استمراراً على ما كانوا عليه قبل .

وقد مات هذا الملك غيلة نتيجة لمؤامرة غامضة الخطوط على ما تفيده مدونة كتبها أحد



لوحة سنوسرت الأول من ملوك الاسرة الثانية عشرة

كبار بلاطه المسمى سنوهيت الذي يصف نفسه بالأمير الوراثي والحاكم ومدير ضياع الملك في بلاد الآسيويين . وقد وصف سنوهيت موت الملك وصفاً طريفاً فيه صورة من صور العقائد الدينية حيث قال انه طار إلى السماء واتحد مع قرص الشمس وامتزج جسم الالـــه ــ يعني الملك ــ بجسم خالقه . . .

وقد دفن في هرم أنشأه لنفسه بالقرب من مدخل الفيوم عثر فيه على كثير مـــن الآثار الخزفية وعلى تمثال رأس الملك وقد قرىء اسمه على بعض أحجار اهرم .

وقد أورد المؤلف محتويات مدونة سنوهيت (١) . ويظهر انه كان ذا ضلع بالمؤامرة التي اغتيل بها الملك ففر خوفاً من ابنه إلى بلاد رتنو حيث نزل على أميرها عمونشي ولقي منه تكريماً ورعاية وزوجه بابنته ، ولبث عنده بضع سنين ثم أخذ يحن إلى وطنه ويسعى في نيل عفو الملك إلى أن حصل عليه في سياق طويل احتوته المدونـــة . وممـــا قاله ان امير رتنو (٢) العليا عمونشي سأله عن الملك فوصفه له وصفاً شيقاً فيه اشادة بعزمـــه وحيويته وشجاعته وحروبه وانتصاراته وعدله . والسياق يدل على أن هذه البلاد بعض بلاد فلسطين أو في جوارها حيث ذكر سنوهيت في مدونته خبر مبارزته لبطل فلسطيني (٣) وقتله إياه . وهذه البلاد كانت تعج بالقبائل العربية الجنس واسم عمونشي يحمل في ذاته اللمحة العربية القديمة . وفي الحادث إجمالا صورة من صور التواصل بين مصر وهذه البلاد المأهولة بالجنس العربي (٤)

(٢) وقد ذكر المؤلف في سياق سيرة سنوسرت الأول (٥) ان عصره يمتـــاز بجلائل الاعمال والاصلاحات وخاصة بالمباني التي أنشأها في طول البلاد وعرضها مما جعلته في الصف الاول بين عظماء الفراعنة البنائين . ولقد اغتيل ابوه وهو على رأس الحملة التي سيرها والده بقيادته إلى الحدود الغربية فعاد مسرعاً وأحبط مؤامرة أخرى كانت ترمي الى اقصائه عن العرش ثم اقام لنفسه حفلة تتويجية فخمة عثر على نقوش تمثل مناظرها المتنوعة البديعة ومن

---

(١) مصر القديمة ج ٣ ص ٢٣٣ - ٢٤٣

(٢) كان المصريون يطلقون اسم رتنو على جميع بلاد الشام

(٣) المتبادر ان تعبير فلسطيني من عند المؤلف على اعتبار ما صار لان اسم فلسطين لم يكن قد عرف واطلق على فلسطين والمقصود موقعها

(٤) ان فيليب حتي اشار الى هذه القصة وسمي المصري سنوحي وقال انه اقام اولا عند بدو حدود مصر ثم رحل الى جبيل ثم اجتاز جبل لبنان الى البقاع فأقام فيها (انظر تاريخ لبنان وسورية وفلسطين) ج١ تعريب حداد ص ١٣٨ ـــ ١٣٩

(٥) مصر القديمة ج ٣ ض ٢٠٣ ـــ ٢٤٩

آثاره الهامة الباقية المسلة القائمة بالمطرية ــ في ضواحي القاهرة ــ التي يبلغ ارتفاعها ٦٦ قدماً. وهي كتلة واحدة من الغرانيت الأحمر . نقش على جوانبها اسم الملك وسبب نصبها وهو تذكار لعيده الثلاثيني والهدايا المقدسة التي قدمها لمعابد الآلهة بهذه المناسبة من مباخر وأوان وعقود ذهبية وفضية ونحاسية وعاجية وجمشيتية . ويقول المؤلف ان عبد اللطيف البغدادي الذي زار مصر سنة ١١٩٠م ذكر في كتاب رحلته انه هناك مسلتان واحدة قائمة وهي القائمة الآن وأخرى ملقاة على الارض مهشمة ، وعقب على ذلك قائلا انه ثبت ان الثانية لتحتمس الثالث احد ملوك الأسرة الثامنة عشرة العظام . وقد عثر على تماثيل عديدة لهذا الملك بديعة الصنع منها الكامل ومنها النصفي ومنها الصغير ومنها الكبير . وعثر له على مسلة مستديرة القمة في ابيجيج (١) . وقد عثر في العرابة ــ مكان العاصمة التي اتخذها الملك الخامس من الأسرة الثانية في سلسلة سليم حسن وهو براي سن ــ على لوحة لوزير اسمـــه منتو حتب سجل عليها ما اقامه من منشآت في هذه المدينة بأمر ملكه منها معبد نوه بما بذلهمـــن عناية كبيرة في تزيينه وموائده وما استعمله في ذلك من فيروز ولازورد وجمشيت . وعثر له على آثار عديدة أخرى في جـــهات مختلفة . وعثر على نقوش له على صخر وادي الحمامات وصخور الشلال الاول وصخور وادي الهورى وفي بلاد النوبة الغربية وفي شبه جزيرة سيناء تدل على انه سير إلى هذه الانحاء بعثات لاستخراج المعادن والحجارة النفيسة والصلبة من مناجمها ومقالعها . وقد سير هذا الملك حملة بقيادة منتوحتب المذكور لاخضاع بلاد النوبة وصل بها إلى الشلال الثالث على ما ذكره القائد في نقوش نقشها على قبره . وقد عثر على نقش له في معبد وادي حلفا رسم الملك سنوسرت في اعلاه واقفاً امام اله الحرب منتو وهو يقول له احضرت كل الممالك التي في النوبة تحت قدميك ايـــها الآله الطيب . ولاله الحرب رسم آخر وهو يقود لفرعون عشرة أسرى من النوبيين كل منهم يمثل قبيلة . والمتبادر ان قبائل بلاد النوبة أخذت تتحرك على حدود مصر الجنوبية بسبيل التسلل إليها كما كانت تفعل من قبل . وقد قال المؤلف انهم غير زنوج وانهم حاميون وكوشيون . وتعبير حـــامي هو

---

(١) ان احمد كمال ذكر هذه الاخبار « العقد الثمين ص ٥٥ ومابعدها » وقد اوضح ان ابيجيج هي في جهة الفيوم وان المسلة التي وجدت فيها عليها نقش يذكر ان الملك اقامها لاله الفيوم امام هيكل له مدمر الان ، وقال في صدد المطرية التي تقوم فيها المسلة انها كانت محدقة بسور وفيها اصنام هائلة بين قائم على قواعد وقاعد على نصبات عجيبة طول كل منها ثلاثون ذراعاً واعضاؤه على تلك النسبة . والمبادر ان هذه الاصنام هي تماثيل الملك التي ذكرها سليم حسن . وشاروبيم مؤلف الكافي يسمي مسلة المطرية بمسلة عين شمس .

تعبير مقتبس من سفر التكوين وليس له سند علمي . وقد ذكرت الآثار اسم كوش بدون بيان آخر ولعله اسم البلاد او اسم القبائل . ولا يستبعد ان يكونوا من القبائل التي تسربت إلى أثيوبية وبلاد النوبة من جزيرة العرب قياساً على ما مر . وإذا صح هذا وليس ما يمنع صحته فيكون فيه صور لحركة جديدة من حركات التموج العربي الجنس نحو مصر من الجنوب .

ومما قاله المؤلف بعد ذكره وصول حملة منتوحتب إلى الشلال الثالث وانتصاره على قبائل النوبة ان هذه البلاد اصبحت خاضعة لمصر ، وان الملك عين لها حاكماً مصرياً اسمه زفاي حصني وكان يلقب بالامير الوراثي والحاكم والكاهن الاعظم وانه اتخذ بلدة كرمة في في بلاد النوبة مركزاً له . وقد مات ودفن فيها على ما عرف من مقبرته التي عثر عليها فيها تحمل اسمه .

وقد عثر على مقبرة في بني حسن لأمير مقاطعة الغزال المدعو اميني عليها نقوش تدل على انه اشترك في حملة بلاد النوبة وكوش ، وانه ذهب على رأس بعثة بأمر الملك للبحث عن الذهب .

وقد عثر على هرم أنشأه هذا الملك لنفسه في اللشيت سماه بما معناه المحمي الأماكن وأوقف له بعض الاوقاف وأحاطه بجدار عظيم زين بنقوش متنوعة تحمل اسمه على ما ذكر في سياق سيرة ابنه اسمنحات الثاني

وتدل النقوش على ما ذكره المؤلف ان هذا الملك كان إلى جانب عمرانيته العظيمة إدارياً يقظاً حازماً وانه استطاع ان يفرض نفوذه وهيبته علي حكام المقاطعات كما انه كان عادلا مصلحاً . وقد أشرك ابنه اسمنحات في الحكم معه كما فعل والده فلما توفي بعد حكم امتد (٤٥) سنة جلس هذا الابن على العرش وقد تمرس بالحكم .

(٣) وقد ذكر المؤلف في سياق سيرة هذا الابن الذي خلف أباه (١) ان عصره كان عصر هدوء وسلام وانه لم يقع فيه غزوات وفتوح وانه بذل نشاطاً عظيما في إرسال البعوث الى بلاد النوبة الغربية ووادي الهورى وإلى شبه جزيرة سينا لاستخراج الحجارة والمعادن كما أرسل بعثتين إلى بلاد بنت تعدان من أهم بعثاته . وقد نقش قائدا البعثتين خبرهما في صخور وادي جاسوس على شاطيء البحر الأحمر واحدهما هو خنوم حتب الذي ذكره في سيرة الملك السابق . وهكذا تتكرر الصلات بين مصر وبلاد العرب إذا كان تفسير احد

---

(١) ٣٩ مصر القديمة ص ٢٥٦ — ٢٦٥

كمال لبنت بأنها بلاد اليمن وحضرموت صواباً وهو المرجح على ما ذكرناه معللا في مناسبات سابقة .

وقد عرف من الآثار ان علاقة هذا الملك ببلاد فينيقية وجبيل كانت على خير مايكون من الود والصفاء ، وانه عثر في مدينة طود على اربعة صناديق من البرونز عليها اسم هـذا الملك مملوءة بأوان من الذهب والفضة والخرز والاسطوانات البابلية والتعاويذ المصنوعة من من اللازورد ، وان من المحتمل أن تكون هذه الصناديق هدية أو جزية من فينيقية أو جبيل أو إحدى البلدان المجاورة .

وقد عرف من الآثار المكتشفة كذلك ان هذا الملك أقام مباني عديدة دينية في مختلف جهات القطر وان لم تضارع ما أقامه أبوه وجده ، وانه كان حازماً في ادارة البلاد مسيطراً على حكام الاقاليم الوراثيين . وقد اشرك ابنه سنوسرت الثاني معه حينما تقدم في السن كما فعل ابوه وجده . وقد أنشأ لنفسه هرماً في دهشور وجد مخرباً منذ القديم . وقد وجدت في جواره مقابر لأفراد أسرته عثر فيها على أوان وحلي ذهبية وفضية مرصعة بأحجار كريمة يدل صنعها على ذوق رفيع ومهارة وترف .

(٤) وقد ذكر المؤلف في سياق سيرة سنوسرت الثاني (١) انه لم يكن ميالا للحروب وان بلاد النوبة اخذت تفلت من سلطانه بعض الشيء بل ان قبائلها أخذت تهدد مصر بالغزو مما جعله يأمر ببناء سور طوله ثمانون كيلو متراً وبتحكيم الحدود . وقـد عثر على لوحة لموظف اسمه حابونقش عليها خبر اشرافه عـلى تفتيش الحصون الجنوبية في عهد هـذا الملك .

وحركة قبائل النوبة ومحاولتها التسلل إلى مصر قد تكررت أكثر من مرة في عهـد الاسر السابقة فضلا عما قبل عهد الاسر وأصاب بعضها النجاح على ما مر بيانه . ولا يبعد أن تكون الحركة الجديدة من قبائل عربية الجنس كما حدث ذلك من قبل على ما ذكرناه سابقاً أيضاً .

ولقد عثر لهذا الملك على بقايا آثار تدل على أنه كان ذا نشاط في مجال العمران والتجارة ومن ذلك نقش نقشه موظف اسمه خنوم حتب ولقبه مدير خزانة الاله يدل على أن الملك أرسله علي رأس بعثة إلى بُنت أرض الالـه . ونقش في منجم حجر البرشيـا الثمين

---

(١) ٢٦٥ـ٢٧٨

في وادي الحمامات . ونقش عليه اسمه في جهة ميناء القصير على البحر الأحمر . وتمثـال له في سيناء .

وقد عثر في مقبرة خنوم حتب حاكم مقاطعة الغزال على نقوش على جانب عظيم من الاهمية من جملتها مشهد يستقبل فيه هذا الحاكم جماعة من العامو سكان الصحراء الشرقية ويبلغ عددهم سبعة وثلاثين محملين بالجزية مرتدين الملابس الثمينة الملونـة بالألوان الجميلة الزاهية والمزركشة بالرسوم والزخارف . وتمثل وجوههم الجنس السامي ،واسم رئيسهم في النقش اباشا ولقبه حتاخاست الذي معناه حاكم البلاد الاجنبية . وقد قال المؤلف تعقيباً على ذلك أن مصر تمتعت في أيام هذا الملك بالرخاء والثروة والسعادة مما جلب إليها المهاجرين الساميين من الصحراء وأهل البلاد الاخرى المجاورة لها .

وفي هذا صورة من صور التسلل العربي الهادىء إلى مصر من جهة والعلامة التي كانت تقوم بين مصر وبلاد الشام الآهلة بالجنس العربي من جهة أخرى في عهد هـذه الأسرة . ولقد مر ذكر بلاد العمو في سيرة الملك مرن رع من الاسرة السادسة نقلا عن سليم حسن الذي قال انها على سواحل البحر الاحمر .

ولقد ذكر أحمد كمال في العقد الثمين (ص ٥٢ وما بعدها) هذا الحادث في سيرة هذه الأسرة وسمي هؤلاء القوم ببني عمو . وعلى كل حال فبلادهم واسمهم الذي يحمل اللمحة العربية القديمة تؤيد استنتاجنا . ولقد ذكر أحمـد كمال نقوش مقبرة خنوم حتب المذكورة وقال ان فيها مشاهد متنوعة من أعمال الفلاحة والحروب وتربية الماشية وآلات الموسيقى وصور الملوك والاعيان وملاعب اللهو ما يثير الدهشة في روعته واتقانه وما فيه من صور عن الحياة المصرية تدل على ما بلغته من شأو في مدارج الحضارة (١) .

ولهذا الملك هرم اسمه خع بمعنى المضيء في اللاهون قرب الفيوم وعلى مقربة منه معبد عظيم فيه،عثر فيه على تابوته المصنوع من الغرانيت وهو آية في دقة الصنع . وعثر قربه على

---

(١) لقد ذكر بريستيد هذا الحادث ايضاً «س١٣٨ـــ١٤٤» ولكنه ذكر في سياق سيرة سيزوسنريس الثالث او سنوسرت الثالث ابن هذا الملك وقال ان هؤلاء الرجال كانوا من اهل الشام اتوا الى مصر للتجارة ومعهم الروائح العطرية التي كان المصريون يكثرون من استعمالها وانهم كانوا يلبسون المنسوجات الصوفيـة المزخرفة وينتعلون النعال ويحملون في ايديهم عصياً ثمينة وان الاعمال التجارية التي كانت تجري بين مصر وبلاد الشام في هذا العهد تدل على ان اهل هذه البلاد كانوا على جانب عظيم من المدنية والحضارة والبراعة وان قوافلهم كانت تأتي الى مصر عن طريق الكرمل وفلسطين . والمتبادر ان التباين بين كلام هذا المؤلف وبين ما ذكره سليم حسن واحمد كمال عن هوية هؤلاء الرجال جاء من خلاف في الاستنتاج من المشهد والنقوش .

مقابر لبعض أفراد أسرته وجد فيها مجوهرات وحلي في غاية الجمال ودقة الصنع .

(٥) وذكر سليم حسن في سياق سيرة سنوسرت الثالث (١) ان هذا الملك قضى مدة حكمه في حروب للدفاع عن حدود مصر من الشمال والجنوب حتى عده المصريون القدماء من أكبر غزاتهم وألهوه . وقد كان أهل بلاد النوبة في حالة تمرد وعصيان في عهد الفرعون السابق بل وكانوا مصدر خوف من غزوهم لمصر فصرف هذا الملك اول همه إليهم . وقد حفر قناة عند الشلال الاول لتسهيل سير السفن التي تحمل المسافرين والمؤن ثم أخذ يسير الحملات التي بلغت أربعاً حتى تمكن من إخضاع هذه البلاد لسلطانه إخضاعاً تاماً . وقد عثر على آثار عديدة لهذه الحملات في شكل نقوش ولوحات تحمل رسوم الملك وانتصاره على الكوشيين . وهو الاسم الذي كان يطلق على أهل هذه البلاد . وأحد النقوش يذكر خبر اقامة الملك قلعة في سمنة للمحافظة على البلاد التي أخضعها جاء فيه فيما جاء عن لسان الملك: لقد جعلت تخوم بلادي أبعد مما وصل إليه أجدادي وزدت مساحة بلادي على ما ورثته وإلى الطموح إلى السيطرة . وقوي على إحراز الفوز .. الخ

وقد أقام معبداً في شمال الشلال الثاني نقش اسمه على بعض جدرانه . أما حروبه أو حملاته في الشمال فقد أشير إليها في لوحة عثر عليها في العرابة لموظف اسمه خوسبك حيث ذكر خبر سفر الملك إلى الشمال ليهزم المنتيو الآسيويين ووصوله إلى مكان يدعى سكمم واشتباكه معهم في الحرب وتغلبه عليهم وأسره بعضاً منهم. ولقد أوردنا عن سليم حسن في سيرة خوفو أول ملوك الأسرة الرابعه انه حارب الساميين المتجولين (أي القبائل الرحل) المسمين بمنتيو في جهات شبه جزيرة سيناء وانه كان يقتفي آثارهم إلى مسافة بعيدة شمالا . وأوردنا هذا الخبر في سيرة الملك عن أحمد كمال بفرق واحد هو ان أحمد كمال سماهم (بني عون) ! وهكذا تكون الحرب التي باشرها سنوسرت الثالث هي مع جماعات من الجنس العربي كانت تتموج بين مصر وفلسطين بسبيل التسلل إلى مصر على الأرجح قياساً على ما كان يجري في السابق . وقد ظل ملوك مصر يسمونهم باسم منتيو إلى زمن هذا الملك على ما يظهر . ولقد كان في فلسطين قبل القرن العشرين قبل الميلاد مدينة كنعانية ــ عربية الجنس قبل الصريحة ــ اسمها شكيم ظلت قائمة إلى أن جدد الرومانيون بناءها وسموها نيابوليس فاختزل الاسم وصار (نابلس) . وقد ذكرت شكيم أكثر من مرة في سفر التكوين وأسفار العهد القديم . وذكرت لأول مرة في ظروف قدوم ابراهيم ثم في سيرة

---

(١) ٢٧٨-٣٠١

حفيده يعقوب في سفر التكوين (١) اللذين يخمن وجودهما في فلسطين في القرنين العشرين والتاسع عشر قبل الميلاد ، ولا يبعد أن تكون هي المقصودة باسم سكمم . ويتسق هذا مع ما جرى في عهد خوفو حيث كان يطارد المنتو في سينا إلى مسافة بعيدة في الشمال

ومما ذكره ليم حسن اهتمام هذا الملك بمدينة العرابة (٢) والهها اوزير وقال انه أقام فيها معبداً له عثر فيه على تمثال له كما أقام فيها بناء ضخما كمقبرة لروحه حيث كان بعض الملوك ينشئون لأنفسهم مقبرتين واحدة لأرواحهم وواحدة لأجسادهم . أما مقبرة جسد هذا الملك فقد كانت هرماً أنشأه في دهشور وسماه حنب أي سلام . وقــد وجد مخرباً . وعثر حوله على مقابر الملكة والأميرات وجد فيها مجوهرات بديعة الصنع .

كذلك مما ذكره انه وجد آثار منشآت عديدة في جهات مختلفة من القطر معظمهاديني مما يدل على أن هذا الملك كان عمرانياً بدرجة ما كان محارباً . وقد عثر في سيناء على لوحة تحمل اسم هذا الملك وعلى تمثال له حيث استدل من ذلك على انــه هو الآخر استخرج المعادن من هذه المنطقة . وقد أشرك ابنه اسمنحات الثالث معه في آخر أيامه كما فعل أبوه وجده من قبل . وقد عثر في اللاهون على أوراق من البردي فيها أناشيد تشيد بعظمة هذا الفرعون تدل على ما كان لــه في قلوب الشعب من محبة وما كان متصفاً به من صفات ونشاط في مختلف المجالات .

(٦) وقد ذكر سليم حسن في سياق سيرة امنحات الثالث (٣) انه يعتبر في نظر التاريخ من أعظم فراعنة مصر وأقدرهم ، وان حكمه الطويل كان عهد هدوء وسكينة ومشاريع عظيمة وأعمال جليلة .

وقد وجدت لهذا الملك آثار في كرمه – موكز حاكم البلاد الجنوبية على ما مر ذكره – عند الشلال الثالث تدل على انه قام بحملة عظيمة إلى بلاد السودان . كما وجــد نقوش في جزيرة سيناء تدل على انه أرسل بعوثاً عديدة إليها لاستخراج معادنها وفيروزها . ويظهر ان اهلها قاوموا او تحركوا حيث وجد نقش لاحد رجال الملك يذكر فيه انه أخضع بلاد الآسيويين للملك وجعل سينا تركع تحت قدميه واخترق الوديان الوعرة ووصل الى التخوم المجهولة من العالم . وفي هذا صورة متكررة عما كان وظل يجري على حدود مصر الشمالية من حركات القبائل العربية الجنس . وقد عثر على آثار ونقوش تدل على ان هذا الملك أرسل

---

(١) الاصحاح ١٢ والاصحاح ٣٤ مثلا

(٢) مقصود المؤلف المدينة القديمة طينه التي عرف موقعها اليوم باسم العرابة

(١) ٣٠٢-٣٤٠

كذلك بعوثاً عديدة إلى محاجر وادي الحمامات ومحاجر الديوريت في بلاد النوبة لاستخراج الحجارة وجلبها وانه أنشأ منشآت عديدة في انحاء مختلفة في القطر المصري معظمها ديني وعثر كذلك على تماثيل عديدة لها كبيرة وصغيرة وعلى مجوهرات وجعارين وأختام اسطوانية تحمل اسمه .

ومما عثر عليه في العرابة لوحة لاحد الامراء الوراثيين فيها تعاليم لأولاده بتقديس الملك وطاعته واشارة بعظمته استدل منها على ما كان لهذا الملك وملوك الاسرة بوجه عـــام من كلمة وسلطان نافذين على الأمراء الاقطاعيين مما أدى إلى تماسك وحـــدة الدولة وقوة بنيانها .

وهذا الملك هو الذي أنشأ بحيرة الفيوم التي كان اليونان يسمونها موريس تحريفاً عن اسمه المصري حنو مرور (وحنو) بمعنى البحيرة . وسبب انشائها الضيق الذي ألم بالملك من القحط والجوع والاوبئة التي كانت تصيب مصر مرة بعد مرة من جراء انخفاض ميـــاه النيل المتكرر فأراد أن يقيم خزاناً عظيماً يخزن فيه المياه في أيام الفيضان لارواء الحقول في أيام التحاريق . وكان هناك بحيرات طبيعية هي التي تسمى بحيرة قـــارون وكانت لا تكفل القصد فأمر الملك بتجفيف قسم كبير منها فغدا حقولا عظيمة خصبة وفتح المهندسون ترعاً بين منخفض الفيوم الذي جعل خزاناً وبحيرة يارون وأنشأ السدود اللازمـــة لتنظيم دخول وخروج المياه . وكان هذا العمل من أجل الاعمال العمرانية التي تمت في عهد هذا الملك كما كانت من أجل الأعمال الهندسية في ذلك العهد .

وأصل اسم فيوم الذى أطلق على المدينة التي قامت عند هذه البحيرة فايوم أي بلدالبحر فتطورت إلى الفيوم ويوم في اللغة المصرية القديمة هي اليم في اللغة العربية الفصحى . وقد عثر في صخور سمنه وقمه عند الشلال الثاني عـــلى سلسلة نقوش عرف انهـــا تسجيلات لارتفاع مياه النيل وانخفاضها وان لها صلة ببحيرة الفيوم وتنظيم دخول الميـــاه وخروجها منـــها .

ومن آثار هذا الملك البناء الضخم الذي ذكره كتاب اليونان وسموه اللبرانت. وموقعه بعد بحيرة موريس وقرب مدينة الفيوم . وكان يشغل مساحة من الارض طولها نحو ألف قدم في عرض ثمانمائة قدم . ولم يبق منه إلا قطع من الحجارة والاعمدة عليها بعض الرسوم وتماثيل الملك .

ولقد رأى هذا البناء هيرودوت وسترابرن ويليني ووصفوه وصفاً عجيباً يدل عـــلى ما كان عليه من ضخامة وفخامة . ومما ذكروه ان عدد غرفه العلوية والسفلية (٣٥٠٠)وانه

يشتمل على اثني عشر بهواً مسقوفة ولهابوابات تقابل الواحدة الأخرى وان سقفهاوجدرانها مزينة بالزخارف وان في جانب البناء هرماً ارتفاعه ٢٤٠ قدماً ، وان كل سقف من سقوف القاعات والحجرات والممرات من حجر واحد عظيم جداً مما يشذ عن المألوف . ومما قاله هيرودوت انه لو جمعت كل الجدران والأعمال الأخرى فانهـا لا تضاهي هـذا البناء في ضخامة العمل ولا في النفقات وانه رأى الحجرات العلوية وطاف فيها فرآها تفوق أي شيء آخر أنتجه الانسان وقد بعثت في نفسه إعجاباً لا حد له وبخاصة حينما كان ينتقل من الردهات إلى الحجرات ومن الحجرات إلى قاعات العمد ومن هذه إلى ردهات أخرى . وان الحراس منعوه من الحجرات الداخلية لأنها تحتوي ضريح الملك وأضرحة التماسيح المقدسة . ومما قاله سترابون انه قصر عظيم مؤلف من عدد من القصور يوازي عدد مقاطعات مصر وانه كان لعظماء وكهان كل مقاطعة قاعة خاصة وانهم كانوا يأتون إلى هـذا المكان مـع قرابينهم فيقدمونها للاله ويتشاورون في مصالحهم. ومما ذكره بلبني انه كان فيه معابد لكل آلهة مصر وأربعون تمثالا لتمسيس الاله وعدد مماثل من المحاريب ورسوم للالهـة والملوك والوحوش وحينما كانت الابواب تفتح كان يتردد منها صوت مخيف مثل صوت الرعد . ويقول سليم حسن ان بعض علماء الآثار ظنوه مقر حكومة البلاد والحقيقة انه انشيء كمعبد لاله الفيوم سبك وانه صار المعبد الجنازي لهرم الملك الذي أنشيء في جانبه .

أما اسم اللبرانت فيقول سليم حسن ان بعض الأثريين ظنوه محرفاً عن اسم ينماعت الذي كان الاسم الأول من أسماء تتويج الملك . غير ان احمد كمال ذكر (١) انه كان يسمى باللغة المصرية القديمة لابوراحونت ومعناها معبد فم البحيرة ويبدو ان تحريفه عن هذا الاسم هو الاقرب للصواب . وهرم الملك في الفيوم كان لروحه وقد أنشأ الملك لجثمانه هرماً آخر في دهشور على ما عرف من آثاره . وقد كان هذان الهرمان من أهم الآثار التي خلفها هـذا الملك بل ومن عجائب الآثار التي تركها الفراعنة في عصور تاريخهم كلهـا كما يقول سليم حسن . وقد تفنن الملك في اخفاء حجرة ضريحه . ولكن ذلك لم يمنع اللصوص من الاهتداء اليها . ولذلك لم يوجد فيها إلا بعض مخلفات تافـهة . وعثر في قرب هرم دهشور على مقابر لأفراد أسرته عثر فيها على حلي ومجوهرات بديعة الصنع .

وقد وجد لهذا الملك آثار مبان عديدة أخرى في أماكن متفرقة من القطر كما عثر على تماثيل عديدة له منها التام ومنها الناقص ومنها القاعد ومنها الواقف . وقد عرف مـن

---

(١) العقد الثمين ٥٢ وما بعدها

الآثار انه كان يرسل بعثاته إلى محاجر الديوريت في الصحراء الغربية وإلى محاجر وادي الحمامات لجلب الحجارة من مقالعها لمنشآته .

(٧) وذكر المؤلف في سياق سيرة امنحات الرابع (١) انه لم يشن أي حرب خارج حدود مصر ، وانه أنشأ مباني دينية عديدة وأرسل بعوثاً إلى محاجر وادي الحمامات فأحضر لها الحجارة . وان اهم ما أنشأه معبد في المدينة التي يعرف موقعها اليوم بكوم ماضي في قلب الصحراء غربي الفيوم وقد عثر على أطلاله وعليها نقوش ورسوم تدل على ما كان عليه المتفنن المصري من دقة ومهارة في هذا العهد ، وانه عثر على آثار عديدة في مختلف أنحاء القطر لهذا الملك من جملتها تماثيل للالهة حنحور وتماثيل كاملة ورأسية له وجعارين واسطوانات تحمل اسمه ، وانه أرسل بعوثاً عديدة إلى وادي الهورى وشبه جزيرة سيناء لاستخراج المعادن والفيروز والجمشيت منها . وقد وجدت نقوش على صخور قمنه عند الشلال الثاني فيها تسجيل لمناسيب النيل في السنة الخامسة من حكمه حيث يدل هذا على اهتمامه بشؤون الفيضان ، وانه عثر على لوحات نقش عليها اسمه بوصفه حور الحي كائن الكائنات سيد التاجين الذي يجعل الأرض في عيد حور الذهبي رئيس الآلهة ملك الوجه القبلي والوجه البحري ماع خرورع ابن الشمس ! وانه عثر على تسجيلات تدل على انه كان يشترك مع أبيه في الحكم ، وانه عثر على لوحات عديدة سجلها رؤساء البعثات الذين كان الملك يرسلهم إلى وادي الحمامات ووادي الهورى وشبه جزيرة سيناء تشيد باسم الملك وأبيه وعظمتهما .

(٨) وذكر المؤلف في سياق سيرة الملكة سبك نفرو ان الاحوال تدل على ان امنحات الرابع لم يخلف ذكراً فتولت اخته سبك نفرو التي كانت وريثته الوحيدة الحكم ، وان آثارها الباقية قليلة جداً منها اسطوانة من الاردواز الابيض المطلي باللون الازرق نقش عليها القاب تتويجها وهي مريت رع (أي محبوبة اله الشمس) ونبتي (أي الصل والعقاب) وحورنب (أي الحور الذهبي) ونسوت بيتي (أي ملك الوجهين القبلي والبحري) وكذلك وجدت بعض عقود بناء من الجرانيت في معبد اهناس المدينة نقش عليها اسمها ، وعثر على بعض الآثار التي تدل على انها اشتركت في الحكم مع أبيها إلى جانب أخيها . وقد حكمت نحو ثلاث سنين ونيف وماتت بدون وريث فقامت الأسرة الثالثة عشرة في ظروف غامضة.

---

(١) ٣٤١ — ٣٥٤

(٢) مصر القديمة ج ٣ ص ٣٥٤ — ٣٥٧

هذا ، ولقد ذكرنا قبل أن سليما حسناً عقد فصلا طويلا بعد الأسرة الثانية عشرة بعنوان المدنية في الدولة الوسطى ولقول الآن ان هذا المؤلف شرح في هذا الفصل (١) استنتاجاً من الاحداث والآثار حالة الحكم في المركز والمقاطعات وصلات الملوك بحكام المقاطعات الوراثيين وتمكنهم من اخضاعهم لسلطانهم بالحسنى تارة وبالقوة أخرى وما نتج عن تجمع السلطات في يد الملك والحكومة المركزية من نشاط وحيوية ورخاء ورفاه كما شرح كثيراً من وجوه النشاط في المجالات الثقافية والاقتصاديـة والحربية والزراعية والعمرانية والتنظيمية والتجاريـة والاستعمارية وما كان مـن امتداد سلطان مصر ونفوذهـا ونشاطها إلى بلاد الشام وجزر البحر الابيض وعدوها صاحبة امبراطورية نكتفي بالتنويه بها لأن منهج الكتاب لا يتحمل التفصيل ولا سيما ان شيئاً غير يسير من ذلك قدمر في سياق سيرة الملوك .

(١) مصر القديمة ج ٣ ص ٢٥٩ – ٥٨٨

الاسرة الثالثة عشرة

— ١ —

في كتب سليم حسن وبريستيد واحمد كمال بعض بيانات متطابقة عن هذه الاسرة. غير ان بيانات سليم حسن أوفى وأحسن ترتيباً.

ولقد قدم هذا المؤلف لكلامه مقدمة (١) قال فيها ان مصر دخلت بعد سقوط الاسرة الثانية التي انقطع نسلها في عصر مضطرب وان المصادر عن ذلك العصر نادرة والآثار التي كشف عنها إلى الآن ضئيلة، وان أهم المصادر التي هي ورقة تورين (نسبة إلى مدينة تورين الطليانية التي توجد الورقةالمصرية في متحفها) وصلت ممزقة مهلهلةوخاصة عند سرد ملوك هذه الاسرة بحيث يتعذر ترتيبهم ترتيباً تاريخيا وان قائمة الملوك التي امر بنقشها تحتمس الثالث (أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة) بالكارناك لا تشمل إلا نخبة من الملوك الذين حكموا مصر إلى عهده.

ومما قاله في المقدمة ان المصادر الاغريقية عزت إلى مانيتون بعض الأقوال في تواريخ هذه الاسرة وما بعدها ومن ذلك قوله ان ملوك الاسرة الثالثة عشرة نحو ستين وانهم اتخذوا مدينة طيبة عاصمة لملكهم وانهم حكموا نحو ٤٥٣ سنة وان الاسرة الرابعة عشرة التي قامت بعدها اتخذت مدينة نحا في الدلتا مقراً لها وان عدد ملوكها ٧٦ حكموا نحو ١٨٤ سنة وان الهكسوس غزوا مصر وحكموها في عهد هذه الاسرة وان الاسر الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة قامت أثناء قيام حكم الهكسوس وان عدد ملوك الأسرة الخامسة عشرة ٦ والسادسة عشرة ٣٢ والسابعة عشرة ٤٠ وعدد ملوك الهكسوس ٤٠ وان حكم الاسر الثلاث هو نحو ٩٣٠ سنة وان الفترة بين الاسرة الثانية عشرة والسابعة عشرة هو نحو ١٥٧٠ سنة في تقدير مانيتون. وعقب سليم حسن على ذلك قائلا ان هذا الكلام لا يعتمد عليه اعتماداً وثيقا. ثم قال انه سيتكلم عن ملوك الاسرة الثالثة عشرة في ضوء القوائم التي احتوت أسماء ملوكها وما وجد في المكتشفات الحديثة بقدر ما تسمح به آخر المظان والبحوث التي ظهرت إلى الآن.

(١) مصر القديمة ج ٤ ص ١ — ٤ و ٧ — ٨

مما قاله اثناء ذلك ان بوادر الانحلال التي بدرت في مبادىء حكم الاسرة أخـذت تشتد حيث صار الملك ينتقل بين الملوك في سرعة خاطفة مما يدل على ان العهد كان يمتاز بالثورات على ما يدل عليه كون ثلاثة من أوائلهم تربعوا على العرش ولم يعرف لواحد منهم اسم تتويج مما يحتمل ان يكونوا خلعوا قبل أن يتاح لهم التتوج رسميا . ويضاف الى هذا أن خامس ملوك الأسرة كان يحمل اسما لا يدل على انه درج في حجر الملكية مما يحتمل أن يكون مغتصبا ، ثم مما يحتمل ان يكون العرش عرضة لاغتصاب الاقوى ، وان من العبث والحالة هذه ترتيب توالي الملوك ترتيبا تاريخيا او ذكر أسمائهم حسب ورقـة تورين التي جاءت ممزقة مهشمة وخاصة اننا لا نعرف عن معظمهم إلا مجرد أسماء .

ثم اخذ بعد ذلك يورد اسماء الملوك وما عرف من آثارهم وسيرتهم . وهذه هي الأسماء التي أوردها واحـداً بعد آخر (١) وان لم يكن هذا الترتيب ترتيبا تاريخيا على ما نبـه المؤلف عليه :

١ ــ سخم رع خوتاري ــ امنحات سبك حتب .
٢ ــ سعنخ رتاوى ــ سخم كارع
٣ ــ سخم رع رع خوتاوى ــ بنتن
٤ ــ سخم كارع ــ امنحات سنبف
٥ ــ شرقا كارع ــ كاي امنحات
٦ ــ خوتاوى رع ــ وجاف
٧ ــ ستغراب رع ــ سنوسرت
٨ ــ سعنخ اب رع ــ اميني انتف امنحمات
٩ ــ حور إب شدت ــ امنمحات
١٠ ــ سحتب إب رع ــ امنمحات
١١ ــ سمنخ كارع ــ مرمشع
١٢ ــ سحم رع سوازتاوى ــ سبك حتب الثالث
١٢ ــ خع سخم رع ــ نفر حتب
١٤ ــ ساسنحو ــ رع
١٥ ــ خع نفر رع ــ سبك حتب الرابع
١٦ ــ خع عنخ رع ــ سبك حتب الخامس
١٧ ــ خع حتب رع ــ سبك حتب السادس

---

(١) الجزء نفسه ص ٤ - ٤٩

١٨ ـ مر سخم رع ـ نفر حتب
١٩ ـ مركاو رع ـ سبك حتب
٢٠ ـ ني خع في ما عت رع ـ خنزر
٢١ ـ وسر كارع ـ خنزر
٢٢ ـ واح اب رع اع اب
٢٣ ـ مرنفر رع آي
٢٤ ـ مر حتب رع ـ اني ـ سبك حتة الثامن
٢٥ ـ سواز إن رع ـ نب اري راو
٢٦ ـ زد نفر رع ـ ددومس
٢٧ ـ زد حتب رع ددومس
٢٨ ـ سواح إن رع ـ سنب ميو
٢٩ ـ زد عنخ رع منتو امرساف
٣٠ ـ نحسي العبد
٣١ ـ من حنو رع سش أب
٣٢ ـ حتب أب رع ـ سيامو جور تزحرتف (١)

ويلحظ ان جل الاسماء المذكورة قد لحق بها مقطع رع حيث يدل على ان هذا الاله الرئيسي للملكة في عهد هذه الاسرة .

والمستفاد من شروح المؤلف ان هؤلاء الملوك هم الذين وجدت لهم آثار وقرئت اسماؤهم عليها بالصيغة التي اوردها والتي تشتمل على اسمائهم والقابهم .

ولا يذكر المؤلف في صدد اكثرهم الا الآثار التي قرئت من اوحات وجعارين وتماثيل ونقوش وجدت مبعثرة هنا وهناك ليس فيهـا دلالة على احداث تستحق الذكر في صدد الدولة والحكم . وقد رأينا ان نكتفي بالاشارة الى ذلك هنا بالنسبة لهؤلاء وان نقتصر على ذكر الملوك الذين ذكر المؤلف لهم احداثاً هامة أو آثاراً بارزة .

وننبه على ان المؤلف لم يذكر شيئاً من هوية هذه الاسرة . ولكنه ذكر ان طيبة ظلت مركزاً او عاصمةً لها كسابقاتها وان اول ملوكهـا انتحل لقب أمنحان سبك حتب تيمناً بالملوك العظام من الاسرة السابقة وجرى الملوك الذين اتوا بعده على سنته في ذلك وان هناك من يظن انه كان زوجاً لسبك نفرو آخر ملوك الاسرة السابقة حيث يمكن إن يكون في كل

(١) ج ٤ ص ٤ ـ ٥٠

ذلك دلائل على ان هذه الاسرة هي نفس ارومة الاسرة السابقة والاسرة الحادية عشرة التي غزت صعيد مصر من بلاد النوبة والتي خمنا انها من الجنس العربي . او من قوم مزيج يغلب عليهم طابع هذا الجنس . ولقد تسمى بعضهم باسم حور كما يبدو من اسماء السلسلة .وحور هو اسم اله مملكة الصقر التي انشأتها الجماعات التي جاءت من الجنوب قبل قيام الاسر المتحدة وغلبت مصر ، وكانت تعتقد ان اصلها من بلاد بنت (بلاد اليمن وحضرموت) وقد ظل ملوك الاسرة الاولى وبعض الاسر بعدها يتسمون بابناء حور . ولقد وصف الملك الثالث عشر عرشة بعرش الصقر على ما سوف يأتي بعد . وهذا وذاك قد يكون قرائن على جنسية هذه الاسرة العربية .

- ٢ -

ولقد قال سليم حسن في سياق سيرة اول ملوك هذه الاسرة (١) ان بعض المـؤرخين يظنون انه كان زوجاً لسبك نفرو آخر ملوك الاسرة السابقـة فاستولى على الحكم كملك شرعي . ولا دليل على ذلك ، وليس من المستبعد ان يكون اغتصب الحكم منها عنوة لان حكم النساء لم يكن مرغوباً فيه ثم انتحل لنفسه لقب امتمحات سبك حتب تيمناً بالملوك العظام من الاسرة السابقة ، وقد خلف آثاراً عديدة في طول البلاد وعرضها مما يدل على انه كان مسيطراً على القطر كله ثم على ما كانت تسيطر عليه الاسرة السابقة مـن اماكن اخرى في الشمال والجنوب حيث عثر له في سمنه وفي كرمه في الجنوب على تماثيل بالاضافة الى آثار اخرى تدل على انه اقام بعض المباني في انحاء مختلفة في القطر .

وقال في سياق سيرة الثاني(٢) في القائمة التي اثبتناها انه عثر على آثار عديدة له في مختلف انحاء القطر شماله وجنوبه وفي اسوان وجبل السلسلة حيث يدل ذلك على ان حكمه كـان كسابقه شاملا لجميع القطر وللانحاء الجنوبية التي كان يمتد اليها سلطان مصر في السابق .

وقال في سيرة السادس (٣) انه عثر على تمثال له في سمنه (السودان أو بلاد النوبة) كما عثر على آثار له في مختلف انحاء القطر وان بعض العلماء يظنون انه من أصل نوبي .

وقال في سياق سيرة الحادي عشر (٤) ان حكمه كان ممتداً الى الدلتا على ما تدل عليه آثاره ، حيث وجد له في تينس (سان اليوم) تمثالان عظيمان وان من المحتمل ان يكون اغتصب العرش اغتصاباً وليس من ارومة ملكية .

---

(١) مصر القديمة ج ٤ ص ٤ - ٦
(٢) مصر القديمة ج ٤ ص ٦ ــ ٨
(٣) نفس الجزء ص ٩ ــ ١٠
(٤) ص ١٢

وقال في سيرة الثاني عشر (١) انه وجدله آثار عديدة تدل على نشاطه في طول البلاد وعرضها وان من آثاره لوحة في متحف اللوفر (باريس) صنعت بمهارة تضارع فن الاسرة الثانية عشرة وانه عثر على نقوش له في معبد اقامه في مدينة الكاب (محل المحاميد اليوم) تعد في الطبقة الاولى من حيث الدقة الفنية وتمثل منظر الاحتفال بوضع اساس المعبد وانه انشأ مباني دينية في الاقصر وان من المحتمل ان يكون هو الآخر قد اغتصب العرش اغتصاباً.

وقال في سياق الملك الثالث عشر (٢) انه ترك آثاراً هامة في طول البلاد وعرضها وانه عرف من آثاره انه اشرك ابنه البكر ساحت حور وان الحكم انتقل منه الى اولاده الثلاثة واحد بعد آخر وانه كشف حديثاً آثار تدل على ان نفوذ مصر في عهده كان يمتد إلى فلسطين ، كما كشف حديثاً في جبيل - فينيقية - عن حجر عليه نقش غائر ولكن يمكن تمييز طغراء هذا الملك فيها وعليه اسم امير جبيل نبتن وديباجة صلاة للاله رع حور اختي مما يدل على أن نفوذ مصر كان كذلك ممتداً إلى هـذه الناحية . وقـد وجدت لهـذا الملك ايضاً آثار في جنوبي الشلال الثاني مما يدل على أن سلطانه كان ممتداً الى هذه الانحاء كذلك . وعثر لهذا الملك على لوحة في العرابة نقش عليها ما قام به من عظيم الاعمال الدينية للاله اوزير الذي نعته بوالده ، وجاء في النقش فيما جاء خبر رحلة للملك الى العرابة واستحضاره تمثال الاله وتمثيله موته ثم حياته مرة اخرى في سياق طويل طريف اورده المؤلف . وقد وصف في اللوحة عرشه بعرش الصقر . وقد عثر لهذا الملك على آثار عديدة اخرى تحمل اسمه من لوحات وجعارين واوان . ومن ذلك تمثال له من حجر البروفير آية في دقة النحت يمثله وهو جالس وقد نقش عليه اسمه ووصف بانه محبوب الاله سبك اله الفيوم ومحبوب الاله حور في عين شمس .

وقال في سياق الملك الخامس عشر (٣) انه ابن الثالث عشر وأخو الرابع عشر ، وكان شريكاً لابيه في الحكم وان الآثار التي تركها تدل على ان نفوذه كان ممتداً من الدلتا شمالا الى الشلال الثالث وانه عثر له على تمثال ضخم في الدلتا وتمثالين في تل بسطة وتمثال في اطفيح وتمثال في بلاد النوبة قرب ارجو وتمثال في طود ، بالاضافة إلى آثار صغيرة عديدة مبعثرة في متاحف العالم لم يعرف اين وجدت من جعارين ولوحات وقطع حجرية عليها اسمه . وقد كشف حديثاً في الكارناك عن قطعة من لوحة اقامها هذا الملك تذكاراً لما قام به من اعمال الخير لمعبد آمون في الكرنك ؛ ومن جملة ذلك امره باربعة ثيران للمعبد

(١) ص ١٤ - ١٧

(٢) ص ١٧ - ٢٥

(٣) ص ٢٥ - ٢٩

في الأعياد واحد من اقليم رأس الجنوب وآخر من ادارة الوزير وثالث من الخزانة ورابع من ادارة ما يعطيه الناس مما فيه طرافة ودلالة على بعض اساليب ودوائر الحكومة .

وقال في سياق الملك السادس عشر (١) انه هو الآخر ابن الرابع عشر وشريك لابيه في الحكم على ما تدل عليه الآثار التي وجدت له في انحاء مختلفة من القطر .

وقال في سياق الملك العشرين (٢) انه عثر على لوحتين لكاهن يدعى امبني سنبو في معبد العرابة نقش عليها اسم هذا الملك وما قام به هذا الكاهن بامر الملك وامر رئيس وزرائه عنخو من خدمات واصلاحات في هذا المعبد كما عثر على تمثال لهذا الملك وبعض الجعارين التي تحمل اسمه .

وقال في سياق سيرة الملك الواحد والعشرين (٣) أن بعض علماء الآثار ظنوا أنه وسابقه واحد لتماثلهما في الاسم غير ما كشف من الآثار دل على انهما اثنان ، وانه كشف لهذا الملك هرم في سقاره يبلغ ارتفاعه نحواً من ٣٧ متراً وذلك بالاضافة الى بعض اسطوانات وجعارين وقطع خزفية كتب عليها اسمه والقابه .

وقال في سياق الملك الثاني والعشرين (٤) ان عصره كان بدء عصر كله اضطراب وانه يلوح انه اغتصب الملك اغتصاباً . وقد وجدت في طيبة لوحة عليها اسمه ولقبه كما وجد له خاتم اسطواني وجعران وآنية خزف نقش عليها اسمه كذلك .

وقال في سياق سيرة الثالث والعشرين (٥) انه وجد لهذا الملك آثار في مختلف انحاء القطر مما يدل على انه كان يحكم جميع مصر كالملوك السابقين وان الاسماء التي وردت بعد اسمه في ورقة تورين وردت مهشمة .

وقال في سياق الرابع والعشرين (٦) ان اسمه ورد في ورقة تورين وفي قائمة الكرنك وعلى لوحة في العرابة عليها وصفه هكذا (الاله الطيب رب الارضين مرحتب رع (الواحد المحبوب مدخل السرور على إله الشمس) معطي الحياة محبوب « وبوات » رب تازسر القاطن في العرابة .

---

(١) ص ٢٩ — ٣٠
(٢) ص ٣٣ — ٣٥
(٣) ص ٢٥ — ٣٦
(٤) ص ٣٦
(٥) ص ٣٧
(٦) ص ٣٨

وقال في سياق الخامس والعشرين (١) انه عثر على لوحة اقامها موظف كبير في معبد الكارناك فيها اسم الملك . وفيها نص عقد عجيب ببيع وظيفته التي كانت (حاكم الكاب) والتي ورثها عن جده لغيره ، وقد وصف الملك فيها بهذه الاوصاف (انه حور الذي يجعل الارضين نضرتين وسيد الآلهتين المقدس في وجود حور الذهبي الجميل في اشراقه ملك الوجه القبلي والوجه البحري الذي يجعله رع نضراً معطي الحياة . والمحبوب مـن آمون سيد عروش الارضين الاله العظيم ابن رع نب إرى راو . ليته يعيش مخلداً . ومن قلبه ينشرح على عرش حور . ومن النظر اليه جميل مثل إشراق قرص الشمس ... ومما ورد في اللوحة في صدد التنازل عن الوظيفة ان صاحبها رئيس رجال مائدة الامير كيتي وانه باع وظيفته لرجل من عترته وهو الابن الملكي وحامل خاتم ملك الوجه البحري ورئيس المعبدسبك نخت وان الوظيفة ورثها ابوه عن اخيه من امه . وشرط على المشتري ان يعطي الخبز والجعة واللحم والمؤن للكهنة وخدم البيت التابعين لهذه الوظيفة وان الوظيفة اصبحت ملكه يرثها ابناؤه واحفاده من اب لابن ومن وارث لوارث وانه لا يحق لاحد من ابنائه وذريته منازعته فيها ؛ وان الوثيقة حررت بواسطة مكتب مراقب القسم الشمالي امنحوتب وفي هذا صور طريفة من نظام الاقطاع الوراثي واساليب العمل والتسجيل الحكومية .

وقـال في سياق الملك السادس والعشرين (٢) ان مانيتون يروي ان الهكسوس غزوا البلاد المصرية في عهده .

وقال في سياق الملك الثلاثين (٣) انه عزي الى هـذا الملك قطعة حجر ربمـا كانت من مسلة في تانيس تدل على انه كان حين نصبها اميراً وان اباه هو الذي اقامهـا لتكون تقدمة باسمه للالهست معبود الهكسوس الاعظم (والعبارة تفيد ان اباه كان صاحب العرش قبله وان هذا دليل قاطع على ان هذا الملك قد عاش في عهد الهكسوس وكان ضمن الامراء الخاضعين لحكمهم ثم قال انه وجد لهذا الملك ستة جعارين بعضها باسمه وهو امير وبعضها باسمه وهو ملك وانه عثر على تمثال له كتب عليه اسمه بصيغته محبوب الالهست رب اواريس وان الاستاذ ادور دير (احد علماء تاريخ وآثار مصر على ما هو المتبادر) يقول ان هذه العبارة تبرهن بصفة قاطعة على ان ملوك الهكسوس حكموا مصر منـذ اواخر الاسرة الثالثة عشرة .

---

(١) ص ٣٩ - ٤٥

(٢) ص ٤٦

(٣) ٤٧ - ٤٨

وقال في سياق سيرة الملك الواحد والثلاثين (١) في السلسلة انه عثر لهذا الملك على لوحة في كوم السلطان في العرابة يوصف فيها وهو يتعبد للاله مين ويقول في اولها « الصلاة لك يا مين حور نخت عند طلعتك الجميلة من مالك الوجهين القبلي والبحري من حنر رع معطي الحياة الابدية ابن الشمس سش اب العايش مخلداً » وان اسمه جاء في ورقة تورين مهشماً مما جعل الشك يحوم حول اسمه. والشك يأتي على ما هو المتبادر من وصف نفسه ملك الوجهين في حين كان العهد عهد حكم الهكسوس وخضوع الملوك لهم ..

وقال في سياق الملك الثاني والثلاثين (٢) ان اسم هذا لم يوجد الا على قطعة من الحجر في بلدة الاطاولة قبالة اسيوط وقد نقش عليها « الاله الطايب رب القربان حتب اب رع (ابن الشمس) سيامو حور نرحرتف . ثم قال ومن المحتمل جداً ان يكون هذا الملك والذي قبله وهما اللذان لم يوجد لهما آثار في انحاء البلاد كسابقيهم بل اقتصرت آثار كل منهما على بلدة واحدة من مصر الوسطى كانا اميرين محليين وحسب .

وهنا ينتهي سياق المؤلف في سيرة ملوك هذه الاسره التي اورد اسماءهم واحداً وراء الآخر .

-٣-

ولقد عقد احمد كمال نبذة عن الاسرة الثالثة عشرة قال فيها قال (٣) ان اغلب ملوك هذه الاسرة كانوا يتلقبون بلقب سبك حتب او نفر حتب وان اسماءهم كانت مجهولة عند اهل التاريخ وكل ما كان من امر ورود هذين اللقبين على آثارهم ثم وجدت ورقة من البردي موجودة اليوم في متحف تورينو فيها اسماؤهم مرتبة في جدولين مع شيء من احوالهم ولقد كانت الورقة ممزقة فلم يمكن قراءة جميع الاسماء قراءة تامة . ويبلغ عددهم ٨٧ ثم اخذ يورد الاسماء حسب ما أمكن قراءتها من الورقة فآثرنا ايرادها لان سليماً حسناً لم يوردها جميعها في نبذته وهذه هي :

١ ـ رع حنو تاوي ولقبه سبك حتب الاول ـ ٢ ـ سنحم كارع ـ ٣ ـ امنحعت الاول ـ ٤ ـ سحتب ايرع الاول ـ ٥ ـ اوفني ـ سعنخ ايرع ولقبه امنى انتف امنحعت ـ ٧ ـ سحن كارع ـ ٨ ـ سحتب ايرع الثاني ـ ٩ ـ كارع ـ ١٠ ... ـ ١١ ـ نزم ايرع ـ ١٢ ـ رع سبك حتب الثاني ـ ١٣ ـ ران سنب ـ ١٤ ـ اوتو ايرع الاول ـ ١٥ ـ سزف . . رع ـ

(١) ٤٨
(٢) ص ٤٩
(٣) العقد الثمين ٦٧-٦٨

١٦ ــ رع شخم جنو تاوي ولقبه سبك حتب الثالث ــ ١٧ ــ رع اوسر ــ ١٨ ــ سمنخ كارع ولقبه مرشا ــ ١٩ ــ ... كارع ــ ٢٠ ــ ... اوسرسر ــ ٢١ ــ رع سخم سوز تاوي سبك حتب الرابع ــ ٢٢ ــ خع سيششش رع ولقبه تفر حتب بن عاغنخف ــ ٢٣ ــ ساحتور ــ ٢٤ ــ خع نفر رع ولقبه سبك حتب الخامس ــ ٢٥ ــ خع كارع ــ ٢٦ ــ خع عنخ رع ولقبه سبك حتب السادس ــ ٢٧ ــ خع حتب رع ولقبه سبك حتب السابع ومدة حكمه ٤ سنوات وثمانية أشهر و٢٩ يوماً ــ ٢٨ ــ وح ايرع ولقبه يعب ومدته ١٠ سنوات و ٨ اشهر و١٨ يوماً ــ ٢٩ ــ مر نفر رع ولقبه آيي ومدته ١٣ سنة و٨ أشهرو١٨ يوماً ــ ٤٠ ــ مر حتب رع ومدته سنتان وشهران وتسعة ايام ــ ٣١ ــ سعنح نسرع ولقبه اوتو ومدته ٣ سنوات وشهرآن ــ ٣٢ ــ مز سخمرع ولقبه انرن ومدته ٣ سنوات وشهرــ ٣٣ ــ سوز كارع ... او رع ومدته خمس سنوات و ٨ ايام ــ ٣٤ ــ انم ... او ــ ٣٥ ــ الاسماء الى ٤٣ ساقطة ــ ٤٤ ــ مر خبرع ــ ٤٥ ــ مركارع ــ ٤٦ الى ٥٠ ساقطة ــ ٥١ ــ ... مس ــ ٥٢ ــ رع معت .. ولقب ــ ٥٣ ــ ... رع اومن الاول ــ ٥٤ ــ ... كا ــ ٥٥ ــ رع .. تن ــ ٥٦ ــ ... رع ــ ٥٧ ــ ... ــ ٥٨ ــ نحس رع ومدته ثلاثة ايام ٥٩ ــ خع خرررع ومدته ٣ ايام ــ ٦٠ ــ نبف ها اتو رع ومدته سنتان و٥ اشهر و ١٥ يوم ــ ٦١ ــ سحبرع ومدته ٣ ايام ــ ٦٢ ــ مرزفارع ومدته يوم ــ ٦٣ ــ سوز كارع ــ ٦٤ ــ نبزفارع ــ ٦٥ ــ رع اوبن الثاني ــ ٦٦ ــ ٦٧ ساقطان ــ ٦٨ ــ زف غر ــ ٦٩ ــ ... رع اوبن الثالث ــ ٧٠ ــ ... اتو ايرع الثالث ــ ٧١ ــ حر ايرع نب سن رع ــ ٧٣ الى ٧٦ ساقطة ــ ٧٧ سخبرك رع ــ ٧٨ ــ ددخرورع ــ ٧٩ ــ سعنخ كارع ــ ٨٠ ــ نفر توم .. رع ــ ٨١ ــ سخم .. رع ــ ٨٢ ــ كا ... رع ــ ٨٣ ــ نفرايرع ٨٤ ــ رع ... ــ ٨٥ ــ رع خع ... ــ ٨٦ ــ نز كارع ــ ٨٧ ــ سمن ... رع .

ولقد قال احمد كمال بعد إيراده الاسماء انه كان بين هذه الاسرة والأسرة الثانية عشرة محبة عظيمة حتى إن الملك الاول سبك حتب احترم معبود تلك الاسرة سبك رع بعد زوالها وأيلولة الحكم اليه ، وان الديار المصرية في ايام هذه الاسرة كانت على حالها السابق من التقدم والتمدن ؛ ثم اخذ يذكر بعض الاحداث والآثار متطابقاً في ذلك مع سليم حسن . وقد لاحظنا أن سليماً حسناً أورد من الاحداث والآثار اكثر مما اورده احمد كمال مما قد يدل على ان التنقيبات الحديثة كشفت عن اشياء لم تكن معروفة في زمن احمد كمال .

الاسرة الرابعة عشرة

- ١ -

عقد سليم حسن نبذة بهذا العنوان (١) لم يذكر فيها أسماء ولا أحداثاً وإنما قال فيها ما ملخصه ان ملوك هذه الأسرة ينتسبون إلى بلدة سخا في شمال الدلتا وان ورقة تورينو حفظت نحواً من واحد وعشرين من أسماء ملوكهم غيرانه لم يوجد لأحد منهم ذكر في الآثار ولا في قائمة الكارناك حيث يسوغ القول انهم لم يحكموا الوجه القبلي وان حكمهم كان منكمشاً في غرب الدلتا وانهم كانوا تابعين لملوك الهكسوس وان الأرقام التي وردت في ورقة تورينو عنهم تدل على انهم لم يكونوا يمكثون على العرش إلا زمناً قصيراً وعلى أن المنافسات كانت بينهم شديدة والمنازعات مستمرة وان للهكسوس يداً محتملة في ذلك. وأنهى النبذة بقوله ان الوجه القبلي في ذلك العهد كان مقراً لبيت ثالث يدعى ملك الوجهين القبلي والبحري وهو الأسرة السابعة عشرة على حسب رواية مانيتون، وانهم مع ذلك لم يكونوا يحكمون كل الوجه القبلي بدليل وجود امارات مستقلة في هذا الوجه إلى جانبهم. ولم يذكر المؤلف شيئاً عن أرومة هذه الأسرة. ولقد قامت في الدلتا على ما ذكر سابقاً. وقد تسربت قبائل عربية الجنس من طريق سيناء إلى الدلتا مرة بعد مرة في أواخر الاسرة السادسة ثم في خلال حكم الأسرتين الثامنة والتاسعة وبأعداد كبيرة وتمكنت من الانتشار في الدلتا والاستيلاء عليها على ما مر بيانه في سياق سيرة الاسر الثلاث المذكورة فمن المحتمل جداً إن لم نقل من المرجح أو المحقق أن يكون ملوك هذه الأسرة من هذه القبائل.

ومما قاله سليم حسن في فصل الهكسوس الذي يجيء بعد فصل الأسرة الرابعة عشرة(١) إلى الاسرتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة في سخا الدلتا بينما كانت الثالثة عشرة قائمة في طيبة. وإذا صح هذا فيكون ذلك في أواخر عهد الأسرة الثالثة عشرة، لأن المؤلف ذكر ان معظم ملوك الأسرة الثالثة عشرة كان شاملا للوجهين القبلي والبحري وانهم كانوا يتلقبون بملك الوجه البحري وملك الوجه القبلي وان منهم وخاصة أوائلهم من كان يمتد نفوذه إلى ما وراء ذلك في أرض فينيقية شمالا وفي أرض النوبة جنوباً على ما شرحه.

---

(١) الجزء المذكور سابقاً ص ٥٢ — ٥٣

(٢) ص ٦٤

ولقد عقد أحمد كمال نبذة على هذه الأسرة (١) قال فيها ان مانيتون ذكر في جدوله أن كرسي هذه الأسرة كان في مدينة سخا وان عدد ملوكها ٧٦ ومدة حكمها ٥٨٤ سنة وانه لم يذكر أسماء ولا أحداثا لهم غير ان ورقة تورينو احتوت بعد ملوك الاسرة الثالثة عشرة جملة أسماء في جدولين أكثرها مشوه مع مدة حكمهم كما يلي :

١ ـ رع سحب رع ومدته ٣ سنوات ٢ ـ رع مرزفا ومدته ٣ سنوات ـ رع سنتكا ومدته سنة ٤ ـ رع زفارع خب ومدته سنة ـ ٥ ـ رع اوبن ـ ٦ ـ ٧ ساقطان ـ ومدة أحدهما ٤ سنوات وآخرهما ٣ سنوات ٨ ـ رع نب زفا ـ ٩ ـ رع اوبن ـ ١٠ ـ رع سنوتوحت ـ ١١ ـ رع مرحت ـ ١٢ ـ رع نب سنو ـ ١٣ ـ ١٤ ساقطان ـ ١٥ ـ رع ب ـ ومدته ٣ سنوات وشهران ـ ١٦ سخبر نرع ومدته ٣ سنوات وشهر ـ ١٧ ـ رع ددخرو ومدته خمس سنوات وثمانية أيام ـ ١٨ سفنخ كارع ـ ١٩ ـ رع تخريابي ـ ٢٠ ـ رع سخم ـ ٢١ ـ رع كا . . ٢٢ ـ الع نغر حت ـ ٢٣ رع آ ـ ٢٤ ـ رع خعو ـ ٢٥ رغ نغركا ـ ٢٦ ـ رغ سمن ٢٧ ـ ٢٨ ساقطات ـ ٣٩ رع اوبز ـ ٣٠ ـ رع . . . ٣١ ـ رع سخم . . ٣٢ ـ رع سخم س . ـ ٣٣ ـ رع سسن ـ ٣٤ ـ رع نب ارى ـ ٣٥ ـ رغ نب اتن ـ ٣٦ رع سمن اوسر . . ـ ٣٧ ـ رع سا أوسرأت ـ ٣٨ رع سخم مرو ـ ٣٩ ـ ٦٥ ساقطة ـ ٦٦ . . . ولقبه ليابواسب ـ ٦٧ ـ رع سنغركا ـ ٦٨ ـ رع منتحوو ٦٩ ـ ٧٢ ساقـطة ـ ٧٣ . . . ولقبه حبو ـ ٧٤ مانانحا ـ ٧٥ ـ بينوو .

وقد قال المؤلف بعد هذه الأسماء ولعل الملك رع منح عو الملقب بلقب « عن أب » هو من ملوك هذه الأسرة وله أثر في دار التحف المصرية يدل على درجة الصناعة في ذلك العصر ، ثم قال ان ماريت ذكر ان آثار هذه الأسرة موجودة بأسيوط وان ماسبرو قال ان انقراضها نشأ عن عصيان الرعية على آخر ملوكها .

---

(١) العقد الثمين ص ٧٣

عهد الهكسوس

والأسرة الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة

- ١ -

في كل من كتب أحمد كمال وسليم حسن وبريستيد وشارويبم التي جعلنا عليها معولنا في الدرجة الاولى فصل عن الهكسوس والأسر الثلاثة التي كانت في حقبتهم. وفصل سليم حسن (١) هو الاحدث كتابة والاوفي مادة وقد استوعب كثيراً مما كتبه غيره من قبله وناقشه وأورد نصوصاً أثرية كثيرة عن هذه الحقبة.

ومما جاء في فصله ان كلمة هكسوس لم تكن معروفة قبل مانيتون وان أول من استعملها وهي صيغة يونانية للجملة المصرية (حتاناسو) بمعنى حكام البدو أو (حتاوخاسوت) بمعنى حكام الأقاليم الأجنبية مع ترجيحه المعنى الثاني، وان الهكسوس أصبحوا أصحاب السلطان في أرض الدلتا حوالي سنة ١٧٣٠ ق.م وطردوا من مصر حوالي عام ١٥٨٠م وبدأ طروءهم على مصر حوالى بداية القرن التاسع عشر قبل الميلاد ولم يدخلوا البلاد دفعة واحدة بل جماعات متفرقة واحدة بعد أخرى(٢) وقد أورد ما نقله يوسيفوس المؤرخ اليهودي ومانيتون من أقوال في صدد طروئهم وسيرتهم وخروجهم جاء فيه فيما جاء (٣) «لقد نزل بنا صاعقة من غضب الله فتجرأ قوم من أصل وضيع من الشرق على غزو بلادنا وكان مجيئهم أمراً مفاجئاً. وقد تسلطوا عليها بدون صعوبة وحروب. وبعد أن تغلبوا على الرؤساء أحرقوا المدن بوحشية وأزالوا معبد الآلهة وساروا في معاملة الأهلين بكل قسوة فقتلوا بعض القوم

---

(١) مصر القديمة ج ٤ ص ١٥٤-١٩٨

(٢) ص ٦٩٤٥-٥ و ٤٠ و ٨٠٤ ومن الجدير بالذكر في هذا المقام ان هناك اختلافاً في تاريخ دخولهم ومدة حكمهم فشارويبم يؤرخ طروءهم في سنة ٢٢١٤ وانهيار حكمهم في سنة ١٧٠٣ فتكون مدتهم ٥١١ (الكافي ج ١ ص ٦٢) وبريستيد يؤرخ بدأهم ونهايتهم ١٦٧٥-١٥٨٠ (تاريخ مصر من اقدم العصور ص١٣٩ و١٤٦) وانطون زيري يذكر ان مدتهم ٥١١ (الادب والدين عند قدماء المصريين ص ١٦١) واحمد كمال يقدرها بستمائة سنة (العقد الثمين ٧٤-٧٨)

(٣) ص ٥٨ - ٦٠

وسبوا نساءهم وأطفالهم ثم نصبوا واحداً منهم اسمه سالاتيس ملكاً فاتخذ مدينة متف مقراً له وضرب الضرائب على الوجه القبلي والوجه البحري وترك حاميات له في الأماكن الصالحة للدفاع وجدد بناء مدينة على الجهة الشرقية من فرع بوبسطيه وحصنها ووضع فيها حامية عددها نحو (٢٢٠٠٠٠) لحمايـة حدوده وحكم ١٩ سنة ثم خلفه بنون فحكم ٤٤ سنة ثم اباخناس فحكم ٣٦ سنة ثم ايوفيس فحكم ٦١ سنة ثم بناس فحكم خمسين سنة ثم اسبس فحكم ٤٩ سنة ، وكان هؤلاء الملوك الستة الذين يعتبرون حكامهم الأول يطمعون باستمرار في محو الشعب المصري وكان شعب هؤلاء الغزاة يسمون هكسوس ومعنى الاسم (ملـك الرعاة) لأن كلمة هك معناها في اللغة المقدسة ملك أما كلمة سوس فمعناها في اللهجة الدارجة راعي أو رعاة (١) . ويقول البعض انهم عرب وقد ظلوا أسياد البلاد ٢٥١ سنة ثم قـام ملوك اقليم طيبة وسائر البلاد المصرية بثورة عليهم فشبت حرب عظيمة طالت مدتها وفي عهد ملك يدعى سفراحمويس هزموا وطردوا مـن كل مصر وحوصروا في مكان يدعى اواريس (وهذا اسم المدينة التي ذكر قبل ان الهكسوس جددوها وحصنوها وأقاموا احاميتهم الكبيرة فيها والمتبادر ان صيغتها يونانية لأن روايات مانيتون وصلت بطريق الكتاب اليونان) ولما يئس الملك من استسلامهم عقد معهم معاهدة بجلائهم عن مصر وذهابهم حيث شاؤوا من دون تضييق فغادر منهم ما لا يقل عن (٢٤٠٠٠) حاملين متاعهم ومخترقين الصحراء إلى سورية وأقاموا مدينة في الاقليم الذي يدعى يودا كانت صالحة لايواء جمعهم الهـائل وأطلقوا عليها اسم اورشليم) ويوسيفوس يأخذ كلام مانيتون على انه يعني بهؤلاء اليهود . والمتبادر أن مانيتون ذكر أعلام يودا واورشليم كما كانت في حياتـه وقصد بيودا مملكة يهوذا التي كان مركزها اورشليم إلى القرن السادس قبل الميلاد . وقد علق سليم حسن على رواية يوسيفوس تعليقاً قرر فيه ان أكثر ما جاء فيها مخالف للحقائق والوقائع .

ويستفاد من فصل سليم حسن ان حكم الهكسوس وحكم الاسرة الثـالثة عشرة في طيبة والأسرة الرابعة عشرة في سخا الدلتا ثم الأسرة السابعة عشرة في طيبة كان متعاصراً

---

(١) لقد وجدت آثار لبعض ملوك الهكسوس نقشوا عليها اسماءهم ولقبوا أنفسهم فيها بلقب حتاوخاسوت على ما سوف نذكره بعد حيث يترجح انها اصل الكلمة . غير انه تفاسير مانيتون وسليم حسن لها محيرة . فليس من المحتمل في ظننا ان يكون ملوك الهكسوس قد أرادوا وصف انفسهم بملوك او حكام الرعاة . ووصف حكام الاقاليم الاجنبية يأتي غريباً ايضاً إلا اذا كانوا يريدون ان يصفوا انفسهم بذلك مضافـاً الى وصف « ملك مصر » كما كان يفعل خديويو مصر في نعت انفسهم « خديوي مصر والسودان وزيلع وهررو توابعها » ولقد كان نفوذ ملوك الهكسوس ممتداً الى فلسطين وبعض انحاء سورية شمالاً والى الشلال الاول جنوباً على ما سوف يأتي بعد مما يجعل هذا وبالتالي ترجيح سليم حسن الذي نوهنا به قبل هو الاوجه .

وان الاسرتين الاوليين ــ ضنحتا لحكمهم وانهم شغلوا في سلسلة الأسر مكان الاسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة . وقد روي مع ذلك عن مانيتون انه كان هناك أسرتان خامسة عشرة وسادسة عشرة خلاف الهكسوس وعدد ملوك الاولى سنة والثانية ٣٢ على ما مر بيانه في سيرة الاسرة الثالثة عشرة .

ومع ان احمد كمال يأخذ برواية مانيتون إلا انه لم يذكر شيئاً عن الاسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة المصريتين وينتقل بعد حكم الهكسوس إلى سيرة الاسرة السابعة عشرة ، حيث يبدو من هذا ان تقرير سليم حسن هو الصواب ولقد بحث سليم حسن في أمر الهكسوس طويلا (١) والمستخلص من بحثه انهم ليسوا من جنس واحد بل من جماعات متنوعة ممن كان يقطن في بلاد الشام وبين النهرين (مسوبوتاميا كما يعبر عنه) وان من المحتمل أن يكون منهم جماعة من الحورانيين والحيثيين الآريين غير ان العنصر السامي فيهم ــ أي العربي حسب اصطلاحنا ــ هو العنصر الهام فيهم مع تنويهه على ان العنصر غير السامي لم يحقق بعد ومع قوله: ان هذا ليس غريباً بالنظر إلى النفوذ الشامل للساميين في فلسطين وسورية حوالي سنة ٢٠٠٠ ق م ويشمل ذلك العموريين والكنعانيين وذكر في هذا السياق جماعة سماهم الخبيرو وقال ان من المحتمل أن يكونوا من العناصر التي تألف منها الهكسوس وهم ساميون على الارجح . وذكر كذلك الآراميين وقال ان من الجائز ان يكونوا ممن تتألفت منهم الموجة الهكسوسية وهم ساميون كذلك. ونبه مع شيء مع الشك والتحفظ على ما يمكن أن يكون بين ذلك وبين ما روته الكتب المقدسة من هجرة يعقوب وذريته إلى مصر من ترابط واحتمال التلابس بين الخبيرو والعبرو والعبرانيين وهو الاسم الذي كان يطلق على يعقوب وذريته (٢) .

---

(١) ص ١٨٥–١٩٨ وذيل الصفحة ١٩٧ ج ٤

(٢) عاد المؤلف فذكر في سياق سيرة امنحوتب الثاني احد ملوك الاسرة الثامنة عشرة ان الخبيرو م العبيرو او العبرانيون انظر ج ٤ ص ٦٧٧ وننبه في هذا المقام على ان رسائل تل العمارنة التي اكتشفت حديثاً والتي سوف نذكرها ببيان اوفى في سيرة الاسرة الثامنة عشرة ذكرت غارات قبائل الخبيرو على فلسطين فهذا قد يسوغ القول حقاً ان الخبيرو والعبيرو اسم واحد لجماعة من الساميين كانوا في فلسطين في القرن التاسع عشر قبل الميلاد أو قبله وزحفوا الى مصر مع الزحف الذي عرف بالزحف الهكسوسي او زحف فريق منهم ، وان جماعة منهم خرجوا مع الهكسوس حينما قوض حكم هؤلاء واجلى حكامهم وجيوشهم في زمن الاسرتين السابعة عشرة والثامنة عشرة على ما سوف نذكره بعد فكان هؤلاء هم الذين ذكرت رسالة تل العمارنة خبر غاراتهم وعبثهم وقد بقي جماعة منهم في مصر فيمن بقي ايضاً فكان هؤلاء هم بنو اسرائيل الذين خرجوا من مصر في القرن الثالث عشر بقيادة موسى على ما سوف نذكره بعد . وقد كان هؤلاء يسمون في مصر بالعبريو على ما تفيده وثائق اثرية مصرية عائدة الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد على ما سوف يرد ايضاً ، وهذا قد

ولقد افرد جرجي زيدان فصلا خاصاً في كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام (١) للهكسوس واورد دلائل عديدة لغوية وغير لغوية على انهم من الجنس العربي مع ترجيحه بانهم من الآراميين الذين خمنا انهم الخابيرو واورد اقوال العلماء المؤيدة لوجهة نظره هذه ولقد قال شارويبم (٢) ان علماء الآثار قرروا نتيجة لدرس اشكالهم المرسومة على الآثار القديمة انهم من الجنس العربي حيث كان عليهم وشم باللون الازرق وكانوا يتشحون بجلود الغنم . ولقد قال درايتون احد علماء آثار وتاريخ مصر (٣) انه يجب ربط هجرة الهكسوس بحركة هجرة سابقة لها حيث تدفق الآريون الى الشرق الادنى فدفعوا الساميين في ظهورهم واضطروهم الى الاتجاه نحو بلاد كنعان ثم الى مصر وان كان تبعهم شراذم من الآرايين .

فكل ما تقدم يؤيد ان الهكسوس موجة من موجات الجنس العربي تسربت الى مصر في اوائل الالف الثانية قبل الميلاد كما فعل شقيقات لها من قبل مرة بعد اخرى وقبل قيام المملكة المتحدة وأسرها وبعده على ما شرحناه قبل وان كان لا يمكن الجزم بانهم كنعانيون او عموريون او آراميون مع التنبيه انهم لا بد من ان يكونوا منهم ولا يبعد ان يكونوا مزيجاً من الجميع لأنهم هم الذين كانوا يملأون بلاد الشام وبين النهرين والعراق مستقرين ومتحركين في هذا الظرف ممتداً الى ما قبله والى مابعده على ما سوف نشرحه في الجزئين الثالث والرابع . وليس احتمال اندماج عناصر غير عربية الجنس فيهم مؤثراً في ذلك كما هو المتبادر . والذين

يؤيد ان بني اسرائيل احتفظوا بتسميتهم القديمة الخبيرو او العبيرو . وقد يرد على هذا ان اسفار العهد القديم تذكر خبر قدوم ابراهيم العبراني الى فلسطين وخبر نزوح يعقوب واولاده العبرانيون الى مصر كحوادث فردية (انظر التكوين) وهذا لا يهم لان قصص سفر التكوين تتحمل كثيراً من التحفظ .

ويرد كذلك انه لم يرد ذكر لقبائل الخبيرو والمفروض انهم كانوا في شرق الاردن وغربه حينما خرج بنو اسرائيل من مصر . ولم يمر وقت طويل بين ذكرهم في رسالة تل العمارنة وطروء بني اسرائيل على شرق الاردن وغربه يكفي لتواريهم عن المسرح اسماً ووجوداً . وهذا مهم حقاً . والتعليل الذي يرد على البال ان خبيرو او عبيرو صفة او اسم خاص لجماعات من القبائل الآرامية او الكنعانية او الامورية التي كانت في بلاد الشام في ظروف حركة الهكسوس وبعدها وظلت فيها بعد طروء بني اسرائيل من مصر على شرق الاردن وغربه محتفظة باسماء ارومتها دون صفة الخبيرو او العبيرو في حين احتفظ بنو اسرائيل في مصر بهذه الصفة فسموا بها في الاثار المصرية في سفري التكوين والخروج .

(١) الطبعة الجديدة ص ٦٧–٧٤

(٢) الكافي ج ١ ص ٦٥

(٣) مصر تأليف درايتون ترجمة بيومي ص ٣٢٢

قالوا بهذا الاحتمال نبهوا على ان الساميين ـ الارومات العربية الجنس ـ كانوا هم العنصر الهام فيهم وان ما عداهم كانوا شراذم على ما ذكرناه آنفاً .

ولقد ذكر سليم حسن(١) ان الهكسوس بدأوا يطرأون على مصر في بداية القرن التاسع عشر وانهم دخلوا جماعات بعد جماعات . وهذا يعلل ما ذكره من ان بدء حكمهم كان في سنة ١٧٣٠ ق م او بعده على ما ذكره برستيد مما اوردناه قبل حيث انهم يكونون قد استطاعوا فرض سلطانهم حينما تكاثف عددهم وقووا .

ولقد ذكرنا قبل عزواً إلى سليم حسن ايضاً ان جماعات من الآسيويين والساميين تسربوا بكثرة في اواخر عهد الاسرة من طريق سينا ثم في عهد الاسرة العاشرة ثم في عهد الاسرة الثانية عشرة وكلهم شاميون ساميون او اورمات عربية الجنس لان بلاد الشام كانت مهج بهذه الارومات في هذا الظرف مما يسوغ القول ان تسرب الجماعات التي تميزت باسم الهكسوس كان امتداداً واستمراراً لحركات التسرب السابقة للارومات الغربية الى مصر على طريق سيناء ، وان كل ما هنالك . ان فرض هذه الارومات حكمها في القرن الثامن عشر والسابع عشر قد ميزها باسم الهكسوس حتى صارت تذكر على اعتبار أنها زحف جديد . .

ومما ذكره سليم حسن في سياق سيرة الهكسوس انه لا يعرف من ذلك الا اليسير وان مانيتون قسم حكم مصر في عهدهم الى ثلاث اسر وان ملوك الاسرة الاولى منهم ستة وهم سلاتيس واباخناس وابوفيس وبناس واست ؛ وان ملوك الاسرة الثانية منهم (٣٢) والاسرة الثالثة (٤٠) ؛ وانه كان الى جانبهم ملوك طيبة من الاسرة السابعة عشرة وعددهم (٤٠) كذلك . وقد نبه سليم حسن بعد ايراده اقوال مانيتون ان روايته غير جديرة بالاعتماد وان الآثار والوثائق القديمة التي عثر عليها احتوت اسماء عدد من ملوك الهكسوس من

---

(١) من المحتمل ان تكون هذه الشراذم من الشعب الحثي الذي تسميه النقوش المصرية خيتا والذي ذا نشاط قوي في شمال سورية في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ممتداً الى ما قبل ذلك وبعده على ما سوف نشرحه بعد . فان بعض الجاليات الحيثية كانت موجودة في عهد ابراهيم حوالي ٢٠٠٠ - ١٩٥٠ ق م اي في ظرف بدء تسرب الهكسوس الى مصر على ما تفيده نصوص سفر التكوين (انظر للاصحاح ٢٣) ثم ظلت موجودة في فلسطين الى عهد داود في القرن العاشر وربما الى ما بعده على ما تفيده نصوص سفر الملوك الثاني في النسخة الكاثوليكية وصموئيل الثاني في النسخة البروتستانية (الاصحاح ١١) فمن المحتمل ان يكون جماعة من هؤلاء قد تسربوا الى مصر مع الارومات الهكسوسية .

المتعذر ترتيبهم تاريخياً (١) وأخذ بعد هذا بذكر الاسماء فقال انه قرأ اسماء ثلاثة منهم يحملون اسماً مشتركاً هو ابو فيس غير انهم يختلفون في الالقاب وهي هذه :

١ ــ عاوسر رع ــ ايوفيس ابن الشمس . ملك الوجه القبلي والوجه البحري .

٢ ــ نب ــ خبش ــ رع ــ ايوفيس ابن الشمس . الاله الطيب . رب الارضين .

٣ ــ عاقنن ــ رع ايوفيس ابن الشمس الاله الطيب .

وقرئت كذلك اسماء مجموعة اخرى يحمل كل منها لقب حقا خاسوت الذي معناه حاكم خاسوت الذي معناه حاكم البلاد الاجنبية وهي هذه :

(١) سمقن . (٢) عانت هر . (٣) خيان .

وقرئت ايضاً اسماء مجموعة اخرى يحمل كل منها لقب الاله الطيب ولم يعرف لاصحابها آثار عدا الجعارين . وهذه هي :

(١ عا حتب ــ رع (٢) مروسر رع . (٣) وازد (٤) خع وسر رع . (٥) سخع ن رع (٦) ماع اب رع . (٧) نب تاوي رع (٨) خع مورع .

وقرئت أيضاً أسماء مجموعة رابعة يحمل كل كل منها لقب ابن الشمس وقد عرفت كلها تقريباً من الجعارين فقط وهذه هي : (١) ششي (٢) سكت (٣) يعقوب هر (٤) إع (٥) عامو (٦) قار .

وقرئت ايضاً أسماء ثلاثة من ملوك الهكسوس على آثار كشفت حديثاً وهي هــذه : (١) عاقن (٢) شارك (٣) ابب . ويلحظ ان معظم الاسماء قد الحق بها رع حيث يدل على انهم قد اندمجوا فيما كانت عليه مصر من اعتبار رع اله الشمس هو الاله الرئيسي .

ومما قاله المؤلف بعد ذلك ان الباقي من آثار الهكسوس نزر يسير وان هــذا النزر يتضاءل إذا علم ان كثيراً منه انما انتحلوه لأنفسهم من الآثار القديمة . ثم اخذ يذكر الذين وجدت لهم آثار عديدة متنوعة من لوحات وجعارين واوان وقطع حجرية وغير ذلك من هذا الباب فذكر عاور سر رع ايوفيس فقال انه عثر على لوحة له عليها وصفه هكذا او ملك صور . صورة رع الحية على الارض والشجاع يوم القتال ومن اممه اعظم من اي ملك آخر ومن شهرته وصلت حتى الاراضي الاجنبية ؛ وهذه بالاضافة الى بعض جعارين وقطعة حجرية اخرى وجدت لهذا الملك تحمل اسمه . ثم ذكر نب خبش رع ايوفيس وقال انه وجد له خنجر من الشبه على وجه قبضته منظر صيد يشاهد فيه صياد يرمي أسداً وغزال

---

(١) ج ٤ ص ٨٢-٨٤

يقفز فوق الاسد ويحمل اسمه هكذا « الاله الطيب رب الارضين نب خبش رع بن الشمس ايوفيس معطي الحياة » وقد عثر على ملعقة من الطران نقش عليها اسمه كذلك . ثم ذكر عاقنن رع ايوفيس وقال انه عثر على قطعة إناء كبيرة نقش عليهــا اسمه هكذا : الاله الطيب عاقنن رع ابن الشمس ايوفيس معطي الحياة والسعادة كما وجد مائدة قربان نقش عليها اسمه هكذا : حور مهدىء ا[illegible] ين الالــه الطيب . وقد عرف انه قدم هــذه المائدة ذكرى لوالده «سنخ رب اواريس الذي جعل كل الاراضي تحت قدميه » كما عرف من نقشها . ثم ذكر سوسرن رع خيان وقال عنه انه اعظم ملوك الهكسوس آثاراً . فان آثاره منتشرة في جهات مختلفة في داخل القطر المصري وفي سورية وفلسطين وبغداد وكريت جعلت بعض المؤرخين يظنون ان مملكته كانت ممتدة الى هذه الاصقاع . ومن الالقاب التي قرئت له (حور ختام الارضين) والاله (الطيب ابن الشمس) و(حاكم البلاد الاجنبية خبان) و (حاكم المجندين خيان) و (الاله الطيب سوسرن رع) . وقال المؤلف تعليقاً على ما ظنه المؤرخون أن سورية وفلسطين كانت ضمن البلاد التي كان الهكسوس يسيطرون عليها في أيام مجدهم فلا غرابة في وجود آثار لهم فيها وأما الآثار التي وجدت في كريت وبغداد فالارجح انها وصلت اليها عن طريق النقل والشراء لأن ما وجد فيها عبارة عــن تمثال لأسد وبعض الجعارين ولا يعقل أن يكون هذا كل ما حققوه لو كان سلطانهم امتد الى هذه الانحاء .

ومما قاله في صدد مدى حكمهم لمصر (١) ان مانيتون روى أنهم استولوا على جميــع البلاد غير ان هذا التعميم لا يقبل على علاته . والذي لا شك فيه ان الدلتا كانت في قبضتهم وان سلطانهم امتد حتى مصر الوسطى في عهــد الأسرة السابعة عشرة الطيبية . ولا يمكن الجزم بما إذا كانوا احتلوا البلاد الواقعة جنوب مصر السفلى . وبعض المؤرخين يستدلون من وجود آثار الملك خيان والملك سوسرن رع ايوفيس في الجنوب على انهم كانوا مسيطرين على البلاد حتى الشلال الاول وهذا الملك سمى نفسه « صنام الارضين » وهو لقب يعني ان سلطانه كان شاملا للجنوب والشمال . وهناك ما قد يدل على ان الملك سعنن رع احد ملوك طيبة من الاسرة السابعة عشرة كان تحت نفوذ ملك الهكسوس وعلى ان بلاد الجنوب كانت تدفع جزية فادحة لهم كاصحاب السيادة . وكان اداء هذه الجزية من الدوافع التي حركت اهل الجنوب وجعلتهم يهبون ضدهم الى ان تمكنوا من اخراجهم من مصر اذلاء مشردين . (والجملة الاخيرة للمؤلف !) .

---

(١) ص ١٥٣-١٥٥

واستطرد المؤلف بعد هذا الى ذكر صور من ثقافتهم ومدنيتهم ونشاطهم وصناعتهم وما كان من آثارهم في التجارة والصناعة . فذكر فيما ذكره (١) آثاراً لهم في فلسطين وسورية صناعية وثقافية وتحصينية مستدلا بها على ان نفوذهم كان ممتداً اليها مخمناً ان ذلك كان قبل سيطرتهم على مصر لان هجرتهم الى مصر اتخذت سبيلها من الشمال الى الجنوب فبسطوا سيطرتهم على هذه البلاد اولا ثم امتدوا الى مصر . وقد سهل هذا عليهم لان البلاد لم تكن تؤلف وحدة سياسية حيث كان يقوم فيها ولايات عديدة يتمتع كل منها باستقلاله . وقد وجد في قبرص ادوات هكسوسية الصنعة مما يمكن ان يدل على انه كان بين مصر وقبرص في عهدهم حركة تجارية . ومن المحتمل ان يكون النشاط التجاري في عهدهم كان بين مصر وشواطىء البحر الشرقية عامة وهناك دلائل تدل على ان الهكسوس هم الذين صنعوا البرونز من النحاس ولم يكن معروفاً في مصر قبلهم . وكان لهم طراز تحصينات يميز على ما عرف من تحصيناتهم في فلسطين وسورية وهم الذين جلبوا الخيل والعربات الى مصر . وما عثر عليه من آثارهم يدل على انهم قوم على جانب عظيم من المدنية بل كانوا اكثر تقدماً في بعض النواحي من اهل مصر . وهناك عدة امارات تدل على انهم كانوا يعيشون عيشة منظمة بالمعنى الاجتماعي الصحيح ولم يبقوا في نطاق الحياة القبلية وانهم خططوا البلدان المنظمة التي راجت فيها التجارة وان صناعة الفخار والحدادة والمجوهرات كانت متفوقة في عهدهم مما لم يكن ميسوراً قبل تقدم عمل السبائك والتفنن فيها وهو ما ظهر على ايدي الهكسوس ، وان ما تم في عهدهم من هذه الاعمال الجليلة لا يمكن ان يتم في جو كله حروب مستديمة بل يجب ان يعزى إلى قوم على جانب عظيم من المهارة وطرائق الحياة المتمدنة التي اعتنقوها بعد ان حطوا رحالهم واستقر بهم المكان ؛ ولقد وجد لهم آثار صناعية متنوعة في مختلف انحاء مصر منها ما يرجع الى عهد الاسرة الثانية عشرة مما يحتمل ان يكون هذا من صنع جماعات منهم تسربت الى مصر كنزلاء مسالمين قبل زحفهم على مصر باعداد كبيرة واستيلائهم عليها؛ ومما فيه صورة من صور التسلل العربي الهادىء الذي تكرر إلى جانب التسلل العنيف المتكرر ايضاً .

ومما قاله المؤلف ان احمس الاول الذي اعتبر مؤسس الاسرة الثامنة عشرة والذي كان ملكه امتداداً للاسرة السابعة عشرة طرد الهكسوس من مصر حوالي ١٨٥٠ م غير ان نفوذهم السياسي فيها ظل قائماً وثقافتهم لم تمح و وانهم لم يتقهقروا الى ابعد من النقطة التي رجع عن

---

(١) ص ١٤٥ - ١٨٥

مطاردتهم فيها اي مدينة شارهن الحصينة التي تحصنوا فيها فحاصرهم الى ان استولى على المدينة وهزمهم منها حيث اطمئن من ناحيتهم فعاد إلى مصر فلم يلبثوا ان عادوا بدورهم واتجهوا مصر وان كانت حركتهم وقفت عند ذلك . ولقد قاد احمس بعد عودته حملة الى الحدود الجنوبية الثائرة فاخضعها . فلما عاد وجد ان الثورات اندلعت في الدلتا بقيادة زعيمين من زعماء الهكسوس اسم احدهما آتا وثانيهما تتاعان اندمج فيها معهم جماعة من الذين تخلفوا في البلاد من الهكسوس لانه لم يكن من الممكن طردهم كلية وقد استوطنوا البلاد مدة طويلة ؛ حيث يفيد هذا ان الطرد والمطاردة انما كانا ضد الحكام والجيوش الهكسوسية وان الجماعات الهكسوسية ظلت مستوطنة في الدلتا ، والمتبادر ان يكون الباقون اكثر من الجالين لان نسبة الحكام والجيوش تكون عادة ضئيلة بالنسبة الى سائر سواد الشعب . ولقد قال المؤلف ان احمس قمع ثورة الثائرين واحدة بعد اخرى ولكنه لم يقل انه اجلى الباقين حيث يدل هذا على ان الجماعات الهكسوسية ظلت مستوطنة في الدلتا .

وفي العقد الثمين كثير من سيرة الهكسوس منه ما هو معزو الى مانيتون ومنه ما هو مستند الى الآثار ؛ وبينه وبين ما اورده سليم حسن كثير من التطابق . وقد ذكر فيما ذكره - (١) مما فيه زيادة او توضيح - ان الملوك الستة الاولين الذين ذكرهم مانيتون قضوا حياتهم في قتال ملوك طيبة لاخماد شوكتهم واستعملوا مع المصريين القسوة والفظاظة اللتين استمر اثرهما في هؤلاء امداً طويلا واثارت فيهم الكراهية لهم وانهم مالوا بعد مدة الى حضارة مصر اونسوابها وتركوا الفظاظة واستعملوا الرأفة والرحمة وشرعوا في احياء البلاد وتجديد ثروتها وادخلوا في مصالحهم الحكومية موظفين وكتبة من المصريين وفتحوا مدارس لتعليم ابنائهم فكان ذلك سبباً لتهذيب اخلاقهم وسلوكهم مسلك الامن والراحة حتى ظهر منهم التقدم والتمدن وصار لدولتهم ابهة عظيمة وشهرة كبيرة واستخدموا في المناصب والمراتب العالية رجالا محنكين وصاروا يستعملون في مراسلاتهم الملوكية الديباجات المصرية القديمة ودانوا بديانة مصر واتخذوا مدينة صان قاعدة لهم وفتحوا معابدها واكثروا من العمارة فيها حتى صارت مدينة عظيمة ثم تغلبوا على الوجه القبلي فشمل حكمهم كافة انحاء مصر ؛ وان الاسرة الثانية اتخذت صان عاصمة لها كسابقتها وحكمت مصر قاطبة ، وان دائرة التمدن في عصرها اتسعت وان كثيراً من اهل الشام والعرب هاجروا الى مصر لاكرام ملوكها لهم

(١) ص ٧٤ - ٨٠ و ١٥٥

لكونهم من ابناء جنسهم، وانهم استخدموا كثيراً منهم في الجيش الذي كان مقامه في معسكر اواريس فكانوا حدتهم في سيطرتهم على مصر ، وان المهاجرين لما استوطنوا مصر غلبت عليهم حضارتها وصاروا كالمصريين في جميع الاحوال إلا انهم حافظوا على لغتهم الاصلية ، وان الملك احمس حاصر قلعة اواريس براً وبحراً وفتحها وطرد العمالقة ـ يعني الهكسوس ـ منها واقتفى اثرهم حتى ادخلهم قلعة سروحن في حدود ارض سروحن ثم فتحها وأسر كثيراً من رجالهم وخلص مصر من جور ملوكهم ـ ويلفت النظر الى تناقض هذا النعت على ما ذكره عنهم قبل ! ـ وان من بقي منهم في ضواحي اواريس اظهر لهم الطاعة والانقياد فابقاهم في ملكه واستوطنوا بين الصحراء وفروع النيل الشرقية ، وان الذين بقوا منهم هم غالب قومهم ، وانهم حازوا بعض امتيازات ميزتهم عن المصريين الذين اطلقوا عليهم اسم « بي امو » وانهم حصلوا من المصريين على وظائف مهمة ومنها الكهانة فادى ذلك إلى ادخال معبوداتهم في الديانة المصرية فاحترمها المصريون وبنوا لها المعابد في منف ؛ وان كل ذلك كان سبباً لسريان اللغة السامية في بلاد مصر وتعلمها غالب المصريين والليبيين ، وان ما قيل من ان ملوك الرعاة خربوا البلاد ودمروها لا اصل له لان المؤرخين اثبتوا ما كان لهم من عمران ونشاط مدني حتى ان بعض المصريين لمحبتهم لهم سموا اولادهم باسمائهم والقابهم .

وفي الكافي لشارويم ايضاً كثير من سيرة الهكسوس متطابق مع ما ذكره سليم حسن واحمد كمال في الاجمال . ومما ورد فيه وفيه بعض الزيادة والتوضيح (١) ان هناك آثاراً ومدونات قديمة تدل على ان التجارة قد نشطت بين بلاد الشام ومصر في عهدهم وان الصلات قويت بينهم وبين سكان بلاد الشام ون توطد سلطانهم في مصر قد شجع كثيراً من الشاميين على الهجرة الى مصر والتوظف فيها والاشتغال بمختلف الاعمال ودخول كثير منهم في خدمة الدولة وان هجرة اهل الشام الى مصر استمرت بعد تقويض حكم الهكسوس ايضاً . وان لغتهم انتشرت نتيجة لذلك في مصر السفلى والوسطى خاصة انتشاراً واسعاً ، ومع انه قرىء على الآثار المكتشفة في الجنوب نقوش تذكر ان الهكسوس كانوا همجاً برابرة وانهم خربوا المدن والمعابد والقصور وحرقوا البيوت ونهبوا الاموال وقتلوا الرجال وسبوا النساء والاطفال وتنعتهم بالغرباء والدخلاء فانه قرىء على الآثار الشمالية ما يفيد انهم اهتموا لاعمار

---

(١) ج ١ ص ٦٠ - ٦٧ و ٨٠ و ١١٩ - ١٥٦ انظر ايضاً كتاب مصر القديمة لسليم حسن ج ٤ ص ١٥١ و ٣٥٠ حيث ذكر المؤلف ما كان الفراعنة الذين جاؤوا بعد الهكسوس يذكرونه في نقوشهم من مثل ذلك .

البلاد وتحسين مرافقها وكانوا صالحي الادارة وانهم اقتبسوا عادات المصريين وتساهلوا في عباداتهم ومعابدهم وان كثيراً من المصريين اختلطوا بهم واقتبسوا منهم اشياء كثيرة ولا سيما في البناء وان شكل ابي الهول المجنح من مبتكراتهم وانه انشأ في عهدهم مدينة جديدة مزيجة من ميول وروح وذوق الطارئين والمستقرين . وقد عزا شاروبيم كثيراً مما ذكره الى ماريت العالم الاثري المعروف .

وشيء من ذلك ذكره المطران الدبس في كتابه تاريخ سورية حيث قال (١) «ويظهر ان قبائل سورية وبلاد العرب لم تقلق خواطر الملوك الرعاة ولم تزعجهم بحركاتها لما كان لها من نفع ومغنم من قيام دولتهم لان اشتراك الفريقين في اللغة والدم والوطن القديم كان ميسراً لمن جاء من سورية وبلاد العرب الى مصر كسب المال ورواج التجارة واسباب العمل وحسن المعاملة حتى لقد هاجر جمع غفير من سورية وبلاد العرب وخاصة في ايام المحن والمجاعات .

ولقد كان حكم الهكسوس متميزاً ذا دوي قوي في تاريخ مصر القديم مع انهم لم يكونوا الارومة الوحيدة التي تسربت بعد قيام المملكة المتحدة الى مصر وصارت صاحبة الحكم والسلطان حيث تسرب قبلهم موجات من طريق بلاد النوبة وكان منها الاسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة وحيث تسرب قبلهم كذلك موجات من ليبية واستقرت في مصر الوسطى وفرضت سلطانها على مصر في ظل الاسرتين التاسعة والعاشرة الاهناسيتان على ما خمنه المؤرخون وشرحناه قبل . ونعتقد انه كان للتصاول الذي جرى بين ملوك الهكسوس وملوك الاسرتين السابعة عشرة والثامنة عشرة وانتصار هؤلاء عليهم اثر قوي في ذلك او بالاحرى انه كان سبب ذلك . وهو الذي حدا بالاسرتين الى نعت الهكسوس باقبح النعوت من غرباء وغزاة ومغتصبين وسفاحين ومخربين وبلاء الخ برغم ما عرف عنهم من مدنية وثقافة وعمران وتنظيم لتعبئة افكار الناس ضدهم واثارة حماسهم على قتالهم ثم تبرير سلطانهم الذي قام على انقاضهم مما يقع في كل زمان ومكان وشهدنا كثيراً من امثاله وسمعناه . وقد تداوله اجيال مصر القديمة حتى وصل الى مصر مانيتون فردده مع ان بينه وبينهم الف عام او تزيد .

ومن العجيب ان يظل مؤرخو مصر المحدثين يرددون ما ردده مانيتون وما دونه فراعنة الاسرتين السابعة عشرة والثامنه عشرة وما بثوه ضدهم من نعوت الهمجية والبربرية والتدمير والجور والقسوة والغرباء والدخلاء والغزاة الغاصبين ويكررون القول في سياق هذا ان ملوك الاسرة السابعة عشرة والثامنة عشرة ومن قبلهم ومن بعدهم مصريون صميمون

---

(١) المجلد الاول الجزء الاول ص ٢٤٦

مع انهم يذكرون صوراً كثيرة من سيرة الهكسوس التي تدل على ما كانوا عليه من رقي مدني واجتماعي وثقافي وصناعي وتنظيمي وعلى ما اسهموا فيه من نصيب كبير في حضارة مصر القديمة وعلى ما كان من انسجام تام بينهم وبين المصريين ومع انهم يعرفون ويقررون الى هذا انهم ليسوا الطراء الوحيدين على مصر وان الارومات الفرعونية القديمة لم تنبت من مصر نباتاً وانما هي بدورها طراء مثلهم وان معظمهم ينتسب الى الجنس العربي والجزيرة العربية اللذين ينتسبون اليهما . ومن طريف ما ناقضوا انفسهم فيه انهم وصفوا الذين جاؤوا من بلاد النوبة الى الصعيد واستولوا عليه ونشأ منهم الاسر الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة والسابعة عشرة والثامنة عشرة غزاة اجانب حينما جاؤوا الى الصعيد على ما نقلناه عن سليم حسن في سياق سيرة الاسرة العاشرة ثم وصفوهم في سياق موجهة الهكسوس بالمصريين الصميمين (١) .

هذا ؛ ولقد ذكر احمد كمال فيما ذكره خبر يوسف ويعقوب فقال ان يوسف بيع لوزير الملك ابابي رع كتن الهكسوسي وان هذا الملك هو الذي اطلقه من السجن وعينه اميناً على خزائن الارض كما جاء في القرآن وان عنوان المنصب الذي عين فيه هو « زافتنات بنياخ » وان يعقوب وأبناءه قد هاجروا إلى مصر في زمنه . ولا يذكر احمد كمال مصدراً لما قاله . وقد اوردنا قبل بعض اقوال لسليم حسن عن مساهمة الخبيرو في هجرة الهكسوس وساميتهم — جنسيتهم العربية — واحتمال ان يكونوا هم العبرانيون الذين منهم ابراهيم ويعقوب وذريتهم. غير ان كلامه يفيد ان الخبيرو الذين يربط بين اسمهم واسم العبرو والعبرانيين كانوا جماعة كبيرة في حين ان سفر التكوين ذكر نزوح يعقوب وذريته كأسرة او عشيرة صغيرة . وليس ما يمنع صحة هذا مع صحة اندماج جماعات من الخبيرو في زحف الهكسوس وان يكون يعقوب وذريته ممن تخلفوا في فلسطين وبلاد الشام من الخبيرو ثم التحقوا بهم بعد توطد حكم الهكسوس فيمن التحق من سكان بلاد الشام وفلسطين من الخبيرو وغيرهم من الارومات العربية .

ولقد نمت هذه العشيرة وتكاثرت في مصر وصار اسم العبرو والعبرانيين عنواناً لهم ثم خرجوا منها بقيادة موسى بعد عهد الهكسوس بمدة ما نتيجة لما وقع عليهم من اضطهاد

---

(١) ومن الطريف ان هذا تكرر في سياق تاريخ مصر الحديث ايضاً حيث نعت الجبرتي مماليك الشركس والترك بالمصريين حينما كانوا يتصاولون مع ولاة الدولة العثمانية ! (انظر مثلا ج ١ ص ٣٣٧ — ٣٣٨)

الاسر التي قامت بعد هذا العهد .

والمتبادر والمعقول كذلك أن العبرانيين كانوا من مؤيدي حكم الهكسوس ورجاله من بعد يوسف ايضاً فتعرضوا بسبب ذلك للاضطهاد فكان ذلك مـــن اسباب خروجهم من مصر .

وبعض الباحثين ينكرون الهجره والخروج معاً . غير أن هناك بالاضافة إلى اسفار العهد القديم (سفر التكوين والخروج) التي قصت قصتها بتفصيل لا يعقل أن يكون جميعه مـــن اختراع الخيال قرائن اثرية على ذلك على ما سوف نذكره في سياق سيرة الاسرة التاسعة عشرة .

الاسرة السابعة عشرة

-١-

انسليم حسن استطرد في سياق فصل الهكسوس الى الاسرة السابعة عشرة التي تصاولت مع ملوك الهكسوس وقضت على حكمهم (١) وقد أورد اسماء وألقاب احد عشر ملكاً من ملوك هذه الاسرة مع سيرتهم واحداً بعد آخر . وهذه هي :

١ ـ سخم رع واح خع ـ ح حتب
٢ ـ سخم رع هرو حرماعت ـ انتف
٣ ـ سخم رع وب ما عت ـ انتف عا
٤ ـ نب خبر رع ـ انتف
٥ ـ الملك سبك مساف
٦ ـ سخم رع واز خع ـ سبك مساف
٧ ـ سخم رع ـ شد تاوي ـ سبك مساف
٨ ـ سخم رع ـ سمنتاوي ـ تحوكي
٩ ـ سانخت ان رع ـ تاعا الاول
١٠ ـ سقنن رع ـ تاعا الثاني
١١ ـ واز خبر رع ـ كامس

ولقدكنا أوردنا في سياق الاسرة الثالثة عشرة ما ذكره المؤلف عزواً الى مانيتون من أن عدد ملوك هذه الاسرة (٤٠) فاذا صح هذا فيكون هؤلاء الذين اورد المؤلف اسماءهم مستمدة من آثارهم هم الذين عرفوا او وجد لهم آثار منهم .

ويبدو من الحاق رع باسماء الملوك ان هذا الاله الذي كان يرمز إلى الشمس قد ظل كما كان سابقاً هو الاله الرئيسي في المملكة .وقد رأينا بعض ملوك الهكسوس يلحقونه باسمائهم مما يدل على شمول رئاسته الالهية .

---

(١) مصر القديمة ج ٤ ص ٩٥ــ١٤٧

ولا يذكر المؤلف شيئاً عن هوية هذه الأسرة . ومن المحتمل جداً ان تكون من نفس الارومة التي كانت منها الاسرة السابقة لها في طيبة اي الاسرة الثالثة عشرة التي خمنا انهـا امتدادٌ للاسرتين الثانية عشرة والحادية عشرة اللتين رجح الباحثون انهما مـن القوم الذين جاؤوا من بلاد النوبة الى الصعيد واستولوا عليه في عهد الاسرة العاشرة والذين كان العنصر السامي (العربي) هو الغالب فيهم على ما ذكرناه قبل . واستمرارهم على اتخـاذ طيبة عاصمة واعتبارهم رع الهاً رئيسياً كملوك الاسرتين المذكورتين قـد يكون قرينة على ذلك

ويظهر من شروح المؤلف ان الاسماء والالقاب التي اوردها منقولة عن الآثار الـتي وجدت لاصحابها من لوحات وجعارين واهرامات وتماثيل ومقابر وغير ذلك . وليس في سيرة معظمهم احداث ذات بال .

ومما ذكره في صدد سيرة ثالثهم انه عثر على قمة هرمه وقد نقش عليها اسمه ونعت اسمه بملك الوجه القبلي والوجه البحري ابن الشمس ، وانه عثر على ورقة من البردي فيها تسجيل لنتائج فحص اجراه الموظفون لمقابر الملوك بامر من رعمسيس التاسع احد ملوك الاسرة التاسعة عشرة ذكر فيها ان هرم هذا الملك وجد سليماً . وذكر في صدد سيرة رابعهم ان لجنة الفحص ذكرت انهم وجدوا اللصوص جادين في نقب جدار هرمه وانهم نقبوا نفقاً فيه ولكنهم لم يتمكنوا من سرقة شيء منه ؛ وانه وجد أمام قبره عدة قطع من مسلتين كانتا قائمتين امامه نقش عليهما اسمه ووصف في النقش برب الجبال الشرقية ، وان تابوته وجـد سليماً وكتب عليه لقب ملك الوجه القبلي والوجه البحري ، وان الآثار التي تركها هـذا الملك تدل على انه كان ذا جد ونشاط وان الدم المصري الخالص كان يجري في عروقه على الرغم مما اصاب البلاد من التمزق والكوارث التي سببها الفتح الاجنبي (١) وقد نقش على مدخل باب معبد بناه سنوسرت الاول مرسوم لهذا الملك ذكر فيه ان زعيماً يدعى توتي ابن امنحوتب قد اشترك في مؤامرة مع اعداء الملك فامر الملك بنفيه عقاباً على ذلك. وقد علق المؤلف على هذا قائلا ان من المحتمل ان يكون هؤلاء الاعداء هم الهكسوس او قبائل الصحراء الذين ينتسبون اليهم . وقد اورد المؤلف نص المرسوم الذي يأمر الحكام والجنود والكهان بطرده وحرمانه من وظيفته هو وذريته وحرمانه من نصيب الوظيفة من الخبز واللحم

---

(١) من العجيب ان يردد هذا المؤلف على جلالة علمه وشأنه هذه النعوت مع ما قرره في مواضع كثيرة من كتابه من تقريرات تتناقض معه ومع ما بمرفة من ان الاروسات الفرعونية كلها طارئـة على مصر من الخارج !!

لانه تستر على العدو ويدعو على كل حاكم او ملك يصفح عنه بالحرمان من التاج الابيض والتاج الاحمر ومن الجلوس على عرش حور الملك الحي وبالحرمان من عطف ربتي العقاب والصل ويأمر بمصادرة املاك ومتاع كل حاكم أو موظف ينصبح الفرعون بالعفو عنه وحرمان أي فرد من اسرته . وقد استدل المؤلف من هـذا النص على أن سلطان هـذا الملك لم يكن وطيداً وانه كان يقوم في منطقته ملوك أو حكام لهم استقلالهم . ومما ذكره من سيرة هذا الملك ايضاً خبر اقامته مباني كانت تهدمت في معبد قفط فنقش عليها رسمه وهو يقدم القربان للاله مين والاله حور ثم خبر اقامته مباني عظيمة في العرابة كشف عن آثارها مؤخراً . وذكر في سياق سيرة سادس الملوك الحي في السلسلة انه عثر على طغراء منقوشة على صخور وادي الحمامات واستدل منها على ارسال بعثة الى هذه الناحية وانه كان يحمل لقب « ضام الارضين » الذي فيه دلالة على ان صاحبه يحكم مصر كلها وان كان من المحتمل ان يكون اطلاقه هذا اللقب على نفسه عملا تقليدياً اكثر من كونه دليلا فعلياً

وذكر في سياق سيرة السابع ان ورقة فحص المقابر ذكرت خبر سرقة قبره وقبر زوجته واعتقال اللصوص وسجنهم واعترافهم بما سرقوه من حلى وتعاويذ نفيسة . وذكر في سياق سيرة التاسع ان الأحوال تدل على أن النضال الفعلي في سبيل طرد الهكسوس قد بدأ في عهده ، وانه عثر له على آثار متنوعة عليها أسمه ومنها تابوته الذي رسم عليه الصل الملكي ورؤوس الصقور والعقاب واسم الاله بتاح سكر وقد وصف في النقش بانه ملك الوجه القبلي والوجه البحري ، وان مومياءه وجدت سليمة وهو يمتاز ببنيه عظيمة ورأسه نموذج لرأس المصري الأصيل ! ، وانه مات وهو في ساحة القتال من جروح اصابت رأسه نتيجة لهجمة غادرة من قبل شخصين من الاعداء او أكثر تسللوا إليه وهو نائم وطعنوه في عنقه بخنجر ثم انهالوا على وجهه بالبلط حتى هشموه على ما عرف من مومياءه . وقد عثر على ورقة من البردي عرفت بورقة سالييه نسبة الى مكتشفها تشير إلى ما كان من نزاع بين هذا الملك المسمى سعننن الشجاع وملك الهكسوس عاقنن رع ايوفيس ، وتذكر ان هذا أرسل إلى الأول رسولا يطلب منه ابادة فرس البحر التي تسكن في بحيرة طيبة لانها تزعجه متخذاً ذلك ذريعة لأعلان الحرب عليه والقضاء على حكم أسرة طيبة . والورقة مخرومة فيها ثغرات كثيرة . وقد أورد المؤلف ما أمكن من نصها . وفيما أورده ضوء على ما كانت عليه الحالة في عهد حكم الهكسوس والاسرة السابعة عشرة معاً . وقد جاء فيما جاء فيها « حدث أن أرض مصر كانت في جائحة شنعاء وكان سعننن رع حاكماً على المدينة الجنوبية

(أي طيبة) ولكن الجائحة الشنعاء كانت في بلد العامو (أي الهكسوس) وكان الامــير ابوفيس في أواريس . وكانت كل البلاد خاضعة له وكل حاصلاتها با كملها له . واتخذ الاله سنخ رباً له ولم يعبد أي اله آخر غيره (١) وكـــان ابوفيس يرغب في خلق موضوع للتفار بينه وبين سعنن رع امير المدينة الجنوبية . فاستشار حكماء دولته فأشاروا عليه بارسال رسول إلى سعنن رع يقول له أن فرس البحر في بحيرة طيبة لا تسمح له بالنوم ويطلب منه اخراجها من البحيرة . وذهب الرسول فأدى الرسالة وجرت محاورة حول الطلب بينــه وبين سعنن وقدم هذا للرسول كل الأشياء الطيبة من لحم وخبز وقـــال ارجع إلى سيدك وأي شيء يقوله سأفعله (٢) » واعقب المؤلف على ذلك بقوله ان القصة لم تنته ولكنهـــا انقطعت وان الموقف انتهى إلى الحرب بين الطرفين ؛ واغتيل ملك طيبة في أثناء التزاحف فانتقل الحكم الى كامس الملك العاشر الذي اضطلع بعبء النضال مع الهكسوس . وقد ذكر المؤلف في سياق سيرة هذا الملك أنه عثر على تابوته سليماً وفيه مومياؤه يتدلى منها خنجر وعلى صدره طغراء اسمه ولقبه محاطة من جانبيها بأسدين مـــن خالص النضار . وعثر على لوحة وصف فيها هذا الملك باوصاف الحاكم العظيم الامير الشجاع وأمير الجنوب والأمير العظيم وسمي فيها باسم واز خبر رع كما عثر على أثر آخر وصف في النقش الذي عليه بصفة حاكم الارضين . وقد عثر علي لوح بالخط الهراطيقي في طيبة سجل عليه محضر جلسة للملك كامس ورجال دولته ومحاورة جرت بينه وبينهم في صدد النزاع الناشب بـــين طيبة والهكسوس . وقال المؤلف انه اول نص يعتمد عليه . وتفيد النصوص انه كان هناك ثلاثة حكام كل منهم مستقل عن الآخر ، منهم واحد في بلاد كوش وآخر في الدلتا وثالث في طيبة بينهما ؛ وان الهكسوس كانوا قد مدوا سلطانهم مـــن الدلتا الى مصر الوسطى حتى قوص ؛ ويسميهم النص « العامو » وان كامس الذي كان يحكم طيبة ثقل عليه ذلك فاعتزم على قتالهم وتخليص مصر فاستشار كبار دولته فقالوا له نحن مطمئنون في نصيبنا مـــن مصر

---

(١) للمؤلف مناقشة طويلة فند فيها اقوال من قالوا ان الاله ست اله هكسوسي واثبت او حاول ان يثبت انه اله مصري قديم انظر مصر القديمة ج ٤ ٦ – ٦٨

(٢) ذكر هذه الورقة المطران الدبس في كتابه تاريخ سورية المجلد (١) الجزء (١) ص ٢٤٦–٢٤٨ وذكر من محتوياتها ما يخالف ما ذكره المؤلف بعض الشيء حيث قال انها ذكرت ان ابابي ملك الرعاة اوفد الى ملك تاب يطلب اليه ان يقر بتقدم ست او سنخ معبود الرعاة على جميع الالهة فابى واعلن اصراره على ان لا يكون الهاً للالهة غير امون رع وان هذا الجواب اثار ملك الرعاة من جهة واتخذ ملك طيبة الطلب وسيلة لتهييج قومه من جهة فنشبت الحرب بين الطرفين .

وسنناهض من يأتي الينا ؛ فاغضبوه بجوابهم وأعلن عزمه على محاربتهم وأمله في الانتصار عليهم ثم سار على رأس جيشه نحو الاشمونين شمالا واشتبك معهم فهزمهم إلى الدلتـــا ؛ ووقف عند هذا الحد حيث توجه إلى بلاد النوبة فاستولى عليها على ما تدل عليه بعض الآثار. ومات كامس والدلتا في يد الهكسوس . وخلفه على العرش أخوه احمس الذي استمر على النضال معهم حتى قوّض حكمهم وأجلاهم عن الدلتا وفرض سلطانه على جميع مصر فاعتبر مؤسس الاسرة الثامنة عشرة وأول ملوكها .

وقد ذكر المؤلف نضاله معهم وهزيمته لهم في سياق سيرة الهكسوس والاسرة السابعة عشرة ؛ وذكر في صدد ذلك خبر العثور على نقوش في جدران قبرين لقائدين مـــن قواد احمس فيها إشارة إلى حروب أحمس معهم ؛ واسم أحـــد القائدين احمس ابن أبانا واسم الثاني احمس ابن خبت ، وتفيد نقوش مقبرة الاول على ما فيها مـــن نقص في التفاصيل ان خمس حملات أو اشتباكات جرت بين جيوش احمس والهكسوس منها أربعة حول اواريس قلعتهم وان الانتصار كتب لجيوش احمس في نهاية الاشتباك الخامس إذ تم التغلب على اواريس وتدميرها وانهزم الهكسوس منها في اتجاه سيناء فطاردهم احمس فانهزموا أمامه إلى مدينـــة اسمها شاروهن في جنوب فلسطين وتحصنوا فيها فضرب عليهم الحصار ثلاث سنين وتمكن في النهاية من الاستيلاء عليها . وليس في نقوش المقبرة الثانية إلا إشارة خاطفة إلى حرب احمس مع الهكسوس حيث ذكر فيها عن لسان القائد انه رافق ملك الوجه البحري والقبلي تب بحتي رع احمس وأسر مـــن بلدة زاهي الواقعة شمالي شاروهن أسيراً وهـــذا يعني أن الهكسوس فروا من شاروهن فطاردهم احمس مرة اخرى إلى شمالها . ويظهر أن حروب احمس مع الهكسوس وقفت عند هذا الحد وان احمس اطمأن وعاد إلى مصر حيث قاد حملة إلى بلاد النوبة .

وقد أرجأ المؤلف بقية سيرة احمس إلى كلامه عن الاسرة الثامنة عشرة فنتابعه في ذلك ونقف عند هذا الحد من هذا الفصل .

الدولة الحديثة

أو

الطبقة الثالثة

الاسرة الثامنة عشرة

-١-

هذه الأسرة هي أولى أسر الدولة الحديثة أو الطبقة الثالثة في تقسيمات مانيتون التي يرويها أحمد كمال وبداية عهد عرف بعهد الامبراطورية .

وتاريخ هذه الأسرة وما بعدها أجلى من تاريخ الأسر السابقة حتى ليمكن أن يكون سلسلة متصلة دون ثغرات واسعة ودون خلاف كبير في السنين والاحداث والاسماء بسبب اهتمام ملوك هذه الأسرة ومن بعدها لتسجيل سيرتهم وموافقة الحظ في العثور على تسجيلاتهم سليمة أكثر مما سبق .

وهذه أسماء وألقاب ملوك الأسرة استناداً إلى الآثار على ما جاء في كتاب مصر القديمة (١) .

احمس الاول ــ نب بحتي رع
امنحتب الاول ــ زنركا رع
تحتمس الاول ــ عاخبركا رع
تحتمس الثاني ــ عاخبره رع
حتشبسوت وتحتمس الثالث معاً اسم أو لقب حتشبسوت ماعت كارع
تحتمس الثالث منفرداً ــ متخبر رع
امنحتب الثاني ــ حاخبرو رع
تحتمس الرابع ــ منخبرو رع
امنحتب الثالث ــ نب ماعت رع
امنحتب الرابع ــ اخناتون ــ نفر خبروع
سمنخ كارع
توت عنخ امون ــ نب خبرو رع
أى ــ إن نثر مريف

---

(١) الجزء ٤ ص ٢٩٩ – ٧٠٥ والجزء ٥ ص ١ – ٦١٨



تمثال الملك حورمحب
من ملوك الأسرة الثامنة عشرة



تمثال تحتمس الثالث
من ملوك الأسرة الثامنة عشرة

حور محب ــ زمر خهرو رع

ويؤرخ هذا المؤلف بداية هذه الأسرة بسنة ١٥٨٠ ونهايتها بين ١٣٢٢و١٣٢٨ ق م .

ويتطابق بريستيد (١) مع سليم حسن . ولكنه لا يذكر حور محب في ملوك هذه الاسرة وانما يذكره في رأس قائمة ملوك الأسرة التالية . ويذكر اسم الملك الذي تولى بعد اخناتون بلفظ وساكرع . وقد أرخ بدايتها بسنة ١٥٨٠ ونهايتها بسنة ١٣٥٠ ق م

وكذلك أحمد كمال (٢) يتطابق مع سليم حسن مع تأخير رسكارع إلى بعد توت عنخ آمون . وهو يذكر حور محب كآخر ملوك الأسرة مثله ، وينبه على ان هناك ملكين مجهولين بين عسكا وحور محب ويؤرخ بداية هذه الأسرة بسنة ٣٣٢٥ قبل الهجرة . وفي جـــدول أسماء مانيتون الذي يورده شيء من التطابق وشيء مـــن التخالف مع اصطباغ الاسمـــاء بالصبغة اليونانية .

ولا يذكر المؤلفون الثلاثة شيئاً عن ارومة هذه الأسرة . وهو على ما مر بيانه في الفصل السابق امتداد للاسرة السابعة عشرة التي هي بدورها من ارومة الاسر الثالثة عشرة والثانية عشرة والحادية عشر التي جاءت من بلاد النوبة إلى الصعيد واستولت عليه في أواخر الاسرة العاشرة والتي هي مزيج من عناصر افريقية وسامية ــ عربية ــ مع غلبة العنصر العربي عليها على ما شرحناه قبل .

والمؤلفون الثلاثة متطابقون إجمالا في سيرة هذه الأسرة بل وفي تفصيلاتها . وقد جاءت في كتاب سليم حسن مطولة جداً بسبب اسهابه في ايراد النصوص وشروحها والتعليق عليها وسنكتفي بتلخيص سيرتها أو بالاحرى بتلخيص أهم ما في هذه السيرة من هذا الكتاب .

ــ ٢ ــ

(١) وخلاصة مافي سيرة أحمس الاول (١) بالاضافة إلى ما أوردناه في فصل الهكسوس وحروبه ضدهم وانتصاره عليهم وقمعه حركات بلاد النوبة وثورات الدلتا الهكسوسية انه بذل جهوده لتنظيم الحكومة واصلاح تخريبات الحروب ، وقد وصف نفسه في لوحة عظيمة اقامها في معبد الكارناك « ضام الارضين وملك الملوك على كل الارض . وصورة رع وابن امون ومحبوبه » واشاد بأمه الملكة حتب وما اضطلعت به من شؤون الدولة ووضعته مـــن خطط وهدأته من روع الناس واخضعته من عصاة وجمعته من شتات النازحين ووصفهـــا

(١) انظر تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٤٠٣ــ ٤٠٧

(٢) انظر العقد الثمين ص ٧٩

(٣) ج ٤ ص ١٩٩ ـــ ٢٣١

بأنها سيدة جزر ايجه وانها زوجة ملك وام ملك واخت ملك ، مما فيه دلالة على ما كان لها من نشاط وجهود واثر في ما احرزه احمس من انتصار وتوطد ملك . وقد قال سليم حسن انها كانت عضداً لابنها كامس قبل احمس والوصية الحقيقية على العرش وانها عقدت أواصر الصداقة والمودة مع ملك كريت فكان ذلك مما أنجح النضال ضد الهكسوس لأنهم صاروا بين نارين . واستنبط من عبارة سيدة ايجة احتمال ان تكون قد تزوجت بملك كريت أيضاً.

وقد أقام هذا الملك مباني عديدة معظمها ديني وعثر على تمثال لزوجته ولم يعثر على تمثال له . وقد قدس المصريون هذه الزوجة التي كانت تتلقب بلقب سيدة الارضين والحاكمة العظيمة . وعاشت مدة طويلة بعد زوجها على ما تدل عليه الآثار التي تدل في الوقت نفسه على ما كان لها من يد طولى في نشاط زوجها ونجاحه (١)

وقد عثر على آثار متنوعة لأحمس تحمل اسمه منها لوحة رسم عليها صورة ثلاثة أسرى واحد لوبي وآخر سوداني وثالث سوري كأنما يرمز إلى ما كان من حروب احمس وانتصاراته على البلاد الثلاثة . وقد عثر على مومياته سليمة وتدل على ما كان عليه من متانة البنيان وضخامة الجسم . وقد اتخذه المصريون معبوداً لهم بعد موته .

(٢) وخلاصة ما ذكره المؤلف من سيرة امنحتب الاول (٢) انه ابن احمس وان العرش آل إليه قبل بلوغه فغدت امه وصية عليه واضطلعت بشؤون المملكة . وفي زمنه تمردت بلاد النوبة وكوش فأرسلت حملة تمكنت من اخضاعها ثانية . وقد احدث منصب لحكم الاقاليم الجنوبية باسم حاكم كوش ولقب صاحبه بلقب ابن الملك وقد عهد بهذا المنصب إلى سني المار ذكره واستمر هذا المنصب قائماً إلى الأسرة العشرين (٣) . وقد عثر على نقش يعود إلى السنة الثانية من حكم تحتمس الاول الذي خلف هذا الملك ذكر فيه ان سلطان

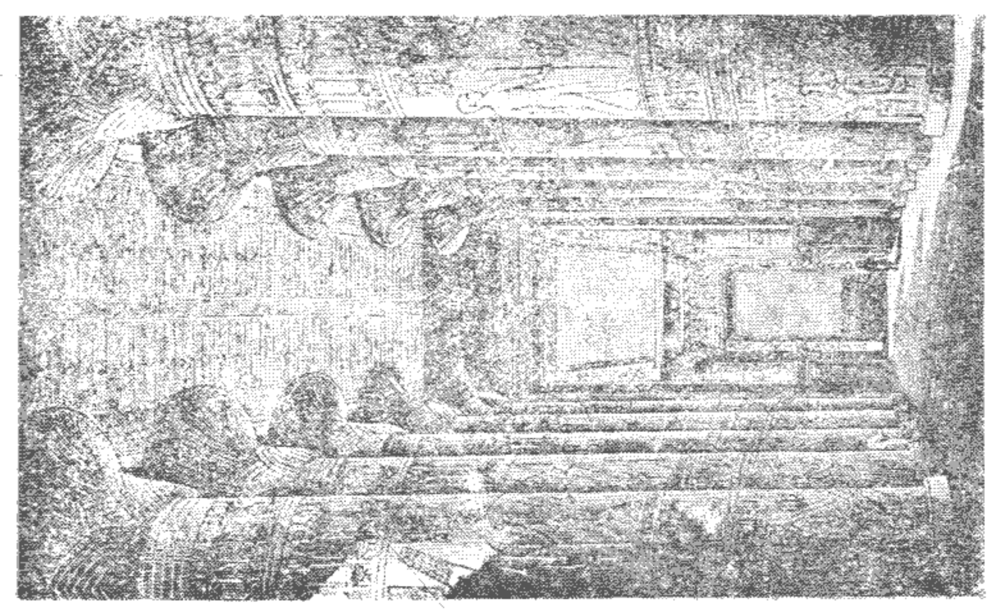
---

(١) مما ذكره احمد كمال في العقد الثمين «٧٩-٩٦» ان احمس تزوج بنت ملك اليوبيا فكان ذلك وسيلة الى تحالف الملكين على طرد العمالقة والانتصار عليهم وان الايوبيين انقادوا لاحمس وخضعوا له بسبب مصاهرته لهم ، وانه هدم قلعة اواريس وأنشأ قلعة حصينة على حدود مصر الشمالية اسمها تاسال لمنع غارات الاسيويين وان الذين بقوا من الهكسوس في مصر اظهروا الانقياد له فأبقاهم في ملكه واستوطنوا بين الصحراء وفروع النيل الشرقية .

(٢) ص ٢٣١ - ٢٥٣

(٣) ذكر المؤلف عدداً من الموظفين الذين تولوا هذا المنصب في عهد الاسرة بعد سني وكانوا يحملون بالاضافة الى لقب ابن الملك صاحب كوش القابا تشريفية عديدة مثل الامير الوراثي والسمير الوحيد وحامل خاتم ملك الوجه البحري وعينا ملك الوجه القبلي واذنا ملك الوجه البحري الخ (انظر ص ١٦٥-١٧٤ من الجزء الخامس حيث يدل هذا على ما كان لهذا المنصب وصاحبه من اهمية ومكانة في الدولة .

منظر بهو الاعمدة اليوم في الكارناك



بهو الاعمدة فى ايام رونقه كما تخيله الاثريون

مصر كان يمتد من النوبة العليا حتى نهر الفرات . وعلق سليم حسن على هذا قائلا ان مـــن المعقول ان يكون ذلك قد تم في عهد أبيه ونبه في الوقت نفسه على انه ليس هناك آثار تدل على حروب وقعت بين هذا الاب والشعوب الآسيوية . وهاجمت قبائل صحراء لوبياالدلتا الغربية فسيرت عليها حملة ردتها وأوقعت فيها .

وقد أنشأ هذا الملك منشآت عديدة في أنحاء مختلفة معظمها ديني كالعادة . من جملتها بوابة عظيمة في الجانب الجنوبي من معبد طيبه ارتفاعها ٢٢ ذراعـــاً ومعبد الدير البحري وآخر في النهاية الغربية من طيبه بمناسبة احتفاله بعيده الثلاثيني . ومنها معبد جنازي لروحه عثر فيه على تمثال جميل له . هذا بالاضافة إلى آثار أخرى تحمل اسمه من لوحات وجعارين وقطع وتمـــاثيل واسطوانات . وعرف مـــن الآثار ان المصريين اتخـــذوه وزوجتـــه معبودين (١) .

(٣) وخلاصة ما ذكره المؤلف من سيرة تحتمس الاول (٢) انه لا يعرف على اليقين صلة هذا بالسابق ، وان هناك من يظن انه ابنه وهناك من يظن انه زوج بنته ، وانه كان شجاعا طويل القامة متين البنيان على ما تدل عليه تماثيله وكان يوصف في الآثـــار بالثور القوي ، وان بلاد السودان والنوبة تحركت في زمنه فسار اليها وأخضعها ، وتحركت بعدها بلاد الشام فسار اليها كذلك وأخضعها ووصل في رحلته إلى ما بين النهرين وسجل انتصاراته على لوحة أقامها على الفرات . وقد قرىء نقش له عثر عليه في العرابة ذكر فيه انه جعل حدود مصر واسعة كدائرة الشمس وجعل مصر سيدة كل الارض وأمّن الذين كانوا في خوف وطرد عنهم الشر » وقد قرىء نقش على مقبرة المهندس انني وصف فيه الملك بمؤدب النوبيين ورب القوة ومبدد الآسيويين الذي جعل حدوده تمتد حتى قرني الدنيا ونهايتها في سماء حور .

ولقد اهتم للعمران فأنشأ منشآت ضخمة فخمة . منها قاعة عمد فسيحة الارجاء عند جعبة امون كل عمود منها ذو ستة عشر وجها كما جاء وصفها في أحد النقوش . ومنـــها مسلتان عظيمتان . وذلك بالاضافة الى منشآت اخرى في طول البلاد وعرضها عثر عـــلى

---

(١) مما ذكره احمد كمال في العقد الثمين في سياق سيرة هذا الملك «٨١–٨٢» انه اهتم قبل كل شيء لتقوية حدود مصر في الوجه البحري لمنع تسرب الاعداء حيث يدل هذا على استمرار الخوف مـــن كرة هكسوسية او محاولة تسربية لقبائل الشمال العربية الجنس . وقد وجدت مومياؤه مدرجة في اقمشة بنية اللون وفوقها اكليل من الازهار ووجدت جثة والدته وظاهر غطاء تابوتها مطلي بالذهب وفيه اساور وسلاسل وخواتم وقلائد وسفن صغيرة من الذهب والفضة .

(٢) ٢٥٣–٢٩١

آثارها وقد عثر على لوحة له سجل فيها أعماله وأوقافه للمعابد والآلهة وما أقامه من تماثيل لها (١) .

(٤) وخلاصة ما ذكره المؤلف من سيرة تحتمس الثاني (٢) انه ابن غير شرعي لتحتمس الاول لأن أولاده الشرعيين ماتوا في حياته ، وانه تزوج اختا له شرعية المولد ليغدو ملكه شرعيا وهي حتشبسوت التي كانت شريكة له ، وكانت فاتحة اعماله اخماد ثورة بعض القبائل السودانية عند الشلال الثالث . وقد سجل انتصاره عليها على الصخور الواقعة بين اسوان والشلال الاول وقال في نقشه هذا ان خوفه عم الارض وهيبته توطدت في اقاليم ايجه وان اهل بلاد النوبة وسينا قدموا اليه الجزية وان حدود مملكته في الجنوب وصلت إلى قرى الارض وفي الشمال إلى آخر العالم وأصبحت آسية من رعاياه ووجداسمه على حجرفي جبل بركال عند الشلال الرابع فاستدل من ذلك على ان سلطانه في الجنوب وصل إلى هذه النقطة ، وقد عثر له على آثار في قمه وفي سمنه الواقعتين في هذه المنطقة . وقد اهتم بدوره للعمران فأتم مباني في الكارناك بدأها ابوه . وتدل الآثار على أن خلافا نشب بينه وبين حتشبسوت التي كانت تعتبر نفسها الملكة الشرعية ، وان حدة الخلاف خفت في أواخر حياته .

(٥) ومات تحتمس الثاني في حياة حتشبسوت وكان ابنه تحتمس الثالث قاصراً فصارت الوصية عليه وصاحبة الأمر النافذ في المملكة (٣) . وأقامت منشآت عديدة أكثرها ديني من أهمها معبد جنائزي لها في الدير البحري يعد من الروائع بأورقته وعمده الأنيقة . وقد أرسلت حملة إلى بلاد بنت لجلب الاشجار العطريه وكانت الاسفار بين مصر وهذه البلاد التي كان المصريون يعتقدون انها منبتهم قد انقطعت من مدة طويلة . وعادت الحملة وسفنها مشحونة بالعاج والأبنوس والذهب والبخور والقردة والنسانيس وجلود الفهود . وأمرت بتسجيل خبر هذه الحملة ، واحتوت النقوش مشاهد طريفة عنها . ومما قاله المؤلف ان الرسوم توضح المشابهة الكبيرة بين ملامح المصريين وملامح أهل هذه البلاد مما فيه تأييد لصحة ما

---

(١) ما ورد في العقد الثمين ٨٢٦-٨٣ من سيرة هذا الملك ايضا ان بلاد اليوبيا كانت منبع ثروة لمصر حيث كانت البضائع تأتي منها مشحونة في مراكب تجري في النيل من حيوانات وحبوب وجلود وعاج واخشاب وحجارة نفيسة ومعادن وان المصريين كانوا يستخرجون الذهب من بلاد النوبة وكان اسم الذهب «نب» ومن هذا اشتق اسم البلاد .

(٢) ٢٩١-٣٠٥

(٣) ٣٠٥-٣٨٨

تداوله المصريون القدماء من أن أصلهم منها وهذه البلاد هي الصومال على ما فسره المؤلف وبلاد اليمن وحضرموت على ما فسره أحمد كمال. وقد ذكرنا ذلك قبل ونبهنا على مرجحات تفسير احمد كمال. والصومال على كل حال محطة القفز بين جنوب الجزيرة العربية وسواحل افريقية الشرقية الشمالية. واحتفلت هذه الملكة بعيدها الثلاثيني وأقامت بمناسبة ذلك مسلتين نقشت عليهما سيرتهـــا ونوهت بسعة ملكها حتى أصبحت الارض السوداء والحمراء تحت قدمها وغدت حدودها ممتدة إلى بلاد بنت جنوباً ومستنقعات آسيا شمالا وغدا الآسيويون في قبضتها وعظمت شهرتها بين رجال البدو (١).

ولهذه الملكة منشآت عديدة اخرى معظمها ديني كالعادة. من أهمها معبدان حفرا في الصخر على مقربة من بني حسن، هدية للالاهة بخت التي يرمز إليها بصورة اللبؤة. ومعبد صغير آخر في المكان المعروف ببطن البقرة وقد نقش على مدخله ذي الأعمدة نقش طويل في وصفه وذكرت فيه ما قامت به من الأعمال الصالحة للالهة واصلاحها المعابد التي هشمها الهكسوس.

---

(١) مما ورد في العقد الثمين «٨٤-٨٥» ان حتشبسوت هي التي قادت الحملة إلى بلاد البون وان اهلهـــا استسلموا لها بدون قتال وانها كانت تنوي السفر إلى بلاد تونترو المقدسة فعدلت لان اهلها اعلنوا الطاعة لها ايضا. وعند عودتها الى مصر امرت بتسجيل خبر الرحلة ومشاهدها على جدار غرفتين بالدير البحري. فترى في احد جوانب الحجرتين مشهد قائد الاعداء واقفاً متخشماً متضرعاً امام قائد الملكة المتوج بالنصر أغبر اللون له ضفائر من الشعر مستطيلة على ظهره مجرداً من السلاح ومن خلفه زوجته وابنته في حالة شنيعة. (هذا الوصف ينقض ان اهل البلد استسلموا بدون قتال) وفي الجانب الاخر من الحجرتين مشاهد السفن الحربية يشحنها رجال من الاعداء بالحيوانات الغريبة كالزرافات والقردة والنمور وفي جهة ترى انواع الاسلحة وصبائك الذهب وحلق النحاس وفي اخرى صناديق فيها انواع الاشجار العطرية للغرس في بساتين طيبة. وتظهر السفن كبيرة الحجم عظيمة الجرم مكينة التركيب تسير تارة بالشراع واخرى بالمجاذيف. وفي جهة اخرى من الحجرتين مشاهد عساكر متنوعي الاشكال بين آيب من السفر ومهرول وعليهم امـــارات النصر يتقدمهم رجال الموسيقى كأنما يدقون نشيد الجهاد الحماسي وبجانبهم الضباط وعلى مناكبهم الاعلام المصرية مكتوب عليها اسم الملكة حتشبسوت نائبة الملك تحوتمس الثالث. وقال احمد كمال في هامش الصفحة «٨٤» التي اورد فيها ما تقدم ان معنى ونترتو «الاراضي المقدسة» وموقعها في جنوب بلاد العرب من جهة الهند وهي متاخمة لبلاد البون وكانت مركز التجار للشرق عموماً ولمصر خصوصاً وكانت بضائعها ترد الى مصر عن طريق قفط. ولم يزد على هذا. ولكن كان فسر في مكان آخر من كتابه بلاد البون ببلاد حضرموت واليمن على ما مر بيانه والاوصاف التي ذكرها تؤيد ذلك كما هو المتبادر. فهذه البـــلاد كانت مشهورة بالاشجار العطرية والذهب. والظرف الذي قامت فيه الحملة كان ظرف قيام الدولة المعنية والى جانبها دول حضرموت وقتبان وغيرها وكانت تجارة المر والبخور من اهم تجارتها على ما شرحناه في الجزء الاول من الكتاب.

وقد أطنب المؤلف في رجلين من رجالها كانا لها اعضاداً قوية في نشاطها وحكمها احدهما مهندس اسمه سنموت وثانيهما وزير اسمه حبوسنب وكان أولهما خدناً لها . وقد عثر على صورة له بالمداد الاحمر يبدو فيها جميلا وسيما وهو الذي أشرف على ما أنشأته من منشآت عديدة . وقد كشف عن مقبرته التي ظهر فيها روائع من الفن والنقش . وقد رسم في سقف إحدى غرفها مصور جغرافي للسماء يعد من أقدم المصورات وأحسنها ؛ وذلك بالاضافة إلى مشاهد سماوية واخروية اخرى مرسومة على سقف الحجرات الاخري . اما حبوسنب فانه هو الذي ذهب على رأس حملة بلاد بُنت . وقد قال عنه المؤلف انه كان أقوى شخصية في عهدها وكان قابضاً على زمام المالية والكاهن الاكبر للاله آمون

(٦) وماتت حتشبسوت في حياة تحتمس الثالث فانفرد في الحكم وكان عهده طافحاً بالاحداث . وقد سجل اعماله على جدران الكارناك مفصلا وخلاصة ما ذكره المؤلف من سيرته الطويلة جداً (١) انه اقام حفلة فخمة لتتويجه رسمت مشاهدها الرائعة على جدران المعبد . وان حملاته الى بلاد الشام تعددت حتى بلغت ست عشرة. فقداغتنم ملك قادش ــ وهي عاصمة الحيثيين في شمال حمص ــ فرصة النزاع والخلاف بين حتشبسوت وتحتمس الثاني فنشط إلى تحريض بلاد الشام وما بين النهرين والتحالف مع ملوكها وأمرائها ضد سلطان مصر . فكان أول أعمال تحتمس الثالث بعد انفراده في الحكم الزحف على رأس جيشه نحو بلاد الشام . وسارع ملك قادش وحلفاؤه بجيوشهم لى لقائه عند مدينة مجّدو في مرج ابن عامر ــ فلسطين فاشتبكوا معه فكتب له النصر عليهم واستولى نتيجة لذلك على مجدوومدن سورية أخرى ذكرت النقوش منها أسماء ينعم ونجسي وحرنكو ، ووقع في يده نساء ملك قادس وأولاده وعدد من الأمراء الآخرين ونسائهم وأولادهم أسرى بالاضافة إلى عدد كبير آخر وغنم كثيراً من الغنائم.وتوطن سلطان مصر نتيجة لذلك ثانية على فلسطين وشطر كبير من سورية وفينيقية.وقد أقام عليها أمراءخاضعين له واخذ أبناءهم رهائن معه ليتربوا في كنفه في طيبه وكان يرسل منهم خلفاء للذين يموتون من آبائهم . ولما عاد مظفراً غانماً اقام احتفالات عظيمة بنصره سماها أعياد النصر وأنشأ معبداً فخما للاله بتاح ولزوجته الالاهة حاتحور ووهب ما غنمه من اوان ذهبية وفضية وحجارة كريمة لمعبد امون ووقف عليه المدن الثلاثة التي مر ذكرها . ثم تكررت رحلاته وحملاته إلى بلاد الشام ، وكان بعضها على سبيل التفقد وجباية الجزية وبعضها لقمع حركات التمرد التي كان ملك قادس

---

(١) ص ٣٨٨-٦٢٧

وملك ميتاني ويحرضان عليها من آن لآخر . وقد أنشأ أسطولا ضخما ليكون عدته في حملاته وكان يبحر عليه الى سواحل بلاد الشام التي كان يتخذها قواعد لحركاته . وكان ينتصر في حملاته فتخضع البلاد له ويجبي جزيتها ويأتي اليه الامراء خاضعين مقدمين له الهدايا الفاخرة. واعظم حملاته الحملة الثامنة وقد وصل فيها إلى نهر الفرات واستولى على عاصمة الحيثيين الثانية في قرقميش على هذا النهر وسجل انتصاره في لوحة نصبها بجوار لوحة تحتمس الاول وفر ملك ميتاني شريداً . أما ملك الحيثيين فانه اعلن خضوعه له وقدم الهدايا العظيمة اليه وقد أرسل ملوك بابل وآشور إليه الرسل والهدايا يعبرون عن مودتهم . وقد ذكرت نقوشه انه استولى في حملته هذه على ارواد واولازا وارانو من مدن السواحل الشامية وتونب وارثت من المدن الداخلية وفتح ونهب ثلاثين مدينة في اقليم سنجار وملأ يده بالغنائم والاسرى وسجل مقاديرها في نقوشه ومنها كثير من العربات والمواشي والذهب والفضة والقصدير والنحاس والاخشاب العطرية . وفي حملته الرابعة عشرة نكل بالبدو القاطنين في الشمال الشرقي من حدود مصر الذين كانوا يقومون بحركات عدوانية وربما بمحاولات تسربية إلى مصر كالعادة . وكانت حملته السادسة عشرة الاخيرة بسبب استئناف ملوك الشام وما بين النهرين تمردهم بعد سكوت بضع سنين كانوا يرسلون فيها جزيتهم اليه على ما سجله في نقوشه . وكان على رأس المتمردين ملكا قدس ومتني . وقد سار بحراً إلى فينيقية ونزل في سميرا واستولى على عرقات ثم على تونب (١) ثم ضرب الحصار على قادش . وقام ملكها بحركة اثارت الذعر في جيش تحتمس حتى كاد يلقى حتفه غير انه استطاع ان يجمع شمله ويكر بقوة على قادش ويهزم الجيوش المتحالفة ويأسر عدداً من الامراء ويوطد سلطانه مرة اخرى على البلاد . ولم تذكر النقوش اخبار حروب بينه وبين هذه البلاد بعد هذه الحملة ولكنها ظلت تذكر اخبار الجزية التي كانت ترد منها حيث يدل هذا على استمرار خضوعها . وقد ذكرت النقوش في سياق ذلك جزية بلاد آشور مع ان المؤلف لم يذكر قبل ان احداً من ملوك مصر استولى عليها . فالظاهر انه هو او احد آبائه من قبل قد اخضع هذه البلاد لسلطان مصر . ولقد احتفل بعيد السد التقليدي ثلاث مرات وكان يقيم في مناسباتها المسلات التي بقي منها مسلتان عظيمتان طول واحدة منهما ٩٥ قدماً وهي في مصر والثانية ١٠٥ اقدام وهي في روما . ويفيد نقش له في صخور الطريق الى بلاد السودان انه قام في اواخر حكمه بحملة قضى فيها ثمانية اشهر وعاد منصوراً بعد ان ذبح اعداءه . وقد استقرت حدود مملكته

---

(١) يقلن بريستيد انها بعلبك انظر تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٢٦٧ وما بعدها تعريب حسن كمال

شمالا عند اعالي نهرى دجلة والفرات وجنوباً عند مدينة بناتا قرب الشلال الرابع . وتعددت اللوحات التي اقامها في نهايات هذه الحدود تسجيلا لانتصاراته وسعة سلطانه .

ولهذا الملك منشآت كثيرة في اماكن عديدة في مصر وبلاد النوبة عرفت من آثارها كما عثر على آثار له لا تحصى تحمل اسمه وصورته من لوحات وجعارين وموائد واوان ومشاهد حياة وتماثيل . وقد ورد في احد نقوشه «اني لم انطق بكلمة مبالغ فيها ابتغاء الزهو بما عملت ولم اقل شيئاً لم افعله ولم افعل شيئا فيه مظنة . وفعلت كل ما فعلت لوالدي آمون الذي يعرف ما في السماء وما في الارض ويرى كل العالم بطرفة عين » مما فيه دلالة على عظمة خلقه من جهة وعلى تفكير قدماء مصر في معنى الاله الاكبر الرئيس وشمول علمه وسلطانه على نحو ما تقول به الاديان السماوية .

وقد مدحه شاعر مصري بقصيدة طويلة نقشت على معبد الكارناك فيها تمجيد له واشادة بحروبه وانتصاراته وغنائمه وخضوع البلاد والاقوام له واتساع حدوده وجباية الجزية اليه من كل طرف والمنشآت التي اقامها . وقد اورد المؤلف ترجمتها .

ومن المناظر المرسومة على جدران الكارناك منظر ممثلي بلاد بُنت وهداياهم من عطور وعاج وصمغ وذهب ، وهم مطأطئو الرؤوس امام هذا الملك . وقد استنتج المؤلف من ذلك ان هذه البلاد كانت خاضعة لمصر . وهذا يؤيد رواية احمد كمال التي اوردناها في الذيل السابق من اعلان اهلها الخضوع والطاعة لحتشبسوت . ويلحظ تكرر اتجاه ملوك مصر الى هذه البلاد حيناً بعد حين . ولعل ذلك من وحي ما كان يتداوله المصريون القدماء من ان اصلهم منها .

وهناك منظر فيه ممثلو قوم سموا بالكفيتو مع هداياهم من الاواني الذهبية والفضية والزجاجية . وقد خمن المؤلف انهم من جزر البحر الابيض وانهم كانوا من جملة الخاضعين لسلطان مصر .

وهذا وذاك مضافان الى المناظر التي تمثل ممثلي بلاد النوبة وسورية وهداياهم وأسراهم .

(٧) وخلاصة ما ذكره المؤلف من سيرة امنحتب الثاني (١) الذي خلف تحتمس الثالث استناداً الى لوحات عديدة سجلت عليها انه كان ماهراً بالرياضة والرماية والتجديف والفروسية وصيد الحيوانات المفترسة وكان يقوم برحلات خاصة إلى بلاد السودان من اجل ذلك ، وان العصيان والتمرد تكررا في بلاد الشام والنهرين فكان يقود الحملات الى هذه البلاد فينكل بالمتمردين ويوطد سلطانه عليها ويقتل ويأسر ويغنم الشيء الكثير منها .

---

(١) ج ٤ ص ٦٧٢-٧٠٥

وكانت أولى حملاته على بلاد تخس في شمال سورية فضربها ضربة شديدة وقبض على سبعة من امرائها وعلق جثث ستة منهم على ابواب طيبه والسابعة على أبواب نباتا في بلاد النوبة للارهاب . وقد زحف في حملته هذه على اوغاريت في رأس الشمرة وهزم العدو فيها وجعل عالي البلاد سافلها لأن اوغاريت طردت الحامية المصرية . وسارع امراء هذه النواحي الى اعلان خضوعهم وتقديم هداياهم ومن جملتهم ملك قادش . وعاد عن طريق فينيقية ويده مملوءة بالغنائم والاسرى . وثارت بلاد فلسطين الشمالية فسار إليها وضرب العصاة في بلد بعد بلد . وقد ذكر في نقوشه اسماء مدن بيت شان وابق ويحا وتاباس وغابتنان وسوكا وتورير ومجدل يون وقبعا وسومنه . ونصب عليها امراء خاضعين له وعاد منصوراً غانماً وبلغ عدد أسراه هذه المرة (٩٠٠٠) وعدد المركبات التي غنمها أكثر من الف عدا ستين منها مصنوعة بالذهب والفضة . ووفد عليه امير نهرين الميتاني وامير خيتا (امير الحيثيين) وامير سنجار وغيرهم من امراء شمال سورية مظهرين ولاءهم مقدمين هداياهم .

وقد اهتم كأسلافه للعمران فأقام منشآت مهمة وعديدة في مختلف انحاء القطر وبلاد النوبة عثر على كثير من آثارها تحمل اسمه وعثر له على تماثيل عديدة منها الضخم ومنها الصغير ثم على آثار متنوعة اخرى تحمل اسمه من جعارين وأوان ولوحات وقطع حجرية . وقد أنشأ لنفسه معبداً جنائزياً فاخراً . وأضاف إلى الكارناك بوابتين وردهة عظيمة مؤلفة من عشرين عموداً . وقد نقش على احد الاعمدة نقشاً طويلا فيه تمجيد لنفسه وسعة سلطانه وقد وصف نفسه فيه بأنه ملك الملوك ورب الرعب بين سكان البلاد الجنوبية والعظيم الخوف حتى نهاية الشمال الذي تأتي اليه البلاد كلها منتحبة ورؤساؤها يحملون عطاياهم ومنهم امير متني (١) .

(٨) وخلاصة ما ذكره المؤلف من سيرة تحتمس الرابع ابن امنحتب الثاني وخليفته (٢) وان يكن ليس اكبر اولاده . وقد عثر على بضع لوحات في معبد الكارناك احتوت شيئاً من نشأته والقابه وسيرته كما عثر على بعض مقابر رجاله . ويظن ان صراعاً قام بينه وبينه اخوته على العرش انتصر فيه عليهم . وقام بحملة الى شمال سورية وبين النهرين بسبب تمرد اهلها فنكل بهم واخضعهم وسارع اليه بقية الامراء والملوك مقدمين خضوعهم وجزيتهم وطالبين العفو والامان وعاد من طريق لبنان فأمر بارسال مقدار عظيم من خشب

(١) ما ذكره احمد كمال في العقد الثمين (ص ٩٠) ان بلاد آشور اعلنت العصيان فزحف اليها وانتصر عليها
(٢) ج ٥ ص ٥ — ٥٠

الأرز لبناء سفن آمون المقدسة . وقمع ثورة قامت في جيزر في فلسطين ونفى عدداً من اهلها إلى مصر وأسكنهم في مستعمرة أنشأها لهم في ساحة معبده الجنازي . وقد نعت في لوحة عثر عليها مرتين بنعت فاتح سورية مما يدل على ان حملاته إلى هذه البلاد تعددت وكان النصر حليفاً له فيها . وتمردت بلاد كوش والنوبة اثناء غيابه في سورية فسارع بعد عودته إلى الزحف عليها ونكل بالثائرين تنكيلا شديداً وغنم منهم غنائم عظيمة .

وقد عثر لهذا الملك على آثار عديدة في انحاء مختلفة من مصر والجنوب من جعارين ولوحات وتماثيل ونقوش ومحاريب .

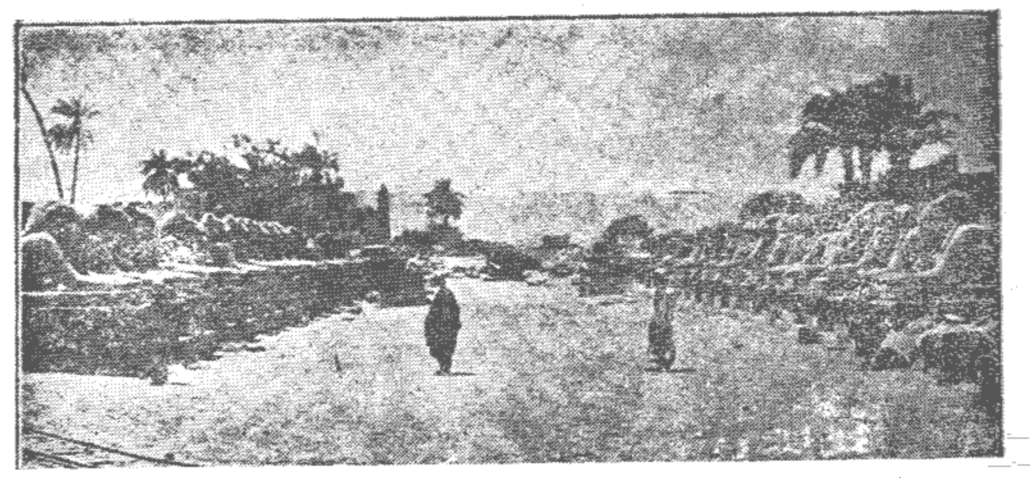
ولقد عثر في تل العمارنة على عدد كبير من الواح الآجر المنقوشة بالخط المسماري عرف انها رسائل كتبت باللغة البابلية وتبودلت بين بعض ملوك هذه الاسرة وملوك بابل وأشور ومتني وسورية وفينيقية . وقد عرفت برسائل تل العمارنة (١) واحدى هذه الرسائل تفيد ان تحتمس الرابع قد تزوج بنت دوشرتا ملك متني . وقد علق المؤلف على هذا قائلا ان هذه اول مرة يعرف فيها ان ملكاً مصرياً تزوج من اميرة اجنبية (٢) .

(٩) وامنحوتب الثالث الذي خلف تحتمس الثالث هو أخوه أو ابنه حسب اختلاف تخمين الباحثين . وخلاصة ما ذكره المؤلف من سيرته (٣) انه قام بزحف على بلدة اسمها ابهت بعد الشلال الثاني لقمع تمرد قام فيها وانه نجح في مهمته فأوقع بالثائرين وأسر عدداً منهم . وقد رافقه في رحلته حاكم الجنوب الملقب بابن الملك . ومع أن المؤلف قال إنه لا يوجد ما يدل على أنه قام يعمل حربي آخر وان السلام كان مخيماً على ربوع المملكة الضخمة التي صارت اليه والممتدة أطرافها من بين النهرين شمالا إلى الشلال الرابع جنوباً كما لا يوجد ما يدل على أنه وطأ بقدميه أرض بلاد الشام فانه ذكر أن نقوشاً لهذا الملك عثر عليها تذكر انه أخضع بلاد رتنو وبلاد النهرين بحد السيف ، وان لوحات عثر عليها يشاهد فيها أقوام من السوريين وبلاد النهرين وجهات اخرى في الشمال مكبلين بالاغلال وصورة الملك في أعلاها وهو يطأ بقدميه الاسيويين ويضرب السود وأمامه الاله آمون وخلفه الاله فتاح! وقدعلل المؤلف ذلك بان هذه النقوش تدل فقط على خضوع هذه البلادوأهلها

(١) انظر ج ٥ ص ٦١٩ - ٦٤٨ وخاصة ٦٣١

(٢) اوردنا قبل نقلا عن العقد الثمين ان احمس الاول تزوج من اميرة اليوبية .

(٣) ج ١ ص ٥١ - ١٥٤



طريق الكباش من آثار امنحوتب الثالث ↑

↓ تمثال ممنون الذي هو تمثال امنحوتب الثالث

لسلطانه امتداداً لسلطان أبيه ؛ وان أباه هو آخر ملوك الاسرة الذين باشروا عمليات حربية في آسيا . وقد أورد المؤلف نصوصاً مؤيدة لما يقوله (١) .

ومما قاله المؤلف أن هذا الملك اطمأن للامن والسلام المخيمين على ربوع المملكة ورأى ما تمتلىء به خزائنه من خيرات وجزيات الاقاليم الشاسعة التي تخضع لسلطانه فانصرف إلى اشباع شهوانه والانهماك في اللهو وان شعبه ايضاً استغرق في حياة البذخ والدعة فانطفأ فيه روح الحرب الذي كان يتأجج في أسلافه مما قد أدى في النهاية إلى ارتباك حال المملكة الذي قضى على الامبراطورية المصرية في آسيا .

وفي رسائل تل العمارنة التي اشرنا اليها قبل جملة رسائل تشير إلى ذلك الارتباك . ففي رسالة من أمير مقاطعة نوخاش سرد نيري إلى امنحتب الثالث خبر هجوم الحثيين على بلاده وطلب الرأي في أمر الدفاع عنها وهي من ممتلكات مصر وإعلان لخضوعه لفرعون مصر (٢) وفي رسالة من اكيزي ملك قطنا « ابتهال إلي قدمي هذا الملك ليشمل بلاده بحمايته وعنايته . وفي رسالة من أحد امراء شمال سورية بأن ملك متنى قد شن الغارة عليه .

ومن الرسائل التي ذكرها المؤلف على استغراق هذا الملك في الشهوات رسالة أرسلها إلى امير جيزر في فلسطين يطلب فيها منه ارسال أربعين من العذارى من حسان قومه واجملهن وقال له إني سأتخذ من هذه الهدية مقياساً لحسن ذوقك . ورسالة اخرى لأحد امراء سورية يطلب فيها عشرين عذراء واخرى الى امير اورشليم عبدى خيباً يطلب احدى وعشرين فتاة من ابكار بلاده . وقد بلغ ولعه بالصيد انه كان يقوم برحلات بعيدة من أجله ويسجل ما يصيده من آساد وثيران وحشية حتى بلغ عدد الاسود التي ارداها وهو في السنين العشر من حكمه ١٠٢ .

ومما صرف جهوده وهمه اليه المباني فعكف على تجميل مدينة طيبة حتى بلغت في عهده ما لم تنله في عهد اي ملك قبله وبعده بما اقامه فيها من معابد فاخرة وقصور شامخة كانت مضرب

---

(١) من العجيب أن يقول المؤلف هذا مع انه ورد في رسالة من رسائل تل العمارنة التي اطلع عليها واورد كثيراً من نصوصها الى اخناتون من رب ادى امير جبل يقول فيها « منذ رجوع والدك من صيدون منذ ذلك الوقت وقعت البلاد في ايدي البدو الخابايري » على ما جاء في كتاب بريستيد الترجمة العربية (١٥٣-٢٦٣) حيث يفيد هذا النص ان امنحوتب الثالث سافر الى بلاد الشام او فينيقية على الاقل .

(٢) اشير الى الرسالتين في كتاب سليم حسن والنصوص من كتاب بريستيد .

الامثال وبهجة الناظرين في عصر وأقام إلى هذا معابد عديدة في انحاء مختلفة لآمون وغيره من الآلهة . واعظم وافخم بناء اقامه في طيبة معبده الجنازي الذي دمرته يد التخريب وأبقت مع ذلك منه شيئاً يدل على عظمته وهو تمثالان ضخمان له عرفا منذ العهد اليوناني باسم تمثالي منون لسبب تذكره بعد . وقد نحت كل منهما من قطعة واحدة من الحجر الرملي المستخرج من محاجر الجبل الاحمر بجوار عين شمس (١) . وقد أشاد بعمله هذا فقال عن نفسه انه صاحب الآثار العظيمة التي نقلها بقوته من عين شمس الشمالية الى عين شمس الجنوبية وقد عثر على لوحة من الغرانيت الأسود كان أقامها في ردهة المعبد الكبرى سجل عليها كل ما كان يحتويه هذا المعبد من اثاث فخم وزخارف رائعة . وقد أورد المؤلف نصوص النقش التي احتوت من الاوصاف المعجب المطرب لهذا المعبد وزخارفه واثاثه ومسلاته واعمدته وردهاته وأبوابه وبواباته الذهبية وأوانيه الذهبية الخ ..

وكان طول كل تمثال من التمثالين الضخمين يبلغ ٦٩ قدماً وطول ساقه ١٩,٥ وطول قدمه ١٠,٥ وعرض صدره ٢٠ وطول اصبعه الوسطى ٤ وطول ذراعه ١٥,٥ . وقد اخنى عليهما الدهر وشوههما تشويهاً كبيراً . وكان أحد هذين التمثالين مصدر خرافة او اسطورة . فقد سقط نصف احدهما الاعلى نتيجة لزلزال فاخذ الناس يسمعون عندما تشرق الشمس صوتاً موسيقياً يصدر منه ثم يقف الصوت حينما ترتفع الشمس إلى كبد السماء ؛ فاذاع اليونانيون تلك الخرافة التي تقول ان هذا الصوت هو صوت منون أخوملك طروادة المذكور في الياذة هوميروس . ومن هذه الخرافة تسمية التمثالين كما هو المتبادر . وصار الناس يأتون خصيصاً لزيارة التمثالين وسماع الصوت الموسيقي وجاء في من جاء هدريان امبراطور الرومان ثم سبتمس سفرس حيث كانت مصر قد خضعت لسلطان روما قبل الميلاد المسيحي . وأمر الثاني باعادة نصف التمثال الساقط إلى محله فلما اعيد وقف الصوت (٢) .

---

(١) قرأنا في اهرام ١٨/١٠/٩٥٦ خبر العثور على تمثالين جديدين على مقربة من هذين التمثالين يبلغ طول احدهما ٤٥ متراً للملك نفسه كذلك ويمثلانه جالساً وعلى كرسيها نقش فيه اسم الملك والقابه وفي الخبر نفسه ان هذه التماثيل كانت موضوعة على بوابات المعبد العظيم الذي انشأه هذا الملك والذي ظهر انه كان يشغل مساحة مئة فدان وانه عثر على تمثال مرمري على هيئة أبي الهول يمثل الملك جالساً على هيئة اسد بذيل ماج وهو متقن جداً لم يعثر على مثيل له الى الان .

(٢) قال مؤلف الدر المنتخب الاثري ج ١ ص انه كان تحت القاعدة حجر معدني اذا سقط عليه الندى صدر عنه ذلك الصوت . وكان الندى يسقط من الفوارغ قبل ارتفاع حرارة الشمس . فلما اعيد النصف الساقط الى مكانه وملئت الفوارغ بالمونة انقطع الصوت .

ولقد نحت هذا الملك لنفسه قبراً في مضيق جبلي قاحل زيادة في الحرص على اخفائه تدل بقاياه على أنه اجمل بكثير من مقابر الملوك الذين جاؤوا بعده وقد زينت جدرانـــه بمشاهد تمثل رحلة الشمس في اقطار العالم السفلي خلال الليل .

ومن آثار هذا الملك الطريق التي تعرف اليوم بطريق الكباش في طيبة . وهي تماثيـــل لابي الهول برأس كبش (بدل رأس الأسد) صفت على الطريق التي تقع أمام معبـــد الاله خنسو الحالي وقد نقش عليها اسمه . والظاهر انه أقام معبداً في هذه المنطقة وجعل التماثيل على طرفي الطريق الموصلة اليه وعددها ١٢٢ ثم بوابة عظيمة بمثابة واجهة جديدة لمعبد الاله آمون وسفينة مقدسة لهذا الاله ليرد عليها الزيارة للآلهة في المعابد المجاورة وصفها في لوحة معبده الجنازي وصفاً طريفاً يدل على ما كان من اهتمامه لاتقان صنعها . ومعبد في الاقصر للاله آمون وهو أجمل معبد اقيم للاله المذكور في عهد هذه الاسرة من حيث الدقة الفنيـــة والفخامة وقاعات الاعمدة والبوابات الضخمة . وقد نقش وصفه على لوحة يدل مـــا كان كذلك من اهتمام الملك لاتقانه هذا إلى مبان دينية عديدة اخرى منها الفخم الرائع على مـــا دلت عليه النقوش .

وتدل الوثائق على أن هذا الملك احتفل بعيد السد التقليدي ثلاث مرات . وقد وصفت هذه الاحتفالات في نقوش مقبرة أحد عظماء رجاله ورسم منها مشاهد متنوعة . وقد وجد لهذا الملك آثار عديدة داخل مصر وخارجها من جعارين واوان ولوحات تحمل اسمه منها ما وجد في سورية والسودان وقبرص وبلاد النوبة كما عثر له على تماثيل عديدة منها الفخم ومنها العادي ومنها التام ومنها الرأسي . وعرف من الآثار ان المصريين اتخذوه معبوداً لهم ، وانه تزوج اختي ملك ميتاني واحدة بعد الاخرى واستقدم مع الاولى (٣١٧) غادة مـــن حسان النهرين وسجل ذلك في نقوشه ، غـــير ان لقب الملكة كان منحصراً في زوجته تي المصرية .

ومما عرف من سيرة هذا الملك انه اشرك معه في الحكم ابنه الذي خلفه وهو امنحوتب الرابع ـــ اخناتون .

وقد قلنا ان رسائل تل العارنة احتوت اخباراً بما كان من صلات بين مصر وبـــلاد العراق والنهرين والشام في عهد هذا الملك وابيه وابنه ؛ وهذه الاخبار عرفت من رسائل كان يرسلها ملوك بابل وآشور ومتني ، فهناك رسائل مـــن مورابورياش وكاد شمان انليل

ملوك بابل الكاشيين إلى امنحتب الثالث تنوه بالمودة والصداقة التي كانت بينهما وبين هذ الملك استمراراً لما كان من ذلك من عهد الآباء ؛ ومنهاما دار حول زواج امنحتب الثالث بينت كادسمان ورغبته هذا بالتزوج من بنت امنحتب وعدم الاجابة إلى هذه الرغبة واقتناعه بالتزوج من بنت من علية القوم ومنهامادار حول حرض ملوك كنعان على بورابورياش من التحالف ضد مصر وابائه ذلك ومنها ما دار حول امل كادشمان بالهدايا العظيمة من امنحتب الثالث كما كان يرسل الى والده وعتابه على عدم تحقيق امله ثم تحققه بعد العتاب حيث ارسل اليه الفرعون هدايا قيمة ووعده باخرى حينما تصل ابنته لتكون زوجة له . ومنها ما دار حول خطبة امنحتب الثالث ابنته هذا لابنه واجابته الى طلبه (١) .

وهناك رسائل من ملوك متني الى امنحتب الثالث ايضاً منها رسالة من الملك شوتارنا اليه تدرل حول زواج امنحتب بابنته . ومنها سبع رسائل ارسلها الملك ددشرتا اليه ايضاً يحتوي بعضها قوائم بهدايا ارسلها اليه ؛ ويدور بعضها حول زواج الملك المصري بابنته تدوخيبا ويحتوي بعضها قائمة بالهدايا التي ارسلها معه كصداقة (٢) .

(١٠) وخلاصة أهم ما ذكره المؤلف من سيرة امنحتب الرابع (٣) الذي خلف أباه أمنحوتب الثالث انه ورث عن أبيه حب النساء وولعه بالاجنبيات وكان قصره يغص بالغادات الفاتنات المتزينات اللاتي كان يأتي بهن من سورية وغيرها من البلاد الخاضعة لمصر . واشهر ما اشتهر به هذا الملك الانقلاب الدبني الذي قام به وهو العدول عن الشرك الى التوحيد وعبادة القوة الكامنة وراء قرص الشمس التي وصفها بالاله الواحد الذي لا شريك له وسماه آتون . واعتبر قرص الشمس رمزاً له وحسب وبنى له معبداً في طيبة وحرم

---

(١) في كتاب بريستيد نصوص ورسائل اخرى مرسلة الى امنحوتب الثالث من بعض امراء بلاد الشام تدل ايضاً على ما كان من توطد سلطان مصر في عهد هذا الملك وجزيرة الفرات . من ذلك رسالة من اكيزي امير قطنا يقدم خضوعه ويبدي استعداده لخدمة جنود الملك ودوابهم وتقديم ما يلزمهم من طعام وشراب . ورسالة اخرى منه جاء فيها « بقدر محبتي لك ايها الملك فان ملوك نوخاشي وني وسنبحار وكينانات يحبونك ايضاً . وكلهم خدم جلالتك . ورسالة من ابي ميكلي امير صور يقدم فيها خضوعه وعبوديته .

(٢) في كتاب بريستيد نص اوفى لرسالة ملك متني هذه حيث يذكر انه ارسل ابنته تادوخيا ليقترن بها ابنه ويخاطبه بعنوان اخي وصهري ويشيد بما كان من صداقة بين مصر ومتاني منذ عهد الاباء ويطلب ذهباً بلا حساب اكثر مما كان يرسل الى ابيه لان الذهب في ارضه كثير كالتراب .

(٣) مصر القديمة ج ٥ ص ٢٥١-٤٣١



صورة اخياطوس وزوجته واولاده

امام آمون إله قرص الشمس

عبادة آمون اله الشمس وغيره من الآلهة . وغير اسمه فصار اخن آتوب بدلا من آمون حتب وامر بمحو اسم آمون عن أي مكان وأثر وتحطيم تماثيله وأخذينشر مذهبه الجديد في طول البلاد وعرضها ويحارب المذاهب الأخرى . وقال انــه افلح في حركته لأن للفرعون قداسة تجعله في نظر الشعب معصوماً ؛ وإن مقدمات هذا الانقلاب ظهرت في عهد تحتمس الرابع ثم في عهد ابيه وجدت لوحة ظهر فيها الجد يعبد قرص الشمس ويسميه آتون وقد تدلى منه شعاع ينبعث من الشمس حاملا اليه الخيرات وهذه الصورة تنطبق إلى حد كبير على الصورة الرمزية التي انحذها اخناتون لمذهبه ، وحيث عرف من الآثار ان هذا الجد قد ثار على سلطان كهنته آمون وانتزع من يدهم وظيفة رئيس كهنة القطرين وقلدها أحد قواده وحيث سمى أبوه قارباً كان يتنزه فيه في بحيرته الصناعية بمدينة هايو طيبة (تحن آتن) ومعناها آتون يضيء وحيث عرف ان اخناتون نفسه أخذ يتظاهر بمذهبه الجديد في حياة أبيه دون معارضة من هذا الاب ؛ فلم يكن هـــذا الاب يموت ويتولى الابن الملك حتى اتم مذهبه واعلنه (١) .

وقد قام صراع وصيال شديدين بينهوبين كهنة آمون فحمله هذا على ترك طيبة وانشاء عاصمة جديدة في الشمال سماها ماعت (ومعنى الكلمة مقر الصدق) كـــما سماها اخيتاتون (ومعنى الكلمة افق آتون)وكانت على انقاض مدينة طينة احدى المدن القديمة وهي المدينة التي برز منها منا ويعرف مكانها اليوم باسم تل العارنة على مقربة مـــن مدينة ملوى .

وقد جعل طابع المذهب الجديد طابعاً للمدينة الجديدة حيث امر كل موظفيه ورجاله بنقش اسم آتون والادعية التمجيدية له على واجهات بيوتهم فيها . وقد سجل خبر انشائه هذه المدينة في لوحات عديدة أشاد فيها بما كان من عنايته بانشائها وما انفقه عليها .

ولقد أنشأ هذا الملك لآتون معابد عديدة في مدن الوجهين القبلي والبحري وبلاد النوبة وسورية .

---

(١) يقول احمد كمال في العقد الثمين (ص ٩٣) ان من المحتمل ان يكون لام اختانون تاي تأثير في الانقلاب الديني وقد كانت من اهل الشمال المحبين للشمس . واهل الشمال هماهل الدلتا التي كانت تعج بالاروم ت العربية الجنس على ما مر بيانه ومنهم العبرانيون الذين كانوا موحدين امتداداً لارث آبائهم ابراهيم واسحق ويعقوب والاسباط . وكلمة ادون في العبرانية بمعنى الاله ومن المحتمل ان تكون كلمة آتون محرفة عنها . على ان سليم حسن الذيذكر تالي وما كان لها من نفوذ وحنكة في عهد زوجها امنوحتب الثالث قال انها مصرية صميمة وليست اجنبية كما يذكر البعض (انظر ج ٥ مصر القديمة ص ١٠٦)

وقد عثر على نقوش عديدة تتضمن اناشيد وتمجيدات لآتون فيهاالدلالة على ان المقصود منه هو الاله الواحد خالق الاكوان ومدبرها والمحيط علمه بكل شيء منها مـــا عزي إلى أختاتون نفسه ومنها ما عزي إلى غيره من أتباعه ومنها ما فيه مماثلة لبعض مزامير داود ؛ وقد أوردها المؤلف واستغرقت من كتابه نحو عشر صفحات اقتطفنا منها المقتطفات الآتية كامثلة : فمن انشودة بهاء آتون :

أنت تبزغ بجمالك في افق السماء . أنت يا آتون الحي الذي كنت في أزلية الحيـــاة . فحينما كنت تشرق في الافق . كنت تملأ كل البلاء بجمالك . اشعتك تحيط بالأرضين حتى نهاية مخلوقاتك .

ومن انشودة الخلق العالمي :

يا ايها الأحد الذي لا يوجد بجانبه شأن لأحد . لقد خلقت الأرض على حسب رغبتك. وحينما كنت وحيداً خلقت الناس وجميع الماشية والغزلان وجميع ما على الأرض مما يمشي على رجليه وما في عليين مما يطير باجنحته . انت خالق الجرثومة في المرأة الذي يذرأ من البذرة اناساً . انت معطي النفس حتى تحفظ حياة كل انسان .

ومن انشودة ري الارض :

انت تخلق النيل في العالم السفلي وأنت تأتي به كما تشاء ليحفظ اهل مصر أحياء . لأنك خلقتهم وانت سيدهم . ما اكرم مقاصدك يا رب الابدية .

ومن انشودة منقوشة على لوحة يشاهد فيها أختاتون كأنه ينشدها امام رمز آتون :

انت تشرق بجمالك يا آتون الحي . يا رب الابدية . انت ساطع وقوي وجميل . وحبك عظيم وكبير . اشعتك تمد بالبصر كل واحد مـــن مخلوقاتك . ولونك الملتهب يجلب الى قلوب البشر الحياة . عندما تملأ بحبك الارضين . ايه ايها الاله الذي سوى نفسه بنفسه . وخالق كل ارض . وباريء كل من عليها .

ومع ثناء المؤلف على رجاحة عقل هذا الملك وصفاء نفسه وعمق تفكيره الذي ادى به الى هذا الانقلاب العظيم . فانه نبه بما كان منه من شذوذ في زواجه بابنته الثالثة (ستآمون) وسوء معاملته لزوجته نفرتيتي مضرب المثل في الجمـــال وفي علاقته المريبة باخ اصغر منه اسمه سمنكارع الذي تولى العرش بعده استنتاجاً من ما وردفي النقوش مع تساؤله عـــن صحة ذلك .

ولقد ذكرنا في سيرة امنحتب الثالث ان حالة بلاد الشام وبين النهرين اخذت تضطرب في اواخر حكم هذا الملك واخذ ملوك متني وخيتي (الحيثيين) يتحركون ويشنون الغارات على بعض الممالك الخاضعة لسلطان مصر . وقـد اغتنم هؤلاء على ما يظهر فرصة انشغال اخناتون بمذهبه فاشتدوا في حركاتهم ، واندمج معهم في ذلك ملك الشام عبد عشترت وابنه عازار الآموريين على ما تفيده بعض رسائل تل العمارنة التي ذكرناها قبل .

ففي رسالة من أحد أمراء سورية إلى اخناتون « لما اعتليت عرش والدك وضع ابنـاء الملك ابداشيرتا (عبد عشترت) ايديهم على ارض جلالتك منضمين الى ملوك متاني وخيتا وبابل (١) . وفي رسالة مـن أهل تونب التي يتساءل المؤلف عما إذا كانت بعلبك تساؤل التخمين « نحن كلنا نسجد تحت قدميك . سيدي ان مدينة تونب تتساءل الآن قائلة لم يجرأ أحد على سلب تونب في عهد تحتمس الثالث دون ان يسلبه ذلك الملك . ألا فليعلم سيدنا ملك مصر ان معبودات مصر لا تزال في تونب . ويمكن جلالتك ان تتأكد صدق ذلك من كبار قومك . لقد أوشكنا ان ننتقل من مملكة سيدنا ملك مصر إذا تأخر عنـا وصول الجنود والعجلات . ان ازيرو (لعله عازار) سيعاملنا كما عامل مدينة ني . وحينئذ يعمنا الكدر كما يصيب جلالة ملك مصر الأسى لما يأتيه من ازيروا . ان هذا سيرفع يده ليقاتل قوات جلالة سيدنا . إذا دخل ازيروا بلدة سميرا يفعل بنا ما يشاء . ونحن في بلاد جلالتك سيدنا . حينئذ يندم جلالة الملك على ذلك كثيراً . ان تونب تبكي ياسيدي بكاء مراً ولا مغيث لها . لقد ثابرنا على ارسال الخطابات لسيدنا مدة عشرين سنة فلم يصل إليـنا كلمة واحدة » (٢) وفي رسالة من رب ادي ملك جبيل وصف فيها حالة البلاد الآسيوية وصفاً محزناً وما وصلت اليه من العصيان راجياً مساعدته السريعة ليتمكن من طرد ازيرو من سميرا لأن سقوط هذه المدينة يعني سقوط جبيل أيضاً » (٣) . وفي رسالة مـن ابي ميلكي ملك صور يسأل ملك مصر النجدة بسرعة ويقول انزيربدا والي صيدون تحالف مع ازيرو على صور لاقتسام خيراتها . وفي رسالة من ابدخيبا والي المقدس إلى اخناطون « ستضيع جميع اراضي جلالتك الى تارت. امـا اقليم شيري الواصل إلى جنة الكرمل فقد شق عصا الطاعة علي وكذلك امراؤه . لقد كانت سفن جلالتك الساعد القوي في بسط سلطتك على بلاد النهرين وقدش . اما الآن فلم يبق لسيدي وال مطيع فالكل عصاة . ليحترس الملك على قطائـعه وبلاده وليرسل المدد . لانه إذا لم يصل جنود هذه السنة ذهبت ممتلكات جـلالة فرعون

(١) في كتاب سليم حسن اشارة الى هذه الرسالة والنص من كتاب بريستيد

(٢) و(٣) سليم حسن اشار الى ذلك والنص من كتاب بريستيد ايضاً

حمدى . وإذا تعسر إرسال جنود هذه السنة فايرسل جلالته ضابطاً يلازمني للحضور أنـــا واخوتي كي نموت مع سيدنا الملك » (١)

ومما ذكره سليم حسن ان قائداً مصرياً اسمه يانخام حاول بما تحت يده مـــن حامية ان يتدخل لقمع الثورات فأخفق واشتدت الحالة تفاقماً وتوالت استغاثات حكام فينيقية وفلسطين من محليين ومصريين فأمر اخناتون خاني بن مري رع الذي كان نائب الملك في أرض كنعان بالجد في الامر ؛ ونفذ هذا الأمر ونجح فيه حيث استطاع ان يوطد سلطان مصر ثانية على بلاد الشام ويأسر عدداً كبيراً من أهلها الساميين . وتسابق الامراء إلى إظهـــار خضوعهم وطاعتهم . وجاء نائب الملك إلى مصر ومعه سفراؤهم وهداياهم وجزيتهم . غير ان الحالة لم تلبث ان ارتبكت ثانية ومات الملك والامبراطورية المصرية في بلاد الشام وبين النهرين متفككة ومعظمها وقع تحت سلطان مالك الحيثيين وملك الشام حليفه .

ولقد ورد في رسائل تل العمارنة اسم قبائل الخبيرو وغاراتهم اكثر مـــن مرة . ويظهر انهم اخذوا يقومون بالحركات والغارات في عهد امنحوتب الثالث . ففي رسالة أرسلها رب ادي امير جبيل الى اخناتون « منذ رجوع والدك من صيدون منذ ذلك الوقت وقعت البلاد في أيدي البدو الخابيري » (٢) .

وفي رسالة من رب ادي امير جبيل الى امنحوتب الثالث ايضاً « منذ ذلك اليوم الذي غادر فيه والدكم وأظهر عطفه على بلاد خبيري لم يعد في استطاعتي ان احصل على شيء » . وفي رسالة ابن خيتا والي بيت المقدس الى اخناتون التي اوردنا بعض نصوصها قبل هـــذه الجملة « اما الآن فقد احتل بدو الخابيري بلاد برعون » وفي هذه الرسالة حاشية إلى كاتب الملك يقول الوالي فيهـــا للكاتب . ان جميع اراضي سيدي فرعون سائرة نحو الضياع . ان اهل البلاد يهاجرون رعباً من فظائع بدو الخابيري . لقد أتلفت أمتعهتم . وحطمت مدنهم . وأحرقت حاصلاتهم . وضرب الجوع أطنابه في بلادهم وهم فوق الجبال كالأغنام » (٣) (الظاهر انهم هربوا من غارات البدو) .

ولقد ذكر سليم حسين الخبيرو في سياق سيرة الهكسوس وزحفهم وخمن انهم العبرو والعبرانيين الذين منهم ابراهيم وذريته وعلقنا على ذلك مرجحين انهم الآراميون الذين منهم ابراهيم وذريته . وما جاء عنهم في هذه الرسائل يؤيد تعليقنا فيما نرى ، لأن المعروف مـــن

---

(١) سليم حسن اشار الى ذلك والنص من بريستيد ايضاً

(٢) اشار سليم حسن الى ذلك ايضاً والنص من كتاب بريستيد ؛

(٣) النص ايضاً من كتاب بريستيد واشار سليم حسن الى الرسالة .

تاريخ العبرانيين بني اسرائيل ان زحفهم على فلسطين جرى بعد خروجهم من مصر بقيادة موسى في القرن الثالث عشر. وهذه الحركات حركات قبائل عظيمة متموجة في بلاد الشام وقد اندمج جماعات منها في حركة زحف الذين سموا بالهكسوس على مصر وبقي باقيهم أو بالاحرى أكثرهم يتموجون في بلاد الشام.

ومن رسائل تل العمارنة رسائل الى اخناتون من ملوك بابل وآشور ومتني أيضاً تدل على ما كان من صلات بين مصر وهذه البلاد. فهناك رسالة طويلة الى بورابو رياش الثاني ملك بابل وإلى هذا الملك الذي هو زوج بنته يشكو فيها السقم ويعتب على صهره لعدم الاستفسار عنه ويخبره انه ارسل اليه هدية من اللازورد وخمسة ازواج من جياد الخيل وانه قد اكتفى بهذه الهدايا لان الجو حار والماء منقطع المورد ويعده بارسال غيرها إذا تحسن الجو. ويطلب منه ارسال كثير من الذهب لانفاذ اعماله بها ويوصيه بوضعه في حرز مختوم لئلا يتلاعب به الرسل. كما فعلوا في الاربعين مناً من الذهب التي ارسلها اليه قبل. ويشكو من نهب قافلتين لرسول له اسمه سالمو من قبل قبائل وحكام بلاد تابعين له ويطلب ارغامهم على دفع الفدية والتعويض.

ورسالة اخرى من بورابورباش ايضاً لاخناتون يطلب منه ان يعيد الرسل الذين ارسلهم ملك آشور اليه بغير علمه فارغي اليد. ورسالة اخرى يعده فيها بارسال خادمة لبنته حينما علم ان الخادمة البابلية الموجودة عنده قد ماتت. ورسالة اخرى تحتوي قائمة بالهدايا التي أرسلها ملك مصر صداقاً لابنه ملك بابل. وهناك رسالة من آشور يبليت ملك آشور إلى اخناتون ايضاً يصف فيها نفسه بالعظيم ويذكره بهدية ارسلها الى جده آشور نادين وهي عشرون تالنتاً من الذهب ويطلب لنفسه مثلها ويخبره انه ارسل اليه هدية عدداً من المراكب مع جيادها وكمية من اللازورد. وقد ذكر المؤلف في سياق ذلك ان ملوك آشور كانوا يؤدون الجزية لتحتمس الثالث ثم غزا ملك ميتاني بلاد آشور وبابل وفرض عليها سلطانه وان آشور بليت هذا خلع نير ميتاني وحرض ملك بابل على ان يفعل فعله.

وهناك مراسلات بين ملك متني دوشرتانا واخناتون تدور حول زواج الثاني من تدوخيبا ابنة الاول زروجة امنحتب الثالث بعد وفاته والهدايا التي ارسلها اخناتون صداقاً لها والهدايا التي ارسلها دوشرتانا بالمقابلة وطلب ملك دوشرتانا من اخناتون كمية كبيرة من الذهب؛ ثم مراسلات بين ملك متيني المذكور وبين الملكة تي والدة اخناتون تدور حول توطيد الصداقة والود بينه وبين ابنائها وحول الهدايا التي تبادلتها معه. وكل هذا لم يمنع ملك متني

من شن الغارة على بلاد الشام الداخلية والساحلية الخاضعة لمصر حتى لقد زحف مرة حتى بلغ قرب جبيل ولم يصده إلا قلة الماء كما يقول المؤلف الذي لا يذكر من اين استنتج ذلك .

هذا ، ولاخناتون آثار متنوعة وجدت في مختلف انحاء مصر تحمل اسمه من تماثيل ولوحات وأواني وقطع حجرية وبقايا منشآت ومعابد دينية في منف وكوم القلعة وارمنت وهليوبولس والاشمونين وتل العمارنة وقفط وحيل السلسلة وغيرها . ومن اللوحات واحدة عليها صورة اخناتون مع أسرته وهم يتعبدون لقرص الشمس آتون امام مائدة قربان ارسلت عليها أشعة آتون ...

(١١) وتولى العرش بعد اخناتون اخوه سمنخ كارع (١) ويظهر انه أراد التزلف إلى كهنة آمون رع الذين كانوا ناقمين على اخيه فترك مدينة آتون إلى طيبة وتسمى باسم رع ، غير ان حكمه لم يطل

(١٢) وتولى العرش بعده توت عنخ امون (٢) في ظروف غامضة . وهو زوج بنت اخناتون من نفرتيتي . وهذا ما رشحه للملك ويسره له . خاصة ولم يكن لاخناتون ولد ذكر . وكان لمساعدة حماته وكاهنا رع لاكبر أي أثر في توليه العرش . وقد ظهر من التدقيق في آثار هذا الملك ان كثيراً من الحلي والجواهر فيها كان مصنوعاً لسمنخ كارع وموسوماً باسمه فمحا الاسم وكتب اسمه عليه .

وكان على رأس الجيش قائد قوي وهو حور محب فلم يلبث ان غدا صاحب الكلمة في المملكة وكان من رجال اخناتون وعضداً له في صراعه مع كهان رع ، وكان ذا مطامع عظيمة ، وكان من عامة الشعب فأخذ يتزلف إلى الكهان . وكانت بلاد الشام مضطربة وسلطان مصر فيها مزعزعاً نتيجة للحركات التمردية التي كان يتولى كبرها ملك الحيثيين . فزحف هذا القائد على رأس جيشه واشتبك مع الجيش الحيثي الذي كان بقيادة الملك مورسيل غير ان احداً لم يكسب ظفراً حاسماً . ثم قاد حملة اخرى زحف بها على فلسطين وكان يرافقه الملك وتمكن من ضرب واخضاع قبائل الخبيرو الذين كانوا دائبين على غاراتهم المزعجة . وقاد كذلك حملة زحف بها على بلاد كوش التي كانت هي الاخرى في حالة تمرد وعصيان واستطاع اخضاعها .

وكل هذه الاعمال استنبطت من نقوش ومشاهد اثرية على قبر حور محب في سقارة على ما شرحه سليم حسن . وفي احد المشاهد يرى اهل بلاد كوش مع اهل الشمال يقدمون

---

(١)و(٢) ج ٥ ص ٤٣١–٥٥٩ ان سيرتي الملكين مندمجتان في بعضها

جزيتهم للملك وحور محب بين يديه . وهكذا كان نشاط حور محب مما أعاد إلى مصر هيبتها وسلطانها الامبراطوري .

ولقد وجدت لتوت عنخ امون لوحة تذكارية في الكارناك يصف فيها حالة البلاد حينما جلس على العرش ثم ما قام به من اعمال ، حيث قال « لقد وجدت المعابد قاعاً صفصفاً والجيوش المصرية منهزمة في فينيقية . والآلهة قد ولت ظهورها للاهلين في طول البلاد وعرضها فلا تسمع نداءهم ولا تستجيب دعاءهم . ولكني اصلحت الحال لأن الاله نفسه صورني وأرواح عين شمس مجتمعةسوتني . اني ملك رصين مخلد . وحاكم يعمل لسعادة آبائه الآلهة . وقد سيطرت على ارض حور وانحنت امامي البلاد الاجنبية واعدت بناء ما هدمته الازمان الغابرة وقضيت على الكذب ودعمت الصدق » ثم اخذ يعد ما فعله من اعظام شأن امون طيبه وبتاح منف وانشاء السفن الالهية وهبة الأموال الوفيرة لمخازن معابدهما واعادة اسم امون الممحو وتجديد معابده المدمرة وسنه القوانين الاصلاحية ، وقد وصف نفسه في اللوحة بابن رع وسيد كل أرض اجنبية ورب التيجان ومعطي الحياة مثل رع .. وعثر على لوحات اخرى نقشت عليها صورته بشكل الباسل المقدم والمحب الحنون والمغرم بالصيد والنزهات مع زوجته حيث يدل كل هذا على انه كان ملكاً شجاعاً نشيطاً مقداماً مصلحاً (١) .

ومن العجيب ان نرى المؤلف ينقض بعض ماقاله هنا من توطد سلطان مصر ثانية على بلاد الشام في سياق سيرة سيتي ثاني ملوك الأسرة التاسعة عشرة حيث قال (٢) انه بالرغم من ما ذكرته النقوش وعبرت عنه المشاهد فانه يشك كثيراً فيما اذا كانت مصر قداستردت شيئاً يذكر من اقطارها المسلوبة في عهد اخناتون لان ذلك كان يتطلب حملات قوية مجهزة لم يكن في وسع مصر إعدادها في الظروف التي كانت تمر بها ، وان ذلك انما تحقق في عهد سيتي .

(١٣) وتولى الملك بعد توت عنخ امون ملك اسمه آي وليس هذا من امراء الاسرة ،

---

(١) ما ذكره احمد كمال في العقد الثمين (٩٠ - ٩٥) انه عثر على مشهد في مقبرة طيبه يرى فيه هذا الملك جالساً على عرشه وامامه رؤساء قبائل اشور والروتنو (والاسم الاخير كان يطلق على سكان سورية) وعليهم ملابس الفخار ومعهم مماليكهم يقدمون له الجزية من اوان ذهبية وفضية ومعادن متقنة الصنع من خيول وسباع وجلود . وفي جهة اخرى من المقبرة يرى الاثيوبيون مقبلين بالجزية في سفنهم على النيل ويرى سفن قادمة من السودان بالجزية مشحونة بالغلال والثيران والخيول واسم كل فريق منقوش بجانبه .

(٢) ص ٣١-٣٢ ج ٦

فقد كان توت هو آخر ملك تولى منها ولم يترك خاتماً ذكراً له . وكان تولى آي للحكم في ظروف غامضة . ويظن انه كان من رجال اخناتون المقربين ومن رجال الجيش . وكان يلقب بوالد الاله مما يحتمل ان يكون ذلك بسبب كون احدى بناته من زوجات توت عنخ امون او بسبب كون زوجته مرضعة للملكة نفرتيتي ، وان هذا كله هو الذي يسر له اعتلاء العرش . وقد تزوج بعد اعتلائه العرش بأرملة توت عنخ امون فدعم بذلك مركزه . ولم يعرف شيء من سيرة هذا الملك . ويظهر انه جرد حور محب من وصاية العرش التي كان يعبر عنها بلفظ « ربعت » فلم يطق هذا صبراً فثار عليه معتبراً نفسه أحق منه لأنه صاحب لقب ربعت وقال ان الملك نصبني « الفم الأعلى على البلاد لأوجـه قوانين البلاد بوصفي ربعت الارض كلها . وتمكن من الاعتلاء عـلى العرش . ومن المحتمل ان يكون قتـل الملك اي .

(١٤) ومما ذكره المؤلف من صورة حور محب (١) انه ليس من طيبة وانما هو مـن بلدة حت نسوت عاصمة مصر الوسطى ولم يذكر هويته واورمته . وقد كانت العناصر العربية الجنس التي تسربت من طريق سينا في عهد الاسرة السادسة وما بعدها ثم موجة الهكسوس قد ملأت مصر السفلى والوسطى بنوع خاص فلا يبعد ان يكون هذا منها واللمحة العربية بادية على اسمه . ومما عرف من اعماله انه هدم بعد توليه العرش قبر آي الملك السابق ومحا اسمه اينما عثر عليه واستولى على معبده الجنازي لنفسه وكان هذا المعبد لتوت عنخ آمون فاستولى آي عليه لنفسه . ومع ان المؤلف قال انه لا يعرف شيء من سيرته بعد توليه الحرب فانه ذكر من ذلك اموراً غير يسيرة . فقد عثر على تمثال مزدوج له ولزوجته نقش علـيه سيرة نشأة حور محب ومناصبه التي تولاها ومنها منصب نائب الملك ثم قصة تتويجه في طيبة برضاء الآلهة حور وآمون وغيرهما والاعمال التي قام بها . والعبارة تفيد ان بعض هذه الاعمال وخاصة القوانين قد كانت بعد توليه الحكم . وقد اورد المؤلف ترجمة لهذا النقش الطويل تدل على ما كان عليه هذا الملك من عقل ناضج وحزم وبصيرة ثاقبة ورعايـة للعدل ونشاط جم وقصد الى الضرب على ايدي الفاسدين من الموظفين يتمثل في ما سنه من أنظمة وقوانين لمختلف شؤون الدولة اراد ان يقضي بها على ما كان مستشرياً مـن فساد ورشوة واهمال

---

(١) ص ٥٨٠–٦١٨ ج ٥ و ج ٦ ص ١٣



لوحة توت عنخ آمون وزوجته

وعدوان على مساكن الناس ومواشيهم وأمتعتهم بالاضافة إلى ما أصلحه من معابد وقدمه لها من قرابين وأوان ذهبية وفضية وعينه لها من حراس. وقد اهتم لاعلاء شأن آمون وآثاره فعاد هذا الاله إلى سابق مجده ملكاً على الالهة في جميع الإمبراطورية وقد هدم مسلات اخناتون ومحا اسم آتون وأمر بحفر اسم آمون على جميع الآثار كما كان سابقاً مما أكسبه تأييد كهنة آمون وأتباعه .

وقد عثر على مشهد في جدار معبد الكارناك يدل على ان الصلات بين مصر وبلاد بُنت قد استؤنفت في عهد هذا الملك حيث يرى فيه وهو يستقبل رؤساء هذه البلاد وهم يحملون حقائب مفعمة بالتبر وريش النعام ويوجهون اليه السلام . وفي مشهد آخر يرى الملك يقدم محاصيل بلاد بنت للاله آمون وهو يقول له « هذه جزية بلاد بُنت . بقوتك المظفرة . انك صيرت رؤساءهم في خوف . فجاؤوا حاملين جزيتهم على ظهورهم . ان قوتك لعظيمة في كل أرض » وهذا لا يدل فقط على ان الصلات استؤنفت كما يقول سليم حسن بل على ان هذه البلاد ظلت تعتبر نفسها في نطاق سلطان مصر كما هو المتبادر امتداداً لما سبق . وفي الجانب الشمالي من بوابة الكارناك الحادية عشرة نقش مشوه لهذا الملك بقي منه مشهد يقود فيه ثلاثة صفوف من الاسرى مقدماً اياهم للاله . وملابسهم وسحنهم تدل على انهم آسيويون . وقد يدل هذا على انه قام بحملة الى بلاد الشام ووطد سلطان مصر في بعض أنحائها . ولا يمكن البت فيما اذا كان هو الذي تم بقيادته في عهد توت عنخ أو شيئاً جديداً (١) .

وقد وجد لهذا الملك آثار متنوعة قبل توليه الملك وبعده من لوحات وأوان وتماثيل وقطع حجرية تحمل اسمه ومشاهد متنوعة من حياته واعماله منتشرة في طول البلاد وعرضها.

ولقد انتهت الأسرة الثامنة عشرة فعلا بتوت عنخ آمون . والملكان اللذان توليا بعده من غيرها . غير انهما لم يعقبا فلم يكن حكمهما عهدين جديدين . ثم تولى الحكم بعدهما زعيم من زعماء الدولة من أسرة جديدة وورث الحكم عنه أولاده من بعده فكانت الأسرة التاسعة عشرة .

هذا ، ولقد كشفت التنقيبات عن مقابر عديدة فخمة أنيقة مزينة بروائع الرسوم

---

(١) مما ذكره بريستيد في كتابه تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٢٦٧ وما بعدها انه عثر على نقوش فيها اسماء عدة مدن اسيوية احرز فيها هذا الملك نصراً مما يدل على انه قاد حملة لاخماد الفتن وتوطيد سلطان مصر ثانية على هذه البلاد .

والمشاهد والنقوش لعدد كبير من رجال هذا العهد الكبار أمدت المؤرخين بصور متنوعة من اسماء وألقاب ومناصب وأحداث هؤلاء الرجال حيث سجلوا ذلك للتدليل على ما كانوا عليه من مكانة وأدوه من اعمال هامة .

وقد دأب سليم حسن على ذكر رجال عهد كل ملك من ملوك الأسرة عقب سيرته باسهاب لا يتحمل منهج الكتاب مجاراته فيه . غير ان هذا لا يمنع من ايراد نموذج لما في ذلك من طرافة ودلالة . وهذا النموذج هو رجال عهد الملك امنحوتب الثالث الذين على ما يبدو ساعد الحظ على كشف مقابرهم بمقياس اوسع من غيرهم (١) . ولسوف نورد الاسماء مع الالقاب والمناصب دون الشروح الطويلة التي اسهب المؤلف فيها ودون ذكر الآثار العديدة التي وجدت لأصحابها .

١ ــ امنحتب بن حبي الذي يعد اكبر شخصية بارزة في عهد امنحتب الثالث .وكانت له المناصب والالقاب التالية التي منها التشريفي ومنها الاجرائي :

الامير الوراثي ــ حامل خاتم ملك الوجه البحري ــ السمير الوحيد العظيم الحب ــ السمير الاكبر لرب الارضين ــ المدير الملكي ــ القاضي ــ المشرف على الكهنة في بيت سخمت ــ مدير اعياد بتاح وكل آلهة منف ــ المشرف على الاعمال ــ المشرف على مخزن الغلال المزدوج في كل البلاد ــ المشرف على بيتي الذهب والفضة ــ المشرف على كل ضياع الملك ــ كاتب الملك الحقيقي ومحبوبه ــ كاتب الفرعون للمجندين ــ الحاكم الذي رأس اشراف جلالته ــ عينا ملك الوجه القبلي واذنا ملك الوجه القبلي واذنا ملك الوجه البحري ــ

٢ ــ امنحتب مورر . وكان يحمل الالقاب والمناصب التالية : الامير الوراثي ــ كاهن الفرعون ــ حامل المروحة على يمين الفرعون ــ الكاتب الملكي والحاكم ــ السمير الوحيد الذي يقترب من سيده ــ حارس خطوات رب الارضين ــ المدير الملكي ــ الامير على خبز قاعة القربان ــ المدير العظيم لبيت الفرعون

٣ ــ خيروف . وكان يحمل الالقاب والمناصب التالية : الامير الوراثي ــ حامل خاتم ملك الوجه البحري ــ السمير الوحيد العظيم الحب ــ مدير بيت الزوجة الملكية العظيمة ــ المشرف على الخزانة ــ حاجب الفرعون الاول ــ رئيس اسرار بيت الملك ــ القاضي

---

(١) مصر القديمة ج ٥ ص ١٢١ ــ ١٤٣

الذي في مقدمة رجـــال البلاط ـ عظيم العظماء وعظيم السمار ـ كاتب الفرعون الحقيقي ـ الوحيد المتكلم عن المواطنين .

٤ ـ تحتمس . وكانت مناصبه وألقابه : الوزير ـ عمدة المدينة ـ حـــامل خاتم ملك الوجه البحري ـ سمير الملك الذي يقترب من الاله نفسه ـ فم نخن وكاهن ماعت ـ رئيس القضاة ـ الذي في المكان المقدس في القصر الفرعوني ـ الذي منح ذهب الاستحقاق .

٥ ـ بتاح مس . وهو ابن الوزير تحتمس . وكانت مناصبه وألقابه : الكاهن الاكبر للاله بتاح ـ الأمير الوراثي ـ والد الاله ـ محبوب الاله ـ رئيس اسرار العرش العظيم ـ المدير العظيم للصناع ـ المشرف على كهنة الوجهين القبلي والبحري ـ حامل خـــاتم الوجه البحري ـ السمير الوحيد .

٦ ـ مري بتاح وهو اخو السابق وكانت مناصبه وألقـــابه : الأمير الوراثي ـ السمير الوحيد الحب ـ مدير بيت الفرعون ـ عينا ملك الوجه القبلي واذنا ملك الوجه البحري .

٧ ـ بتاح مس بن الكاهن الاكبر من خبر وكانت مناصبه وألقابه : الأمير الوراثي ـ حامل خاتم ملك الوجه البحري ـ السمير الوحيد ـ الكاهن سم ـ المدير العظيم للصناع ـ والد الاله محبوب الاله ـ رئيس اسرار معبد حتسكا بتاح في منف .

٨ ـ بتاح مس الوزير والكاهن الاكبر وكانت مناصبه وألقابه : الأمـــير الوراثي ـ حامل خاتم ملك الوجه البحري ـ الكاهن الاول للاله آمون ـ عمدة المدينة الجنوبية (طيبه) الوزير في المدينة الجنوبية ـ وزير كل اعمال الملك

٩ ـ امنحتب الوزير ـ وكانت مناصبه وألقابه : القاضي في بيت الفرعون ـ رئيس الارض قاطبة ـ الامير الوراثي ـ السمير الوحيد ـ حامل خاتم ملك الوجه البحري ـ عينا الملك في الارض كلها ـ المقرب في حور في يته ـ مدير الأعمال ـ حارس خطوات رب الارضين ـ العظيم في بيت الملك ـ الفم الوحيد الذي يهدىء الشر بكلامه ـ المشرف على المدينة ـ الوزير ـ حاكم نخن . مهدىء الخطوات في المكان المقدس ـ محبوب سيده ومدير كل اعمال الفرعون في مقاطعات أرض المراعي في الشمال .

١٠ ـ رع موسى . وكانت مناصبه وألقابه : الامير الوراثي ـ والد الاله ـ محبوب الاله ـ السمير الوحيد العظيم الوحيد الحب ـ حامل خاتم ملك الوجـــه البحري ـ حاكم المدينة ـ الوزير ـ المشرف على الوثائق ـ مدير اعمال الآثار العظيمة ـ مدير الوجه البحري والوجه القبلي ـ الفم الذى يهدىء كل الأرض ـ رئيس الارض كلها ـ رئيس القضاة ـ فم نخن وحارس نخن ـ كاهن ماعت ـ القاضي للفصل في المعاملات ـ موزع العدالة يومياً

ومقدمها لقصر سيدها ــ من يحكم بالعدل ويمقت الظلم ــ المشرف على كهنة الوجهين القبلي والبحري ــ المشرف على كل معابد الوجه القبلي والبحري ــ اعظم الرائين ــ رئيس اسرار الكلمات المقدسة ــ مدير القربان المقدس ــ رئيس اسرار الالاهتين ــ العارف بأسرار العالم السفلي ــ الذي يدخل في أسرار السماء والارض ــ الكاهن سم ــ مدير الموظفين كلهم الذي يقترب من سيده ــ عينا حور في بيته ــ ثقة رب الارضين ــ رئيس اسرار بيت الملك ــ مرشد رجال البلاط ــ عظيم العظماء وقائد السمار .

١١ــ خع امحات . وكانت القابه ومناصبه : المشرف على مخازن الحبوب لسيد الارضين ــ المشرف على مخازن الحبوب في الوجه البحري والوجه القبلي ــ الأمير الوراثي ــ عيـنا ملك الوجه القبلي واذنا ملك الوجه البحري ــ مدير اعياد اوزير ــ القائم على بيت التحنيط ــ رئيس صندوق انوبيس .

١٢ــ امحتب . وكانت القابه ومناصبه : كاتب الفرعون ورئيس اسرار بيت التحنيط ــ الممدوح من الاله الطيب (١) المقترب جــداً من الفرعون ــ المشرف على بيتي الذهب وبيتي الفضة .

١٣ــ با إرى . وكانت ألقابه ومناصبه: كاهن مطهر للاله آمون ــ مطهر تاج آمون ــ المشرف على الاراضي الزراعية ــ الكاهن الاول للاله بتاح في معبــد طيبه ــ بكر اولاد الملك امام آمون .

١٤ــ بانحس . وكان لقبه ومنصبه : المشرف على الخزانة وكاتب الفرعون.

١٥ــ من خبر رع ــ وكانت القابه : كاهن آمون الاول ــ ابن الملك رب الارضين ــ.

١٦ــ من . وكان منصبه رئيس النحاتين المشرف على الاعمال في الجبل الاحمر .

١٧ــ نخت ــ وكان منصبه الامين على الاسلحة في السفينة الملكيه خع ام حات .

١٨ــ نفر سخرو . وكانت القابه ومناصبه : الأمير الوراثي ــ المشرف على قاعة خبز القربان ــ الامير في البيت العظيم ــ حامل خاتم الوجه البحري ــ السمير الاول الذي يقترب من حور (اي الملك) في قصره الخاص ــ حارس خطى الفرعون ــ الكاتب الملكي

١٩ــ حتب . ولقبه حامل المروحة على يمين الفرعون .

٢٠ــ حبي ختف . والقابه : الامير الوراثي ــ عينا الملك في الوجه القبلي والوجه البحري كاتب الملك الحقيقي ومحبوبه ــ حاكم منف

٢١ــ سبك نخت . مدير بيت آمون . وكان يلقب بالقاضي .

---

(١) اصطلاح الاله الطيب كان يعني الملك

٢٢ـ سبك ختب ـ كاتب الملك والمشرف على الخزانة ـ

٢٣ـ يويا . والد الملكة تي ـ وكانت القابه ومناصبه : الأمير الوراثي ـ السمير الوحيد الحب ـ حامل خاتم الوجه البحري ـ فم ملك الوجه القبلي ـ اذنا ملك الوجه البحري ـ والد الاله ـ المشرف علي ثيران آمون ـ عين رب الارضين ـ الممدوح من الاله الطيب .

٢٤ـ عانن ابن يويا المذكور . وكانت القابه ومناصبه : الكاهن الثاني للاله آمون ـ حامل خاتم ملك الوجه البحري ـ السمير الوحيد ـ اعظم الرائين في بيت الأمير

٢٥ـ امنحتب. وكانت القابه ومناصبه: التشريفاتي الاكبر ـ الممدوح من رب الارضين مزين الفرعون في البيت العظيم ـ الطاهر اليدين ـ المشرف على صناع آمون وصناع رب الارضين .

٢٦ ـ وسرحات . ومنصبه المشرف على حريم الفرعون

٢٧ـ قن آمون . وكانت القابه ومناصبه : عمدة طيبة ـ المشرف على مخازن غلال الاله آمون ـ وقد وجد في مقبرة هذا الموظف مشهد يمثل رحلة تجارية قام بها تجار سورية إلى مصر بحراً على سفينتين . يشاهد فيه السفينتان وملاحوهما بملابسهم الكتانية وطائفة من من النساء بملابسهن المزركشةواوانضخمةمملوءة بالنبيذ والزيت وطرائف مختلفة مصنوعة صنعاً دقيقاً من المعادن وغير المعادن .

٢٨ـ سبك موسى ـ مدير الخزانة

ومن الجدير بالذكر ان الالقاب والمناصب التشريعية والاجرائية على السواء ليست تجديداً في عهد هذه الاسرة حيث كان كثير منها مستعملاً في عهود الأسر السابقة مما مر نماذج منه في سيرة الاسرة الحادية عشرة والثانية عشرة . وتلمح اللمحة العربية القديمة على اكثر من اسم من الاسماء بادية اذا ما دقق فيها . ويقاس على ذلك اسماء رجال الملوك الآخرين من الاسرة(١) .

---

(١) انظر مصر القديمة ٤ ج ص ٢٤٦ـــ٢٩٠ و٣٦٩ـ٣٨٧و٥١٥ـ٥٤٨و٦٤٨ـ٦٩٣و٨٠٥ـ٨٠٥وج٤ ص٣٧ـ٥١ و٣٩٩ـ٤٣٠و٤٥٧ـ٤٧٧ .

الاسرة التاسعة عشرة

- ١ -

ان اسماء والقاب ملوك هذه الاسرة التي عرفت من الآثار على ما جاء في كتاب مصر القديمة (١) هي هذه :

١ رعمسيس الاول ـ من بحتي رع
٢ سيتي الاول ـ من ماعت رع
٣ رعمسيس الثاني ـ وسر ماعت رع
٤ مرنبتاح ـ رع مي آمون
٥ سيتي مرنبتاح ـ وسر خبر رع
٦ منموس ـ امين رع
٧ رعمسيس سبتاح ـ اخن رع سيتن رع
٨ الملكة تومرت ـ سقار رع

وقد نبه المؤلف على غموض التاريخ بعد مرنبتاح واختلاف الباحثين في امر خلفائه وترتيبهم ولكنه قال ان الترتيب الذي ذكره هو المتفق عليه الآن عند معظم المؤرخين .

وهناك بعض التطابق وبعض التباين في الاسماء وترتيبها بما في ذلك اسماء جدول مانيتون بين ما جاء في كتاب مصر القديمة وكتابي احمد كمال وبريستيد . فاحمد كمال (٢) يذكر اسم ستنخت كآخر ملوك الاسرة في حين ان سليم حسن وبريستيد يذكرانه كأول ملوك الاسرة التالية . وبريستيد (٣) يذكر حور محب كاول ملوك الاسرة في حين سليم حسن واحمد كمال يذكرانه كآخر ملوك الاسرة السابقة . وقد وضع احمد كمال بعد سيتي الثاني

---

(١) مصر القديمة ج ٦ س ٧١٥ — ٧٢٢
(٢) ج ٦ ص٦٤٣— ٦٣٥
(٣) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٤٠٦

مرنبتاح جملة (رؤساء اجانب غير معلومين) ثم اسم (اريسو) ووصفه بصفة رجل من فنديقيا . وإلى هذا فأحمد كمال وبريستيد لا يذكران الملكة توسرت التي يذكرها سليم حسن كآخر ملوك الاسرة .

ومع اتفاق المؤلفين الثلاثة على ان رمسيس الاول مؤسس الاسرة ليس من الاسرة السابقة فانهم لا يذكرون هويته وأرومته بأسلوب حاسم فاحمد كمال يقول (١) انه لا يعلم إذا كان من سلالة المصريين أو من اهل آسيا (٢) ويقصد بأهل آسيا العناصر التي تسربت إلى الدلتا من آسيا وتوطنت فيها . وسليم حسن يقول انه من بلدة ستريت من اعمال الدلتا . وكان يحمل في زمن حور محب القاب قائد الحامية ورسول فرعون في كل بلد وقائد الرماة وقائد رب الارضين والمشرف على كهنة الآلهة ونائب جلالته في الوجهين القبلي والبحري ورئيس القضاة والامير الوراثي للارض قاطبة مما فيه دلالة على ما كان يتمتع به من مكانة سهلت عليه الاعتلاء على العرش . ولقد جنح خلفاؤه بعده بقليل إلى جعل العاصمة السياسية للدولة في الدلتا على ما سوف نشرحه بعد مما قد يكون فيه دلالة على ان عصبية الاسرة كانت في هذه المنطقة ولما كان معظم سكان الدلتا من العناصر العربية الجنس ــ الاسيوية والسامية كما يحلو ان يقال ــ التي اخذت تتسرب من طريق سينا منذ أواخر الاسرة السادسة فلا نكون متجوزين إذا قلنا ان هذه الاسرة التي كانت من أهل الدلتا هي من تلك العناصر .

ولم يرو عن المؤرخين المصريين القدماء ولا عن أهل الجنوب وآثارهم انه ثار ضجة وصيال بسبب تحول السلطان إلى اسرة جديدة شمالية يغلب ان تكون كما قلنا من ارومات تسربت في عهد الهكسوس اوقبلهم او بعدهم إلى الدلتا من طريق سيناء ومن الجنس العربي اوالسامي او الاسيوي حسب اختلاف الاصطلاحات القديمة والحديثة مع ان وصف الغرباء والاجانب ينطبق عليهم . وقد تابع المؤرخون المحدثون القدماء في سكوتهم عن ذلك حيث يؤكد هذا ما قلناه من ان الضجة التي ثارت حول حكم الهكسوس والنعوت السيئة التي نعتوا بها من اهل الجنوب والمؤرخين المصريين القدماء والتي تابعهم فيها المؤرخون المحدثون اعتباطاً فيما نعتقد انما كانت بسبب الصيال والنضال الذي نشب بين الجنوبيين وبينهم وأدى الى انتصار الاولين . ولقد انهارت الاسرة الثامنة عشرة نتيجة للضعف والارتباك اللذين ألما بها في اواخر عهدها ولم يكن في الجنوب قوة تحمل لواء النضال ضد الاسرة الشمالية فوطدت هذه الاسرة

---

(١) العقد الثمين ٩٧ – ١٢٧

(٢) مصر القديمة ج ١ ص٨ – ٢٦

سلطانها بسهولة ودونما ضجة . ولقد تكرر هذا المشهد اكثر من مرة بعد هذه الاسرة ايضاً على ما سوف تشرحه بعد .

- ٢ -

والمؤرخون الثلاثة متطابقون في سيرة ملوك هذه الاسرة . وسليم حسن اوفى بياناً حتى لقد شغلت سيرتها جميع الجزئين السادس والسابع بسبب ما اورده من نصوص وشروح وتعليقات وسنوجز سيرتهم نقلا عنه .

(١) وخلاصة ما ذكره من سيرة رعمسيس الاول (١) انه كان يسمى با رعمسيس وانه عسكري النشأة وان اباه عسكري من قبله يحمل لقب رئيس الرماة وانه كان عضداً لحورمحب ووزيراً له وقائداً لجيشه . ولما لم يكن له خلف ذكر فانه قرر ان يجعله خليفة له ومنحه لقب « ربعت » الذي يعني الوصاية على العرش كما كان هو في عهد اخناتون وهيأ الامور لذلك فلما مات تم الامر كما رسمه ، وانه ليس بينه وبينه نسب ولا مشاركة وطنية حيث كان حورمحب من بلدة حت نسوت في مصر الوسطى في حين كان رعمسيس من بلدة ستريت من اعمال الدلتا .

ومما قاله المؤلف ان هذا الملك جلس على العرش في سن متقدمة وسار على سياسة حورمحب في شؤون المملكة وشرع في اتمام الاصلاحات التي بدأها للوصول بمصر الى المكانة الرفيعة التي كانت لها واقامة حكومة وطيدة الاركان في الداخل واعادة سلطان مصر في الخارج غير ان مدة حكمه لم تطل فكان اتمام ذلك من نصيب خلفائه من بعده . وقد عثر لهذا الملك على آثار متنوعة تحمل اسمه في مختلف انحاء مصر وفي بلاد النوبة وسيناء . وقد وجدت لوحة سجل فيها تجديده لآثار حتحور سيدة الفيروزج مما يدل على انه استأنف استغلال مناجم سيناء بعد هجرها امداً ، ووجد في وادي حلفا لوحة سجل فيها ما قام به من الاعمال الصالحة لمعبد الاله حور وتخصيصه اياه بمخصصات من الخبز والجعة والاماء والعبيد من الاسرى الذين اسرهم مما يمكن ان يدل على انه قام بعمل حربي ما في جهة ما ربما كانت في بلاد النوبة ؛ هذا مع التنبه على ان سليم حسن لم يذكر له اعمالا حربية (٢) .

---

(١) مصر القديمة ج ٦ ص ٨-٢٦

(٢) يذكر احمد كمال في العقد الثمين (٩٧-١٢٧) ان هذا الملك حارب الاثيوبيين وغزا الاقوام القاطنين بين الجانب الايسر من نهر الفرات وجبل كورتن والبحر الملح وهم الحيثيون وعقد معهم معاهدة ولكنه لا يذكر سنداً ولا ندري اذا كان استنتاجاً من هذه اللوحة او اثر اخر . وقد ذكر سليم حسن هذا في سياق سيرة سيتي ابنه واورد نصوص النقوش المؤيدة ، ومن المحتمل ان يكون في الامر التباس .

ومن اهم اعماله على ما ذكره سليم حسن في سيرته قاعة العمد الضخمة الفخمة القائمة الى الآن والتي تعد بحق اكبر قاعة في عمائر مصر كلها حيث تبلغ مساحتها (٦٠٠٠) يردة مربعة وقد نظمت عمدها في ستة عشر صفاً فوق كل عمود تاج على هيئة زهرة البردي ويصل طول بعض الاعمدة ٦٩ قدماً مع ١١ قدماً للتاج ومحيطها ٣٣ قدماً . والمظنون انه كان يريد منافسة امنحوتب الثالث في القاعة التي اقامها في معبد الاقصر .

ومما كان يلقب به بعد توليه الملك « الثور القوي صاحب الملك الزاهر – الممثل للالهتين الذي يظهر ملكاً مثل حور الذهبي .

وقد اتخذه المصريون بعد وفاته معبوداً كعادتهم بالنسبة الى كثير من ملوكهم على ما تدل عليه الآثار .

(٢) وخلاصة ما ذكره المؤلف من سيرة سيتي الاول (١) انه كان مشاركا لابيه في الحكم متمرساً على شؤون الحكم وكان يلقب بالقاب عديدة في حياة ابيه مثل الامير الوراثي وعمدة المدينة ورئيس الرماة والمشرف على البلاد الاجنبية ورئيس شرطة الصحراء والكاتب الملكي والكاهن الاول للاله ست ، وهو من اعظم ملوك الاسرة بحروبه وانتصاراته ونشاطه العمراني . وفي الجدار الشمالي لقاعدة العمد في معبد الكارناك لوحة تعد من الذخائر الفنية فيها اخبار الحروب التي باشرها وكثير من مشاهدها ؛ وتفيد ان قبائل البدو المقيمين بين مصر وارض كنعان اخذت تتجمع وتقوم بحركات عدوانية – وهي على الارجح من قبائل الجنس العربي التي كانت بلاد فلسطين والشام تعج بها في هذا الظرف ولعلها كانت تتحرك بسبيل التسرب الى مصر كالعادة – فزحف عليها وضربها وقال في نقوشه انه لم يترك منهم ساقاً واحدة منتصبة ومن فر منهم حياً كانت يده محمولة الى مصر . وقد سار اليها من مدينة ثارو واستنتج المؤلف انها كانت في المنطقة الممتدة بين القنطرة ورفح ؛ ثم زحف نحو الشمال كمرحلة ثانية حيث كان اهل فلسطين الشمالية وسورية الذين تسميهم النقوش باسم الرتنو في حالة عصيان وتكتل فضربهم ، واقام لوحة عبد تل شهاب سجل فيها انتصاره عليهم . وذكر في نقوشه اسماء مواقع ومدن عديدة في سياق زحفه وانتصاره مثل اسدرالون (مرج بن عامر) وباهو يا وبيت شانيل (بيسان كما فسرها المؤلف ورحوبو وحماة

---

(١) ٢٧–١٩٨ مصر القديمة ج ٦

وينعم (١) وجادر ، حيث يدل هذا على أن حركته كانت تشمل شمال فلسطين وقسماً من لبنان وسورية ، وقد ذكر انه امر رؤساء لبنان واشرافه بقطع كمية كبيرة من خشب الارز لصنع السفن المقدسة لآمون . ويشاهد في اللوحة واقفاً في عربته قابضاً الغل الذي كبل به الاسرى وأمامه ثلاث مجموعات منهم كما يشاهد مشهد آخر لجموع من المصريين مؤلفة من كهان ووجهاء يحملون طاقات الزهر ويرفعون أيديهم فرحاً وتضرعاً بسبيل تمثيل خروج المصريين على اختلاف طبقاتهم إلى استقبال الملك حينما عاد مـن حروبه مظفراً منصوراً ، ثم باشر حرباً في شمال فينيقية وكان الغرض منها اخضاع قادس عاصمة الحيثيين حيث يبدو ان أهل البلاد بما فيهم الحيثيون كانوا بدورهم أيضاً في حالة تمرد وعصيان غير أنه لم يحرز انتصاراً حاسماً على الحيثيين الذين كانوا هم المحركون فجنح إلى مهادنتهم وعقد معاهدة مع ملكهم موتالو فغدت حدود السلطان المصري نتيجة لها عند نهر الكلب وظلت صيدا ومجدو وبيسان قواعد حربية له . وكان جنوحه إلى المهادنة بسبب ما بلغه من أخبار وكانت القبائل الليبية على حدود مصر الغربية . وقـد زحف عليهم بعد عودته وانتصر انتصاراً حاسماً عليهم . وتدل الآثار على انه قام ببعض الحملات نحو بلاد النوبة وطد بهـا سلطانه وهيأ أسباب استثمار مناجمها الذهبية . وفي نقوش على جدران معبد مدينة هابو ـ طيبة ـ خطاب من آمون موجه إلى سيثي عدد فيه ما يسره الاله له من نصر على مختلف الأقوام وجاء فيه فيما جاء « انا الذي اجعل الرعب منك في أرض رتنو العليا والسفلى وقبائل النوبة قد ذبحوا تحت قدميك . وأنا آتي اليك برؤساء الممالك الجنوبية لتتسلم الجزية من كل منتجات ممالكهم الجيدة . انا اولي وجهي قبل الشمال وآتي باعجوبة لك . متصدياً للعصاة في أوكارهم ببأس شديد . وأنا آتي اليك بممالك لا تعرف مصر . حاملين جزيتهم من فضة وذهب ولازورد وكل حجر كريم غال من ارض الاله . وأولي وجهي قبل المشرق وآتي باعجوبة لك فأغلهم جميعاً لك مجتمعين . في قبضتك . اني أجمع لك ممالك بنت سوياً وكل جزيتهم مـن بلسم وقرفة وكل الاخشاب الزكية الرائحة من ارض الاله ناشراً شذاها امامك واولي وجهي قبل المغرب فآتي باعجوبة لك فاقضي على ارض تحنو (بلاد ليبية) فيأتـون منحنين امامك وراكعين وهم على خوف منك ورؤساؤهم يقدمون لك الحمد .

---

(١) ذكر هذه الحملة بريستيد ايضاً (انظر ص ٢٦٧ وما بعدها) وقال في صدد ينعم انها في شمال بحيرة وانه استولى عليها حينما زحف الى لبنان وان حكام البلاد اقبلوا عليه يعلنون طاعتهم وخضوعهم وهذا يعني ان الحملة شملت لبنان او فينيقية كما كان يسمى قبل .

حيث يفيد هذا أن سيتي استطاع أن يوطد هيبته وسلطانه في لوبية وبلاد النوبة وبلاد سورية ؛ ثم في بلاد بنت أي بلاد اليمن وحضرموت على ما رجحنا تفسيره قبل وعلى ما تؤيده الاوصاف المذكورة في صددها .

وقد قال المؤلف تعقيباً على حروبه في بلاد الشام انه بالرغم من عدم توفيقه إلى اعادة الامبراطورية المصرية في آسيا لما كانت عليه من الاتساع في عهد الاسرة السابقة فانه افلح إلى حد كبير في اعادة السيطرة المصرية على كل فلسطين وعلى الجزء الجنوبي من سورية وبكلمة اخرى ما يقرب من نصف امبراطورية مصر في عهد تحتمس الثالث الذي كان سيتي يتعقب خطاه ، وأمن طرق المواصلات بين بلاده وفلسطين وكبح جماح بلاد لوبية حتى انكفت غارات قبائلها امداً ما وجعل سلطان مصر على بلاد النوبة موطداً .

وقد سجل سيتي لنفسه نشاطاً عمرانياً وإصلاحياً غير يسير ايضاً حيث عرف من آثاره انه اقام عدداً من المباني الدينية وغير الدينية في داخل القطر وخارجه . وقد وجدت آثاره في سمنة وجبل بركال عند الشلال الرابع . وكان مساعداً لأبيه في انشاء قاعة العمد في الكارناك ثم اتم تزيينها وزخارفها . ومن اعظم منشآته معبده الكبير في العرابة الذي كانت تقام فيه شعائر آلهة مصر العامة والذي كان في الوقت نفسه معبده الجنائزي ويعد من أثمن الذخائر الباقية من العهود القديمة وخاصة بنقوشه الانيقة البارزة التي حفظت بعض الوانها إلى الآن . وقد وصفه المؤلف وصفاً طويلا يدل على ما كان عليه من روعة وفخامة واناقة وبنى لنفسه خلفه ضريحاً وصفه المؤلف كذلك وصفاً طويلا يدل على فخامته واناقته ايضاً . واوقف على معبده اوقافاً كبيرة ورتب له ما يلزمه من كهنة وخدم واثاث واوان ذكرها باسهاب في نقوشه التي اورد نصوصها المؤلف . وقد حظر فيهما المساس بها او المساس بحرمة المعبد ومحتوياته وصب اللعنة ورتب العقوبة على من يفعل . وقد عثر على مقبرة سيتي في وادي الملوك وهي من اضخم المقابر وأحسنها زخرفة ودقة نحت وجدرانها مزينة بمتون وصور كتابين جنائزيين اسم احدهما كتاب البوابات والآخر كتاب ما في العالم السفلي . وقد عثر على مومياته ايضاً . وبالاضافة إلى ذلك عثر على آثار متنوعة اخرى تحمل اسمه في انحاء القطر وخارجه من لوحات وقطع واوان اسهب المؤلف في تعدادها ووصفها (١) وقد وجد له مسلة تحمل اسمه وتمثال من المرمر . وقد قرىء في بعض نقوشه

---

(١) مما قاله بريستيد ان مجموعة رسوم سيتي ونقوشه التي تشاهد على اثاره الكثيرة من اعظم امثلة الاتقان والدقة والجمال ص ٨٦٧ وما بعدها .

انه كان نصيب كل رجل في جيشه في كل يوم نحو أربعة أرطال من الخبز (كيلويان) وحزمتان من الخضر وشواء من اللحم ولكل منهم ثوبان من الكتان في كل شهر فكان ذلك مما يجعل الجنود يعملون بقلب ملؤه الحب للملك كما يقول سليم حسن . وقد عرف من الآثار انه أشرك ابنه رعمسيس الثاني معه في الحكم والعمل كما فعل ابوه به من قبل .

هذا ، ولقد احتوى العقد الثمين (١) بعض بيانات هامة في سيرة سيتي هذا ، حيث قال فيما قاله انه اقام حاميات مصرية في قلاع البلاد السورية فقام بينها وبين اهل هذه البلاد تحابب وتمازج ؛ وانه اقام في بلاد اثيوبية التي سيطر حكمه عليها حاكماً يدعى امنم ابت ، وانه وصل بحر النيل بالبحر الأحمر بواسطة ترعة احتفرها كان فمها من جهة مدينة بي بست التي تعرف اليوم ببوسطة وتجري نحو الشرق في وادي الطميلات إلى أن تصب في البحيرات المالحة واقام خط استحكام في شرق مصر لمنع غارات القبائل وفتح طريقاً في الجبل للقوافل توصل بين اقليم اسنا ومعدن الذهب في جبل اتوك في الجنوب وأحدث هناك عيناً يتفجر منها الماء وكان الماء يخرج منها بقوة مثل خروجه من منبع النيل في جزيرة اسوان وبنى عندها مدينة وأنشأ فيها معبداً فاخراً وقلعة وهيكلا وضع فيه تماثيل سرع وبتاح واوزير وحور وايزيس كما وضع فيه تمثالا لنفسه . وكل هذا قد استنبط من النقوش كما يقول هذا المؤلف . ومما قاله ان كل من رأى قبره يعجب منه لأنه يرى رسوماً فلكية تمثل الشمس وهي تسبح بسفينتها إلى السماء التي تبدو كلجة ماء والنجوم السيارة والثوابت تدور حولها .

(٣) وخلاصة ما ذكره سليم حسن من سيرة رعمسيس الثاني (٢) ان هذا الملك من أعظم ملوك مصر نشاطاً في الحرب والعمران ومن أطولهم عمراً وحكما . وقد كان يشارك أباه في حكمه ونشاطه ولما جلس على العرش كان متمرساً محنكاً . وفي وثيقة طويلة عرفت بمدونه الاهداء منقوشة على جدران معبد سيتي في العرابة بأمر هذا الملك في السنة الاولى من حكمه نبذ تشير إلى ما كان من مشاركته لأبيه في مختلف الاعمال وما كان يتحلى به من صفات ومطامح وشجاعة .

ولقد كان نشاط هذا الملك الحربي مبكراً حيث تدل النقوش على انه اشتبك في أوائل حكمه مع جماعة أغاروا على مصر من ناحية البحر سمتهم النقوش باسم شردانا وخمنهم المؤلف انهم من جزيرة سردينيا فسارع إلى صدهم وتمكن من اهلاكهم وأسر كثيراً منهم

(١) ص ٩٧ وما بعدها
(٢) ص ١٩٨-٧٢٢ ج ٦

دخلوا بعد قليل في خدمته (١) . وزحف كذلك في أوائل حكمه على صحراء لوبيا لقمع حركات تمردية من قبائلها التي تسميها النقوش باسم التمحو حيناً والتحنو حيناً آخر وتمكن من قمعهم واخضاعهم . ثم زحف على بلاد النوبة التي تحرك أهلها بدورهم على اثر موت أبيه واخضعها وعاد ويده مملوءة بالغنائم .وهذه الزحوف والانتصارات مسجلة على صخور أسوان ومعبد أبي سنبل . ويشاهد مشاهد تمثل الاقوام خاضعين يقدمون الجزيـــة والهدايا للملك .

ولقد كان اهم نشاطه الحربي في آسيا مع الحيثيين الذين نقضوا المعاهدة بينهم وبين أبيه وأخذوا يتحركون ويحركون بلاد الشام ضد سلطان مصر .وقد تعددت الحملات والاشتباكات بينه وبينهم . وكانت اولى حملاته أو رحلاته في السنة الرابعة من حكمه نحو سواحل فينيقية وقد سجل خبرها على لوحة نصبها على نهر الكلب . وليس هناك ما يدل على انه حـــارب أحداً في هذه الرحلة ولكنها تدل على انه وطد سلطانـــه عند هذه الحدود . وكانت حملته الثانية لضرب الحيثيين في قدس . وقد سجلت اخبارها ومشاهدها في نقوش عديدة .وكانت في السنة الخامسة من حكمه ومجهزة تجهيزاً وافياً ومؤلفة من فيالق عديدة من مشاة ورماة وفرسان وعربات . وتهيأ ملك الحيثيين للقائه وانضم اليه أمراء وملوك بلاد الشام والنهرين من ساميين وغير ساميين . وكان الفيلق المسمى بفيلق آمون تحت قيادته مباشرة وكان يتقدم الفيالق الاخرى بسرعة كبيرة نحو قدس . وقد كمنت القوات المتحالفة وراء المدينة فلما رأته قادماً بثلة خرجت عليه فأثارت الذعر في الفياق فتراجع منهزماً في حالة الفوضى واستولت القوات المتحالفة على معسكره وكادت تأسر رعمسيس وتكون الكسرة حاسمة وكارثة .غير ان رعمسيس أبدى من ثبات الجأش والبطولة ما حـــال دون ذلك حيث صال صولات هائلة مع من صمد معه من رجال فيلقه ولم يلبث ان عاد المنهزمون مـــن الفيلق مع الفيالق الاخرى فتبدل الموقف وسيطر رعمسيس عليه واضطر القوات المتحالفة إلى الهزيمـــة إلى المدينة وأغلقت الابواب وراءها . ورأى رعمسيس ان يكتفي بما جرى وان يعود لتنظيم

---

(١) قال المؤلف (جـ ٧ ص ٧٥ و جـ ٦ ص ٢٢٧ - ٢٣٨) ان هذا ليس اول هجوم من البحر ومن اقوام شردانا على مصر وقد عرف من رسائل تل العمارنة ان جماعة منهم كانوا ضمن الحامية المصرية في جبيل في عهد امنحوتب الثالث وان ورقة بردى يعرف بورقة اناسطاس ذكرتهم وقالت انهم من الاسرى الذين وقعوا في اسر هذا الملك . وهكذا فعل رعمسيس الثاني ما فعله امنحوتب فغلبهم واسر جماعة منهم ثم استخدمهم في جيشه وكانت حركة هجرة او هجوم قوم شردانا فاتحة حركة قوية من جانب سكان جزر البحر نحو مصر عـــلى ما سوف يأتي بعد .

جيشه من جديد. ولم يكف الحيثيون حيث عاد ملكهم إلى النشاط داعياً بلاد الشام وفلسطين إلى التمرد وأدى ذلك إلى انتفاض جميع ما كان خاضعاً لمصر من هذه البلاد ؛ مما جعل رعمسيس يقوم بحملات متوالية طيلة خمس عشرة سنة . وتفيد النقوش ان حملاتـه الاولى كانت لقمع عصيان فلسطين في الجنوب والشمال حتى أخضعها وقد ذكرت النقوش اسماء عسقلان والجليل ودبور من جملة البلاد التي أخضعها . واستطاع في حملاته التالية اخضاع بلاد شرق الاردن وفينيقية وانحاء اخرى من بلاد الشام . وقد ذكرت النقوش اسماء أرواد وكينتو وقطنة ورتنو . اما قادس فلم يستطع الاستيلاء عليها كما لم يستطع ان يضرب الحيثيين ضربة شديدة برغم ما بذله من جهود . وبقي ما يقع في وادي نهر العاصي الذي كان يسمى الاورانت وشماله خارجاً عن سلطانه . وفي هذه الاثناء مات موتالو ملك الحيثيين وخلفه اخ له اسمه خاتوسيل وكانت مملكة آشور اخذت تقوى وتهـاجم حدوده الشرقية فأرسل رسلا الى رعمسيس يعرض عليه الصلح واستجاب هذا لانه على ما يظهر يئس من الانتصار الحاسم عليه ، وقد عقد الملكان معاهدة صلح عثر على نصوصها في لوحات من الآجر في حدود الاناضول الجنوبية باللغة البابلية كما عثر على نصوصها مسجلة في لوحتين في معبدي الكارناك والرمبيوم .

وقد اورد المؤلف ترجمة النصوص البابلية والمصرية معاً . وهي مؤلفة من ديباجة ذكرت اسماء الملكين وقصدهما باقامة السلام بينهما ثم من تسع عشرة مادة . وقد تضمنت النص على قيام حالة الصلح بين الطرفين وتعهد متقابل بمساعدة كل منهما للاخر إذا وقع عليه عدوان وتعهد عدم قبول كل منهما من يفر إلى مملكته من رعايا الفريق الآخر او من يود الاقامة فيها من عظماء وعاديين والقبض عليهم واعادتهم مع تعهد متقابل بعدم معاقبة المعادين وعدم الاضرار بهم وبزوجاتهم وأولادهم . وأشهدت المعـاهدة معبودات الطرفين على صدق نيتهما في مراعاتها وصبت اللعنات على من يخالفها وينقضها والرحمة والسلام لمن يحترمها .

وقد قلنا ان اخبار حروب رعمسيس مع الحيثيين قد سجلت في تسجيلات عديـدة . ومن جملة ذلك قصيدة منقوشة في جدران معبد الكارناك وفي ستة معابـد وأماكن اخرى سماها المؤلف ملحمة قادس وقال انها تنسب خطأ الى الشاعر بنتأور مع ان بنتأور لم يكن إلا كاتباً . وفي القصيدة تفصيل لوقعة قادس وتمجيد لبطولة رعمسيس وزحوفه وحروبه ونظام جيوشه وخطاب له على لسان آمون جاء فيه فيما جاء « لقد نجيت مشاتك وخيالتك وضربت ارض خيتا بسيفك البتار وقصمت ظهر ملكها » وفيها اشارة الى ما كان مـن الحشود التي حشدها ملك الحيثيين من النهرين وبلاد ارتو ودردني وكشكش وماساوبداسا

وآرون وقرقوسيا ولك وفره وابت فدري وموشات ورتنو حيث لم يترك ارضاً واحدة لم يحضر معه رؤساؤها مع عرباتهم التي بلغ عددها ٢٥٠٠ . وفي نهاية القصيدة اشارة الى ما كان من التماس ملك الحيثيين الصلح واجابة رعمسيس الى ذلك مما يدل هـذا على ان القصيدة انشئت بعد عقد الصلح وانها هدفت الى ارضاء نفس رعمسيس على ما جرى وتم . وقد أورد المؤلف نصوص تسجيلات اخرى عن واقعة قادس وحروب رعمسيس مع الحيثيين وما كان بسبيل ذلك مما يطول شرحه .

وقد قال المؤلف ان السلام رفرف بين البلدين بعد المعاهدة لمدة ست وأربعين سنة ولم تجسر دولة آسيوية على مناوأة رعمسيس بعدها ؛ وانها بسبب ذلك تعد نصراً لمصر . ولم يذكر المؤلف الحـدود التي وقفت عندهـا سلطان مصر نتيجة للمعاهدة وان كان يستفاد ضمناً منها انها كانت شاملة لما وراء قادس جنوباً (١) . وقد ازدادت صلات الملكين توطداً بزواج رعمسيس مـن بنت الملك الحيثي بزيارة هذا الملك لمصر . وقـد سجلت النقوش المصرية اخبار الحادثين بأسلوب فيه كثير من التفاخر والترفع حتى لقد صورت تزويج ملك الحيثيين ابنته للتزلف والتقرب حيث ذكرت على لسانه انه قال لجماعته فلنأخذ متاعنا ونضع كبرى بناتي على رأسه ثم نذهب الى بلاد ذلك الاله العظيم حتى يعترف بوجودنا » والعبارة تفيد ان الحادثين وقعا معاً . وقد حمل الملك الحيثي معه هدايا عظيمة من ذهب وفضة واوان ومصنوعات جميلة مختلفة . وقد اورد المؤلف نصوص النقوش الطويلة وشرحهـا وعلق عليها . وكان على ما قـال لهذا وذاك اثر عظيم في نفس الشعب المصري فازدادت عظمة ملكهم في اعينهم وقرت نفوسهم بما اتاهم به من امجاد .

ولقد كان رعمسيس اعظم ملك اقام مباني من حيث الفخامة والروعة والكثرة في طول البلاد وعرضها حتى لا يكاد يوجد مبنى اثري في البلاد من الشلال الثاني جنوباً حتى مصب النيل إلا عليه اسمه وذلك عدا المباني والا ثار التي أنشأها في فلسطين وغيرها من بلاد آسية ثم في بلاد النوبة على ما قاله المؤلف الذي قال ايضاً ان من المحتمل ان يكون قـد جار على اسلافه كثيراً واغتصب آثاراً لهم نسبها لنفسه غير انه يظل برغم ذلك اعظم الفراعنة المشيدين للاثار داخل مصر وخارجها .

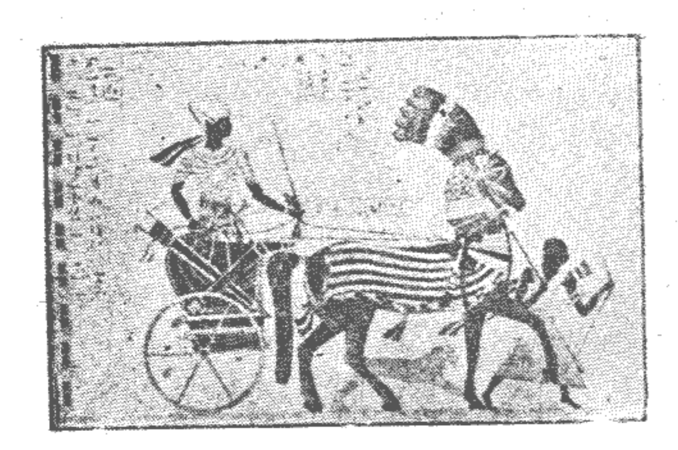
---

(١) قال بريستيد ان المستفاد من النقوش ان الحيثيين احتفظوا بسلطانهم على مملكة اشور الواقـعة في اعالي الاورانت ، وان سلطان مصر كان يشمل ما يقع في جنوب ذلك « انظر تاريخ مصر مـن اقدم العصور » .

وقد أخذ المؤلف يعدد ذلك في شروح طويلة تبعث الدهشة حقاً في النفس بكثرتها وما كان كثير عليها من روعة وفخامة . ومما قاله ان هذا الملك انتهج نهجاً جديـداً في انشاء المعابد حيث كان ينحتها في الصخر بدلا من بنائها بالاحجار . وقد زين المعابد التي أنشأها كذلك بالنقوش والزخارف والمشاهد التي تمثله في صور متنوعة أكثرهـا يتصل بحروبه وانتصاراته وما كان يهدى اليه من هدايا ويجبى اليه من جزية . ومن أعظم منشآته معبد ابي سنبل في بلاد النوبة الذي يقول المؤلف انه اعظم عمل صنعه الانسان على وجه البسيطة في ذلك الزمن ! وهو منحوت كله في الصخر الصلب . وعمقه من واجهته إلى آخر حجراته داخل الصخر حوالي ١٨٠ قدماً . وقد وصفه المؤلف وصفاً مسهباً يبعث الدهشة بمـا هو عليه من فخامة وضخامة ما فيه من قاعات وردهات وأعمدة وتماثيل وزخـارف ونقوش ومشاهد تدل على عظمة منشئه وضخامة ملكه بين الفراعنة كما يقول المؤلف حقاً . ومـن منشآته العظيمة معبد في الكاب وآخر في الاقصر وزيادات في الكارناك أطنب المؤلف في وصفها والاشادة بما هي عليه من روعة وفخامة أيضاً . وقد حفر لنفسه في وادي الملوك مقبرة في الصخر إلى عمق ٤٠٠ قدم بممر طوله ١٥٠ قدماً . وأنشأ لنفسه كذلك معبـداً جنائزياً هو الذي يعرف اليوم بالرمسيوم بذل في انشائه وزخرفته جهداً عظيما فجـاء تحفة رائعة بطرازه وزخارفه وردهاته ونقوشه التي تمثل الملك في مواقف عديدة وخاصة مواقف الحرب . وقد نحت لنفسه أربعة تماثيل هائلة في معبد أبي سنبل تمثله جالساً ارتفاع كل منها ٦٥ قدماً . وقد وجد له الى هذا تماثيل ضخمة اخرى في صور متنوعة منهاما وجد في عاصمة رمسيس في الدلتا علوه ٢٧ متراً .

وأشاد المؤلف بنوع خاص بمدينة أنشأها أو جدد انشاءها هـذا الملك وسماها باسمه « بر رعمسيس » في الدلتا الشرقية التي يقوم مكانها اليوم على الارجح بلدة قنتير الواقعة على طريق القادم من العريش فالقنيطرة ، وقد وصفت في الآثار ببدايـة الارض الاجنبية ونهاية مصر . وعني بها رعمسيس عناية فائقة فجملها بالمباني والحدائق والبحيرات الصناعية وملأ مخازنها بكل طريف ، وغرس في حقولها أشجار الرمان والتفاح والزيتون والنباتات المزهرة العطرية على ما ذكرته وأطنبت فيه بعض المدونات البردية (١) وقد اتخذها مقراً له لأنه رآها تجعل من السهل عليه القبض بيد من حديد على ممتلكاته في آسيا وتخليص البلاد من

(٣) ج ٦ ص ٥٩٨ ـــ ٦٠٢



رمسيس الثاني في
مركبته في طريق
الحرب



تمثال رعمسيس الثاني في
عنفوان شبابه

غارات الساميين المتتالية – والسياق لسليم حسن – وظلت من بعده مركزاً لخلفائه .

ويظهر ان هناك خلافاً بين الباحثين في صدد هذه المدينة ومكانها وظروف نشأتها وقد أورد سليم حسن أقوالهم التي من جملتها ان سيتي الاول – والد رعمسيس الثاني – قد أنشأ في مكانها قصراً ليكون استراحة له بعد عودته من آسيا وان رعمسيس أنشأها في حياة أبيه واتخذها مركزاً له فلما مات أبوه جعلها مركزاً للحكومة فكانت عاصمة المملكة السياسية مع بقاء طيبه عاصمتها الدينية التي ظل ملوك الاسرة يهتمون لمعابدها ويتخذون لأنفسهم قبوراً فيها ، وان هناك من يقول ان بر رعمسيس وتنيس – التي يعرف مكانها اليوم بصان – واواريس – مدينة وقلعة الهكسوس – مكان لمدينة واحدة . ثم انتهى الى القول انها مدن مختلفة متقاربة الموقع وان من المحتمل ان تكون جميعها مراكز لحكومة رعمسيس الثاني وخلفائه وان يكون في كل منها دوائر حكومية وبيوت للموظفين الذين يعملون في هذه الدوائر (١) . ومما قاله المؤلف ان من المحتمل ان نشأة هذه الأسرة في شمالي الدلتا من الاسباب التي أوحت لملوكها بتأسيس عاصمة الملك الجديدة في هذه الجهة في المكان الذي فيه بلدة قنتير على اغلب الظن بالاضافة إلى أسباب سياسية ودينية أخرى ذات اهمية عظمى من ذلك ازدياد قوة آمون واتساع نفوذ كهنته ، حيث جعلهم هذا يهملون الحاق هذاالاسم بأسمائهم ويبعدون المسافة بين عاصمتهم وبين عاصمة آمون ويلحقون اسم ست اله الوجه البحري في عهد ما قبل الاسر بأسمائهم (٢) وقد ينطوي في هذا دليل آخر على ان اصل هذه الأسرة من الدلتا الشرقية وبالتالي من العناصر التي يتألف منها غالب سكان الدلتا وهي عناصر حديثة العهد بالجزيرة العربية كان طابعها الجنسي ابرز عليها من العناصر القديمة التي تمت إلى الجزيرة أيضاً . وقول المؤلف ان من الاسباب التي جعلت رعمسيس يتخذهاعاصمة رغبته في صد غارات الساميين المتتابعة لا يغير الامر فكل مقيم قديم يعتبر نفسه أصيلا ويهتم لحماية ملكه من العناصر المغيرة حتى ولو عرف معرفة يقين انها من جنسه فكيف حينما يباعد

(١) مما ذكره احمد كمال في العقد الثمين «٩٨ – ١٠١» ان رمسيس الثاني انشأ عدة مدن جديدة سماها باسمه واحسن تشييدها وان ذلك ذكر في ورقة اثرية تعرف بورقة اناسطاس ووصفت فيها وصفاً عجيباً جاء فيه فيما جاء ان مدن رعمسيس تمتد بين الدلتا وفلسطين وكلها مشحونة بالمآكل وكل منها اشبه مدينة منف وقت بهجتها وان الناس كانوا لمحاسنها يتركون اوطانهم ويقيمون فيها ويتراءى للناظر لسعتها ان الشمس تشرق منها وتغرب فيها .

(٢) انظر ايضاً مصر القديمة ج ٤ ص ٧٣ و ج ٦ ص ١٣ في صدد هذه العاصمة

الزمن بين القديم والجديد . وهذا ما تكرر بين كل طارىء قديم من جزيرة العرب ومغير جديد على مصر منها وجعل القديمين يعتبرون أنفسهم الاصل الصميم ويعتبرون الجـديدين أجانب ودخلاء ومعتدين وغزاة (١) .

وفي نبذة عقدها المؤلف بعنوان المدنية في عهد سيتي ورعمسيس الثاني قال (٢) ان البدو في فلسطين كانوا يقومون بحركات هجرة لا ينقطع نشاطها فكان الفراعنة يقومون بالحملات على هذه القبائل ويخضعونها بحد السيف . وفي جدران معبد الكرنك مشاهد تمثل رعمسيس الثاني وهو يطأ هذه القبائل وهم مجندلون تحت سنابك خيله . ومع ذلك فانه سمح لبعضهم بالدخول إلى مصر لرعي مواشيهم في وادي الطميلات في الدلتا الشرقية . ومما قاله كذلك انه يلحظ ان عناصر أجنبية كانت تفد على مصر في هذه الفترة بدون انقطاع وتقيم فيهـا بوصفهم أسرى حرب او تجار او جنود مرتزقة . وكانت المدن المصرية تزخر بهم . وقد قام في مدن بر رعمسيس ومنف وغيرهما من المدن احياء كاملة لأولئك المهاجرين الذين كانوا من الفينيقيين والكنعانيين والذين كانوا يأتون ومعهم آلهتهم وأربابهم . وكان يقع مثل هذا من ناحية بلاد النوبة والسودان فأدى كل ذلـك الى تغير مادى طرأ على الجنس المصري باختلاط الدم الاجنبي السامي به وأدى فيما أدى إليه إلى تيار ثقافة جديد وتيار فن وصناعة جديد وصارت الكلمات الكنعانية تتدفق بمقدار عظيم على اللغة المصرية ولم يكن ذلك قاصراً على أسماء السلع والبضائع والاسلحة والخيل والعربات وأدوات الحرب بل تخطاهـا إلى الالفاظ الاجتماعية والسلوكية والثقافية وصار دخول آلهة الساميين في زمرة الآلهة المصريين يزداد بصفة مطردة وتغدو موضع تبجيل المصريين انفسهم وازدادت حركة التبادل التجاري

---

(١) مما ذكره المؤلف في سياق سيرة رعمسيس الحادي عشر آخر ملوك الاسرة العشرين « جـ ٨ ص ٥٤١ وما بعدها » ان حقول تانيس كانت في عهد رعمسيس الثاني مغمورة بالساميين قبل خروج بني اسرائيل وبعد خروجهم وان اهل طيبة والصعيد وكهان آمون فيها كانوا ينبزون اتباع ست بالالقاب التي كانوا يصفون بها الهكسوس ويبثون ضدهم الدعايات ويقولون انهم يتكلمون لهجات لا يمكن فهمها مما فيه توكيد من ناحية ما لما نقول . ولقد ادى نقل رعمسيس الثاني العاصمة من الجنوب الى الشمال الى ازدياد النفرة بين الشمال والجنوب والى ازدياد نفوذ كهان امون في الجنوب واستيلائهم على السلطان المدني فيه واشتباكهم في قتال مع الشمال في اخر عهد الاسرة العشرين على ما سوف نشرحه بعد

(٢) ج٦ ص ٥٨٥

بين مصر وآسية نتيجة لذلك كله (١) .

وفي هذا صور جياشة قديمة مختلفة الاشكال من صور التموج والتسرب العربي الجنس الى مصر في عهد الاسرة التاسعة عشرة تضاف الى مثيلاتها الكثيرة التي ذكرنا خبرها في سياق سيرة الأسرة السابقة نقلا عن المؤلف الذي يستند بذلك الى النقوش والآثار والدراسات من لدن الأسرة السادسة فضلا عما كان من ذلك قبل عهد الأسر فتزداد بها حلقات سلسلة الادلة على تدفق السيل العربي الجنس قبل دور العروبة الصريحة على مصر بدون انقطاع وعلى ان معظم سكان مصر هو من هذا السيل .

ولقد قال المؤلف انه بالرغم من كل ذلك فاننا نجد ان المصري من جهة اخرى قد تغلب عقلياً وخلقياً بما له من ثقافة قديمة ومدنية عريقة وطيدة الأركان ثابتة الدعائم على هؤلاء النزلاء من كل جهة وصبغهم بثقافته وجعلهم جزءاً منه. وهذا على ما فيه من التناقض مع تعبير المؤلف من تيار الثقافة والفن واللغة الذي تدفق مع الوافدين الى مصر لا يعني اكثر من ان الوافدين قد تأقلموا مما هو طبيعي في كل زمان ومكان وليس من شأنه ان يغير من طبيعة ومدى تلك الصور التي هي امتداد وتكرار لكثير من مثيلاتها على ما ذكرناه آنفا . ومن العجيب ان يظل المؤلف على جلالة علمه وحصافته يكرر مثل هذا التحفظ الذي لا محصل له في كل مناسبة مماثلة(٢) وينسى ما كان يقرره قبل كل مناسبة من طروء الساميين باعداد كبيرة الى مصر واستيطانهم فيها وكون ما سماه الجنس المصري تمييزاً عن الوافدين الجدد ليس إلا من جنس هؤلاء الوافدين مر عليهم الزمن وتأقلموا .

والآثار تدل على ان رعمسيس الثاني احتفل بعيد السد التقليدي الذي كان الملوك

(١) مما قاله بريستيد في هذا الصدد ان عهد رمسيس كان من ازهى عصور الامبراطورية المصرية واكثرها نشاطاً وحيوية وعظمة بين الداخل والخارج وان الصلات قويت في عهده بين مصر وبلاد الشام ، وكانت القوافل التجارية تغدو وتروح بكثرة فاقت ما كانت عليه في ايام الاسرة السابقة ، وكان الطريق الرئيسي للقوافل برزخ السويس بالاضافة الى ما كانت عليه الملاحة بين موانىء مصر وموانىء البحر الابيض من نشاط . وقد كثر الاثاث السوري الجميل في قصور الاعيان وانتشرت اللغة والعادات السورية وقام في منف حي خاص بتجار السوريين وقوي الاختلاط الدموي بينهم وبين مصر بالمصاهرة واصبح لهم مقام عظيم بالقصر الملكي والحكومة المصرية حتى لقد زوج رمسيس الثاني ابنه من بنت ضابط بحري سوري اسمه ابن انات « صفحة ٢٦٧ وما بعدها »

(٢) اول ما ذكره في سياق بحث اصل المصريين وتوحيد مصر واوردناه في التمهيد وعلقنا عليه

يحتفلون به حينما تبلغ مدة حكمهم ثلاثين سنة ثلاث عشرة مرة على الأقل . وكان يقيم بهذه المناسبات مسلات . وقد بلغ عدد المسلات التي أقامها ٢٢ لم يزل باقياً منها ١٨ في حالة لا بأس فيها . ومنها واحدة في باريس وأخرى في روما وثالثة في فلورنسة . وكان ينتشر خبر هذه الحفلات أيضاً حيث عثر على نقوش عديدة تذكر ذلك . وقد عثر على آثار صغيرة متنوعة تحمل اسم هذا الملك لا تكاد تحصى في كثير من أنحاء مصر والخارج من لوحات ونقوش وجعارين وقطع أحجار وتماثيل صغيرة له وتماثيل آلهة .. الخ .

ولقد ذكر سليم حسن في سياق سيرة هذا الملك لوحة عرفت بلوحة بختريان نقشت عليها قصة طريفة جرت في عهده مساقة على لسانه فيها بعض صور الحياة والعقائد الدينية والصلات التي كانت قائمة بينه وبين ملك الحيثيين كما فيها وصف ما كانت عليه قوة مصر وسلطانها في عهده . غير انه قال ان بعض الباحثين يقررون ان هذه اللوحة لم تكتب في عهد هذا الملك ولا بأمره وإنما كتبت في عهد متأخر جداً ، وانها خليط من أحداث وقعت في عهده وفي عهد امنحوتب الثالث وان الخيال والتبجح قد لعبا في صياغتها في الوقت نفسه ، ويبدو انه مقتنع بما قرروه ولقد ذكرها بريستيد(١) ولكن كلامه عنها يدل على انه يخالفهم ويذهب إلى انها لوحة من لوحات هذا الملك وليست مصوغة على لسانه . ولقد ذكرها أحمد كمال ايضاً (٢) وقال ان هذا النقش منقوش على حجر في معبد خونسو في طيبه في ثمانية وعشرين سطراً ، مع فارق واحد هو ان هذا المؤرخ أوردها في سياق سيرة رمسيس الحادي عشر من ملوك الأسرة العشرين على اعتبار انها لوحة له واستدل بها على ان سلطان مصر في عهد هذا الملك كان ممتداً لأثيوبيا وشاملا لجميع بلاد سورية . هذا في حين ان الدولة في عهد هذا الملك كانت في منتهى الضعف حتى ان زعيما خرج عليه في الدلتا واستولى على الحكم منه واضطره إلى النزوح إلى الجنوب على ما سوف نشرحه بعد. والاوصاف والالقاب والحوادث تنطبق على رعمسيس الثاني وعهده كل الانطباق . وقد رأينا أن نورد نصها العربي حسب ترجمة أحمد كمال (٣) لما فيها من طرافة ودلالة . وقد جعل لها ديباجة بين يديها :

(الديباجة)

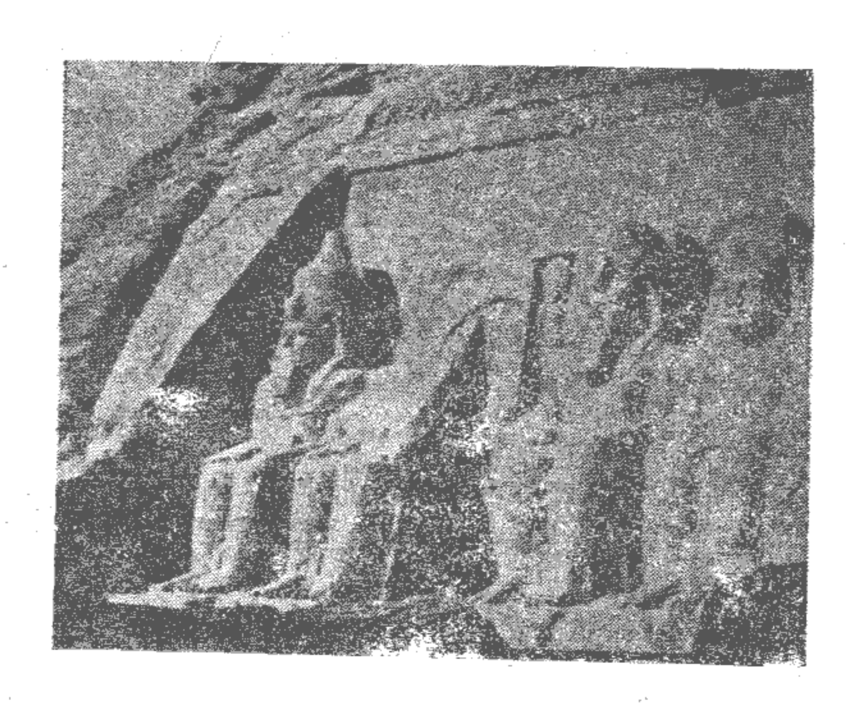
الملك الحاكم الثور الشديد صاحب التاجين الذي انتظمت مملكته كانتظام مملكة توم

---

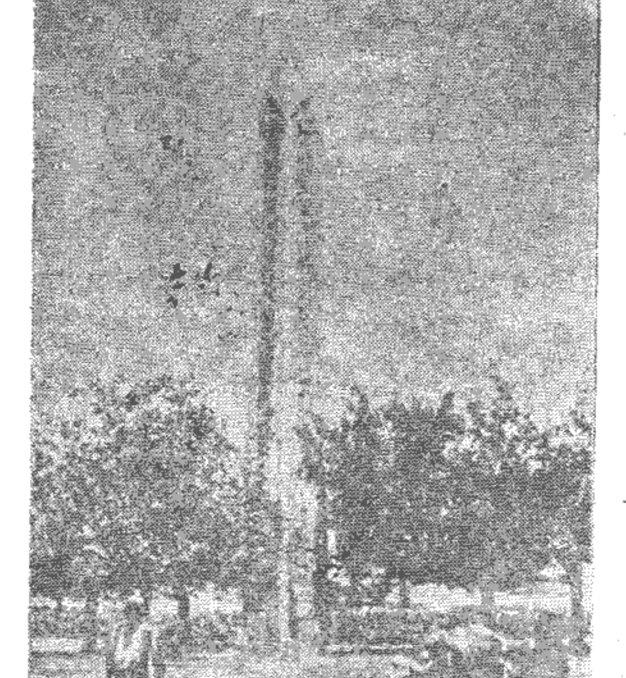
(١) تاريخ مصر من اقدم العصور ٢٩٤

(٢) العقد الثمين ١٤٥–١٤٨

(٣) فضلنا ترجمة احمد كمال لانها افصح مع التنبيه على ان ترجمة سليم حسن حرفية اكثر



↑
معبد ابي سنبل وتماثيل
رمسيس فيه



مسلة عين شمس
←

الباشق الابريز الحاكم بسيفه قاهر الأقوام التسعة ملك الوجه القبلي والبحري وسيد الاقليمين (رع اوسرما استبن رع) سلالة الشمس وابنها من احشائها رمسيس ميامون) . المتسلطة على تخت الوجه القبلي والبحري وعلى أملاك المعبودات في الوجه القبلي المقدس ابن آمون وسلالة حور وخلف حور مخو الشهير السيد المطلق التصرف ملك مصر وحاكم الاراضي الفينيقية السلطان الاعظم الذي سرت سلطته على الاقوام التسعة مـــن وقت خروجه من احشاءامه وحاز النصر وكان بيده مذ شبيبته النهي والامر صاحب القلب الجسور ورادع اهل الجور الثور المتفرس والملك المقدس الذي يبرز يوم الوعي كمعبود الحرب منتو ولـــه سطوة كبيرة كابن نوت .

(القصة)

بينما كان هذا الملك في الجزيرة بين نهري دجلة والفرات حسب عادته السنوية وفدت إليه ملوك الأمم التي تحت سلطانه مظهرين له الخشوع والفرح وشرع الناس في جلب الجزية اليه من أقصى البلاد من ذهب وحجارة زرقاء وخضراء نفيسة ومن اعواد بـــلاد العرب الطيبة ذات الرائحة الذكية حامليها على ظهورهم متسابقين في المبادرة اليه بهـــا وأرسل اليه ملك « بختانا » جزية معهم وجعل ابنته في أولها لتكون سابقة في تقديم التحية رجـــاء أن يتزوج بها فوقعت عنده موقع القبول فتزوجها وسماها « نفرو رع » وهو اسم ملوكي وعمل لها الاحتفالات التي تليق بها بعد رجوعه إلى مصر وفي سنة خمس عشرة من حكمه توجه الى طيبة وهي وقتئذ اعظم المـــدن وتحت الملك ليزور اباه رع آمون يوم عيده فبينما هوكذلك إذا بحاجب دخل عليه واخبره ان بالباب رسولاً من قبل صهره ملك بختانا بهديـــة عظيمة للملكة . فاستحضره لديه بها فدخل عليه قائلا السلام عليك يا شمس الامم تسألك العيش في كنفك ثم قال اني اتيت اليك لأخبرك عن البنت رشت شقيقة الملكة نفرو رع فانها قداصابها مرض في جسمها ونرجو منك ارسال طبيب ينظر حالها فأمر باحضار الاطباء الروحانيين وطلب منهم انتخاب رجـــل ماهر حاذق فأتوه بالكاتب الملوكي تحوت ام حب فأمره بالتوجه الى بـــلاد بختانا فلما وصل وجد البنت ممسوسة بجني ورأى نفسه غير كفء لدفعه فأرسل ملك بختانا إلى ملك مصر ثانية يطلب منه ارسال معبود مـــع كاهنه لاخراج الجني وكان في طيبة فتوجه إلى خونسو معبود طيبة الثالث وقال له اني جئته اليك من اجل بنت امير بختانا فأمضاه إلى خونسو الحاذق المقدس الكبير مزيل الأذى فقال له الملك مر ايهـــا السيد العظيم المعبود خونسو الحاذق مزيل الاذى ان يتوجه الى بختانا كي يشفي ابنة اميرها

فحفه ببركته اربع مرات وفي الحال امر الملك بنزول المعبود خونسو الحاذق وكاهنه في سفينة كبيرة وأرسل معهم خمس سفن اخرى فيها عربات وخيول لتسير على يمينه ويساره وقت مروره في بلاد بختانا فلما وصل إلى المدينة التي فيها البنت رشت بعد مضي سنة وخمسة أشهر حضر ملك بختانا لمقابلته ومعه قوته وألقى نفسه على الأرض قائلا لقد جئت الينا وأفرحتنا بامر صهرنا ميامون رمسيس ملك مصر ثم اتى بالمعبود إلى المحـــل الذي فيه البنت فسرت كرامته فيها حتى برئت من وقتها ونطق الجني الذي عليها قائلا اهلا وسهلا بالمعبود الكبير مزيل الاذى بلاد بختانا الك وسكانها عبيدك وانا ايضاً عبدك وساعود مـــن حيث اتيت لينشرح قلبك باتمام الغرض الذي دعيت اليه غير اني ارجو عمل مهرجان اكرماً لي من لدن ملك بختانا فطلب الكاهن الملك عمل قربان عظيم ففعل وحينئذ ذهب الجني وفرح ملك بختانا وقومه فرحا عظيما وقال في نفسه يجب ان ابقي هذا المعبود في بلادي فمنعه عن الرجوع إلى مصر فمكث ثلاث سنين وتسعة شهور ثم رأى هذا الملك في منامه ان المعبود قد خرج من ناووسه العظيم كأنه باشق من ذهب قد نشر اجنحته وطار نحو مصر . ولما استيقظ وجـــد نفسه مريضا فقال للكاهن ان المعبود يريد ان يذهب الى مصر فامر برجوعه واعطاه كثيراً من الهدايا العظيمة ولما وصل الى طيبة توجه الى معبد خونسو الثابت في كماله ووضع امامه الهدايا فلم ياخذ منها شيئا . وبعد ذلك عاد خونسو الحاذق إلى معبده في اليوم الثالث عشر مـــن امشير سنة ثلاث وثلاثين من حكم الملك رمسيس ميامون مانح الحياة ومخلد الذكر » .

وقد قال احمد كمال بعد ذلك ان علماء التاريخ اجتهدوا في الوقوف على حقيقة بلاد بختانا فمنهم من قال انها باغستان ومنهم من قال انها اكباتانا اي همدان وعلى كل حال فهي في الجزيرة او قريبة منهـــا اي الجزيرة التي بين نهري دجلة والفرات والمعروفة قديمـــا باسم « نهرينا » .

هذا ولقد اطنب سليم حسن في الفصل الذي عقده بعنوان المدنية في عصر سيتي ورعمسيس الاول (١) فيا وصل اليه فن النحت والرسم والعمارة من ازدهار في عهد رعمسيس الثـــاني يفوق ما سبقه كما أشاد بتقدم الآداب من شعر وقصص وحكم وأورد كثيراً مـــن النماذج غاية في الروعة . ونوه بنوع خاص بحكم ونصائح حكيم اسمه آني وجهها الى ابنه مفتتحا اياها بقوله « اني مخبرك بكل فاضل من فوائد وبما يجب ان تعيه في ليك فاعمل به وبذلك تكون محموداً ويبعد عنك كل شر ويقال عنك انـــه على خلق عظيم . والنصائح طويـــلة

(١) ج ٦ ص ٥٨٥ — ٧١٣

استغرقت ثماني صفحات وتناولت شؤون الدنيا والدين معاً وفيها ما يدل على ما كان متحلياً به هذا الحكيم من عقل راجح وقلب نقي وفكر صاف وبصيرة نافذة . ومن ذلك قوله : اتخذ لنفسك زوجة وأنت لا تزال شاباً لتنجب ولداً وأنت صغير السن حتى تعيش وتراه رجلا . ابتعد عن الرجل المعادي ولا تتخذه خدناً لك واصطف لنفسك صديقاً مستقيما عادلا . إذا كنت ماهراً في الكتابة فان الناس أجمع يفعلون كل ما تقوله . إذن خصص نفسك للكتب وضعها في لبك . وبذلك يكون ما تقوله ممتازاً (١) . لا تفضين بما في قلبك إلى أحد . فان كلمة خاطئة خرجت من فيك إذا اعادها من سمعها جعلت لك أعداء . وان الانسان ينزل به الخراب من جراء لسانه . لا تذهب إلى بيت إنسان بحرية . بل ادخله عندما يؤذن لك . لا تأكلن الخبز إذا كان هناك آخر يتألم من عدمه دون ان تمد يدك اليه بالخبز . فواحد غني وواحد فقير ومن كان غنياً في السنين الخوالي قد يصبح هذا العام سائلا لا تكن شرهاً فيما يختص بملء بطنك . لا تمثل دور الرئيس مع زوجك في بيتها . . .

(٤) وخلاصة اهم ما ذكره المؤلف من سيرة مرنتباح (٢) انه الابن الثالث عشر لرعمسيس الثاني وكان في عهد أبيه كاهناً اعظم للاله بتاح وقائد الجيش الاعظم والمشرف على جميع البلاد الاجنبية وقد اختاره ابوه خلفاً له لانه كان متحلياً بصفات مؤهلة . وقد قوبلت ولايته بارتياح على ما تفيده قصيدة وجدت منقوشة . وتدل شواهد الاحوال على ان الحالة في مصر ظلت هادئة . وقد قامت بعض اضطرابات في بلاد الشام وخاصة في فلسطين حيث أراد أمراؤها اغتنام فرصة موت رعمسيس للتفلت من سلطان مصر غير ان مرنبتاح استطاع ان يخضعهم بسهولة . وتعرضت مصر في عهده إلى خطر الغزو من ناحية صحراء لوبيا والبحر . وكانت بوادر هذا الخطر بدرت في عهد أبيه فاستطاع أن يصده فلما مات الأب أخذت القبائل اللوبية في التحرك والغارة على مصر الوسطى حتى لقد تمكن بعضها من النفوذ إليها مع مواشيه وضرب خيامه في منطقة بربرست التي تعرف اليوم باسم بوبسطه . وفي الوقت نفسه جاءت جماعات من ناحية البحر سموا في النقوش المصرية بأسماء شردانا وسكلش واقايواش ومشوش وبلست وسكس وزكاروا ودني وخمن المؤلف وغيره من الباحثين انهم من جزر سردينيا وصقلية وارخبيل اليونان ونزلوا في سواحل ليبية واندمجوا في حركاتهم العدوانية على مصر من ناحية الحدود الغربية وكان الذي يتولى قيادة الحركات مربي رئيس

---

(١) النصيحة بسبيل الحض على العلم

(٢) جـ ٧ ص ١ – ٢٠٣

الليبيين وقد وقف مرنبتاح في وجههم وقفة قوية وانتصر عليهم على ما ذكرته النقوش التي أمر هذا الملك بنقشها تسجيلا لانتصاره . وقد وصفت النقوش ما أبداه الملك من شجاعة واستعداد واحتوت قوائم بالاسرى والقتلى والغنائم . وكان بين القتلى والاسرى عدد كبير من الأمراء والعظماء وبلغ عددالسيوف النحاسية المأخوذة من المشرش وحدهم ٩١١١وعدد قطع الاسلحة الصغيرة (١٢٠٢١٤) .

ومن الوثائق التاريخية المهمة قصيدة منقوشة على جدران الكارناكذكر فيهاانتصارات مرنبتاح على اللوبيين وحلفائهم وعلى أهل بلاد الشام وفلسطين . وجاء فيها فيما جاء عن لسان الملك وعلى سبيل التفاخر والتحدث بنعمة الاله رع عليه :

الرؤساء مطروحون أرضاً يعلنون السلام. لم يعد واحد من قبائل البدو في التسعةأقواس يرفع رأسه (١) . التحيو خربت (بلاد ليبية) بلاد خاتي اصبحت مسالمـــة . (الحيثيين) كنعان اسرت مع كل خبيث . ازيلت عسقلان . جيزر قبض عليهـــا (مدينة في فلسطين) ينوم اصبحت لا شيء . اسرائيل خربت وليس بها بذر (٢) . خارو أصبحت ارملة مصر (هذا الاسم كان يطلق على قسم من بلاد الشام) كل الارض قد وجدت السلم . وكل من ذهب جائلا اخضعه ملك الوجـــه القبلي والوجه البحري بن رع محبوب آمون ابن الشمس مرنبتاح منشرح الصدر معطي الحياة كل يوم مثل رع »

والقصيدة تسجل انتصارات مرنبتاح وتمكنه من توطيد سلطانه في مصر وما كان تحت هذا السلطان خارج مصر وتشير إلى استمرار عهد السلام بين مصر والحيثيين . وتعبير«بني اسرائيل » يرد لأول مرة وآخر مرة في النقوش المصرية ؛ وذلك قبل تدوين العهد القديم بمدة طويلة . وفي ذلك تأييد لصحة تسمية بني اسرائيل التي أطلقتها هذه الاسفار على ذرية يعقوب الذي ذكرت انه اسم ثان له (٣) .

---

(١) فسر سليم حسن الاقواس التسعة بأنها الاقوام التي كانت تخضع لسلطان مصر وهي حاونبرت « اقوام بحر ايجه » - شات - ناشيم «الوجه القبلي» - سخت نام «الواحة» - تاعو «الوجه البحري» بزت شو - تحنو «لوبيا» اوتو سيتي «النوبة» منينو توستت اسيا وتشمل فلسطين وسورية والجزيرة الفراتية انظر مصر القديمة جـ ٩ ص ١٢٠

(٢) اورد المؤلف تفسيرات الاثريين للعبارة المصرية وفيها بعض التباين . فبعضهم فسرها « اسرائيل قد اقفروا وبذرتهم قد انقطعت » وبعضهم فسرها « وقوم اسرائيل قد صاروا قفراً ومحاصيلهم قد ذهبت » وبعضهم فسرها « وقوم اسرائيل قد اتلفوا وليس لديهم غلة » وبعضهم فسرها « واسرائيل قد محي وبذرته لا وجود لها » انظر جـ ٧ ص ١١١

(٣) سفر التكوين الاصحاح ٣٢

وليس في العبارة ما يفيد، ان اسرائيل التي ضربت او اتلفت بذرتهـــا كانت في ارض مصر او خارجها . وقـــد استطرد المؤلف الى ذكر بني اسرائيل وقصة خروجهم بكلام طويل فيه كثير من التحفظ . وناقش أقوال الباحثين الذين هم بين مؤيـــد للقصة ومشكك ومكذب وأورد احتمالات كون العبارة الواردة في القصيدة تشير الى خروج بني اسرائيل من مصر في عهد هذا الملك طرداً أو فراراً من اعمال السخرة التي كان الفراعنة يفرضونها عليهم وخاصة في انشاء المدن والمعابد . ولكنه لم يخرج من بحثه بنتيجة حاسمة .

ولقد عقد احمد كمال في العقد الثمين (١) فصلا بعنوان معاملة المصريين لبني اسرائيل ذكر فيه ما كان من عادة ملوك مصر من تشغيل الأسرى في مشاريعهم العمرانية وقال ان الفراعنة كانوا يكلفون بني اسرائيل الذين فضلوا الاقامة في مصر بعد العمالقة والذين كانوا يسمون للعبريو ــ التي هي كما هو المتبادر نواة اسم العبرانيين الذي كانوا يسمون بــه ــ بالاشغال الشاقة في عهد الاسرة السابقة. ثم استمر ذلك في عهد هذه الأسرة بل زاد رمسيس في تشغيلهم والقسوة عليهم ، وقد شيد المدينة التي سماهـــا باسمه بعمال كان يشرف عليهم مراقبون يراقبون شغلهم ويوزعون عليهم المؤن . وقـــد أورد في هـــذه المناسبة نصوص كتابات مصرية على اوراق من البردي محفوظة اليوم في المتحف البريطاني منها ما فيه ذكر انشاء المدينة ووصفها وما فيها من أشياء نفيسة وطعام وافر وخراب . ومنها ما ورد فيه حساب للبنائين الذين كانوا يبنون المدينة ويصنعون لها الطوب . ومن جملة ذلك كتابة كتبها كاتب اسمه كاوى سر خطاباً لرئيس له اسمه بكنفتاح جاء فيها ما ترجمته « لقد اطلعت على الامر الذي صدر مـــن مولاي رمسيس باعطاء القمح للعساكر والعبرانيين الذين ينقلون الاحجار إلى حصن مدينة رعمسيس العظيمة تحت ملاحظة أمنيان رئيس العساكر المحافظة فأعطيتهم قمحا في كل شهر طبقا للاوامر العالية الصادرة من مولاي (٢) .

ثم اخذ احمد كمال يسرد قصة بني اسرائيل في مصر وظهور موسى وقصته مع فرعون وخروج بني اسرائيل من مصرملخصة من سفري التكوين والخروج ومن القرآن. وفحوى كلامه ان هذا الخروج وقع في عهد رمسيس الثاني او منفتاح اي مرنبتاح في قائمة سليم حسن

---

(١) ص ١١٧-١١٩

(٢) اورد المؤلف اسم العبرانيين بالحروف المصرية القديمة ايضا كأنما يريد ان يؤكد ورود الاسم بعينه . وقد اورد هذا الخطاب وخطاباً آخر مماثلا له فيها كلمة عبريو (المطران الدبس في كتابه مقـــال في العبرانيين ص ٨٩)

ومهما يكن من أمر فان الوثيقة الربانية ـ وهذا التعبير يطلقه أحمد كمال على المدونات المصرية على ورق البردي ـ التي أشار اليها مؤلف العقد الثمين والمحفوظة في المتحف البريطاني دليل قوي على ان العبرانيين كانوا في مصر في عهد رعمسيس الثاني .

وفي الاصحاح الاول من سفر الخروج وهو السفر الثاني من الاسفار الخمسة الاولى من العهد القديم اشارة الى ما كان من نمو العبرانيين وكثرتهم وتسخيرهم في بنـــاء مدينتي فيتوم ورعمسيس واستخدامهم بقسوة وشدة في اشغال الطين واللبن وسائر اعمال الارض . وما كان من أمر الفرعون للقابلات العبرانيات بقتل الاولاد الذكور الذين تلدهم النساء العبرانيات وفي اصحاحات السفر التالية قصة ظهور موسى ورسالته ومعجزاته وخروج بني اسرائيل من مصر عبر برية سيناء بقيادته . ولئن كان هذا السفر دون بعد الخروج بأمد ما وشيب بكثير من الغلو والخيال في الاحداث والارقام فان التطابق بين بعض مـــا وود فيه وبين الوثائق المصرية المدونة التي عثر عليها في القرن التاسع عشر قبل الميلاد والتي يعود تاريخها الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد يسوغ القول ان فيه حقائق تاريخية . ولقد جاء في السفر اسماء واحداث وتفصيلات جزئية يبعد جداً ان تكون كلها من اختراع الخيال .

ولقد ذكر شارويبم قصة بني اسرائيل وخروجهم مؤيداً (١) وقال فيما قال انهم خرجوا في عهد منفتاح الثاني الذي خلف منفتاح الاول وفي ظروف ارتباك الدولة المصرية ؛ وان يوسيفوس المؤرخ اليهودي نقل ذلك عن مانيتون . ومما يرويه شارويبم أيضاً ان منفتاح الثاني سأل أحد الكاشفين ان يتوسط في تجلي المعبودات له فقال له لن يكون ذلك له حتى يطهر بلاده من أصحاب الدناسة (من الدنس) وكان يعني الاسرائيليين فجمعهم في مدينة وضيق عليهم الخناق وشدد العذاب . وفي هـــذه الاثناء ظهر موسى وانتهى الأمر إلى خروجهم تحت قيادته . ومما يرويه كذلك ان الاسرائيليين ثاروا ثورة عاتية فقتل منهم منفتاح الثاني مقتلة عظيمة ففر الذين نجوا فطاردهم إلى أن خرجوا من مصر .

ولقد ذكر بريستيد بني اسرائيل فقال فيما قاله (٢) انهم كانوا مستوطنين في فلسطين في أواخر عهد الأسرة الثامنة عشرة وأوائل الأسرة التاسعة عشرة وانهم اشتركوا في الثورة ضد مصر بعد موت رمسيس الثاني فنكل بهم ابنه فيمن نكل بهم من الثائرين وان هذا ما كانت تعنيه الاشارة الواردة في قصيدة مرنبتاح ، هذا بينما يقول ان رمسيس الثاني كان يسخرهم في بناء المدن التي أنشأها حيث يقتضي هذا ان يكونوا في ايام رمسيس في مصر . على انه

---

(١) ج ١ ص ٩٠ – ٩٨

(٢) تاريخ مصر من القدم العصور ص ٢٦٧ وما بعدها

قال في سياق ذلك انه لما زاد الضغط عليهم هربت إحدى قبائلهم تخلصاً من العذاب حيث يصح بهذا إذا صح احتمال ان تكون هذه القبيلة التي وقع تنكيل مرنبتاح عليها في فلسطين في جملة من اوقع عليهم من اهلها وحينئذ تكون رواية شارويم عن خروج اسرائيل في عهد مرنبتاح اوجه . هذا اذا كان التنكيل الذي ذكره هذا الملك في قصيدته في بني اسرائيل قد وقع في فلسطين . بقيت نقطة من قول بريستيد من غير حل وهي قوله ان بني اسرائيل كانوا مستوطنين فلسطين في أواخر عهد الاسرة الثامنة عشرة وأوائل عهد الاسرة التاسعة عشرة أي قبل عهد رعمسيس الثاني على كل حال .

ونميل إلى القول ان بريستيد قصد بذلك جماعة الخبيرو الذين كانوا يعيثون في فلسطين فساداً في أواخر عهد الأسرة الثامنة عشرة لأنه ذكر في سياق خبرهم عزواً إلى رسالة تل العمارنة وان تسميته اياهم بني اسرائيل تجوز منه لأن اسمهم واسم العبرو الذي كان بنو اسرائيل يسمون به مماثل أو شيء واحد وقد شرحنا ذلك في ذيل في فصل الهكسوس .

ونعود إلى سيرة مرنبتاح فنقول ان سليم حسن يذكر انه وجد لهذا الملك آثار عديدة متنوعة في انحاء مختلفة تحمل اسمه من لوحات وتماثيل وقطع وأعمدة وانه إلى هذا انتحل كثيراً من منشآت ابيه وأنشأ معابد عديدة في مصر وبلاد النوبة ومعبداً جنائزياً لنفسه في طيبه .

(٥) ولقد قال سليم حسن بعد انتهائه من سيرة مرنبتاح ان تاريخ الملوك الذين خلفوه غامض وان المؤرخين اختلفوا في أسمائهم وترتيبهم وان الترتيب الذي أصبح متفقاً عليه عند معظمهم وعند علماء الآثار من ان الذي خلف مرنبتاح سيتي مرنبتاح (سيتي الثاني) ثم منموس ثم رعمسيس سبتاح ثم الملكة توسرت .

وخلاصة ما ذكره من سيرة سيتي مرنبتاح (١) انه هو الابن الاكبر لمرنبتاح وانه كان في ايام ابيه يحمل ألقاب الأمير الوراثي والحاكم ورئيس الارضين وكاتب الملك والقائد الاعلى للجيش والكاهن الاكبر للاله بتاح على ما تفيده النقوش . ولم يذكر المؤلف احداثاً هامة في عهده مما يدل على ان الحالة كانت عادية أو هادئة . وذكر ان له مباني وآثاراً عديدة في اماكن مختلفة تحمل اسمه من معابد وتماثيل ولوحات ونقوش وقطع حجرية وصفها المؤلف وصفاً مطنباً كعادته .

(٦) وخلاصة ما ذكره المؤلف من سيرة امنمس (٢) انه ابن الملك السابق وان العرش

---

(١) ص ٢٠٧-٢٣٦ ج ٧

(٢) ج ٧ ص ٢٣٧-٢٤٠

آل اليه وهو صغير وان من المحتمل ان يكون قام منازعات حول الحكم بينه وبين اخوته وانه لم يعثر على ما يساعد على توضيح سيرته ؛ وان الآثار التي وجدت تحمل اسمه قليلة منها قطعة من منظر يشاهد فيها الاله امون وهو يقدم رمز العيد الثلاثيني له ولوحة عليها طغراؤه ؛ ونقش فيه اسمه في معبد في وادي حلفا وبعض جعارين .

(٧) وخلاصة ما ذكره سليم حسن من سيرة مرنبتاح ستباح (١) اخو منمس وانه قام نزاع على العرش بينه وبين تاوسرت زوجة اخيه ثم تزوجها وصارا شريكين في الحكم على ما تدل عليه نقوش تحمل اسميهما معاً ، وانأهم ما ذكرته النقوش من سيرتهما انهما أرسلا بعثتين إلى بلاد كوش لجلب الجزية من نائب الملك فيها واحدة في السنة الاولى من حكمهما وأخرى في السنة السادسة . وقد عثر على آثار معبد جنائزي يحمل اسم الملك في طيبة كما عثر على مقبرته عليها صورته ، وعثر كذلك على تماثيل ومجوهرات وجعارين وقطعة من تمثال ومحراب صغير تحمل اسمه . وقرنت عدة نقوش في بلاد النوبة له ايضاً .

(٨) وخلاصة ما ذكره من سيرة الملكة تاوسرت (٢) ان زوجها ستباح مات فيحياتها فانفردت في الحكم بعده وان عهدها كان غامضاً وان هناك ما قد يدل على انها تزوجت بسيتي حاكم بلاد النوبة . ولا تذكر الآثار كيف انتهى حكمها . ومن المحتمل ان تكون ماتت أو خلعت فانتهى حكم الأسرة بها . وقد عرف انها اقامت لنفسها معبداً جنائزياً . وقد عثر على طغراء باسمها مشابهة لطغراء جدها رعمسيس الثاني ولقبت نفسها فيها بلقب ستة رع اي محبوبة رع .

(٩) وقد استولى على الحكم بعدها شخص اسمه ارسو ولعله هو الذي خلعها . وقد جاء ذكر ذلك في مدونة بردية تعرف بورقة هاريس امر بتدوينها رعمسيس الثالث ثاني ملوك الاسرة العشرين (٣) . وقد جاء فيها فيما جاء « لقد غزيت مصر من الخارج وأقصي كل رجل عن حقه وظل الناس بدون رئيس سنين عدة حتى اتى حين من الدهر كانت مصر في أيدي امراء وحكام مدن وذبح الرجل جاره عظيما كان او حقيراً . وكان منهم ارسو وهو سوري المنبت الذي نظم نفسه رئيساً وجعل كل البلاد تابعة له قاطبة وجمع كل رفاقه ونهب

(١) ص ٢٤١-٢٥٢

(٢) ص ٢٥٣-٢٥٦

(٣) ج ٧ ص ٢٥٦-٢٥٧

ممتلكات المصريين وساووا بين الناس والآلهة فلم يقربوا قرباناً في المعابد ولكن عندما جنح الآلهــة للسلم ليضعوا البلاد في مكانها الحق على حسب حالتها العادية مكنوا ابنهم الذي خرج من اعضائهم ان يكون حا كما على كل أرض يملكهــا عرشهم العظيم وهو ابن رع ستنخت ، فأعاد تنظيم البلاد كلها وذبح الخارجين الذين كانوا من أرض مصر وظهر على عرش مصر العظيم وكان حاكما للأرضين على عرش آتوم .

والعبارة واضحة بأن ارسو كان من المستقرين في ارض مصر او في الدلتا لأنه وثب على كرسي المملكة فيها ولما كان معظم سكان الدلتا من القبائل العربية الجنس على ما مر شرحه فليس من التخرص ان يقال انه منهم . ووصف السوري له لا يغير الأمر لأن معظم سكان سورية كانوا منهم ايضاً . وكثيراً ما رادف مؤرخو مصر بين تعبيرات السوريين والساميين على ما مرت امثلة منه في مناسبات سابقة . والعبارة تفيد كذلك انه كان من امراء المدن وحكامها فطمح الى الحكم وتمكن من الاستيلاء على العرش على نحو ما فعل حور محب ثم رعمسيس الاول الذي كان من نفس الارومة . وكل ما في الامر انه لم يستطع ان يحتفظ بالحكم حيث تصدى له وتمكن من ازاحته والحلول محله . وقد نسب اليه رعمسيس الثالث تبريراً لما كان من تصدي والده له وازاحته عن الحكم والحلول محله مما هو طبيعي مألوف . وقد فعل مثل ذلك ملوك الأسرة الثامنة عشرة بالنسبة للهكسوس على ما مر شرحه .

والناس من يلق خيراً قائلون له ما يشتهي ولأم المخطىء الهبل

هذا ، ولقد كشفت عن مقابر وعثر على آثار لعدد كبير من كبار رجال الدولة في هذا العهد أيضا عليها تسجيلات واسماء وألقاب وسيرة أصحابها . وقد ذكر سليم حسن عقب سيرة كل ملك رجاله البارزين استناداً إلى هذه التسجيلات . والالقاب والمنــاصب التي ذكرت مع اسمائهم مشابهة لألقاب ومناصب رجال الأسرة السابقة وما قبلها ومنها العشريفي ومنها الاجرائي . واكبر قائمة لهم هي قائمة عهد رمسيس الثاني التي احتوت اكثر من مئة اسم منهم خمسة وزراء وستة من كبار الكهان وستة من كبار الكهان الثانويين ونحو عشرين موظفا من كبار موظفي البلاط ونحو خمسين كاتبا لأعمال متنوعة ونحو عشرين موظفا مــن كبار موظفي المعابد . واستغرقت سيرتهم اكثر من مئة صفحة (١) . واستغرقت القــاب أولهم الوزير باسر صفحة كاملة . فاكتفينا بهــذا التنويه لأن منهج الكتاب لا يتحمل كل

---

(١) ج ٦ ص ٤٥٦-٥٧٦

هذا التفصيل . وتلمح كذلك اللمحة العربية على اسماء كثيز منهم مثل ياسر ونفر وحتب ومن موشى وباسر وخنور وسر منتو ونفرت موت ونخت نحوتي وواخ سو ونب نختوف ونخنو ومحو ومحيت وتباح مويا وبيــاي وبارع محب ـ وايوبــا وحورا وبن نسوت ـ وبياي ـ ويويو ومنت وحوى وتباح معي وتباح مس وتباحي وحور نخت وبن يوى وقن وحوى نفر وابي نحات وحور ومرى تباح ومارى وبن نستاوى وكاتا وحورا وحورمين وامن مويا وعشا وحب وتموتي محب الخ

ويقاس على هذا اسماء رجال الدولة في عهود الملوك الآخرين من هذه الأسرة التي بينها وبين هذه الاسماء تقارب وتماثل كبيران (١) .

---

(١) أنظر ج ٦ ص ١٥٥ — ١٦٨ و ج ٧ ص ١٦٧ — ٢٠٢ و ج ٢٢٧ ص ٢ — ٢٣٦ مثلا

الاسرة العشرون

-١-

ان ملوك هذه الاسرة المستنبطة اسماؤهم والقابهم من الآثار على ما جاء في كتاب مصر القديمة (١) هم .

سيتنخت
رعمسيس الثالث ـ وسرماعت رع مري آمون
رعمسيس الرابع ـ حتا ماعت رع ستين آمون
رعمسيس الخامس ـ وسر ماعت رع شحبرت رع
رعمسيس السادس ـ نب ماعت رع مرى آمون
رعمسيس السابع ـ وسرماعت رع مرى آمون ستبن رع
رعمسيس الثامن ـ وسرماعت رع آخن آمون
رعمسيس التاسع ـ نفر كا رع
رعمسيس العاشر ـ خبر ماعت رع استبن رع
رعمسيس الحادي عشر ـ من ماعت رع

وهنالك بعض التباين في ترتيب وعدد ملوك الاسرة بين سليم حسن وبين احمد كمال وبريستيد . ففي قائمتي هذين المؤلفين رعمسيس ثاني عشر . وفي قائمة احمد كمال رعمسيس ثالث عشر ايضاً . وفيها اسم لا يذكره المؤلفان الآخران وهو مرثيوم ميامون بعد رعمسيس الثامن . والى هذا فاحمد كمال لا يذكر ستنخت في عداد ملوك هذه الاسرة ويذكره كآخر ملوك الاسرة السابقة في حين ان المؤلفين الآخرين يذكرانه كأول ملوك هذه الاسرة (٢).

وقد ارخ بريستيد بدء حكم الاسرة بسنة ١٢٠٠ ونهايته بسنة ١٠٩٠ ق م (٣)

---

(١) مصر القديمة ج ٧ ص ٦٤٦ - ٦٥٠ وج ٨ ص ٨٠١ - ٨٠٤

(٢) انظر العقد الثمين وتاريخ مصر من اقدم العصور ص ٤٠٥

(٣) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٤٠٥

ومن العجيب ان احمد كمال يقول إن ستنخت هو ابو رمسيس الثالث حيث يقتضي هذا ان يكون هو على رأس هذه الاسرة وليس ابنه . ويقول شارويم (١) ان مانيتون قد ذكر ستنخت في عداد ملوك الاسرة السابقة وجرى هو على ذلك . والغالب ان ذلك هو ما حدا باحمد كمال ان يفعل مثله ولولم يذكر قول مانيتون .

ولا يذكر المؤلفون ارومة ستنحت الذي تفرعت عنه هذه الاسرة . وقد قال سليم حسن ان بعض المؤرخين يذهب إلى انه من ارومة الاسرة السابقة وشكهوفي صواب ذلك. وعلى كل حال فانه يبدو من اسمه الملحق بست اله الشمال ومن مناوأته لأرسو الذي استولى على الحكم في الشمال وازاحته عن الحكم انه من أهل الشمال أو الدلتا الذين كان معظمهم من القبائل العربية الجنس ولا يبعد انه كان من جملة الامراء والحكام الذين تحركوا وبرزوا وطمعوا في عرش مصر في اواخر عهد الملكة تا وسرت وتنافسوا عليه . وليس من التخرص ان يقال والحالة هذه انه من نفس ارومة ارسو والاسرة السابقة الدلتاوية النشأة والمقر العربية الجنس وقدكتبت له الغلبة واستطاع ان يوطد الملك لنفسه ثم لابنائه من بعده ؛ واستمرت بر رعمسيس او عاصمة الأسرة السابقة عاصمة لهم مما فيهدلالة علىانهم من اهل الدلتا ايضاً .

– ٢ –

والمؤلفون الثلاثة متطابقون اجمالا في خطوط سيرة الاسرة بل وفي تفصيلاتها . وهي في كتاب سليم حسن اوفى .

(١) ولم يذكر هذا المؤلف في صدد سيرة ستنخت شيئاً معيناً غير ما جاء في مدونة هاريس التي دونها ابنه (٢) .

وقد جاء في وصفه وسيرته فيها « انه كان مثل خبرى ست (٣) في بطشه . واعاد تنظيم البلاد كلها بعد ان كانت في فتن . وذبح الخارجين الذين كانوا في أرض مصر . وظهر على عرش مصر العظيم وكان حا كماً للارضين . وقبل المقبلين بوجوههم الذين كانوا قد اختبئوا . وكل رجل عرف اخاه الذي كان قد حوصر (اي الذي كان معتصماً مختفياً في

---

(١) الكافي ج١ ص ١٠٢ وما بعدها ومن الجدير بالذكر ان شارويم يؤرخ بداية حكم هذه الاسرة بسنة ١٢٨٨ ق م ونهايتها بسنة ١١١٠

(٢) ج ٧ ص ٢٥٦ – ٢٦٣

(٣) اسم اله قديم



بوابة معبد خونسو في الكارناك

مكان حصين) . ومكن المعابد بالقرابين لخدمة تاسوع الآلهة حسب قوانينها المعتادة » .

وقد عثر على بعض آثار تحمل اسمه منها تمثالان في صورة أبي الهـــول ولوحة فيهـــا صورته مع زوجته يقدمان القربان للآلهةوبعض احجار في منشآتليست له وطغراءوجدت على بوابـــة معبد الموت في الكارناك . وقد عثر على قبره في وادي الملوك عليه صورته واسمه ولم يعثر على مومياثه .

(٢) وخلاصةماذكره سليمحسن من سيرة رعمسيس الثالث (١) الذي يصفه المؤرخون بأنه آخر ملوك مصر العظام انه جمع في شخصه القوة الحربية والمقدرة السياسية التيامتاز بهما سيتي الأول وابنه رعمسيس الثاني وانه كان ينحو دائماً في اعماله نحو هذا الاخير وانعهده كان حافلا بالاعمال العظيمة والاحداث الجسيمة التي عرف الكثير منها من ما سجله على جدران معبده الجنازي في ما يسمى بمدينة هابو في طيبة الذي هو اضخم بناء لملك مصري بقي سليماً ثم من مدونة بربائية (ورقة البردي والتعبير اقتبسناه من احمـــد كمال) عرفت بورقة هاريس نسبة للذي عثر عليها يبلغ طولها أكثر من اربعين متراً وهي أكبر واضخم وثيقة بقيت من عهد الفراعنة ودونت بأحسن خط هيراطيقي عرف حتى الآن .

وقد عرف من تلك التسجيلات وهذه المدونة ان هذا الملك قام باعمال حربية عديدة في الاثني عشرة سنة الاولى من حكمه مع قبائل الشاسو وسعر الآموريين في فلسطين وبلاد الشام ، ومع قبائل لوبية الذين سموا باللوبيين وبالمشوش (٢) في الحدود الغربية ، ومع اهل

---

(١) مصر القديمة ج٧ ص ٢٦٤-٦٣٨

(٢) يستفاد من بحث للمؤلف بعنوان لمحة من تاريخ لوبية (ج ٧ ص ١٦- ٧٤) ان المشوش من سكان ليبية وانه كان من الليبيين او اللوبيينجماعات اخرى اطلق عليهم اسم لوبيين اطلق عليهم اسم التحنو اوالتمحو وان العمليات الحربية كانت بين رعمسيس الثالث وبين المشوش واللوبيين وانها كانت في ميدانين واحدفي جبهةالحدود الغربية لصد هجوم لهم واخر في داخل مصر الوسطى لقمع ثورة للمستوطنين في مصر منهم قبل هذه الاسرة . وهؤلاء على ما هو المتبادر هم أنسال الذين تسربوا او زحفوا على مصر الوسطى في عهد الاسرة الحادية عشرة وكانت منهم الاسرة الرابعة عشرة الاهناسية على ما اوردناه قبل . ومما جاء في الصحة ان اللوبيين لم يكونوا يختتنون خلافاً للمشوش . وان المصريين كانوا يعتبرون غير المختتنين أنجاساً فيقطعون مذاكير مـــن يأسرونه منهم . وقد كان المصريون يختتنون . وقدعد المؤلف هذا من وجوه التشابه التي يمكن ان تكون دليلا على وحدة الاصل والجنس العربي يختتنون كماهو معلوم . ولعل هذا دليل من ناحية ما على وحدة الجنس التي تجمع بين العرب وبين المصريين ثم بين بعض سكان ليبية القدماء .

بلاد كوش والنوبة في الجنوب ومع شعب بلست وجماعات اغاروا على مصر من الشمال من البر والبحر مؤلفين من سكان البحر والممالك الاجنبية سموا بالنقوش باسماء شردانا ردنين وأسباتا وكابكاشا وهاسا وباكانا وشايا وشيش وشكلش وبلست وثكر وفريق من هؤلاء قد اخترقوا حدود آسيا الصغرى براً إلى بلاد الحيثيين فعاثوا فيهـا وتجاوزوها إلى بـلاد آمور فعاثوا فيها ثم اتجهوا نحو مصر ؛ ومـع جماعات مـن اللوبيين والمشوش الـذين كانوا مستقرين في مصر وقامـوا بحركات ثوريـة واعتدوا على مـدن الشاطئ الأيمـن من منف ، وانه انتصر في جميع عملياته الحربية انتصارات عظيمة ساحقـة وأخـذ منهم أعداداً عظيمة من الاسرى نساء ورجالا واولاد وغنم غنائم هائلـة من الماشية والدواب والسلاح والعربات الخ (١) .

---

(١) نقول تعليقاً على ذكر امور ان الاموريين كانوا يعمرون بلاد الشام وخاصة الشمالية وجـاء منهم جماعات الى فلسطين وشرق الاردن فاقاموا فيها ممالك عديدة قبل عهد رعمسيس بمدة طويلة (انظر تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم للمؤلف ص ١٥ - ١٦ و٥٩ و٧٦ ولا يمكن الجزم بما اذا كان الاموريون الذين حاربهم رعمسيس الثالث هم هؤلاء ام الذين في بلاد الشام ، ولكنا نرجح انهم هؤلاء ، لانه ليس هناك ما يدل على ان رعمسيس سافر الى بلاد الشام الشمالية او كان سلطانه ممتداً اليها .

وتعليقاً على اسم سعر نقول انه كان في شرق الاردن قوم اسمهم بنو سعير يسكنون منطقة اسمها جبل سعير . ولعلهم هم المقصودون بهذا الاسم . ومنطقتهم في جهة العقبة مما يقع في شمال مصر (انظر تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ص ٣٤ و٣٧) وتعليقاً على اسم بلست نقول انهم الذين عرفوا بالفلستين او الفلسطينيين والذين سميت بلاد فلسطين باسمهم . ولقد كان في جنوب فلسطين عدة ممالك لهم مثل غزة وشدود وعسقلون وجبت وعقرون قبل زحف بني اسرائيل بقيادة يوشع الى ارض كنعان او فلسطين الذي يقدر وقوعـه في القرن الحادي عشر قبل الميلاد على ما تفيده اسفار العهد القديم التي تذكر مصاولتهم مع بني اسرائيل بعد دخولهم الى فلسطين واستيلائهم على بعض انحائها واستمرار الصيال بينهم في زمن القضاة ثم في زمن طالوت (شاوول) ثم في زمن داود وسليمان ثم في زمن مملكتي يهوذا واسرائيل اللتين قامتا نتيجة للنزاع الناشب بين اليهود بعد موت سليمان . وقد ظل الفلسطينيون حيث هم بعد تقويض ملك اليهود ونفي كثير منهم الى اشور وبابـل في القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد (انظر تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم ص ٧٨ - ١٠٥ و١٤٢) .

وقد ذكروا في نقوش رعمسيس الثالث مرة لحدثهم ووصف كيف اهلكهم وسحقهم وانهم جاؤوا مـن البر والبحر كما ذكروا مرة كحلفاء للاقوام الآخرين الذين زحفوا من البر والبحر . وقد قال سليم حسن في تعليقه على ما ذكره من حروب رعمسيس مع الزاحفين من اقوام البحر والبلاد الاجنبية التي كانت في السنة الثامنة من حكمه ان معظمهم تركوا البلاد فارين ولم يتخلف عنهم الا الفلسطينيون الذين استوطنوا الاقليم

وبقطع النظر عن التهويل في الوصف والارقام والتبجح والتفاخر الذي اكتظت بـه نقوش المدونة وبرغم ما فيها من ثغرات كثيرة في تسلسل الاحداث والحروب وتاريخها فمن الممكن أن يقال ان عمليات رعمسيس الثالث الحربية كانت دفاعية اما رد غارات على مصر من شمالها وغربها او قمع ثورات في الداخل وانه استطاع أن يحفظ سلطان مصر موطداً في الانحاء التي كان يمتد اليها في فلسطين وشرق الاردن وسورية الوسطى وفينيقية في الشمال وفي صحراء لوبية في الغرب وأن يصد غارات الممالك الاجنبية الاوروبية البحرية والبرية ، وان يجعل هيبة مصر قوية نافذة .

وتفيد النقوش والمدونة وشروحها ان رعمسيس قام بحملتين نحو ليبيـة حيث يبدو ان هذه البلاد خضعت نتيجة للمرة الأولى ثم عادت فتحركت فزحف عليها وضربها ضربة شديدة اخرى .

كذلك تفيد النقوش أن رعمسيس زحف على بلاد النوبة ايضاً وقام بعمليات تنكيلية فيها حيث يبدو ان هذه البلاد تمردت في ظروف ما كان الملك مشغولا بالجبهة الشماليـة والغربية . وقد تمكن من اخضاع هذه البلاد لسلطان مصر كما كانت قبل .

وفي جدران معبد رعمسيس في هابو مشاهد عديدة من العمليات الحربيـة في مختلف الجبهات ، منها ما يمثله متهيئاً للزحف في عربته وحولـه جنود مصريون واجانب مشاة وفرسان والآلهة تحيط به وتؤيده ومنها ما تمثله مهاجماً أو منتصراً والاسرى مكبلين امامه والغنائم والجزية مكدسة تحت اقدامه والاعداء في حالة ذعر وفرار . وفي المدونة قوائم باسرى اللوبيين من رجال ونساء او بالمواشي والدواب والسلاح والعربات التي غنمها منهم

الساحلي الذين يمتد بين غزة وجبل الكرمل والذين سمي الاقليم باسمهم الى يومنا هذا . ونتبه على ان المستفاد من اسفار العهد القديم التي ذكرت مصاولات الفلسطينيين مع بني اسرائيل ان حدود الفلسطينيين الاصلية لم تتجاوز شمال حدود وعسقلان من الساحل وبالتالي لم تمتد الى الكرمل وان كانوا في صيالهم مع بني اسرائيل كانوا يصلون الى الشمال احياناً ويفرضون سلطانهم عليه ولكنهم كانوا يرتدون ثانية الى حدودهم الاصلية . ولقد ذكرهم رعمسيس في نقوشه مرة لحدتهم كما قلنا . ولا ندري هل كان ذلك في سياق وصفه صولاته عليهم وعلى حلفائهم ام انهم كانوا في جملة الاقوام البحرية التي اغارت على مصر في عهد رمسيس الثاني وردهم عنها فتخلفوا في جنوب فلسطين وتمكنوا من البقاء فيه . فلما جاء الزحف الجديد اندمجوا فيه فضربهم رمسيس الثالث نسأل هذا السؤال لان هناك حدثاً تاريخياً مأثوراً عنهم وهو زحفهم على صيدا وتدميرها في تاريخ من المحتمل ان يكون سابقاً لعهد رمسيس الثالث مما سوف نشرحه في الجزء الرابع من هذا الكتاب .

وبالايدي والمذاكر المقطوعة منهم التي بلغت عشرات الالوف مع تسجيلات كثيرة بلسان الملك بما فعله في الاعداء من ضرب وسحق وأسر وعما كانت حالتهم عليه من ذعر وخوف وذل وفرار الخ .

ومما ذكرته المدونة خبر حملة إلى بلاد بنت سيرها هذا الملك وكانت مؤلفة من سفن وزوارق عديدة ومحملة بمنتجات مصر وعادت محملة بمحاصيل تلك البلاد من كل شيء عجيب مع كثير من المر . ومع الحملة اولاد الرؤساء ومعهم جزية بلادهم وقد قدموها الى الملك . كذلك مما ذكرته المدونة خبر تسيير الملك سفناً الى بلاد زاهي (والاسم يطلق على سواحل بلاد الشام) كانت تأتي بمحاصيل هذه البلاد ، وخبر اوساله بعثات الى اقليم عناقة في الجنوب وشبه جزيرة سيناء في الشمال لاستغلال مناجم النحاس والفيروز فيهما .

ومدونة هاريس لا تقتصر على ذكر الاعمال الحربية . بل تذكر باسهاب اعمال رعمسيس الاخرى التنظيمية والعمرانية ايضاً ومما ورد فيها قول الملك انه نظم مصر طوائف تحتوي سقاة القصر والامراء العظام ومشاة عديدين وفرساناً يعدون بمئات الالوف وجنود شردانا وجنود قهق الذين لا يحصون وتابعين يعدون بعشرات الالوف وعبيد سخرة لمصر. وليس في عبارة المدونة ما يساعد على القول ان جنود شردانا وقهق هؤلاء كانوا من اسرى معاركه مع الأقوام البحريين والأجانب ام من جماعات كانوا في مصر قبل ذلك من انسال الشردانيين الذين اغاروا على مصر في عهد رمسيس الثاني واسرهم واتخذهم جنوداً . وقد اعتاد ملوك مصر ان يتخذوا من الأقوام الآخرين مرتزقين. وفي لوحات رمسيس الثالث التي أشرنا اليها قبل ما يدل على انه كان معه جنود اجانب الى جنود مصريين في العمليات الحربية التي باشرها .

وفي المدونة نصوص كثيرة عن لسان الملك ذكر فيها المعابد والمنشآت الدينية العديدة التي اقامها للآلهة في طيبة وعين شمس ومنف والأشمونيين واسيوط وكوم امبو والعرابة واتريب وبررعمسيس العاصمة وما كان من تمويهه لتماثيل الآلهة بالذهب واقامته الأحراش والحدائق الغناء حول معابدها وحفره البحيرات وترتيبه المرتبات اللازمة لها من شعير وقمح ونبيذ وبخور وفاكهة وغنم وطيور وتشييده الهياكل المعروفة باسم ظلال رع ، وقد خاطب فيها آمون بقوله (١) « لقد صنعت لك مائدة للقرابين من الفضة المطرقة المموهة بالذهب الجميل والمرسوم عليها مناظر ملبسة بالذهب حاملة تماثيل الملك المصنوعة من الذهب المطرق.

---

(١) انظر تاريخ مصر من اقدم العصور لبريستيد ايضاً ص ٣٣٠ – ٣٣٢

لقد عملت لك حمالة كبيرة لأواني حوش معبدك مموهة بالذهب الجميل ومرصعة بالأحجار الكريمة . وأوعيتها من الذهب وهي تحوي النبيذ والجعة اللذين يقدمان لك كل صباح . لقد صنعت لك موائد كبيرة من الذهب المطرق منقوشة باسم جلالتك الأعظم مع دعائي لك لقد صنعت لك موائد اخرى من الفضة المطرقة محفور عليها اسم جلالتك وكل أوقاف معبدك ؛ لقد شيدت سفينتك المسماة اسرحت طولها مئة وثلاثون ذراعاً مصرياً (١) من خشب الارز المستحضر من الاملاك الملكية . وكانت مموهة بالذهب إلى سطح الماء كسفينة الشمس وقت ظهورها من المشرق . وصنعت لك في وسطها ناووساً عظيما من الذهب الجيد مرصعاً بالأحجار النفيسة . ونصبت على السفينة رؤوس خرفان ذهبية من المقدمة إلى المؤخرة تعلوها التيجان والاصلال » . ومثل قوله عن خزائن معبد مدينة هابو « لقد ملأت خزائنه بخيرات مصر من ذهب وفضة وأحجار كريمة بما يعد بمئات الالوف . أما الشؤون فكانت طافحة بالشعير والقمح . وأما أراضيه واغنامه فكانت عديدة كرمال الشاطىء . لقد فرضت الجزية لهذا المعبد على أراضي الجنوب والشمال وسورية والنوبة بما يقدر بعشرات الألوف . لقد ضاعفت القرابين امامك من خبز ونبيذ وجعة وشحم واوز وثيران وعجول وغزلان مما يقدم لك منه ذبائح على مذبحك .

ولقد احتوت المدونة قوائم طويلة بمفردات كل ما قدمه للمعابد وخصصه لها ومقاديره باسهاب عجيب مذهل يدل على ما كانت عليه مصر من رخاء وثروة ورفاه ويد طائلة . والقوائم طويلة جداً استغرقت أكثر من سبعين صفحة من كتاب سليم حسن . وقد رأينا أن نورد مجموعات الارقام والانواع البارزة على سبيل التمثيل والتدليل .

ولقد ورد فيها ان عدد الناس المخصصين للمعابد ١١٣٤٣٣ وعدد الماشية ٤٩٠٣٨٦ ومساحة الاراضي ١٠٧١٥٨٠ استاداً (٢) وعدد الخمائل ٥١٤ وعدد السفن ٨٨ وعدد الضياع الموقوفة ١٦٩ وقيمة الذهب التي تحتويها التماثيل والمجاميع التي يبلغ عددها (٢٧٥٦) هي ٧٢٠٥ دبنات (٣) ذهب و ١١٠٤٧ دبنة فضة و٤٧ دبنة لازورد حقيقي و ١٠٠١ دبنة

---

(١) نحو ٢٢٤ قدماً كما يقول بريستيد

(٢) الستاد يقرب من فدان انكليزي على ما فسره سليم حسن . وقد قال بريستيد ان الاراضي المحبوسة على المعابد كانت حوالي سبع اراضي مصر المزروعة اي نحو ثلاثة ارباع مليون فدان وان حصة امون منها كانت نحو ٥٨٣ الف فدان (انظر تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٣٢١ وبعدها)

(٣) قال سليم حسن ان الدبن يساوي ٩١ غراماً

نحاس أسود و ٩٧١٤٨ دبنة اوان وقطع نحاسية و ٤٨٩٦ دبنة قصدير و ٩٥ دبنــة صفيح و ١٨١٦٨ دبنة من الاحجار الغالية المنوعة و ٣٢٨ من خشب الارز المتنوعة و ٤٤١٥ من البرسن و ٢٢٨٩ دبنة أوان وحلي وقطع ذهبية من الدرجة الثانية و ١٤٠٥٠ دبنة أوان وقطع قضية من الدرجة الثانية و ٢٧٥٨٠ دبنة نحاس و ٥٥٣٥٢ دبنة كتان ملكي وملابس متنوعة و ٤٦٠٩٠١ حقيبة حب نقي من ضريبة الفلاحين و ٧١٠٠٠ بالة من الكتان و ٤٢٦٩٩٥ من طيور الماء و ٣٦٦٨٣٢ دبنة بخور وشهد ولايت و ٢٨٨٣٨٠ جرة شراب و ١٠٧٥٦٢٥ تعاويذ مقدسة وجعارين واختام من مقاييس مختلفة و ٢٣٨٢٦٥٠ مكيال من فواكه الروم والعنب والتين والرمان و ٢٠٦٠٢ ثيران وعجول مخصبة و ٣٦٣١٩٩ مـــن الاوز السمين والطيور المائية الاخرى و ٣٥٥٠٨٤ من قوالب الملح و ٦٢٧٢٤٢١ من ارغفة الخبز المتنوعة و ٢٨٥٣٨٥ من الفطائر و ٤٦٨٣٠٣ من الجعة و ١٠١٣٠٠٣٢ من براعم الازهار والاعشاب العطرية و ١٩٣٣٧٦٦ من مكاييل البخور والشهد والقرفة و ٤٨٢٣٦ لتماثيل الاله نوسا من ذهب وفضة وحجارة غالية و ١٩٣٣٧٠ لتماثيل إله النيل من لازورد حقيقي وفيروز حقيقي وكل حجر غال ونحاس وقصدير و ٣١٥٦٠ من حجر الوبا لهذه التماثيل ايضاً ٣٢٥٠٠ دبن من مادة معدنية اسمها شسا . وقد تركنا ارقاماً وأنواعاً عديدة ثانوية

ونسبة الملك كل هذا اليه عجيب . ولا ندري إذا كان هذا صحيحاً ام من قبيل التباهي ويد يصدق كلامه بالنسبة للمخصصات العينية المتكررة من مواد المونة والبخور والشمع والماشية .. الخ ولكن الغرابة في ما ذكره من أوقاف عظيمة ومعادن نفيسة وأحجار ثمينة وهو شيء عظيم . والمعروف ان جميع الملوك دأبوا على العنايـــة بالمعابد ومدها بالمعـــادن والحجارة الثمينة ووقف الاوقاف عليها ومنهم ما اثر عنه مقادير عظيمة مـــن ذلك كله . فاذا صح نسبة ما ذكر في القوائم إلى هذا الملك فمعناه ان ما هو موقوف عليها من اراض وما صار فيها مـــن معادن وحجارة ثمينة سابقة قد ازداد بذلك زيـــادة عظيمة . وان مساحة الارضين الموقوفة مثلا صارت أكثر من سُبع ارض مصر المزروعة كما يقول بريستيد بكثير . وهو ما نتردد في تصديقه ويجعلنا نميل إلى القول ان الارقام التي من هذا الباب تمثل جميع ما صار للمعابد وفيها من أوقاف ومعادن وحجارة ثمينة سابقاً ولاحقاً .

ومهما يكن من امر فلا غرابة في ما ذكره المؤرخون من ازدياد نفوذ الكهان وخاصة كهان آمون ؛ فان ذلك من دون ريب نتيجة لما كانوا يتصرفون فيه مـــن أموال وموارد كبيرة . حتى طمحوا في النهاية إلى الاستئثار بالحكم وحققوا مطمحهم على ما سوف نذكره

بعد . ولقد قال أحمد كمال في سياق شيرة رمسيس العاشر (١) من ملوك هـــذه الاسرة ان كهنة آمون اخذوا يبرزون ويحوزون على الكلمة النافذة من عهد رعمسيس الثالث ويتدرجون في ذلك إلى ان انتهى الملك اليهم في آخر عهد هذة الأسرة . ولقد قـــال بريستيد (٢) ان رعمسيس الثالث مع ما كان عليه من قوة وكفاءة حربية ونشاط عمراني فانه كان ضعيفاً في معالجة المشاكل الحربية وخاصة كان ضعيفاً امام الكهنة ـ ولعل ما اغدقه على المعابد كان نتيجة لذلك ـ فأدى ذلك إلى ازدياد نفوذهم حتى تهدد كيان الحكومة سياسياً ومالياً ولقد شعر رعمسيس الثالث نفسه بالحرج من ذلك فعمد إلى تكوين حرسه وحجابـــه وموظفيه الخصوصيين من الاجانب وخاصة من السوريين ـ وهؤلاء من الجنس العربي لأنهم كنعانيون وآراميون وعموريون وفينيقيون ـ الذين كانوا الاكثر عدداً حتى صار لهم نفوذ قوي استمر مزداداً في عهود خلفائه . .

هذا ونعود الى سياق سيرة رعمسيس الثالث من سليم حسن فنقول انه ورد فيما ورد في مدونة هاربس عن لسان الملك انه غرس كل البلاد بالاشجار والخضرة وجعل النـــاس يثوون تحت ظلها وجعل المرأة في مصر تمشي بخطى واسعة إلى المكان الذي ترغب فيـــه بدون خوف من معاكسة احد لها وجعل المشاة والخيالة يقيمون في وطنهم والشردانا والهقق يسكنون في مدنهم لا يخامرهم خوف لأنه لم يبق هناك عدو من كوش ومناهض من آسيا وقد وضعت اسلحتهم في مخازنها يعيشون في رضاء وابتهاج مع أولادهم وزرجاتهم؛ وحفظ اهل البلاد احياء سواء أكانوا من الاجانب ام من عامة الشعب ام من المدنيين ذكوراً أم اناثاً وخلص كل رجل من مصيبته ومن كل غاشم اقوى منه ومد الارض القاحـــلة وعمل الخير للآلهة والناس جميعاً حيث يفيد هـــذا ان مصر تمتعت في عهد هذا الملك بعـــد فترة الحروب التي انتهت في السنة الثانية عشرة من حكمه بعدل ورخاء وامن داخلي وخارجي .

وفي جدران معبد هابو قصيدة لشاعر اسمه بركات فتاح فيها تمجيد لرعمسيس وخطاب موجه اليه من الاله فتاح يعدد فيه ما اغدقه عليه من نعم فجعل محياه مقدساً مثله وجعـــله فطناً مدركا ممتاز النطق عارفا بكل شيء وجعل عامة الشعب يعيشون بحسن تدبيره ومنحه فيضانات تغدق على الارض الثراء والطعام والرزق حتى بلغت المخازن عنان السماء ارتفاعا وكوامها كالجبال وجعل الجبال تخرج له كل ما فيها من كل حجر ثمين ومعدن جميل وجعل كل قلب

---

(١) العقد الثمين ١٤٢ – ١٤٥

(٢) تاريخ مصر من اقدم العصور ترجمة حسن كمال ص ٣٢١ وما بعدها

مشغولا بعمل مفيد في كل حرفة قيمة ، وجعل كل أرض تقدم له عملها والعظيم والصغير يؤدون اليه منافعهم . وأقام له مقراً عظيما شريفاً لتقوية حدود مصر ومكن له في الأرض وقواه في قلوب جميع الأقداس وأثار رعيه في جميع الأرضين وجعل الآسيويين تحت قدميه ورؤساء كل الممالك يقدمون له أطفالهم ويأتي إليه جميع من في الارض راجين الصلح وملأ بحبه ورهبته جميع القلوب الخ .. مما فيه تأييد لما قلناه .

وقد قال بعض الباحثين انه اذا اضيف إلى عدد الناس المتفرغين للمعابد أزواجهم وأولادهم بلغوا نصف مليون وهو سدس سكان مصر وقدر سكان مصر نتيجة لذلك بثلاثة ملايين في ذلك العهد . وخالفه سليم حسن على اعتبار ان عدد الناس المذكورين في القوائم مثل الخدم والحرس فقط دون الكهان والموظفين وقدر مجموع العاملين في المعابد من مختلف الانواع بمليون ونصف مع أولادهم وأزواجهم وقدر مجموع سكان مصر في عهد هذا الملك نتيجة لذلك بما يتراوح بين ثمانية وتسعة ملايين !

ولقد أطنب سليم حسن في وصف معبد رعمسيس الذي ما يزال قائماً في طيبه اطناباً يدل على ما هو عليه من فخامة وضخامة وما فيه من قاعات وحجرات وما زين به من زخارف ونقوش ومشاهد وقصص وحروب واعياد وتماثيل وعمد الخ ...

وقد كشفت مقبرة هذا الملك في وادي الملوك في طيبه وهي مقبرة ضخمة فخمة فيها عشرات الحجر وعلى جدرانها الصور والرسوم والنقوش المختلفة للالهة والحياة الاخروية . وآخر ما فعله اقامته حفلة عيد السد التقليدية لبلوغ حكمه الثلاثين عاماً .

وتدل الوثائق التي أورد سليم حسن نصوصاً طويلة لها على ان هذا الملك تعرض لمؤامرة قتل في شيخوخته دبرت له في القصر حيث حرضت زوجته غير الرسمية واسمها تي ابنها بنتاور على قتل أبيه ليخلو له الجو في التربع على العرش دون اخوته وكانت الام متحالفة في ذلك مع بعض رجال البلاط . وقد انكشفت المؤامرة التي كانت في ظرف كان الملك فيه مريضاً ، وبعض المؤرخين يذهبون إلى ان المؤامرة نفذت وأصيب الملك منها بجراح غير مميتة . وقد قبض على المتآمرين من رجال البلاط وحوكموا واعترفوا ومنهم من عاقب نفسه فانتحر ومنهم من حكم عليه بجدع الانف وقطع الاذن . وقد استنبط المؤرخون ذلك من ورقة تعرف بورقة تورين. ومنهم من خمن ان هذه الورقة وما احتوته من تحقيقات ومحاكمات وعقوبات قد جرت ودونت في عهد رعمسيس الرابع الذي خلف اباه رعمسيس الثالث الذي

لم يعمّر بعد المؤامرة إلا قليلا (١).

ولقد عثر على كثير من الآثار التي تحمل اسم هذا الملك في انحاء مختلفة في داخل القطر وفي جبل السلسلة وسمنه في بلاد النوبة من لوحات وقطع آنية حجرية ومرمرية وطغراآت وجعارين . ومن جملة ما عثر عليه من آثاره مجموعة مؤلفة من تمثالين له ولزوجته او لالهه ، وقد وجد الجزء العلوي مهشما وقرىء اسم الملك على قاعدة تمثاله . ووجدت على جوانب هذا التمثال نقوش هامة تحوي تعليمات ومواعظ وتعاويذ دينية بلسان الآلهة . هذا بالاضافة إلى آثار عديدة من معابده ثم الى معبده العظيم في طيبه الذي بقي سليما والذي أطنب في وصفه سليم حسن اطنابا كبيراً على ما مر ذكره .

ولقد ذكر سليم حسن عدداً من رجاله البارزين .منهم (اتا) الذي كان يلقب بالعمدة والوزير وحامل المروحة على يمين الفرعون ومدير الاعمال في أفق الابدية . وحوري الذي كان يلقب بالامير الوراثي والسمير الوحيد وعمدة المدينة والوزير . وآني المشرف على كتيبة الخيل . وسرحات رئيس كيالي الغلال . واحورى من القواد . وباحن نتر حارس الخيل . وباكنسخو كاهن آمون الاول وسرحات كاهن بست الاول .

(٣) وخلاصة ما ذكره سليم حسن من سيرة رعمسيس الرابع (٢) انـــه تولى العرش بولايةمن ابيه بعد حبوط المؤامرة مع قول المؤلف ان توليه العرش يكتنفه الغموض ، وان من اهم آثاره لوحتين عثر عليهما في العرابة يدل اسلوب ما عليهما من نقوش على انه كان ذا نزعة ادبية بارزة ميزته عن غيره من فراعنة العصر . وقد أورد المؤلف ترجمة لها . وفي احدى اللوحتين شكر للالهة التي جعلته ملكاً للوجهين القبلي والبحري وسيد الارض وسيد التيجان وتوكيد لصدقه وكونه ملكاً شرعيا غير غاصب . وتنويه بما كان من عدله وبره ورأفته ، وانه لم يقتل ضعيفا ولم ينزع من بائس ملكه ولم يحلف كاذبا ، وانه قـــام بكل واجباته نحو الآلهة ونحو والديه ، ولم يحول النيل عن مجراه وترك كل انسان يأخذ نصيبه منه

---

(١) ذكر احمد كمال في العقد الثمين «ص١٢٥ - ١٢٧» خبر المؤامرة عزواً الى هيرودوت الذي ذكر انها كانت مرتبة من اخ له اسمه ارمايس اقامه اخوه نائبا عنه في غزوة غزاها فلما عاد اقام له وليمة في مقره ودعا اليها زوجاته واولاده ثم اشعل النار بالقصر غير ان رمسيس واسرته تمكنوا مـــن النجاة ثم اعتقل المتامرين وحاكمهم وعاقبهم . ثم قال احمد كمال ان خبر المؤامرة مذكور في ورقة من البردي موجودة في متحف تورينو واحتوت محاضر التحقيق والمحاكمة . وسليم حسن يعزو اليها ويستنتج منها ان المؤامرة مرتبة من قبل زوجة رمسيس غير الرسمية . وقد ذكر بريستيد خبرها متطابقاً مع سليم حسن «ص٣٢١ وما بعدها» ومما يلفت النظر مع ذلك ان اسم زوجة رعمسيس وابنها لم يرد بين المتهمين والمعاقبين !

(٢) ج ٨ ص ٣-١٢١

ولم يقل ما يغضب إلهاً ويسيء إلى إله . وفي ثانيتهما دعاء وصلوات للاله لمنحه الصحة والحكم والعمر الطويل ولتمكين نساله في الأرض ، والاصغاء إلى صوته وهبته له نيلاعالياً فياضاً حتى يتمكن من تقديم القرابين لكل الآلهة وحفظ الثيران المقدسة أحياء وحفظ كل أهل البلاد ومواشيهم وخمائلهم التي صنعتها لهم لأن الاله خلقم كلهم ولا يمكن أن يهجرهم الخ ...

وقد وجدت نقوش على صخور وادي الحمامات تفيد ان هذا الملك أرسل بعثة إلى هذا الوادي للبحث عن أحسن المقالع للحجارة الضخمة الصالحة لانشاء ما أراد إنشاءه من منشآت دينية . وكانت البعثة برآسة رعمسيس نخت كبير كهان الاله آمون ومعه جميع مايلزمه من جنود وصناع ومهندسين وأدوات . وقد أسهبت النقوش في وصف البعثة ورجالها وأدواتها وكيف نحرت الثيران وأهرقت النبيذ على الارض ورتلت الاناشيد الدينية تمجيداً للالهة حينما وفقوا إلى مقلع صالح في جبل نخن . وقد ورد في هذه النقوش مما يتصل بسيرة هذا الملك وعهده انه يحمي مصر ويعيش من العدالة وانه صاحب اعياد ثلاثينية وجاعل الاقواس التسعة تنحني له (الاقواس التسعة تعبر عن بلاد أو قبائل حدود مصر الشمالية » العظيم بانتصاراته الذي جعل البلاد تحيا والشجاع الذي يخرب الاراضي الاجنبية ويقضي على الآسيويين في وديانهم وخالق العدالة ومهلك الظلم ومقصي الكذب عن البلاد وجاعلها في هدوء ، وانه فتح طريقاً لأرض الاله (بلاد بنت) لم يعرفها أحد ممن عاش قبله ولم يتخيل احد ان يسلكها .

والعبارة تفيد ان هذا الملك عاش طويلا وحارب الآسيويين وأخضعهم . غير ان سليم حسن لم يذكر بياناً عن ذلك أو تعليقاً كعادته . وقد رأينا أحمد كمال يذكر ان اهل آسيا تمردوا على سلطان مصر في السنة الثانية من حكم هذا الملك فقمع تمردهم وانه نقش ذلك على حجر مدح فيه المعبود اوزير الذي يسر له النصر عليهم . وقد قال هذا المؤلف ان الطريق التي فتحها هي إلى بلاد العرب (١) .

---

(١) العقد الثمين ١٢٧-١٠٠ والمتبادر ان المقصود بأهل اسيا هم اهل فلسطين وبلاد الشام الجنوبية لانهم هم الذين كانوا خاضعين لسلطان مصر من اسيا . ومعظمهم من القبائل الكنعانية والامورية والارامية العربية الجنس . والمتبادر ان الطريق التي فتحها الى بلاد العرب هي طريق بين المراكز المأهولة حول النيل الى البحر الاحمر بطريق الصحراء الشرقية . وكانت القوافل تسير من قفط الى القصير فالظاهر انه فتح طريقاً اقصر او أيسر .

ومن العجيب ان تذكر النقوش ما يفيد ان هذا الملك قد عمر وحكم طويلا مع ان بريستيد يذكر ان حكمه لم يدم إلا ست ستين ولم نر أحمد كمال ولا سليم حسن يذكران مدة حكمه . اما الحجارة التي أرسل بعثته لجلبها بهذا الاهتمام العظيم فقد كانت لاتمام معبد الاله خونسو (١) الذي بدأه أبوه ولم يتمه وقد أتمه ونقش على جدرانه مشاهد دينية يمثله أحدها وهو لابس التاج ويده ممتدة إلى الآلهة كأنما يقدم لها القرابين . وقد نقش على اعمدة قاعة العمد الكبرى في الكارناك بعض مشاهد دينية ودنيوية . وعثر لهذا الملك على آثار متنوعة اخرى في هابو ـ طيبه ـ وفي العرابه والجيزة وقفط وعين شمس ومنف. ولهذا الملك من نقوش ورسوم وقطع اوان رموائد قربان وتماثيل ولوحات تحمل اسمه في انحاء عديدة في داخل القطر . وقد عثر كذلك على أوراق عديدة من البردي من عصر هذا الملك فيها صور متنوعة عن الحياة المصرية . وقد أورد نصوصها المؤلف وأسهب في شرحها . وعثر كذلك في جملة ما عثر عليه من آثاره على مقبرته ومومياته .

ومن رجال هـذا الملك البارزين الذين ذكرهم سليم حسن رعمسيس نخت الكاهن الاعظم لآمون . وقد ترك آثاراً تدل على ما كان عليه مـن مكانة وحظوة ونفوذ واسع أسهب المؤلف في وصفها . وقال في مناسبة ذلك ان نفوذ الكهان قد ازداد في عهد هـذا الملك كثيراً عن ذي قبل لأنه لم يكن في حزم أبيه وقوته . ومنهم نفر رنب الوزير .وحوى الامير الوراثي وكاتب الملك ورسامه . وقد عثر لهذا الموظف على مقبرة فخمة نقش عليها مشاهد دينية ودنيوية متنوعة. ومنهم الحورخمعوى كبير عمال بيت الصدق (الجبانة الملكية) والحاكم وصانع تماثيل الاله . وقد عثر له كذلك على مقبرة فخمة عليها نقوش ومشاهد متنوعة . وقد اسهب المؤلف في وصف المقبرتين ونقوشهما كما فعل بالنسبة لآثار الكاهن الاكبر . وممن ذكرهم المؤلف تر رئيس الكهنة والكاهن الاكبر للاله منتو . وقد كشف عن قبره الذي وجد فيه نقوش تتصل بسيرته .

(٤) وخلاصة ما ذكره سليم حسن من سيرة رعمسيس (٢) الخامس انه ابن الرابع على ما تفيده نقوش في صخور السلسلة الغربية وانه لم يعمر طويلا ، وان كل ما جاء في هـذه النقوش عقود مدح لنفسه . ولم يزد على هذا في صدد ذلك . وقد رأينا احمد كمال يذكر في العقد الثمين (٣) انه ليس من ذرية رمسيس الثالث وانـه اغتصب الحكم اغتناماً لفرصة

---

(١) اله الطب والشفاء

(٢) ج ٨ ص ١٢١-٢٧٣

(٣) العقد الثمين ص ٢٤٠

اضطراب داخلي وقع في آخر مدة رمسيس الرابع وانه نقش اسمه على الآثار قاصداً بذلك الانتساب الى الاسرة . وانــه لم توجد له آثار تدل على سيرته سوى نقوش مكتوبة على صخرة في جبل السلسلة جاء فيها « ان الملك رمسيس الخامس اضاء الدنيا بأسرها كأنه جبل من ذهب او شمس اشرقت فانشرح العالم بولايته وزاد فرح المعبودات بما أبــدوا لهم من المحبة والاصلاح والخدمة ، وانه وسع نطاق المملكة والايراد وفاض النيل في عهــده بالخيرات وزخرف بيوت العبـادة بالآثار واللطائف وكان في جسمه قوة كمعبود الحرب موتب وزاد في مرتب القربــان للمعبودات واصلح امر الامة كالعهد القديم فمدحـه الصغير والكبير واشهروا اسمه الذي كان لهم كهلال منير فكان اذا اضطجع لينام فكر في صلاح الرعايا واذا استيقظ احسن حال البرايا كما يفعل الأب مع بنيه » .

ولا يذكر احمد كمال السند الذي يستند اليه في انكار نسبة هذا الملك الى رمسيس الثالث أو أسرته . ونقوشه تفيد انه كان نشيطاً وكان عهده عهد قوة وأصلاح . ولا ندري إذا كان ذلك من قبيل التمدح لتغطية اختلاسه للحكم اذا صح قول أحمد كمال . .

ومما ذكره سليم حسن في سياق سيرة هذا الملك انه عثر على بعض اوراق من البردي من عصره فيها اخبار وشكايات وتظلمات وتحقيقات تدل على ان اداة الحكم في هذا العهد قد تفككت وان الرشوة والفساد والاعتداء على حقوق الغير وأعراض النساء قد استشرى وان الأمر وصل إلى سرقة المعابد واختلاس مواردها وان التهم تناولت كبــار الموظفين الكهان . وهناك أوراق أخرى من هــذا العهد احتوت أشياء تتصل بتقسيمات الارضين وضرائبها والمقاييس والمكاييل المستعملة في ذلك الوقت وتوزيع الملكيات وعمليات مساحة الاراضي وموظفيها وأوصاف المعابد القائمة في البلاد الصغيرة والكبيرة وأملاكها وصنوف اغلال المزارعين والصناع والحقول والارضين. ومن جملة الاوراق ورقة فيها وصية لامرأة اسمها نونخت أعلنتها امام اعضاء محكمة فيها اسماء من منحتهم ومن منعتهم وقوائم بما منحته وقد حرمت بعض اولادها لعقوقهم ، ومما يستفاد منها ان الموصين لم يكن لهم حق التصرف إلا في ثلثي أموالهم . وقد أورد المؤلف النصوص وعلق عليها فاستغرق ذلك أكثر من مئة وخمسين صفحة من كتابه .

(٥) وخلاصة ما ذكره سليم حسن من سيرة رعمسيس السادس (١) ان هذا الملك هو ابن رعمسيس الخامس على ما يمكن أن يستدل عليه من بعض الآثار وانه لم يعثر إلى الآن على

---

(١) ج ٦ ص ٢٧٤ — ٣٠٥

أي تاريخ في عهده باسمه ، ومع ذلك فان الآثار التي تركها تدل على انه ليس من الملوك الخاملين ،وقدعثرعلى مقبرة لنائب الملك في الواوات المسمى بننوت في بلده عنيبة عليها نقوش تفيد ان هذا الملك أرسل إليه طبقين من الفضة هدية أو مكافأة على إقامته تمثالا له ؛ وان من جملة المشاهد على المقبرة مشهد يمثل الملك وهو جالس على العرش وامامه حاكم كوش يأمره الملك باعطاء اناء عطور لوكيله نائب الواوات ثم يتلو ذلك خطاب من حاكم كوش لهـذا النائب فيه ثناء عليه ودعاء بأن تحبه الآلهة لأنه صنع تمثالا للملك وأفرح قلبه بما فعله في اقليم السود وفي بلاد كاتي وجعل أسراهم يحضرون أمام الفرعون ، حيث يدل هذا على ان بلاد النوبة تمردت فأخضعت وعاد سلطان مصر عليها وطيداً . وفي النقوش بعض ضرائب أو موارد خصصها نائب الواوات لقرابين التمثال تدل على ما كان لهذا النائب مـن أملاك وأرضين واسعة شاسعة في الاقليم الجنوبي أسهب المؤلف في وصفها وتعدادها استنباطاً من النقوش . وقـد كان هذا النائب يحمل ألقاب رئيس المناجم والمدير العظيم لبيت مالـية الملك بالاضافة إلى منصبه .

وقد عثر على بعض آثار رعمسيس السادس تحمل اسمه في انحاء عديدة من مصر وفي بلاد النوبة من تماثيل وقطع ولوحات منها لوحة فيها اسم الملك واسم ابنته وهو ايزيس واسم زوجته وهو نب خزدب (وانب بمعنى ذهب والخزدب بمعنى لازورد) ومشهد تقدم فيه ايزيس قرباناً لأوزير . وقد عثر على قبر هذا الملك ومومياثه .

ومن الرجال البارزين الذين ذكرهم سليم حسن في عهد هذا الملك رعمسيس نخت كاهن آمون الأكبر . ومرى باستت كبير رؤساء الضرائب والمشرف على كهنة آلهـة الاشمونين وكاتم أسرار الفرعون والمدير العظيم للمعبد الملكي في هابو . ونسيتامون رئيس كهنة آمون الذي تولى بعد موت أبيه رعمسيس نخت .

هذا ؛ ولقد ذكر احمد كمال في سيرة هذا الملك انه اخو رعمسيس الرابع وانه لما تولى محا اسم رعمسيس الخامس المغتصب ووضع اسمه مكانه بعـد اخيه فوصل بذلك سلسلة الأسرة ولا يذكر المصدر الذي ينقل عنه . وقد قال فيماقاله ان جدران مقبرته التي عثر عليها في وادي الملوك بطيبه مزينة بالرسوم الغريبة والاشكال العجيبة حتى يرى فيها مشاهد فلكية ودينيه وجداول مقسمة إلى ساعات ومرسوم فيها مطالع الكواكب وبروج الشمس التي تحل فيها وكيفية ظهور الشعرى اليمانية التي كان يستدل بها على موسم فيضان النيل ، وانه عرف من نقوش المقبرة ان هذا الملك تغلب على اقليم آهي وعلى بلاد الذهب آكيتا وكانت كلمته

نافذة في بلاد الزنج .

(٦) لا يذكر المؤلف نسبة رعمسيس السابع لمن سبقه . والمؤلفون الآخرون لايذكرون أيضاً . ومما قاله في صدد سيرته (١) ان منشآت هذا الملك قليلة ومعظمها منتحل أو مقام بحجارة مبان مجاورة مما يدل على فقر الملوك في هـــذه الفترة وقلة مواردهم . وان اهم اثر كشف عنه في عهده مقصورة للعجل منفيس في منطقة هليوبولس عليها لوحات تمثل مشاهد دينية متنوعة ذكر فيها اسم الملك وألقابه ومثلته في مواقف تعبدية . ومما عثر عليه من آثار تحمل اسم هذا الملك بعض لوحات أخرى وقطع آنية حجرية ومرمرية وجعرانان كبيران من حجر الشيست وبعض اشكال آلهة صغيرة.وورقة من البردي موجودة في متحف تورين فيها انشودة له واخرى في نانت عليها اسمه . ولم يذكر المؤلف أي عمل.ولم يذكر بريستيد واحمد كمال أي عمل له أيضاً .

(٧) يقول سليم حسن في صدد رعمسيس الثامن(٢) انه لا يوجد في الآثار المصرية اثر يدل على هذا الملك إلا طغراؤه التي تشاهد في نقوش مدينة هابو وثلاثة جعارين تحمل اسمه ؛ وانه ليس هناك أي دليل على انه كان خلف السابع مباشرة ، وليس هناك ما يؤكد مكانه في تاريخ وسلسلة هذه الأسرة . وقد عثر على لوحة في العرابة يشاهد في اعلاها هذاالفرعون وهو يقدم ماعت الاهة العدل امام خمسة آلهة وقد نقش فوق صورته طغراؤه . ودعـــاء للالهة بأن يهبوه اعيـــاداً ثلاثينية كثيرة ، وكاتب النقش حورى الذي وصف نفسه بكاتب الملك وقال انه أتى من بلده في الدلتا وهي ددو (ابوصير) بأمر من الفرعون ليتضرع للالهة باطالة عمر سيده . ولم يذكر المؤلف لهذا الملك عملاً ما وكذلك فعل بريستيد واحمد كمال وقد تفيد كتابة الكاتب ان البلاد والملك في حالة من الضيق والخوف والاضطراب .

(٨) ويقول سليم حسن في صدد رعمسيس التاسع (٣) انه كسابقه ليس له اعمال هامة . ولكن عثر على عدة أوراق من البردي يرجع بعضها إلى عهده تميط اللثام عـــن الهوة التي سقطت فيها البلاد من جراء الفقرالذي كان ضارباً أطنابه فيها والذي حمل الاهاين يعمدون الى نهب قبور الموتى وخاصة قبور الفراعنة . وقد ضعفت ثروة البلاد وضعفت قوة الملوك بالتالي فلم يكن في مقدورهم حماية المقابر والمعابد من العبث والتدنيس والسرقة . وقويت قوة الكهان حتى كان الكاهن الاكبر في نظر الشعب اعظم شأناً واعز سلطاناً من الفرعون.

---

(١) جـ ٨ ص ٣٠٥ – ٣١٥

(٢) جـ ٨ ص ٣١٦–٣١٧

(٣) ص ٣١٨–٥١٨

ولا سيما ان رئاسة الكهان تسلسلت في اسرة واحدة من لون رعمسيس الثالث مما زاد في مكانتهم العريقة .

والاوراق المذكورة تذكر ما تعرضت له مقابر الملوك من عدوان وسرقات وتذكر ما كان من فحص المقابر لأجل معرفة السرقات وتحتوي تقارير بنتائج الفحص كتبتها لجنة عهد اليها بالفحص ومحاضر محاكمات اللصوص الذين امكن معرفتهم واشارة الى ما استرد منهم من المسروقات وقد أورد المؤلف ترجمتها التي استغرقت اكثر من ١٧٠ صفحة من كتابه . وجرائم السرقات التي تدور عليها وقعت في مقابر الملوك في طيبه . ويظهر انها كانت واسعة النطاق وان كثيراً من موظفي الحكومة والكهان والمقابر كانوا مندمجين فيها . وقد عرف من المحاضر والتقارير ان هذه الجرائم لم تبدأ وتقع في عهد هذا الفرعون فقط بل كانت امتداداً لما كان في عهود سابقيه من ملوك الاسرة . وقد قال المؤلف في سياق ذلك ان الكاهن الاكبر امنحتب الذي كان اعظم شخصية في عهد هذا الملك ابدى اهتمامه العظيم على ما يستنبط من الاوراق بالجرائم وتحقيقاتها . وان بعض المؤرخين يظنون انه كان زوج ايزيس بنت الفرعون وهو ابن رعمسيس نخت الكاهن الاكبر السابق . وكان يحمل بالاضافة الى منصبه القاب سكرتير الملك ومدير البيت ومهندس العمارة والمدير العظيم لكل أشغال الملك . ولقد عقد المؤلف نبذة خاصة لهذا الكاهن استغرقت سبع عشرة صفحة وتضمنت سيرته وأعماله ووصف ما بلغه من قوة ومكانة ورفعة شأن . ومما ورد في النبذة خبر لوحات صور فيها الكاهن مع رعمسيس التاسع في حجم الملك خلافاً لما كان يجري من قبل حيث كان كل من يصور مع الملك يصور في حجم اصغر ورسمت فيها الهدايا العظيمة التي قدمها الملك له والثناء الكبير الذي أثناه عليه لأنه قام بما عهد به اليه من إصلاح المعابد في طيبة . وكلام الملك له لا يقال إلا لشخص اعلى مكانة من القائل وذكر اسمه في هذه اللوحات بصفته جلالة الامير حامل الخاتم الملكي السمير الوحيد الكاهن وابن الاله محبوب الاله ملك الآلهة (١) الخ الخ

وقد عثر لرعمسيس التاسع على آثار متنوعة تحمل اسمه من لوحات وقطع وتماثيل ومسلات ونقوش .

ومن الاسماء البارزة التي ذكرها المؤلف من رجال هذا الملك وزير اسمه خع مواست ، وعمدة لطيبة اسمه يوري ، وكاتب الجبانة وحم مسوت .

---

(١) انظر ايضا تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٢١ ؛ وما بعدها تعريب حسن كمال

(٩) ولا يذكر سليم حسن نسبة رعمسيس العاشر (١) إلى من قبله وان كان يقول ان هناك مدونة تفيد انه تولى العرش بعد الملك السابق يقيناً . وقد قال ان كل ما عثر لهـذا الفرعون بعض اوراق فيها قصائد بمدحه وبعض جعارين تحمل اسمه .

(١٠) ومما ذكره سليم حسن في سيرة رعمسيس الحادى عشر (٢) الذي هو آخر ملوك الاسرة في سلسلته ان قوة الاسرة في عهد هذا الملك ازدادت ضعـفاً وازدادت قوة كهان آمون في طيبة بالمقابلة . وكانت رئاسة كهانة آمون قـد انتقلت الى حريحور بن امنحتب الذي استطاع ان يجمع في يده الكهانة الكبرى مع وظيفته نائب كوش . وقد برز زعيم في الشمال اسمه سمندس وتمكن من ازاحة رعمسيس الحادي عشر عن الحكم والحلول فيه محله فغادر هذا الدلتا إلى الجنوب واقام في كنف حريحور الذي ظل يعترف به ملكاً مع اشتراكه معه في الحكم وتلقبه في حياته بالالقـاب الملكية . وهكذا انقسمت المملكة الى دولتين واحدة جنوبية واخري شمالية . وقد ظلت بلاد كوش خاضعة لسلطان الدولـة الجنوبية . وقد حشدت هذه الدولة قواتها وزحف بها نحو الشمال للقضاء على الدولة الجديدة التي قامت فيه . وحشدت هذه بالمقابلة قواتها وزحفت لمقابلة القوات الجنوبية واستطاعت ان توقع فيها هزيمة شديدة حتى لقد انسحب رعمسيس الحادي عشر وحريحور لمدة مـن الزمن إلى بلاد كوش ، ووصلت طلائع قوات الشمال إلى طيبة وعاثت في البلاد والمقابر والمعابـد تدميراً ونهباً ، حتى لقد سميت سنتها بسنة الضباع . وقد ذكر سليم حسن في سياق ذلك ان الشماليين استعانوا بالكنعانيين والعموريين والفينيقيين وربما بالاسرائيليين حتى لقد روي ان جيشهم بلغ مئتي الف ، وان الجنوبيين كانوا يسمون الشماليين بالانجاس وبالطـاعون ويبثون ضدهم دعايات متنوعة لاثارة الجنوبيين عليهم فيقولون انهم يحتقرون الحيوانات المقدسة ويؤدون شعائر اخرى ويتكلمون لهجات لا يمكن فهمها عـلى نحو ما جرى في سياق موجة الهكسوس وتحريض الجنوبيين عليهم . ولقد حشد الجنوبيون قواتهم ثانـية وزحفوا بها بقيادة قائد نوبي كان حاكم كوش اسمه بانحس وتمكنوا من رد الشماليين عـن الصعـيد ومصر الوسطى وحصرهم في اواريس وذبح كثير منهم وطردهم من مصر على ما ذكره سليم حسن . وهكذا يتكرر المشهد الذي كان في سياق النضال الذي نشب بين

---

(١) جـ ٨ ص ٦١٩-٥٢١

(٢) ٥٢٢-٠١

الجنوب بزعامة الاسرتين السابعة عشرة والثامنة عشرة والشمال بزعامة الهكسوس حينما برزوا وطمحوا الى الحكم واستولوا عليه حيث قامت ضجة وسجلت النعوت القبيحة وبث الدعايات السيئة ضد الشماليين لانه وجد في الجنوب من يتصدى لسمندس وانصاره وحشوده كما وجد من قبل فيه من يتصدى للهكسوس . وقد اندمج سليم حسن في المشهد هنا كما اندمج في المشهد السابق حيث حلا له ان يصف الشماليين والوافدين لمساعدتهم من بلاد الشام باعداء مصر الالداء وبالانجاس وان يظهر شماتته وتشفيه حينما استطاع الجنوبيون رد الشماليين وحصرهم وذبح وطرد من ذبحوه وطردوه منهم ، وقد قال ان المؤرخين اعتبروا انتصار الجنوبيين عصر نهضة . ولكنه لم يرو شيئاً يدل على انه كان عصر نهضه حقاً . وإذا كان للقدماء عذر لان هناك حرباً وقتالا وتنافساً على الحكم فما هو عذر مؤلفنا الجليل الذي يعرف ان الجنوبيين كالشماليين طراء ومعظمهم من الساميين اي من الجنس العربي .

ويستفاد من سياق سليم حسن ان رعمسيس الحادي عشر لم يلبث الا قليلا حتى توفي فاستقل حريحور بالملك في الجنوب . وصح ما قاله المؤلف من ذبح وطرد الشماليين فانه لم يلبث ان ذكر ان سمندس في الشمال لم يفقد عرشه وسلطانه فكان رأس اسرة ملكية في الشمال كان يمتد سلطانها الى الجنوب ويعتبر هذا الجنوب المحكوم باسرة الكهان تابعاً لها ، وكان بعض رجال اسرة الكهان يتولون الملك ايضاً في بعض الفترات . ومن هنا كان ازدواج في الاسرة الواحد والعشرين على ما سوف نشرحه بعده

ونقول تعليقاً على خبر المدد العظيم الذي استمده الشماليون من العموريين والكنعانيين والفينيقيين ان ذلك على ماهو المتبادر بدافع ما كان بين الشماليين وبين هذه الارومات من حداثة عهد بالقربى على ما شرحناه قبل ، وان من المحتمل كثيراً ان يكون قد بقي جماعات كثيرة منهم في مصر بما فيه حركة تسرب جديدة للجنس العربي في هذه المناسبة من ناحية سيناء مضافة الى سابقاتها المتكررة بل التي لم تكد سلسلتها تنقطع والتي كانت تملأ المنطقة الشمالية على ما شرحناه قبل .

ولقد ذكر سليم حسن انه عثر على اوراق عديدة من البردي تعود الى رعمسيس الحادي عشر أو عهده فيها صور لاساليب الحياة والعمل ومنها ما هو طريف . ومن ذلك ما يسجل

حوادث سرقات وقعت في المقابر والمعابد ، ومنها ما يسجل حادث تبني شخص اسمه نب نفرت لزوجة له اسمها نفر كوسيلة لجعلها ترث كل اموالّه واملاكه دون اخوته واخواته ، ومنها عقد زواج عليها اسماء عدد كبير من الشهود فيه شروط الزواج . ومنها تقرير عن ضرائب عينية جمعت من انحاء عديدة جنوبي مدينه طيبة وردت الى الخزينة كتبه كاتب اسمه تحتمس . ونصوص هذه الاوراق طويلة اورد المؤلف ترجمتها وعلق عليها .

وقد ذكر المؤلف كذلك انه عثر على خبر هذا الملك ومومياته في طيبة وانه عثر على آثار تحمل اسمه من لوحات وأقراط وحلى ذهبية اخرى بعضها بغاية من الدقة . وله على قاعه العمد في معبد خنسو نقوش ورد فيها اسمه والقابه وما بذله من جهد في سبيل اتمام هذا المعبد ، وله لوحة في معبد الكارناك تمثله وهو يتعبد للالاهة ماعت ابن رع زوج آمون .

ومما ذكره سليم حسن في سياق سيرة هذا الملك خبر العثور على مدونة من عهده كتبها موظف اسمه ونآمون كتقرير عن رحلة له الى لبنان لجلب قطع من خشب الارز لانشاء سفن مقدسة لآمون منها . وموفد الموظف هو الكاهن حريحور . وكان ذلك في الظرف الذي كان فيه هذا الكاهن صاحب السلطان الفعلي في طيبة والوجه القبلي وسمندس مسيطراً على الدلتا . وقد ذكر الموظف في تقريره انه جاء من طيبة الى تانيس وقابل نسوبندد (سمندس) وقدم اليه اوراق اعتماده فاحسن استقباله ثم ابحر الى لبنان وفي الطريق سرق ما معه من ذهب وفضة ووصل الى جبيل خالي الوفاض وليس لديه هدايا ثمينة يقدمها لامير جبيل ذكر بعل . وقد قابله الامير بجفاء بسبب عدم تقديم هدايا له واحتقر ما ادعاه من حقوق في بلاده لحريحور وآمون وبرهن له على ان ملوك مصر كانوا حينما يريدون شيئاً من الخشب يدفعون ثمنه وطلب منه ثمن ما يريد فارسل رسولا الى سمندس فارسل هذا إليه بعض اوان ذهبية وفضية وقطع من كتان وكمية من أوراق البردي وجلود الثيران والعدس والسمك فقدم ذلك لامير جبيل وحينئذ امر هذا بقطع الخشب الذي يحتاج اليه وشحنه له .

ويفيد ما اقتبسناه من المدونة ان نفوذ مصر وهيبتها قد ضعفت في فينيقية ضعفاً شديداً بعد ما كان لهافيهاما كان من سلطان كما يفيد انه قام شيء من التعاون والتهادن بين حريحور في الجنوب وسمندس في الشمال بعد الذي جرى بينهما من تزاحف وقتال وصيال .

هذا وفي حين يعتبر سليم حسن رعمسيس الحادي عشر آخر ملوك الاسرة وينهي بموته عهدها يذكر احمد كمال ملكين آخرين باسم رعمسيس الثاني عشر والثالث عشر ويذكر بريستد ملكاً واحداً باسم رعمسيس الثاني عشر على ما ذكرناه في مطلع الاسرة . ولقد ذكر احمد كمال

اشياء كثيرة من سيرة الثاني عشر مستنداً فيها الى النقوش حيث يبدو ان هناك ما يبرر ايراده في سلسلته . ومما قاله في صدده (١) انه لم يوجد له مآثر يذكر بها سوى التماثيل الصغيرة التي ملأ بها معبد خونسو في طيبة وتزيين ضريح العائلة الرمسيسية وتحسين طيبة بما احدثه من المباني في بيوت العبادة وغيرها وقد وجد له كتابة على جدران القاعة الاولى من معبد خونسو جاء فيها « ان هذا الملك صنع كثيراً من الآثار الغريبة وأصاب في آرائـــه كيتاح معبود منفه وحسن طيبة بآثار عظيمة لم يفعل ملك قبله مثله » وقد وجد حجر في العرابة المدفونة يدل ما عليه من نقوش ان هذا الملك طال حكمه سبعاً وعشرين سنة . وخط هذه النقوش يضاهي الخط المكتوب على ورقة تورينو . وحاصل ما نقله منها بروكش « ان هـــذا الملك اصدر امره الى بيانخاس حاكم اثيوبيا ورئيس الامم الاجنبية التابعة للدولـــة المصرية يقول له : سيصل اليك امري المتضمن لما في الجواب المعطى للرئيس ياني مستشاري الذي سافر بامري فبوصول هذا الامر اليك اشترك معه في انجازها بالحسنى لانه هو المكلف في الاصل بادئـــا وعليك ان تلاحظ توابيت المعبودة ووضعها في سفينة وان تأتي بها معه الى المكان الذي اعد لنصب التماثيل فيه مع احضار الاحجار النفيسة لتسليمها للصناع واحذر من التأخير في انجاز هذه المطلوبات والا خلعتك وعاملتك حسب ما يصل الينا من اخبارك » وقد عقب احمـــد كمال على هذا النص قائلا اذا صح ان هذه الورقة مدونة في عصر هذا الملك فانها تدل على أن حكمه كان ممتداً الى بلاد الحبشة .

ولقد قال هذا المؤلف في صدد سيرة رمسيس الثالث عشر (٢) انه ليس له إلا آثار قليلـــة في معبد خونسو حيث تفيد الكلمة على كل حال انه يستند في ذكره في سلسلته الى الآثار ايضاً . ومما قاله عنه انه كان خامل الهمة ضعيف الشوكة ، وكان حرحور رئيس كهنة امون رع يتدخل في الاحكام والسياسة ويترقب له ولذريته الموت ليجلس على تخت الملك ، وانه كان من جراء تدخله وتحزب قومه معه ومعارضته انصار الرمسيسيين له تفرق الكلمة بين اهل الوطن حتى ادى ذلك الى اضمحلال مصر وانحطاط شوكتها وخروج كثير من البلاد من حيازتها ، وان حرحور نجح في النهاية فانتزع الملك مـــن هذا الملك فكان اول ملوك الاسرة الحادية والعشرين .

اما بريستيد فانه قال (٣) في صدد رعمسيس الحادي عشر ان سيرته مجهولة بالكلية ثم قال

---

(١) العقد الثمين ١٥٨–١٤٩

(٢) العقد الثمين ص ١٤٩

(٣) تاريخ مصر القديمة ص ٣٢١ وما بعدها

في صدد الثاني عشر انه برز في السنة الخامسة من حكمه في تنيس الدلتا زعيم اسمه نسوبانبد الذي يسميه اليونانيون « سمنديس » وفرض سلطانه على الوجه البحري فانتقل هذا الرمسيس حينئذ الى طيبة واخذ يتعاون مع رئيس كهان آمون على توطيد سلطان الدولة على الوجه القبلي والسردان ، وانه وجد اسمه واسم حريحور هذا منقوشين معاً على معبد خونسو في طيبة وعليها علامة الملك ، وانه قرىء اسم حريحور كذلك منقوشاً وحده على هذا المعبد وعليه علامة الملك حيث استدل من ذلك على ان رمسيس الثاني عشر اشرك حريحور معه في الحكم وان هذا استبد بالحكم دونه فكان ذلك نهاية حكم الاسرة العشرين ، وهكذا يكون بريستيد قد نسب ما ذكره سليم حسن من احداث رعمسيس الحادي عشر الى رعمسيس الثاني عشر الذي اعتبره آخر هذه الاسرة ، ولعل ذلك كان التباساً في قراءة الاسماء والالقاب .

الاسرة الحادية والعشرون

قلنا في آخر سياق الاسرة السابقة انه كان ازدواج في الحكم في الاسرة الحادية والعشرين حيث كانت اسرة بهذا الرقم تحكم الوجه القبلي وعاصمتها طيبة بينما كانت اسرة بنفس الرقم تحكم الوجه البحري وعاصمتها تنيس (صان اليوم) في الدلتا .

١ ـ اسرة الوجه القبلي

ـ ١ ـ

هذه الاسرة هي اسرة كاهن آمون الاكبر حريحور الذي فرض سلطانه على هذا الوجه بالشراكة مع آخر ملوك الاسرة العشرين ثم انفرد فيه بعد موته على ما شرحناه قبل .

وهذه اسماء الذين أتوا منها على ما جاء في كتاب مصر القديمة استنباطاً من الآثار : حريحور ـ بيعنخي ـ بينوزوم ـ ماساهرتا ـ منخبررع ـ بينوزوم الثاني ـ بسونس الثالث (١) .

وقد ارخ مؤلف الكتاب بداية هذه الاسرة بسنة ١٠٨٥ ونهايتها بسنة ٩٥٠ ق م (٢) .

وننبه على شيء في صدد حكم هذه الاسرة والازدواج الذي كان في الحكم في الوجهين القبلي والبحري . فالمستفاد من سيرتها على ما سوف نشرحه بعد ان المذكورين في السلسلة لم يكونوا جميعهم ملوكاً بالمعنى التام لهذه الكلمة . وانما كانوا يمارسون الكهانة الكبرى لآمون في طيبة وكانوا يعدون رسمياً تابعين لسلطان تنيس في الدلتا مع تمتعهم بشيء من السلطان المحلي في الصعيد ممتداً الى بلاد النوبة . وقد اصهر بعضهم الى ملوك تنيس فادى ذلك الى تولي بعضهم الملك الشامل . وكانوا في هذه الحالة ينتقلون من طيبة الى تنيس التي ظلت تعتبر عاصمة المملكة امتداداً لما كان في عهد الاسرتين السابقتين ، ويعهدون الى ابنائهم بمنصب الكهانة

(١) ج ٨ ص ٦٥٩
(٢) ج ٨ ص ٦٥٩

الكبرى في طيبة مع السلطان المحلي في الصعيد وهذا يعني ان المملكة كانت متحدة او واحدة في الحقيقة وكانت عاصمتها المدنية في الشمال وعاصمتها الدينية في الجنوب .

ولم يذكر المؤلفون ارومة أسرة الكهان . والمتبادر انها من نفس ارومة سكان طيبة القدماء فاماان تكون من الموجة التي جاءت الى الصعيد من طريق بلاد النوبة في عهدالاسرة العاشرة ونحن المؤرخون ان منها الاسر الحادية عشرة إلى الثامنة عشرة ــ باستثناء الرابعة عشرة ــ واما ان تكون من ارومات الممالك التي قامت في الجنوب قبل توحيد مصر في مملكة واحدة تحت صولجان الملك منا . وهذه وتلك على كل حال ممن يخمن انهم من القبائل النازحة إلى وادي النيل من جزيرة العرب . وملامح صور وتماثيل ومومياءات الكهان مما قد يدل على ذلك (١) .

ولقد تسلسلت الكهانة الكبرى في هذه الاسرة حيث كان حريحور ابن الكاهن الاكبر امنحتب وهذا كان ابن بسيامون الكاهن الاكبر وكان هذا ابن رعمسيس نخت الكاهن الاكبر ؛ وكان نفوذهم يزداد قوة يوماً بعد يوم في اثناء الاسرة السابقة ، مما يمكن ان يكون نشأ عن قوة عصبيتهم ومما ساعدهم على البروز في مجال الحكم والسلطان . والراجح ان بعد الملوك عن طيبة وبروز كهان آمون كأقوى شخصيات طيبة والجنوب وما كان تحت ايديهم من المعابد واوقافها الطائلة قد ساعد على ذلك ايضاً ، بل لعل هذا كان المساعد الاقوى .

-٢-

(١) ولقد ذكر سليم حسن في صدد سيرة حريحور (٢) بعد انفراده في الحكم ان ذلك تم له وهو طاعن في السن وان مانيتون لم يذكره بين ملوك الاسرة وان سلطانه لم يكن معترفاً به الا من اسوان الى اسيوط في الوجه القبلي بل وإنه كان يعتبر تابعاً للفرعون سمندس في تنيس وان كان تابعاً قوياً مستقلا . ولم يرو المؤلف شيئا من الاحداث في عهده وانما ذكر ان اسمه قرىء على تابوت سيتي الاول الذي جدد الكاهن دفنه هكذا « الوزير والكاهن الاكبر لآمون رع ملك الآلهة حريحور » وعلى تابوت رعمسيس الثاني الذي جدد دفنه ايضاً هكذا « الشريف ... الكاهن الاكبر لآمون رع ملك الآلهة حريحور » وفي متحف ليدن

---

(١) انظر الرسوم والصور في كتاب مصر القديمة ج ٨ ص ٦٥٢ و٦٥٦ و٦٦١ و٦٦٦ و ٦٦٨ و ٦٦٩ و ٧٠٦ و ٧٤٣ و ٧٩٤ مثلا

(٢) مصر القديمة ج ٨ ص ٦٥٢ - ٦٦٠

لوحة عليها رسمه ورسم زوجته نزمت وهما يتعبدان للاله اوزير رمز اله النبات والبقرة حتحور رمز الاهة الخصب وصف فيها « القائد الأكبر للجيش والكاهن الاكبر وملك الآلهة » .

(٢) ومما ذكره في صدد سيرة بيعنخي (١) انه ابن حريحور وان شواهد الاحوال تدل على انه لم يكن في مقدوره المحافظة على تاج الملك وان سمندس قد أصبح ملكاً على البلاد وانه لم يكن يتسمى باسم الملك مثل والده ؛ ولكنه كان يمارس شيئاً من السلطان في الوجه القبلي وبلاد النوبة ؛ وان ما كان لأسرة الكهان من ثروة واقطاعات ونفوذ في الوجه القبلي جعلت ملوك تنيس يتساهلون معهم في هذا الوضع . والعبارة تفيد ان سيادة ملك تنيس على الوجه القبلي كانت في عهد هذا الكاهن أشد توطداً فعلياً منها في عهد حريحور كما هو المتبادر .

وقد عثر على لوحة في العرابة عليها صورة هذا الكاهن ملقباً بألقاب « حامل المروحة والكاتب والقائد وأمير كوش ورئيس الاراضي الجنوبية والكاهن الاكبر لآمون ورئيس الغلال ورئيس الرماة ... وفي نقش في معبد خنسو وصف بصفة ملك الالهة ومبعوث الارضين !

(٣) ومما ذكره في صدد سيرة بينوزوم الأول (٢) انه بكر أولاد بيعنخي وان شواهد الاحوال تدل على انه قام بنفس الدور الذي قام به جده حريحور حيث كان يحمل لقب كاهن آمون الاكبر ثم تزوج من بنت الملك يوسنسر الاول ابن سمندس وخليفته فأصبح بعد موت حميه ملكاً على مصر جميعها ، وانه تنازل حينئذ عن منصب الكاهن الأكبر لابنه ماساهرتا . وهناك لوحة محفوظة في اللوفر تدل على ان بينوزوم انتقل إلى تنيس متخذاً إياها عاصمة سياسية وأبقى طيبه عاصمة دينية مع ممارسة ابنه الكاهن الاكبر السلطان المحلي فيها وفي الجنوب . ولقد مات هذا الابن فوقع بعض الاضطراب في طيبه فأرسل بينوزوم ابنه الثاني منخبرع ليقمع الاضطراب ويحل محل اخيه في الكهانة والحكم المحلي على مايستفاد من النقش الذي على اللوحة المذكورة والذي أمر به منخبرع حيث ذكر قصة ايفاد ابيه له وما فعله مع المشاغبين بسبيل اخماد الفتنة .

وقد كان بينوزوم قبل توليه الملك يكاد ان يكون مستقلا عن سلطان تنيس ؛ وكان

---

(١) ص ٦٦٠–٦٦٧

(٢) ص ٦٦٨–٧٢١

يحمل لقبي الوزير ورئيس الجيش وبالتالي كان صاحب السلطتين الدينية والمدنيــة معاً في الجنوب . وقد قام باصلاحات عديدة في معابد الكارناك وهابو وخنسو وسجل ما فعله . وبعض ذلك كان أثناء كهانته وبعضها بعد انفراده في الملك . وأعــار عنايته بنوع خاص لاصلاح ما لحق بالمقابر والموميات الملكية من تهشيم وعبث فكفن الموميات بأكفان جديدة وصنع لها توابيت جديدة وخزنها في الدير البحري . وهذا سبب وجود ما وجد من موميات الملوك القدماء في هذا الدير بدلا من مقابرهم الخاصة . وقد شرح سليم حسن استناداً إلى الآثار والدراسات ما جرى في سبيل كشف ذلك وما عثر عليه من نقوش شرحــاً مسهباً وذكر أسماء الملوك الذين وجدت مومياآتهم في هذا الدير .

ولقد قرىء اسم بينوزوم في نقش في معبد خنسو موصوفاً بصفة ملك الوجــه القبلي والوجه البحري رب الارضين خبر خع رع ستبن آمون رع من جسده ومحبوب خنسو .وقد قرىء اسمه كذلك في نقوش اخرى في الكارناك وعلى تمثال لأبي الهول ومائدة قربان عثر عليها في العرابة وقطع عديدة جلدية وذهبية . وعثر على تماثيل عديدة له أكثرهــا صغير الحجم .

(٤) وفي النبذة التي عقدها المؤلف باسم الكاهن الاكبر ماساهرتا (١) ذكر ان علماء الآثار مختلفون فيما إذا كان هذا قد جمع بين الكهانة والملك ، وان منهم من يذهب إلى أنه شغل منصب الكاهن الاكبر في حياة ابيه ثم مات قبل أبيه فتولى الخلافة في المنصبين اخوه منخبرع ، وانه قرىء على تمثال ضخم للاله خنسو اسمه موصوفاً بصفات الامير الوراثي مرشد الارضين والكاهن الاكبر لآمون رع ملك الآلهة كما قرىء اسمه في لوحة بالكارناك وصف فيها بالكاهن الاكبر مرع ملك الآلهة وقد عثر على مومياتــه في الدير البحري مكتوباً اسمه عليها هكذا « الكاهن الاكبر لآمور رع ملك الآلهة والقائد الأعلى للجيشين في الوجهين البحري والقبلي . والظاهر ان هذه الاوصاف هي التي سوغت للمؤلف وضعه في سلسلة الملوك الكهان وان موته في حياة ابيه كان تخميناً .

(٥) ومما ذكره في صدد سيرة منخبر رع (٢) انــه تولى الكهانة الكبرى بعد اخيــه مساهرتا وصار ملكاً باسم بسنوسن الثاني بعد موت امنابت ملك تنيس حيث يفيد هذا ان اسرة تانيس عادت فمارست سلطانها بعد بينوزوم وكان الممارس لهذا السلطان هو آمنابت .

---

(١) ص ٧١٢-٧٢٣
(٢) ص ٧٢٤-٧٣٩

ولقد كان منخبررع ابن بنت ملك تانيس بسوسن كما كان زوج امرأة من الاسرة الملكية ايضاً فكان هذا هو الذي ساعده على تولي الملك حين واتته الفرصة بعد موت امنمأبت على ما هو المتبادر . وقد كان لهذا الكاهن الملك نشاط في أثناء كهانته ثم في اثناء ملكه . ومما ذكره سليم حسن من ذلك اصلاحات قام بها في معابدالاقصر والكارناك وتحصينات اقامها في مكان يعرف اليوم بالحيبة قرب موقع بني سويف . وقد قرىء اسمه على جدار سور قاعة العمد في الاقصر هكذا « الكاهن الاكبر لآمون رع ملك الآلهة منخبر رع المنتصر ابن سيد الارضين شهوب آمون بينوزوم كما قرىء اسمه على جدران الكارناك بمثل ذلك حيث يدل على ان اصلاحاته هذه كانت في زمن كهانته . ويخمن ان التحصينات المذكورة ايضاً كانت في هذا الزمن . وقد قرىء اسم زوجته استنمخت معه على بعض الآثار موصوفة بصفات الرئيسة العظمة لحريم الكاهن الاكبر لآمون رع ملك الآلهة وكاهنة موت العظيمة وقد استدل الأثريون من هذه الصفات على انها من اسرة تنيس الملكية لأن الملكات لم تكن توصف بمثلها . وقد وجد اسم الكاهن وزوجته على بعض الاحجار باسلوب كتابة اسماء الملوك ، حيث يدل على ان الزوجة كانت شريكة لزوجها في الملك حينما سنحت له الفرصة لتوليه . وقد قرىء اسم هذه الزوجة في طغراء على تابوتها بوصفها ملكة الوجه القبلي والوجه البحري . ومع ان سليما حسناً يقول ان تولي هذا الكاهن الملك يكاد يكون حقيقة لأن اسمه ظهر كثيراً في طغراء مما لم يكن يفعله إلا الملوك فانه نبه من جهة على اسم طغراء زوجته المنقوشة على تابوتها كانت غير صادقة ونبه من جهة أخرى على شك بعض الأثريين في تولي الكاهن الملك وانه انما كان كاهناً في طيبه في عهد ملك تنيس بسوسن الثاني الذي كانت سيادته شاملة للوجهين معاً . وعزا المؤلف إلى بريستيد نظرية احتمال ان يكون الكاهن ملكاً على طيبه فقط تحت سيادة بوسنس الثاني واحتمال ان يكون قد تسمى هو نفسه بهذا الاسم مع وجود بسوسنس ثاني آخر في تنيس ..

(٦) ومما ذكره في صدد سيرة بينوزوم الثاني (١) انه الابن الاصغر لمنخبر رع وانه شغل منصب الكاهن الاكبر لآمون بعد وفاة أخ له اسمه سمندس الذي كان يشغل هذا المنصب وظل يشغل هذا المنصب في عهد الملك سيامون الذي خلف الفرعون امنمأبت . وهذه العبارة تفيد ان منخبر رع لم يتول الملك بعد امنمابت وان شك الاثريين في محله في حقيقة تولي منخبر رع الملك بعد امنمأبت . وقد عثر على تابوته وفيهـا مومياؤه ونقش

(١) ج ٩ ص ٧٣٩-٧٩٦

اسمه موصوفاً بصفة الكاهن الأعظم لآمون رع ملك الآلهة والرئيس الاعظم للجيش والمقدم وهذا يدل على انه كان صاحب سلطان في الصعيد بالاضافة إلى الكهانة الكبرى وهوماسوغ سلكه في السلسلة على ما هو المتبادر وقد وجد في تابوته بعض حلي وحجارة ثمينة وتماثيل وتعاويذ دقيقة الصنع . وقد عثر على ورقة من البردي فيها أنشودة على لسان آمون في تأليه بينوزوم هذا وتمجيده والثناء عليه وتخليد روحه الخ؛ وعلى ورقة أخرى فيها تأليه على لسان آمون لزوجة هذا الكاهن تسحنسو مما هو طريف في بابه . وقد عثر على نقوش أخرى تعود إلى هذا الكاهن استنبط منها رغم ما وجدت عليه من تهشيم انها تدور حول سرقة في معبد طيبه نسب ارتكابها إلى مدير بيت المعبد ثم بريء من التهمة بعد التحقيق . وقد استنبط من ورقة أخرى وقوع سرقة في معبد بلدة طيبة في مصر الوسطى وقدوم زعيم المشوشيين الليبيين فيها شيشنبق ؛ وهو الذي صار رأس الأسرة الثانية والعشرين من طينة إلى طيبة لاستفتاء آمون في أمرها .

(٧) ومما ذكره في صدد سيرة بسوسنس الثالث انه ابن بينوزوم الثـاني وآخر كاهن أكبر لآمون معاصر لأسرة ملوك تنيس . وقد وجدت مومياؤه في تابوته وعليهـا اسمه بوصفه كاهناً أكبر . ووجد في معبد فتاح في بلدة العرابة نقش وصف فيه بملك الرجه القبلي والوجه البحري رب الارضين المختار من آمون رع ملك الآلهة والكاهن الاول ابن رع رب التيجان باسب حعن توت محبوب آمون ، حيث يدل هذا على انه كان صاحب سلطان شامل للشمال والجنوب معاً على ما يقوله سليم حسن الذي يفيد سياقه في الوقت نفسه انه كان في تنيس ملك ايضاً حيث قـال ان قوة ملوك تنيس بعد الملك سيامون – وهو أحـدهم – ضعفت وانحصر حدود سلطانهم بين طيبة والعرابة ! والظاهر ان هذا الكاهن قـد اغتنم فرصة ذلك الضعف فأعلن استقلاله وملكه وسجل صفته (ملك الوجهين القبلي والبحري ورب الارضين) من قبيل التبجح وهذا ما يستفاد من سياق سليم حسن أيضاً .

هذا ، وفي العقد الثمين بعض مباينات وزيادات في أسرة الكهان الملوك . فقد قـال مؤلفه في سياق سيرة وحور (١) انه كان معترفاً بالتبعية لرمسيس الثالث عشر وكان يلقب نفسه بكاهن آمون الاول وولي العهد وقائد الجيش في الوجه القبلي والبحري وأمين خزائن الارض وكان الملك يتغاضى عنه فأطمعه ذلك فاستبد بالحكم دون الملك ورسم نقسه على جدار معبد خنسو في هيئة تقدم له فيها سيتي معبودة انبو التاج الاحمر شعار الوجـه القبلي

(١) ص ١٤٦-١٥٢ .

والمعبود حور التاج الابيض شعار الوجه البحري . ومما كتبه على هذا الجدار « اني وسعت مصر وأتت إلي رؤساء رتنو (بلاد سورية) خاشعين لسطوتي » . وقد علق احمد كمال المؤلف على هذا القول بقوله ان ذلك لا اصل له لأن أهل الشام كانوا في مدته ذوي شوكة ومنعة ولم يكن عليهم لمصر سلطان وان ما كتبه حرحور ليس إلا من قبيل التمدح والتفاخر ومما فعله حرحور على ما جاء في العقد انه نفى من بقي من الأسرة الرمسيسية الى الواحات الكبرى ومن جملتهم ثلاثة أمراء كانوا يعدون انفسهم اصحاب حق في الملك ويتلقبون بألقاب رمسيس الرابع عشر ورمسيس الخامس عشرورمسيس السادس عشر . ولا يسند احمد كال كلامه هذا إلى مصدر .

ومما ذكره في سياق سيرته بينوزوم الاول(١)ان الفتنةالتي ثارت بسبب نفي الرمسيسيين إلى الواحات ظلت قائمة ، وان رمسيس السادس عشر الذي كان زوجاً لبنت ملك من آسيا اسمه بلاشارنس استنجد بأصهاره فعلم بينوزوم بذلك فاستعد لصدهم في الشمال وجهز ابنه منخبر رع بقوة عظيمة إلى طيبه لاطفاء الفتنة . وتمكن هذا من ذلك وسمى نفسه رئيس كهنة آمون بدلا من أبيه وعفا عن الرمسيسيين وأعادهم إلى الواحات ونقش ذلك على جدران معبد خنسو .

وننبه على ان سليما حسناً ذكر اضطراب طيبه وايفاد بينوزوم ابنه منخبر رع لقمعه وتولى الكهانة الكبرى محل اخية ماساهرتا المتوفى عنه وعزا ذلك إلى وفاة ماساهرتا . ولم يذكر شيئاً مما ذكره أحمد كمال عن الرمامسة . وقد أورد ترجمة نقوش منخبرع التي ذكرفيها الفتنة ووفادته من قبل ابيه لقمعها وتمكن من ذلك وقتله المشاغبين وعفوه عن المنفيين .فهل كان ذكر احمد كمال للرمامسة تزيداً في الاستنتاج ؟

ولقد ذكر بريستيد اسرتي تنيس وطيبة الحاكمتين في سياق واحد تحت عنوان الاسرة الحادية والعشرين . ولسوف نذكر ما ذكره من زيادات في صددهما بعد سيرة أسرة تنيس .

---

(١) العقد الثمين ص ١٤٩-١٥٢ ايضا

٢ ـ اسرة الوجه الأبحري

-١-

ان ملوك هذه الاسرة المستنبطة من الآثار على ما جاء في كتاب مصر القديمة (١) هم :

سمندس ـ بسوسنس الاول ـ امنمأبت ـ سيامون ـ بسوسنس اثاني

وإلى هذا فقد ذكر المؤلف في سياق بسوسنس الاول ان الأثريين كشفوا رسماً آخر مع هذا الملك وهو نفر خرس الملقب بنفركارع حقا وان هناك ما يدل على انه الاخ الا كبر لبسوسنس وانه حكم قبله وأشركه في الحكم فلما مات انفرد بسوسنس في الحكم .

ويستفاد من سياق المؤلف ان بداية هذه الاسرة ونهايتها هما نفس بداية ونهاية الاسرة القبلية أي ١٠٨٥ ـ ٩٥٠ ق م (٢)

واسم نفر خرس الذي يقول المؤلف انه كشف حديثاً ورد في جدول مانيتون الـذي أورده احمد كمال في العقد الثمين (٣) بفارق واحدهو انه ذكر كثالث ملوك الأسرةفي حين ان الآثار تدل على انه الثاني على ما يفيد كلام سليم حسن .

ولم يذكر المؤلفون هوية ارومة سمندس رأس الاسرة . غير ان بروزه في الدلتا وتمكنه من ازاحة آخر الرعامسة عن الحكم وفرض سلطانه على الدلتا يدل على انه كان زعيما قوياً صاحب عصبية فيها . واستعانته بأهل الشام التي رويناها عن سليم حسن ونعت الجنوبيين له ولأنصاره ولمن استعان بهم بالانجاس الغرباء يسوغان ترجيح كونه من الارومات العربية الجنس التي كان معظم سكان الدلتا منها والتي منهـا الاسرتان السابقتان ايضاً عـلى ما شرحناه قبل .

ولقد قال شارويم (٤) ان هذه الاسرة من العمالقة . وهذه التسمية يطلقـها المؤرخون على الارومات الهكسوسية العربية التي بقي منها جماعات كبيرة في الدلتا على ما ذكرناه في

---

(١) ج ٩ ص ١-٧٤

(٢) ج ٨ ص ٦٥٩

(٣) ص ١٥٢-١٥٣

(٤) الكافي ج ١ ص ١١٩

فصل عهد الهكسوس . وقد قال هذا المؤلف ان الصلات بين سورية وبين مصر قد تحسنت كثيراً في عهد هذه الأسرة وان المصاهرة قد تبودلت بين ملوكها وأمرائها . وكان هؤلاء من ارومات عربية الجنس آرامية وكنعانية وعبرانية على ما ذكرناه في مناسبة سابقة وعلى ما سوف نشرحه في الجزء الرابع .

ولقد قال بربستيد (١) ان الوجه البحري كان تحت رحمة أمرائه الأجانب منذ الأسرة الحادية والعشرين . وبقطع النظر عن ان ذلك قد كان قبل هذه الأسرة فان كلمة الأجانب يطلقها المؤرخون على الجماعات الشامية والهكسوسية على ما شرحناه قبل حيث ينطوي في هذا تأييد آخر لجنسية هذه الأسرة العربية .

ولا يروي سليم حسن أحداثاً ذات بال لملوك هذه الأسرة يمكن أن تضاف إلى ما أوردناه عنه قبل في صدد حركة سمندس وبروزه واستيلائه على الحكم في الدلتا وما كان من تزاحف وقتال بين قواته وقوات طيبة وما كان بعد ذلك من تهادن ثم من مصاهرة بين أسرتي طيبه وتنيس ادت إلى حكم بعض رجال أسرة طيبة لجميع مصر فترة بعد أخرى (٢)

ومما قاله سليم حسن (٣) ان ملوك هذه الأسرة ادعوا انهم حكموا مصر من أقصاها إلى أقصاها غير انهم في الواقع أحجموا عن مشاركة كهنة آمون الأشداء البأس الأقوياء السلطان في أي أمر من الامور الدينية والدنيوية الخاصة بمصر العليا وكانوا يجلون ثالوث طيبة في المنزلة الاولى من حيث الخضوع والعبادة وكانوا يعيشون مع جيرانهم اليهود في فلسطين في ود ومصافاة ، وحاولوا ان تكون علاقتهم بجبيل وفينيقية علاقة مرضية أساسها الود والمهادنة وكانت صلاتهم ببلاد سورية والاقاليم التي يرويها الفرات لا غبار عليها .

- ٢ -

ومما ذكره هذا المؤلف من سيرة سمندس في النبذة التي عقدها بعنوانه (٤) انه لم يظهر من آثاره ما يدل على مدة حكمه ولم يعرف قبره وان النقش الوحيد المنسوب اليه قد وجد

---

(١) تاريخ مصر من اقدم العصور ٢٩٤

(٢) مصر القديمة ج ٨ ص ٢٥٢ — ٦٠١

(٣) ج ٩ ص ٨٢

(٤) ج ٢ ص ١—٤

في طيبة وقد ذكر فيه خبر ارساله بعثة مؤلفة من ثلاثة آلاف على رأسها قائدان من قواده إلى محاجر الجبلايين لاحضار الحجارة اللازمة لاصلاح تلف في الكارناك . وقد علق المؤلف على فحوى النقش فقال ان فيه ما يفيد انه كان هو نفسه حاضراً في المحاجر وانه كان يقبض على زمام الامور في مصر كلها بما فيها طيبه وان من المحتمل ان يكون حريحور قـد مات قبل النقش . وقد ذكر سليم حسن انه عثر على طغراء فيها اسمه وألقابه الفرعونية

ومع ان سليم حسن أشار بوجوب وضع اسم نفر خرس في السلسلة كثاني ملوك الأسرة فانه لم يعقد له نبذة خاصة وقد ذكره عرضاً في النبذة التي عقدها على بسوسنس الاول التي ذكر فيها فيما ذكره (١) ان الآثار تدل على ان الأسرتين الحاكمتين في تنيس وطيبه كانتا على أحسن ما يكون من صلات الود والمهادنة في عهده مع دلالتها على انه كان يحكم مصر جميعها . وقد لقب في النقوش التي عثر عليهـا بالثور الشجاع منحة آمون الظاهر في طيبه العظيم الآثار في الاقصر الكاهن الاول لآمون مما فيه تأييد لهذه الدلالة . وقد أصلح ما عرف من الآثار اسوار مدينة تانيس التي أحدث المحاصرون فيها حينما نشب القتال بين الجنوبيين والشماليين ثغوراً عظيمة ؛ وأنشأ معبداً جنائزيا ومقبرة له في جواره . وقد قال سليم حسن في مناسبة ذلك ان ملوك الأسرة اتخـذوا مقابرهم في تنيس خلافاً لما جرى عليه ملوك الاسرتين السابقتين الذين كانت تنيس عاصمة لهم حيث كانوا مع ذلك يدفنون في طيبه وعلل ذلك بما كان من سطو اللصوص على مقابر الملوك في طيبة وعدم قدرة حكامها على حمايتها وبما كان من اضطراب الاحوال والصلات بين الشمال والجنوب .

ولقد أطنب سليم حسن في قصة اكتشاف مقبرة هذا الملك في سنة ١٩٣٩ ووصفهـا ووصف تعداد ما وجد فيها من توابيت وموميات ونقوش وأوان وحلي وجعارين وتعاويذ وحجارة ثمينة . ومما وجد في المقبرة تابوت لزوجة الملك نقش عليه اسمه واسمها في طغراء فرعونية . ومن الأوصاف التي وصف بها الملك في النقوش ملك الوجـه البحري والقبلي محبوب آمون ابن الشمس . ومما وجد فيها كذلك رأسا سهمين نقش عليهما طغراء هـذا الملك نفر خرس الذي ذكرنا قبل نقلا عن المؤلف انه الاخ الاكبر لبسوسنس والحاكم قبله ولم يذكر نفر خرس بشيء غير ذلك .

وقد ذكر المؤلف خبر اكتشاف عدة مقابر لبعض كبار رجال هـذا الملك ووصف ما كانت عليه من فخامة وضخامة وما وجد فيها مـن نقوش وتوابيت وحلي وتعاويـذ

---

(١) ص ٥ - ٤٧

وما ذكرته النقوش من أسمائهم وألقابهم .

وقد ذكر سليم حسن في النبذة التي عقدها بعنوان الملك امنمأبت (١) انه عثر على خاتم فخاري نقش عليه اسم هذا الملك بوصفه الكاهن الأكبر لآمون مما يدل على انه كان يتولى هذا المنصب قبل الملك . وذكر كذلك خبر كشف مقبرته في شمال مقبرة بسوسنس الاول وعدد ما وجد فيها من حلي وتعاويذ وجعارين وحجارة ثمينة وأوان وأسلحة وتماثيل بالاضافة الى تابوته ومومياته . وقد قرىء اسمه على لفافة مومياء لأحد كهنة آمون بوصفه ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الارضين محبوب آمون .

ولم يذكر سليم حسن نسبة هذا الملك إلى من قبله غير انه ذكره في سلسلة أسرة يدل على انه منها .

ولقد ذكرنا في سيرة اسرة الكهان أن الذي تولى الملك بعد بسوسنس الاول هو بينوزوم الاول زوج ابنته ، وان هناك احتمالا بأن يكون الذي خلف هذا في الملك ابنه منخرع ابن بنت بسوسنس ، ويظهر ان الملك بعد بينوزوم الاول ثم بعد منخرع ـ إذا صح ان هـذا تولى الملك بعد أبيه ـ عاد ثانية إلى الاسرة التنيسية ممثلة في امنمأبت .

وقال سليم حسن عن الفرعون سيامون (٢) ان الآثار لم تحدث عنه كثيراً وانه لم يعثر على قبره ، وانه وجد تمثال له من الغرانيت المحبب كما وجدت له بعض آثار عمرانيـة في تنيس تحمل اسمه . وقد وجد مشهد منقوش على حجر يمثل هذا الملك يقضي على عـدوه بمقمعة في يده مما يحتمل ان يكون قد اشتبك في قتال مع قوم وانتصر عليهم . ويرجح ان يكون هذا الملك معاصراً لداود . وقد وجد في منف وغيرها بعض آثار لهذا الملك وعلى بعضها اسمه وتحت اسمه اسم كاهن للالاهة عشتاروت الاهـة السوريين حيث يدل على ان الآلهة السورية اخذت تحتل مكاناً محترماً في عهد هذه الاسرة . وقد كشفت مقبرة لكاتب من كتاب هذا الملك قرىء من نقوشهـا اسم الملك بوصفه ملك الوجه القبلي والوجـه البحري وسيد الارضين حيث يفيد هذا ان حكم هذا الملك كان شاملا لجميع مصر .

ولم يذكر المؤلف كذلك نسبة هذا الملك إلى من سبقه . ولكن ذكره في سلسلة يدل على أنه من الاسرة وهناك تخمين قوي انه هو امنمأبت . على ما ذكرناه في سيرة اسرة الكهان نقلا عن سليم حسن .

---

(١) ج ٩ ص ٤٨

(٢) ج ٩ ص ٥٧-٩٦

وما ذكره سليم حسن في صدد سيرة حور بسوسنس الثاني (١) ان اسمه وجد على تمثال لاله النيل محفوظ في المتحف البريطاني وانه عرف من نقش على هذا التمثال انه والد ماعت كارع زوجة اوسركون الاول ثاني ملوك الاسرة الثانية والعشرين وانها كانت تتلقب بألقاب كاهنة الالاهة حتحور صاحبة دندرة والام الالهية لحور سما توى وان ابناً لهما اسمه شيشنق مرى آمون تولى منصب الكاهن الاكبر لآمون . وقد عثر على خرزة منقوش عليها اسم هذا الملك وألقابه الفرعونية حور باسب خعبوت . وقد عثر على نقوش في معبد آمون بالكارناك تضمنت رسوماً بلسان آمون يوجب فيه اعادة كل ما احضرته هذه الملكة وكل ما اهداه اليها زوجها وان يبقى ارثاً من بعدها لأبنائها واحفادها . وينذر كل من يخالف أمره (٢) وقد وصف ابوها في المرسوم بصفة سيد الارضين حيث يفيد هذا انه كان شامل السلطان في الوجهين القبلي والبحري .

ولقد ذكر سفر الملوك الاول (٣) ان فرعون صعد إلى فلسطين واخذ جاذر واحرقها بالنار وقتل الكنعانيين فيها ووهبها لابنته امرأة سليمان مهراً . وقد خمن سليم حسن ان هذا الفرعون هو بسوسنس الثاني الذي نحن في صدد سيرته (٤) . وهذا يعني ان فلسطين ظلت بشكل ما تحت حكم او سيادة مصر في عهد هذا الملك ممتداً إلى ماقبله وان كان من المحتمل أن تكون قبضتها قد خفت عنها وانكمشت وصار سلطانها اسمياً اكثر منه فعلا عن القسم الاكبر منها في عهد داود وسليمان . ويظهر ان سليمان بعد أن آل اليه الملك أحب ان يتقرب إلى مصر ويتقوى بها فاصهر إلى ملكها وان هـذا وهب ابنته مدينة لم تكن تحت سيادة سليمان لادامة العلاقات الطيبة بين مصر وفلسطين . والمدينة المذكورة تقع في جنوب

---

(١) ج ٩ ص ٧٢-٧٣

(٢) ذكر هذا احمد كمال في العقد الثمين « ص ١٥٤-١٥٩ » في سيرة شيشنق اول ملوك الاسرة الثانية والعشرين ولكنه قال ان الذي تزوج هذه الملكة هو شيشنق وليس ابنه . وقال في تعليل امر آمون ان هذه الملكة اعتبرت بزواجها محرومة من ميراث ابيها حسب عادة قدماء المصريين فتوجه شيشنق الى المعبودات امون وموت وخنسو فأخبرهم بذلك فأمروا بوجوب رد كل ما اعطاه اليها اهل البلد وما استحقت من الميراث وهددوا بالغضب والانتقام من كل ذكر وانثى يخالف امرهم .

(٣) الاصحاح التاسع من سفر الملوك الثالث في النسخة الكاثوليكية والاول في النسخة البروتستانتية

(٤) خمن بريستيد ان هذا الملك هو شيشنق اول ملوك الاسرة الثانية والعشرين ، تاريخ مصر من اقدم العصور ٣٤٧-٣٦٢ وفي الاصحاح الحادي عشر من السفر المذكور انفاً مـا يفيد ان شيشنق كان معاصراً لسليمان انظر الاية ٤١

فلسطين . ولقد ذكر السفر المذكور (١) ان أمير آدوم هذا فر من وجـــه داود إلى بلاط فرعون مصر فآواه هذا ولقي في عينيه حظوة وزوجه اخت امرأته ؛ وظل في حماه إلى أن مات داود فعاد إلى بلاده لينشط ضد سلطان سليمان .

وقد خمن سليم حسن ان هذا الحادث وقع في عهد بسوسنس الثاني أيضاً ؛ وفي الحسبر تأييد لما قلناه من ان مصر كانت رسمياً صاحبة السيادة على فلسطين في عهد داود أيضاً في زمن هذه الاسرة ممتداً إلى ما قبلها .

ولقد عقد سليم حسن بعد نبذة بسوسنس الثاني نبـــذة بعنوان بسوسنس الثالث ذكر فيها (٢) ان بعض المؤرخين يذكرون ملكاً بهذا الاسم من هـــذه الأسرة وناقش أقوالهم وانتهى إلى القول ان كل الآثار التي تنسب الى هـــذا الاسم يجب أن تنسب إلى بسوسنس الثاني لأن الشواهد تؤيد ذلك أكثر .

وبهذا ينتهي سليم حسن من سيرة هذه الأسرة .

ويتضح مـــن الشروح السابقة ان ملوك الاسرة الخمسة الذين ذكرهم سليم حسن كان حكمهم شاملا للوجهين البحري والقبلي وكانوا يتلقبون بالالقاب الفرعونية الدالة على ذلك في حين ان بعض حكام طيبه الكهان صاروا ملوكاً شاملي السلطان للوجهين نتيجة للمصاهرة التي قامت بين الأسرتين . والذين صاروا منهم ملوكاً انتقلوا إلى تنيس وأبقوا أبنـــاءهم كهاناً حكاماً في طيبه .

-٣-

ولقد قلنا ان بريستيد مزج بين ملوك الأسرتين الطيبية والتنسية وأوردهم في قائمة واحدة كما يلي : (٣)

نسو بانبدد

حريحور

بسبب خنو الاول

باي نزوم الاول

امنم اوبت

---

(١) صحاح ١٠

(٢) ج ٩ ص ٧٤

(٣) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٤٠٧

سيامون

بسبب خنو الثاني

ويبدو من هذا انه يقصر قائمته على الاسماء الذين كان حكمهم شاملا لجميع مصر سواء أ كانوا من أسرة تنيس أم من أسرة طيبه ، وان وضعه حريحور مع نسو بابندد (سمندس) قد يكون بسبب الفترة التي استطاع الاول فيها هزيمة الثاني وحصره في اواريس .وقد أرخ هذا المؤرخ بداية حكم الأسرة المزيجة بسنة ١٠٩٠ ونهايتها بسنة ٩٤٥ ق م .

ومما ذكره في سياق سيرة هؤلاء الملوك (١) وفيه زيادة عما جاء في كتاب مصر القديمة ان حريحور تبجح بأن نفوذه امتد إلى سورية وسجد له أمراؤها غير ان هذا ليس صحيحاً وان سلطته لم تتجاوز طيبه وما حولها ، وانه دعم سلطته بتعضيد آمون بطريق الشعبلة حيث صار يعرض على تمثال آمون شؤون الدولة ويجعله يحرك رأسه على ما يراه موافقاً . وصارت وصايا ومواريث الأسر لرؤساء كهنة آمون تسجل وفق طلب هذا المعبود.وصار آمون يصدر أوامره بارجاع المعتقلين السياسيين إلى وطنهم . ويتصل في الجنايات ويحكم بالاعدام أو البراءة فاصطبغ الحكم بالصبغة الدينية المقدسة ؛ وان بأي عنخ ابن حريحور ــ ولم يذكر المؤلف هذا في قائمته ــ خلف اباه في الحكم وظل حكمه محصور النطاق في حين كان حكم نسوبندد في الشمال يتسع ، وان باي نزوم الاول خلف باي عنخ واستعمل الشدة في حكمه وأتم معبد خونسو وأصلح بعض المعابد القديمة وجمع جثث ملوك مصر المدفونة بجبانة طيبه الغربية في مقبرة ستي الاول حفظاً لها من عبث اللصوص . وانه اقترن ببنت ملك تنيس خنسو الاول واستطاع بهذه الوسيلة بسط سلطانه على الوجه البحري حينما مات حموه واتخذ تنيس عاصمة سياسية له وعين ابنه رئيساً لكهنة آمون اسمه امن اوم اوبت نازع هذا الابن على الحكم بعد وفاة ابيه وتغلب عليه ولكن لم يؤثر عنه عمل ما ، كما لم يؤثر عن سيامون وبسبب خنسو الثاني اللذين خلفاه عمل ما أيضاً ، وان نفوذ مصر وقوتها قد ضعفا في خارجها عدا بلاد النوبة التي ظلت تحتفظ بسلطانها عليها ، وان بني اسرائيل في هذا الظرف كانوا ينشطون لتوطيد نفوذهم في الوجه البحري بطريق الهجرة السلمية التي كان يدعمها كثرة الجنود الليبيين في الجيش المصري، ثم برز من بين قادتهم شيشنبق فاغتنم فرصة الضعف واستطاع ان يبسط سلطانه على مصر الوسطى ثم السفلى ثم العليا فقامت بذلك الأسرة الثانية والعشرون .

---

(١) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٣٠٣ - ٣٥٧ .

هذا ، ولأحمد كمال في صدد الأسرة التنسية كلام فيه بعض التطابق لما ذكره سليم حسن في سياق حركة سمندس وبروزه كما فيه بعض التباين والطرافة والغرابة حيث قال : (١) ان ملوك هذه الأسرة كانوا ضعفاء يطيعونهم وقتاً دون وقت وان الاثيوبيين خرجوا عن طاعتهم واستقلوا تحت حكم كاهن من رؤساء كهنة آمون، وان اقاليم مصرية أخرى عصتهم وانهم التجأوا إلى بعض الملوك المجاورين لهم واحتموا بهم واختلطوا فيهم فزوجوا أولادهم من بنات ملوك اسرائيل واخذوا من بناتهم لأولادهم فكان ذلك سبباً لنزع مصر من أيديهم واستيلاء اليمروذ عليها . وقال أحمد كمال في صدد توضيح هوية هذا النمروذ ان ملك آشور قدم بجيوشه من آسية إلى مصر ونزعها من الملك بينوزوم الذي كان مرابطاً في الوجه البحري بقصد صد الشاميين أصهار الرمامسة ، وأدخلها في حكمه . ومات بعد قليل فدفنته أمه مهتن اوسخ في العرابة ورتبت لمقبرته المرتبات المعتادة في اعياد الأموات مع الخدم اللازمين لها . ثم خلفه ابنه شيشنق على مصر ومملكة آشور واتخذ مدينة تنيس قاعدة لملكه . ومما قاله — ويبدو فيه غرابة وتناقض — ان هذا النمروذ من نسل بياي اوبواي او بوبواي الشامي الأصل الشهير الذي قدم الى مصر اثناء حكم الاسرة العشرين وأقام ببسطة أو ضواحيها ونمت ذريته فيها فزوج ابنه الخامس شيشنق بأميرة من بيت الملك تدعى مهتن اوسخ فولدت له هذا النمروذ الذي تلقب بلقب رئيس الكهان وقائد المشواشيين ثم ولد له ولد سماه شيشنق على اسم والده فتولى هذا ملك مصر بعد موت ميامون نسبو نخع الثاني آخر الملوك التنيسيين فكان المؤسس للاسرة الثانية والعشرين !

ولقد ذكر أحمد كمال في سياق سيرة شيشنق أول ملوك هذه الاسرة انه عثر على حجر بالعرابة المدفونة الشهيرة قديماً بمدينة ازوريس عليه نقش ترجمه بروكش فيه طرائف من الافكار والعادات وانه جاء فيه فيما جاء « ان شيشنق توسل إلى آمون بأن يهلك رؤساء العساكر المحافظين والكهنة والمساحين خدمة الارض الزراعية الموقوفة على قبر والده النمروذ ملك آشور ابن مهتن وسخ والذين شاركوهم بنهب محرابه وسرقة متاعه وسلب مواشيه وبساتينه وقرابينه وان يعوض عليه بدل تلك الاشياء ويتم له ما نقص من خادماته وأولادهن فاستجاب المعبود لدعوته فخر ساجداً قائلا أسالك النصر لي ولرجالي المقاتلين ولجميع رعيتي فقال له قد أجيب سؤالك وسأعطيك عمراً طويلا ويخافك وارثك على سرير الملك . وأمر شيشنق باحضار تمثال ابيه النمروذ ملك آشور الاكبر وكان مصنوعا على شكل رجل ماش

---

(١) العقد الثمين ص ١٥٢–١٥٣

وأدخله إلى القاعة الملوكية العظيمة المعدة لحفظ الشعائر المختصة بعين الشمس اليمنى » (١)
واخذ احمد كمال يذكر ما احتواه النقش من عدد العبيد والخادمات والبساتين والعسل ودهن البلسم والبخور والبهارات التي اعدها للمقبرة والمعبد وما دفعه لذلك من فضة .

وهذه الوثيقة اذا لم يكن في ترجمتها خطأ او تجوز تدعم كلام احمد كمال الذي قاله في صدد كون شيشنق هذا من نسل ملك آشور وكون ملك آشور استولى على مصر في آخر عهد الاسرة التنسية . على انه يبقى شيء من الخلط والتناقض بين قوله ان شيشنيق ابن النمروذ ملك آشور جاء وملك مصر في آخر عهد الاسرة التنسية وبين قوله ان النمروذ من نسل بياي الشامي الشهير الذي جاء في حكم الاسرة العشرين وتوطن في بسطه ونمت ذريته فيها !

ولقد ذكر سليم حسن هذا النقش وأورد ترجمة ما أمكن قراءته منه (٢) ويبدو ان هناك جملا منه لم يمكن قراءتها . وقد وصف شيشنيق بالعظيم رئيس الرؤساء المنتصر ووصف النمروذ بعظيم مي نمروذ المنتصر ابن محت نخت . وجاء في النقش ان محت نخت هو اسم والدته . وقد فسر سليم حسن كلمة (مي) بالمشوش وكان ذكر في مناسبة سابقة ان المشوش من القبائل اللوبية الموطن التي تسرب منها جماعات الى مصر الوسطى وتوطنت فيها وكانت تخدم في الجيش المصري في عهد الاسرتين التاسعة عشرة والعشرين على ما ذكرناه قبل . وهذا يتطابق مع بعض ما قاله احمد كمال الذي قال ان اجداد النمروذ جاؤوا الى مصر في عهد الاسرة العشرين . وليس في ترجمة النقش التي أوردها سليم حسن ذكر لآشور . ونخشى أن يكون أحمد كمال قد ذكر ذلك من باب التجوز .

---

(١) كتب احمد كمال على الهامش تفسيراً لهذه العبارة فقال ان الشمس عينين احداهما تنظر الى الجهة البحرية والاخرى الى الجهة القبلية فكان قدماء المصريين يحترمونها ويعنون بها الوجه البحري والوجه القبلي (انظر العقد الثمين ص ١٥٧)

(٢) ج ٨ ص ٧٦٣ - ٧٦٦

الاسرة الثانية والعشرون

-١-

ان اسماء والقاب ملوك هذه الاسرة المستنبطة من الآثار على ما جاء في كتاب مصر القديمة (١) هي :

١ ـ شيشنق الاول ـ حز خبر رع ستبن رع
٢ ـ اوسوركون الاول ـ حخم خبر رع ستبن رع
٣ ـ تاليكوت الاول ـ وسر ماعت رع
٤ ـ اوسركون الثاني ـ وسرماعت رع استبن
٥ ـ شيشنق الثاني ـ حقا خبر رع ستبن رع
٦ ـ حورسا ايزيس ـ حز خبر رع ستبن آمون
٧ ـ تاكيلوت الثاني ـ حز خبر رع ستبن رع
٨ ـ شيشنق الثالث ـ اوسرماعت رع ستبن رع
٩ ـ بامي ـ وسر ماعت رع ستبن آمون
١٠ ـ شيشنق الرابع ـ عا خبر رع

-٢-

ويفيد السياق الذي اورده سليم حسن في صدد ارومة هذه الاسرة (٢) انها لوبية من المشواشيين للذين كان يقيم منهم جماعات في مصر الوسطى منذ الاسرة التاسعة عشرة والذين كان كثير منهم مستخدمين في الجيش المصري كمرتزقة حيث نموا عدداً وقوة فلما ضعفت قوة وحيوية الامرة الحادية والعشرين داخلا وخارجاً برز شيشنق زعيمهم ففرض سلطانه على مصر الوسطى ثم مده الى سائر مصر ؛ واتخذ بواسطته عاصمة له . ويتطابق

---

(١) ج ٩ ص انظر النبذ التي كتبها المؤلف عنهم واحداً بعد آخر ص ١٠٥ ـ ٣٩٠
(٢) مصر القديمة ج ٩ ص ٧٥ وما بعدها .

بريستيد (١) مع سليم حسن في هوية هذه الاسرة اللوبية المشواشية في حين ان مقتضى كلام احمد كمال الذي اوردناه قبل على ما فيه من غرابة انها آشورية او شامية الأصل وبالتالي عربية الجنس لأن معظم سكان العراق والشام في هذه الظروف كانت من القبائل التي جاءت من جزيرة العرب آشوريين وكنعانيين وعموريين وآراميين... ولقد ذكر سليم حسن استناداً الى النقوش اسم بوبودا كجد أعلى لشيشنق الملك واسم شيشنق كجد من جدوده واسم نمروت كوالد له متطابقاً في ذلك مع احمد كمال (٢) كما ذكر ان منطقة هرموبوليس (الاشمونين اليوم) كانت مملكة خاصة تحت حكم نمروت والد شيشنق متطابقاً من ناحية ما مع احمد كمال كذلك ؛ غير انه اكد مرة بعد مرة انهم لوبيون . وانهم من المشوش وان نمروت ثم شيشنق من بعده هم رؤساء وعظماء المشوش . ولقد ذكر مع ذلك ان عالماً اثرياً اسمه مونتيه يرجع اسرة شيشنق إلى اصل بابلي وقال ان هذا العالم لم يفسر رأيه تفسيراً شافياً . ومن الجدير بالذكر أن تسمية نمروت لم تقتصر على والد شيشنق الملك الاول بل تكررت لاكثر من واحد من أبناء الاسرة على ما عرف من النقوش التي أورد سليم حسن ترجمتها ، وان سليماً حسناً لاحظ ان كلمة نمروت كلمة عبرانية ـ أي عربية الأصل ـ وتساءل أيضاً عن سر تشابه تسمية (تاكيلوت واوسركون) اللذين تكررا في ملوك الاسرة مع تسمية (تاجبلات وسرجون) اللذين تكررا في ملوك آشور قبل قيام هذه الاسرة ، ولكنه عزا هذا وذاك الى احتمال الاقتباس اكثر من احتمال النسب والجنس . وعلى فرض ان هناك التباساً وقع فيه احمد كمال في ذكر آشور ونمروذها فانه يظل قوله « إن هذا هو ابن بويوي الشامي الشهير الذي جاء إلى مصر في عهد الاسرة العشرين » على ما ذكرناه قبل قائماً . ولا ندري هل قاله جزافاً ام انه مستند فيه إلى سند لم يذكره . وهذا السؤال يورد في صدد رأي مونتيه الاثري من كون اصل الاسرة بابلياً . والسؤالان مهمان في موضوع فكرتنا لأنه إذا صحت نسبة الاسرة إلى الشام أو بابل فانه يصح القول حينئذ بشيء من القوة انها عربية الجنس . ولقد قال سليم حسن ان مانيتون كان يسمي فراعنة هذه الاسرة بملوك يوباسطة في حين أن مؤرخي اليونان القدماء الذين كانوا ينعتونهم بفراعنة تانيس وان من الصعب القول بجزم أين كانت عاصمتهم ، وان الكشوف الحديثة أثبتت ان الجزء الأعظم

---

(١) ٣٥٧ – ٣٦٢ تاريخ من اقدم العصور

(٢) هذه سلسلة آباء شيشنق الملك التي اوردها سليم حسن استناداً الى الاثار : بويوواو – ماوساتا – نبشي بانوث – شيشنق – نمروت – الملك . (ج ٩ ص ٨٨

من آثارهم وجد في تانيس التي تعرف بصان في الدلتا الشرقية وان هذا يدل على ان نفوذهم في الشمال كان اعظم منه في الجنوب . وهذا القول له مغزى في صدد ارومة هذه الاسرة لأن الارومات العربية هي التي كانت صاحبة الكثرة العظمى والنفوذ الاقوى في الشمال . ونكتفي في صدد ذلك بما قدمناه . مع تذكيرنا بما قلناه في سياق الاسرة الرابعة عشرة من احتمالات الاصل الجنسي العربي للوبيين اذا لم تصح تلك النسبة (١) .

ويبدو أن شيشنق قد فرض سلطانه بدون جهد كبير وانه لم يلق مقاومة فمضى أمر الاسرة عادياً بدون ضجة برغم وصف مليم حسن لها بانها من الأجانب . ولم يجرحها احد من القدماء والمحدثين كما كان شأن ملوك الهكسوس والاسرة التنسية السابقة الذكر حيث يؤيد هذا ما نبهنا عليه من أن التجريح والنبز كانا بسبب الصيال الذي وقع بين الجنوب والشمال في ظروف حكم الهكسوس والاسرة التنسية .

— ٣ —

ومما ذكره سليم حسن في صدد هذه الاسرة اجمالا وقبل سرد سيرة ملوكها واحداً بعد آخر (٢) ان الاكتشافات الاثرية تساعد علي تمييز عصرين في حكم هذه الاسرة حيث كانت سلسلة فراعنتهم من شيشنق الاول الى اوسركون الثاني متصلة وان مصر في حقبة هؤلاء كانت موحدة توحيداً قوياً تحت صولجان واحد ، وان امراء الدلتا الصغار في اثناء حكم اوسركون الثاني اخذوا ينسبون لأنفسهم صفات الملك والقابه كنتيجة من نتائج ضعف الحكومة المركزية مما أدى في نهاية الامر الى قيام عهد اقطاعي تمتع فيه الامراء باستقلال محلي مع اعترافهم بسيادة اوسركون الثاني وخلفائه وإلى هذا فانه قام في طيبة في زمن اوسركون الثاني ايضاً اسرة مناهضة تمكنت من فرض سلطانها وحكمها على الوجه القبلي وهي التي يسميها مانيتون الاسرة الثالثة والعشرين ، وانها على ما تدل عليه الشواهد من نفس الاسرة الثانية والعشرين ، والى هذا ايضا فانه قام في سايس (صان الحالية) اسرة ثالثة فرضت حكمها في قسم من الدلتا وهي التي سماها مانيتون الاسرة الرابعة والعشرين . وهكذا كان في مصر ثلاث اسر حاكمة كانت تتلقب بالقاب الملك في آن واحد .

---

(١) في صدد ما رويناه عن سليم حسن من بحث ارومة هذه الاسرة ارجع الى كتاب مصر القديمة ج ٩ ص ٧٥ — ٨٨ والى ما اوردناه من نصوص النقش الحجري في آخر سيرة الاسرة السابقة عن احمد كمال وسليم حسن ايضاً .

(٢) ج ٩ ص ٧٧ — ٨٨

ولم يقف الأمر عند هذا فان شمل البلاد استمر في التمزق دون انقطاع إلى أن بلغ في وقت ما عدد الذين تسموا بالملك وحكموا أجزاء من البلاد اثني عشر ملكاً حوالي عام ٨٦٠ ق م وقد انتهز الاثيوبيون الكوشيون فرصة هذه الفوضى فغزوا مصر واستولوا على جميع أقاليمها عنوة فكانوا الأسرة الخامسة والعشرين . وتخمن المدة التي انقضت بين تولي شيشنق الاول وتولي شباكا الاول أول ملوك الأسرة الخامسة والعشرين ٢٢٥ سنة . ومن المحتمل أن يكون آخر ملوك الأسرة الثانية والعشرين على عرش الملك عند غزو الاثيوبيين لمصر . وقد حل هؤلاء محل الأسر الثلاث البارزة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة والعشرين دفعة واحدة لأنها كانت متعاصرة .

ومما قاله كذلك في صدد انتقال الحكم إلى الأسرة الثانية والعشرين ان الشواهد تدل على انه حدث في جو يسوده الهدوء وان صلات الود والقربى لم تلبث ان قامت بين هذه الأسرة السابقة حيث تزوج ابن سيشنق مـــن بنت بسوسنس الثاني وحيث جدد شيشنق تمثـــال هذا الملك . .

كذلك مما قاله قبل سرد سيرة ملوك الأسرة ان شيشنق لم يغير شيئاً من النظام القائم في طيبه والذي كانت مقاليد الامور بموجبه في يد الاله آمون . ولكنه عين ابنه اوبوت كاهناً أكبر لهذا الاله ، وقد وصفت الآثار اوبوت هذا بصفة رأس الجيش العظيم للجنوب كله مما ينطوي فيه انه كان يمارس السلطان الزمني في الجنوب بالاضافة إلى السلطان الديني كما كان الامر في عهد الاسرة السابقة . وقد صار هذا سنة للملوك الذين جاؤوا بعد شيشنق ايضاً حيث كانوا على الاغلب ينصبون أبناءهم في منصب الكاهن الا كبر ويجعلونهم يمارسون السلطان الزمني بالاضافة إلى السلطان الديني في الجنوب . ومنهم من زادت ألقابه كالكاهن الا كبر شيشنق الذي تولى المنصب في عهد أبيه اوبركون الاول حيث لقب على ما عرف من الآثار بألقاب سيد الجنوب والشمال الرئيس الاعلى قائـــد الجيش الاعظم لمصر كلها وصار يضع اسمه في طغراء . وقد تلقب كاهن آخر أيضاً بلقب الملك وهو حورسا ايزيس الثاني الذي كان كاهناً أكبر في عهد خاله شيشنق الثالث . وهذه الشواهد جعلت سليما حسناً على ما يبدو يعقد قبل الشروع في سرد سيرة ملوك الاسرة نبذة بعنوان المملكة الالهية في طيبه ليسرد فيها أسماء الكهان الكبار الذين كانوا يمارسون السلطان الزمني والديني معاً في الجنوب في عهد آبائهم او أخوالهم أو أعمامهم الملوك (١) .

---

(١) ج ٩ ص ٨٩ – ١٠٤

ولقد سرد سليم حسن بعد التمهيدات التي لخصناها بما تقدم سيرة ملوك الاسرة في نبذ متوالية نلخصها بما يلي :

(١) ششنق الاول (١) : ان حكم هذا الملك كان على ما يبدو معاصراً لحكم بسوسنس الثاني آخر ملوك الأسرة السابقة ولم يصبح شامل السلطان في جميع مصر إلا بعد وفاته . وقد تحرج من تغيير النظام القائم في طيبه الذي كان كهان آمون يتولون بموجبه السلطان الديني والزمني فيها لرسوخه ولكنه عين ابنه اوبوت للكهانة العظمى وفوض اليـه ممارسة الحكم ايضا . وقد حنق كهان آمون من ذلك وترك معظمهم طيبة ولجأوا إلى اقلـيم نباتا قرب الشلال الرابع وهم أصل ملوك اثيوبيا الذين فتحوا مصر وأسسوا فيها الأسرة الخـامسة والعشرين . وقد قاد هذا الملك حملة حربية على فلسطين وانتصر فيها . وجمل معابد الآلهة في طيبه شكراً لهم على ما يسروه له من نصر وأقام بوابة سماها بوابة النصر بين معبد رعمسيس الثالث والبوابة الثانية ونقش عليها قصة حملته على فلسطين ومناظرها . ومن جملة ذلـك صفوف عديدة من الأسرى وعلى كل واحد منهم اسم البلد الذي أسر منه. وقد تهشم معظم النقوش . وتحمن الاسماء بما لا يقل عن ١٨٠ ، وقد أورد المؤلف ما أمكن قراءته منهـا بالاضافة إلى ما أورده من نصوص ومناظر أخرى . ومن الاسماء كثير لا يزال قائمـا في فلسطين . ومن الاسماء التي ذكرها ارا (لعلها عاره) ورابات وتاعنيكا وشنايا ــ وقـد وصف المؤلف هذه الاسماء الاربعة بانها في شمال فلسطين . ثم بيت شانرايا ورحيبا وحبريا واروم ومحنم وقبعي وبيت حورون ومكديا وحينم وعرن وبيت عرم وبيت تبوح وبيتزابي وككيا وبانير وبركت وصحرم ومجدر وعيزمـيا وحقل ابرام وحقل نعزبت وحقل شنيا وعرد وقرنه وخريم وتبت عنت ويرحم وشردد وربح وربني وغنجرن وهام .

ومما قاله سليم حسن تعليقا على حملة شيشنق على فلسطين انه اراد ان يعيد لمصر بعض ما كان من امجاد وسلطان في البلاد المجاورة . وانه كان لما احرزه مـن انتصار في فلسطين نتائج حسنة تمثلت في انتشار نفوذ مصر ثانية في الاصقاع الآسيوية وفي ازدياد موارد ثروتها وان مصر عاشت قرنين من الزمن على الغنائم التي حملها سيشنق على ما تدل عليه العمائر التي أقامها هو وملوك أسرته والتي لا تزال قائمـة إلى الآن ، وان مدى انتصار شيشنق مبهم في النصوص المصريـة ، وان الظاهر ان زحفه لم يتعد بيت نان في الحدود الشمالية مـن الجليل .

( ) ج٩ ص ١٠٧–١٧٥

ولقد ورد في سفر الملوك الاول (١) ما يفيد ان احد رجال سليمان يربعام رفع يده عليه فطارده ففر إلى مصر في عهد شيشنق حيث ظل لاجئا في حماه إلى وفاة سليمان ثم عـــاد إلى السامرة وقـــاد حركة تمرد ضـــد رحبعـــام بن سليـمان ادت إلى انشطار مملكة سليمان الى دولتين واحدة في الجنوب ومركزها اورشليم وعرفت باسم مملكة يهوذا واخرى في الشمال مركزها شكيم في السامرة وعرفت باسم اسرائيل. وقد ورد في السفر الثاني من اخبار الايام (٢) اشارة الى غزوة شيشنق لفلسطين .

ذلك ، حيث يبدو من هذا وذاك ان سلطان شيشنق شمل جميع فلسطين . ولا يبعد ان يكون هو الذي حرض يربعام عـــلى السفر الى فلسطين وقيادة حركة التمرد كجزء مـــن خطة رسمها لاعادة سلطان مصر الفعلي على فلسطين بعد ان صار اسميا في عهد سليمان وداود. فلما نجحت حركة يربعام وانقسمت المملكة قام بزحفه ونجح في قصده منه . ولقد ذكر هذه الاحداث المطران الدبس في كتابه تاريخ سورية (٣) فقال فيما تماله ان شيشنق اعتزم غزو فلسطين وسورية وبسط سلطانه عليهـما فدس يربعام فأحدثت دسيسته انقسام المملكة فأضعفها ثم دس على ملك صور حليف سليمان وتمكن من اغتياله أيضا فتيسرت الامور في طريقه فقام بزحفه ، ولم يذكر الدبس ان شيشنق حقق مطمحه في غزوة فينيقية او سورية وكل ما ذكره هو ما ذكرته الاسفار من صعوده إلى اورشليم ونهبها .

ولقد روى سليم حسن (٤) عن الاثري مونتيه ان شيشنق ارسل تمثالـــه الى ملك جبيل ووصى رسوله ليتحدث مع هذا الملك في شأن الحملة التي أزمع على قيادتها ؛ حيث يؤكد هذا من ناحية ما كان يطمح شيشنق اليه من اعادة سلطان مصر إلى فلسطين وسورية وما اتخذه من تدابير في سبيل ذلك . والظاهر ان ملك جبيل كان في هذه الآونة يظهر الود والانسجام معه وانه كان مناوئا لملك صور فشجع هذا شيشنق على عرض التحالف معه .

ومع ان شيشنق ذكر في نقوشه على بوابة النصر انه اخضع بلاد متني لسلطانه في جملة ما اخضعه ــ وهذا الاسم كان يطلق على قسم من شمال سورية وجزيرة الفرات . وقد قال

---

(١) الاصحاح ١١ وهذ السفر بهذا الرقم في النسخة البروتستانية اما في النسخة الكاثوليكية فرقمـــه الثالث من اسناد الملوك

(٢) الاصحاح ٢٢

(٣) الجزء الاول المجلد الاول ص ٢٩٩

(٤) ج ٩ ص ٢٣٠

بريستيد(١) ان هذا كان من قبيل التباهي لأنه لم يذهب إلى أبعد من بحر الجليل شمالا وماهنايم في وادي الاردن شرقاً وان كل ما كان من نتائج زحفه ان غدا سلطان مصر على فلسطين فعلياً بعد أن كان اسمياً . وهذا هو المستفاد من تعليقات سليم حسن التي أوردناها آنفاً .

وبالاضافة إلى نقوش بوابة الكارناك فقد عثر على لوحات عديدة عليها نقوش ومشاهد من آثار شيشنق وعهده بعضها مهشم . وقد أورد سليم حسن ترجمة نصوص ما أمكن قراءته من النقوش كما وصف ما عليها من مشاهد باسهاب استغرق نحو عشرين صفحة . وفي جملة ما فيها اشارة إلى وقعة حربية بين شيشنق وبين قوم آسيويين في خليج السويس انتصر فيها عليهم وأوقع فيهم مذبحة عظيمة ، واشارة إلى عمليات فتح آبار مسدودة مخربة وتنظيم أراض زراعيه في الواحة الداخلة في الصحراء الغربية ، واشارة إلى عملية تنظيم الضرائب والقرابين الدينية في مقاطعة اهناسيه وقد ذكر شيشنق في هذه النقوش بوصفه ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الارضين ابن رع رب التيجان مرى آمون .

ومما ورد في النقوش اسم رئيس توهارو اهناسيه المدينة واسم رئيسها توهارو بدون نسبة إلى مكان ، وقال سليم حسن توضيحاً لذلك ـ ومن المحتمل ان يكون مستنداً إلى دراسات اثرية حيث قل ان يقول هذا العالم الجليل شيئاً جزافاً ـ ان هذا الاسم هو اسم قوم من الساميين أتى بهم الفراعنة إلى مصر خلال حملاتهم على آسيا ، وانهم طائفتان في عهدين مختلفين واحدة منهما تنسب الى رعمسيس الثاني الذي أنزلها في مكان غير معروف من مقاطعة اهناسية . وكانت ثانيتهما تقيم في اهناسية المدينة . وفي هذا صورة من صور التسالل العربي الجنس إلى مصر كما هو واضح .

(٢) اوسر كون الاول (٢) : ان المعلومات عن هذا الفرعون قليلة . وان اهم اثر بقي من نقوشه ما وجد على جدران معبد صغير في تل بسطه . ويدل ما أمكن قراءته منها ـ لأنه طرأ عليه تهشيم ـ على ان هذا الملك قد قدم لمعابد مصر كثيراً من التقدمات القيمة تدل على عظم ثروة مصر في عهده . وقد احتوت النقوش قوائم مفصلة للتقدمات أوردها المؤلف بحذافيرها واستغرقت حيزاً كبيراً .

وللتمثيل على ذلك نذكر فيما يلي بعض الارقام البارزة :

---

(١) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٣٥٧ ـ ٣٦٢

(٢) ج ٩ ص ١٧٧ ـ ٢١٥

١ــ للاله رع : ١٥٣٤٥ دبن (١) ذهب وزن التماثيل والأواني
١٤١٥٠ « فضة
٤٠٠٠ « لازورد أصلي
١٠٠٠٠ « من المعادن الاخرى
٢ــ للالاهة حتحور : مقصورة ذهبية وزنها ١٠٠٠٠٠ دبن
٣ــ للاله تحوت : اوان ذهبية لم يظهر وزنهـا . واوان فضية ٩٠٠٠ دبن واوان نحاسية ٣٠٠٠ دبن
٤ــ لبيت رع وتـاسوعه الالهي : اوان ذهبية ونضية ولازورديـة مجموع وزنهـا ٥٩٤٣٠٠ دبن
٥ــ للاله آمون : تماثيل ومقاصير ومذابح فضية وذهبية . وزن الذهبية منها ٢٠٠٠٠٠ دبن والفضية ٢,٣٠٠٠٠٠

هذا ، وفي المعبد الكبير مناظر منحوتة كبيرة الحجم مذهلة بجمال صنعها من عهد هـذا الملك وذلك بالاضافة إلى نقوش ولوحات اخرى تحمل اسمـه واسم ابنه اورات بوصفه الكاهن الاول لامون رع وقائد الجيشين الاعلى والمقدم . وفي احدى اللوحات قائمة تبين الاراضي المشجرة التي اوقفها اورات للاله امون وما فيها من آبار وعبيد واماء . وقد عثر على بضعة تماثيل لهذا الملك كما عثر على جعارين وتعاويذ تحمل اسمه ايضاً .

(٣) تاكيلات الاول (٢) : ليس لهذا الملك احداث هامة مأثورة . وقد نسب اليه بعض الاثريين لوحات وتماثيل وجعارين ولكنها ليست له .

(٤) اوسركون الثاني (٣) : ان الكشوف الحديثة في تانيس ابرزت ان هذا الملك من اهم ملوك الاسرة ، وهو ابن تاكيلات الاول . وقد اتخذ رعمسيس الثاني نموذجـا له بل واراد ان يفوقه . واغتصب كثيراً من آثاره ونقش اسمه عليها . واصطنع شارته وألقابه . ومن اهم احداث عهده تعظيم عبادة الالاهة باست الاهة بوبسطه واسقاط عبادة ست . وقد وجدت آثار كثيرة في تل بسطه والوجه البحري تحمل اسمه منها ما هو له ومنها ما هو لملوك سابقين من اسر سابقة . وتدل الاحوال على ان علاقة جبيل بمصر في عهده كانت علاقة ود ومصافاة وقد ارسل تمثاله الى ابلي بعل ملكها ليضعه في معبد بعلت الاهة جبيل .

---

(١) ذكرنا قبل ان الدبن يساوي ٩٠ غراماً

(٢) ص ٢٠٦ - ٢١٩

(٣) ص ٢٢٠ - ٣٠٧

وعزا المؤلف في سياق ذلك رأياً لمونتيه باحتمال طموح هذا الملك إلى مد سلطانـه إلى بلاد الشام . ولهذا الملك آثار كثيرة في ميتوم الواقعة في الطريق الذاهب من مصر الى فلسطين . وعثر على آنية مـن المرمر في السامرة تحمل اسمه . وكان في الجيش الذي حاول وقف زحف الآشوريين عنـد حماه في زمنه فصيلة مـن جنود مصر حيث يدل هـذا على ان اوسركون حقق شيئاً من مطامحه في بسط سلطانه أو مد أصابعه الى بـلاد فلسطين وسورية .

وقد وجد اسم هذا الملك في نقوش عديدة في الوجه القبلي وطيبة . وعرف من الآثار انه قام باصلاحات عمرانية متنوعة في تانيس بغية إعادتها إلى رونقها السابق . وقـد عثر على مقبرة هذا الملك وغيره مـن ملوك الاسرة في تانيس حيث يدل على انهـم اتخذوا مقابرهم فيهـا كالاسرة السابقة . ولعـل هذا يدل على ان هذه المدينة كانت عاصمة لهؤلاء الملوك ايضاً . وقد أسهب سليم حسن كعادته في وصف كشف هـذه المقـبرة الذي جرى في سنة ١٩٤٠ ووصف ما فيها من توابيت ونقوش ومومياآت واوان وتماثيل وتعاويذ وجعارين وحلى الخ .

وقـد عثر على تماثيل عديدة لهـذا الملك وعلى مقابر وتماثيل لعدد مـن رجال عهـده الدينيين وصفها سليم حسن ووصف ما عليها مـن نقوش وزخارف وصفاً مسهباً كذلك .

وقد عثر على وثيقة من عهد هذا الملك تفيد انه كان يتولى منصب الكهانة الكبرى قبل ولايته للملك حورسا ايزيس حفيد اورسوكون الاول وابن شيشنق فأراد هذا الملك ان يتجاهله فعين ابنه حور نخت للكهانة ثم عين عليها ابناً آخر له اسمه نمروت . غير أن حورسا ايزيس وجد في نفسه القوة على الصمود والاحتفاظ بالمنصب بل والتلقب بلقب الملك ، وان الملك اضطر في النهاية إلى اصدار مرسوم في عيده الثلاثيني يعترف فـيه باستقلال طيبـة تحت حكم حورسا ايزيس مـع بقائها رسمياً واسمياً تحت سيادته وان حورسا قبل بذلك .

(٣) شيشنق الثاني: (١)ان ظواهر الأحوال تدل على أنه كان مشتركاً مع والده اورسكون الثاني في الحكم وان مدة حكمه منفرداً غير معروفة . ولم يرو لهذا الملك عملا هاماً إمع قوله

(١) ج٩ ص ٣٠٩ - ٣١٣

انه عثر على بعض آثار له تعود إلى ما قبل توليه الحكم منفرداً .

وذكر خبر العثور على مقبرته في تانيس ووصفها ووصف ما فيها مـــن حلى وأوان وتعاويذ وجعارين ونقوش .

(٦) ولقد ذكر المؤلف بعد هـــذا الملك حورسا ايزيس (١) الذي ينفرد في ذكره في سلسلة ملوك هذه الاسرة دون احمد كمال وبريستيد . ويبدو من سياقه عنه انه الكاهن الاكبر لآمون في طيبة الذي تلقب بلقب الملك بموافقـــة اوسركون الثاني والذي ذكرنا قصته في سيرة هذا الملك قبل قليل ، ولم يرو عنه شيئاً ذا بال . والظاهر انـــه سلكه في سلك ملوك الأسرة بسبب تلقبه بالالقاب الملكية برغم انه لم يكن تام السيادة ولا شامل السلطان .

(٧) تا كيلوت الثاني (٢): هذا الملك هو ابن اوسركون الثاني . وقد عثر على آثار عديدة تحمل اسمه والقابه من لوحات ونقوش وجعارين . وقد اكتشفت مقبرته ، ووصف المؤلف ما وجد فيها باسهاب كالعادة . وقد قرئت له نقوش فيها مراسيم هبات لبعض الأرضين لبعض الناس بصفة المالك للارض مما فيه صورة من صور الحكم . وفي بعض اللوحات ذكر اسم اوسركون ابنه بصفة الكاهن الاكبر لآمون مما فيه دلالة على ان حورسا ايزيس الكاهن الملك في طيبة لم يلبث أن مات . وقـــد وصف هذا الملك في النقوش بوصف ملك الوجه القبلي والبحري رب الارضين ابن للشمس محبوب الالاهة باست صاحب بسطة .

(٨) شيشنق الثالث (٣) : لقد طال حكم هذا الملك حتى قدره بعضهم باثنين وخمسين سنة ، ولا يقل على أي حال عن أربعين . وهو الذي أنشأ البوابة الضخمة لمعبد تانيس التي كشف عن بقاياها مؤخراً . وقد وصفها سليم حسن وصفاً مسهباً فيه دلالة على ما كانت عليه فخامة وضخامة وذكر المؤلف كذلك خبر اكتشاف مقبرة هذا الملك ونوه بضخامتها وزخارفها ونقوشها . وقد قرئت نقوش لابنه اوسركون الكاهن عرف منها انه كان لـــه حزب معاد في طيبة يعرقل حكمه وسلطانه في الوجه القبلي وانه ذهب إلى الاشمونين حيث حشد الانصار ثم أخذ يضيق الخناق على أعدائه حتى تغلب عليهم . وقد ذكر في النقوش ما بذله من جهود في سبيل ذلك وما قربه من قرابين شكراً للاله آمون وتاسوعه على توفيقه

---

(١) ص ٣١٤ – ٣١٧

(٢) ٣١٨ – ٣٢٦

(٣) ٣٢٧ – ٣٨٠

له ونصره على أعدائه ، وقد بلغت القرابين آلافاً مؤلفة مـــن الثيران والغزلان والوعول والاوز المسمن مـــع فيض من النبيذ والأزهار والشهد والبخور . ووصف في النقوش بوصف المشرف على الوجه القبـــلي والحاكم الاعظم للارضين حيث يدل كل هذا على استمرار ابناء الملوك على ممارسة السلطان الزمني والديني معاً في طيبة .

وقد عثر على لوحات ونقوش وآثار متنوعة تحمل اسم هذا الملك في أنحاء مختلفة . ووصف فيها بوصف ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الأرضين كما عثر على تماثيل له وتماثيل لبعض رجال عهده اسهب المؤلف في وصفها وأورد ما عليها من نقوش واسماء والقاب .

٩ ــ بامي (١) : ان هذا الفرعون هو ابن شيشنق الثالث وكانت مدة حكمه قصيرة . وقد عثر على لوحة تحمل اسمه ووصف فيها بوصف ملك الوجه القبلي والبحري رب الأرضين . ولم يرو لهذا الملك عمل هام .

(١٠) شيشنق الرابع (٢) : هو ابن بامي وآخر ملوك الاسرة . وقد قال سليم حسن ان الآثار التي عثر عليها حتى الآن تدل على أن هذا الفرعون وأسلافه الثلاثة كانوا يحكمون في الوجه البحري فقط وان سلطانهم في الوجه القبلي قد انتقل إلى غيرهم . وهذا عجيب فانه إذا صح في حق هذا والذي قبله فانه ينبغي أن لا يصح بالنسبة لشيشنق الثالث الذي ذكر المؤلف ما كان من صيال بين ابنه كاهن آمون وبين الحزب المعادي له وتغلبه عليه وفرض حكمه وسلطانه في طيبة والوجه القبلي على ما مر شرحه .

ومما قاله هذا المؤلف ان الآثار تدل على أن حكم هذا الفرعون كان معاصراً لحكم اوسركون الثالث وتاكيلوت الثالث مع الاسرة الثالثة والعشرين في مصر العليا . ومع ذلك فقد وصف في بعض اللوحات بوصف ملك الوجه البحري والوجه القبلي كاسلافه . فاذا صح ما قاله سليم حسن فيكون هذا اللقب قد غدا تقليديا ولو لم يكن متفقا مع الواقـــع بالنسبة لهذا الملك ومـــن قبله من الملوك الذين كان ملوك آخرون معاصرون لهم يحكمون جهات اخرى في مصر وبالنسبة لهـــؤلاء الملوك ايضاً الذين كانوا يصفون انفسهم بذلك الوصف كذلك . وقد عثر لهذا الفرعون على آثار عمرانية في معبد تنيس كـــما عثر على لوحات عديدة له . وفي بعضها إشارة إلى هبة أرضية وهبها لبعض الناس ، وفي بعضها ما يدل على استمرار الصلة بين مصر والواحات وسيطرة هذه الاسرة عليها . وتدل الآثار

---

(١) ص ٣٨١ــ٣٨٤

(٢) ص ٣٨٥ــ٣٨٩

على أن حكم هذا الملك لم يكن يقل عن سبع وثلاثين عاماً .

هذا وبتطابق احمد كمال و بريستيد مع سليم حسن في خطوط سيرة الاسرة بل وفي تفصيلها عدا مباينة بين احمد كمال وسليم حسن حيث ذكر هذا ان تاكيلوت الثاني هو ابن اوسركون الثاني في حين ذكر احمد كمال (١) ان تاكيلوت ليس من الاسرة وانما هو زوج حفيدة لاوسركون الثاني اسمها ميموت كروماما وانه كان رئيس كهان آمون وقائد الجيش المصري ، وان نسل العصبة الوارثة انقطع بموت شبشنق الثاني فارتقى تاكيلوت العرش نتيجة لذلك .

(١) العقد الثمين ١٥٦-١٦١

الاسرة الثالثة والعشرون

– ١ –

ان ملوك هذه الاسرة المستنبطة اسماؤهم من الآثار على ما جاء في مصر القديمة (١)هم :

الفرعون بادوباست – الملك اوبوت – الفرعون اوسركون الثالث – الملك تاكيلوت الثالث – الملك ورد آمون – اوسركون الرابع – الملك نفر كارع – الملك خبر خع تحوتمحات الملك نمروت – الملك روبوت – الملك شيشنق الخامس – الملك من خبر رع .

وننبه على ان سياق سليم حسن عنهم يفيد انهم لا يجمع معظمهم رابطة قربى ، ولم يتولوا الملك واحداً بعد آخر بالترتيب الآنف وان منهم من حكم في محل بينما كان آخر منهم يحكم في محل آخر في نفس الوقت حيث يبدو من هذا ان في جمعهم في سلسلة واحدة تحت عنوان اسرة واحدة تجوزاً كبيراً .

وننبه على ان احمد كمال (٢) لم يذكر في جدول آثاره الا ثلاثة اسماء كملوك لهذه الاسرة وهم :

بدوبا ست بلقب سهر اب رع – اوسركون الثالث بلقب عا خبر رع استبن آمن – بساموت بلقب استبن بتاح بيموت .

وقد اورد الى هذا اربعة اسماء معزوة الى مانيتون وهي :

بتوباستيس ومدة حكمه ٤٠ سنة – اورسورخو ومدة حكمه ٩ سنوات – بساموت ومدة حكمه ١٠ سنوات دث ومدة حكمه ٣١ سنة .

اما بريستيد (٣) فانه ذكر بدوره ثلاثة اسماء من الآثار ايضاً وهم : بديبست – اورسوركون الثاني – اوسوركون الثالث .

والتباين واضح بين هذين المؤرخين وسليم حسن . فاما ان يكونا لم يريدا ان يذكرا اسماء لم تكن فعلا صاحبة سلطان شامل اوكالشامل واكتفيا بذكر ما صح حكمه الشامل او

---

(١) ج ٩ ص ٣٩٣–٤٣٥

(٢) العقد الثمين ص ١٦١

(٣) تاريخ مصر من اقدم العصور ٤٠٧

كالشامل عندهما واما ان نكون الاسماء التي اوردها سليم حسن دونهما قـد ظهرت في اكتشافات حديثة .

اما التباين بين الاسماء المتقاربة التي ذكرها المؤلفون الثلاثة وعزوها الى الآثار فمرده على ما هو المتبادر الى الاختلاف في القراءة والاستنباط .

- ٢ -

ومما ذكره سليم حسن (١) في صدد نشأة الاسرة وسيرتها ان بادو باست ظهر وفرض سلطانه اثناء حكم الاسرة الثانية عشرة فانقسمت البلاد الى مملكتين واحدة في الشمال واخرى في الجنوب ، وان النزاع لم يطل بينهما فلم تلبثا ان ارتضتا بما تم من اقتسام البلاد والسلطان بل لقد قام بينهما شيء من التواثق حيث كان ابن شيشنق الثالث باشد باستت حاكماً ومقدماً عظيماً في طيبه في زمن حكم بادو باست في هذه المدينة على ما يستفاد من نقش نقشه هـذا الحاكم على حجر دعم به احدى بوابات الكارناك ذكر فيه اسمه واسم ابيه واسم بادوباست بصفته ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الارضين محبوب آمون ب رع - رب التيجان. وقد تهاون ملوك الدولتين فتركوا معظم البلاد في ايدي رؤساء محليين حتى انتهى الامر باعلان (١٨) منهم استقلالهم .

ويستفاد من جدول اثبته سليم حسن (٢) فيه اسماء ملوك الاسر الثانية والعشرين والثالثة والعشرين والرابعة والعشرين ان بادوباست ظهر وبرز في عهد بامي أحـد ملوك الاسرة السابقة .

ومما قاله هذا المؤلف في صدد بادوباست ان اسمه يدل على انـه من بوبسطة في مصر الوسطى ، وان من المحتمل ان يكون نادي بنفسه في اول الامر ملكاً في الدلتا واتخذ تنيس مركزاً له ثم تمكن من فرض سلطانه على طيبة وجعلها مركزاً ؛ وان النقوش والآثار ذكرت شخصين باسم بادوباست وصف احدهما بملك تنيس بينما وصف الآخر بملك طيبة ، وكل منهما ذكرت له القاب غير القاب الآخر ؛ وان مونتيه الاثري قال باحتمال أن يكون الاسمان شخصاً واحداً تعددت القابه بسبب تنقل مركزه وتكامل سلطانه . ولم يوافق سليم حسن على هذا الرأي مع أنه يبدو متطابقاً مع ما قاله من احتمال ان يكون بادوباست قد نادي بملكه اولا في الدلتا واتخذ تنيس مركزاً ثم في طيبة وتحول اليها .

---

(١) ج ٩ ص ٣٩٠-٤٠١

(٢) ج ٩ ص ٨٠ - ٨١

ويفيد كلام هذا المؤلف أن بادوباست يمت إلى أصل لوبي استنتاجاً من كونه من بوبسطه في مصر الوسطى التي كانت مركزاً من مراكز تكثف اللوبيين . غير ان بروزه في الدلتا الشرقية التي كان معظم سكانها من الأرومات العربية يجعل احتمال كونه من هذه الارومات وارداً أيضاً وحتى على فرض انهمن بوبسطة اصلا فان هذا الاحتمال لا يزول لأن مصر الوسطى كانت من مراكز تكثف الارومات العربية الجنس (الاسيوية والشامية) علىما مر بيانه في مناسبات عديدة .

ويفيد كلام سليم حسن عن اوبوت الذي يذكره في الترتيب بعد بادوباست (١) انه كان معاصراً بعض الوقت لهذا وكان يحكم فيبوبسطة في أثناء حكم الاول في طيبة ؛ وكان كل منهما يتلقب بلقب ملك الوجه القبلي والوجه البحري وليس بينهما صلة قربى ودم . وقد روى المؤرخ مع ذلكعن اثري اسمه داري ان اوبوتكانيحكمفيالوجهالبحريفي حين كان بادوباست يحكم في الوجه القبلي . ولا يذكر احد هوية اوبوت هذا فمن المحتمل ان يكون عربي الجنس لان بسطة كانت تتحمل الاحتمالين .

والذي تولى حكم طيبة بعد بادوباست اوسوركونالثالث الذي كان كاهناً اكبر لآمون على ما يفيده سياق سليم حسن (٢) وليس بينه وبين بادوباست صلة . وقد تلقب كذلك بلقب ملك الوجه القبلي والبحري مع ان حكمه كان محصوراً في القبلي .

وحكم طيبة بعد هذا تاكيلوت الثالث (٣) وليس بينه وبين اوسوركون الثالث صلة قربى ايضاً . ومن المحتمل ان يكون هو الكاهن حينما صار اوسوركون ملكاً فلما مات حل محله .

وحكم طيبة بعد هذا ورد آمون (٤) الذي ذكرت النقوش انه ابن الملك اوسركون . ومن المحتمل ان اوسوركون هذا هو اسوركون الثالث المار ذكره .

وحكم طيبة بعد هذا اوسوركون الرابع (٥) ، وهناك احتمال ان يكون هذا ابن ورد آمون .

---

(١) ح ٩ ص ٤٠٢ -٤٠٣
(٢) ص ٩ ٤٠٥ — ٤٢١
(٣) ٤٢٢-٤٢٣
(٤) ٤٢٤ - ٤٢٧
(٥) ٤٢٨—٤٣٠

وهكذا تكون صلة القربى المحتملة قد جمعت بين اوسوركون الثالث وورد آمون واوسركون الرابع فقط من الملوك الستة الاولين في القائمة . وهناك احتمال ان يكون اوسوركون الثالث من امراء الاسرة الثانية والعشرين فيكون الثلاثة من هذه الاسرة إذا صح الاحتمال .

ولقد ذكر سليم حسن الملوك الستة الآخرين في القائمة تحت عنوان « ملوك آخرون من هذا العهد لا يعرف مكانهم في سلسلة ملوك الاسرة » وقال انهم على الارجح حكموا اثناء حكم الاولين ، وان الشواهد تدل على انهم مع تلقبهم بلقب الملك وكتابتهم اسماءهم في طغراآت فرعونية ووصفهم انفسهم بملوك الوجه القبلي والوجه البحري اسوة بالستة الاولين كانوا ملوكاً صغاراً ولم يكن حكمهم يتجاوز احياناً مقاطعة واحدة وكان ذلك في ظرف تمزقت فيه وحدة البلاد وخاصة في الوجه البحري ومصر الوسطى .

واولهم نفركارع الذي يظن انه زوج بنت وردآمون (١) . ولا يعرف اين كان حكمه ومن المحتمل ان يكون من ارومة حميه .

وثانيهم تحوتمات (٢) كان يتلقب محبوب تحوت رب الاشمونين بالاضافة الى لقب ملك الوجه البحري والوجه القبلي التقليدي على ما تفيده النقوش . ولا يعرف على التأكيد محل حكمه وان كان من المحتمل ان يكون مصر الوسطى . وإذا صح هذا فتكون ارومته بين احتمال الاصل اللوبي والاصل العربي بدوره .

وثالثهم نمروت لا يعرف اين كان حكمه (٣) . وقد يدل اسمه على انه من ارومة الاسرة الثانية والعشرين .

ورابعهم اوبوت كان يحكم اقطاعتين في غرب الدلتا على ما ذكره سليم حسن عزواً الى بعض الاثريين (٤) . وارومة هذا الملك والحالة هذه عربية على الاغلب .

وكان خامسهم شيشنق الخامس يحكم في بوصير على ما ذكره سليم حسن عزواً الى بعض الاثريين كذلك (٥) وليس بينه وبين الاسرة السابقة صلة ما رغم تسميه باسم ملوك

---

(١) ص ٤٢٩-٤٣٠

(٢) ٤٣٠ - ٤٣٣

(٣) ٤٣٣ - ٤٣٤

(٤) ٤٣٤

(٥) ٤٣٤-٤٣٥

هذه الاسرة . وبوصير من مدن الدلتا الغربية ، والاحتمال قوي والحالة هذه باصله العربي .

وقال سليم حسن عن سادسهم (١) من خبر وع ان من المحتمل أن يكون أحـــد الامراء المحليين في الوجه البحري أو مصر الوسطى وان يكون عاصر آخر ملوك طيبة وبسطة واول ملوك الاسرة الخامسة والعشرين الاثيوبية .

ولقد قلنا أن في جمع الملوك الاثني عشر في نطاق الاسرة الثالثة والعشرين تجوزاً كبيراً والظاهر أن صفة الفوضى التي كان يتصف بها حقبة هؤلاء الملوك هي التي اوحت لسليم حسن بجمعهم في عنوان اسرة واحدة .

ولا يذكر هذا المؤرخ احداثاً هامة للملوك الاثني عشر . حتى ولا لبادو باست بعد ان وطد ملكه في الدلتا ثم في طيبة حيث يبدو ان كلا منهم اكتفى بما صار له من سلطان محلي ولم يطمح إلى شيء آخر ، ولم يكن فيهم من تعلقت همته بفرض سلطانه على غيره فسارت امورهم على سجيتها بدون ازعاج ولا انزعاج .

وكل ما اورده المؤرخ عنهم بعض نشاط عمراني محلي وبعض لوحات ونقوش في مقاييس النيل وبعض هبات أرضية لبعض الناس وحادث فيضان وقع في الاقصر وكاد أن يغمرها وما عثر عليه لهم من تماثيل وجعارين ..

وقد كان اوسر كون الثالث اكثرهم حظاً في الذكر والنشاط . فهو الذي سجل مقاييس فيضان النيل وهو الذي كاد أن يغمر الفيضان الاقصر في عهـــده وسجل الحادث وما فعـــله في سبيل درء الخطر في لوحـــة خاصة ، وهو صاحب اكبر نشاط عمراني بين مـــلوك الاسرة . وقد عثر على تمثال له وتماثيل لعدد من رجاله على نقوش تذكر ما كان لاصحابها من مكانة الخ ..

— ٣ —

وبين سليم حسن واحمد كمال (٢) شيء من التطابق في سيرة بدوباست . وقـــد ذكر احمد كمال في صدد سيرة اوسوركون الثالث (٣) الذي خلفه بدوباست حسب رأيه انه اتخذ طيبة وتنيس مقرين له واستطاع ان يحتفظ بسلطان دولته وقوتها ، وذكر في صدد ابساموس (٤) الذي لم يذكره سليم حسن انه اتخذ منف مركزاً لحكمه وجرى على منهاج أسلافه وان الذي خلفه هو زت رابع الملوك في جدول مانيتون .

---

(١) ٣٤٥ — ٤٣٦

(٢)و(٣)و(٤) العقد الثمين ١٦١—١٦٢

ثم قال ـ وفي كلامه هذا بعض التطابق مع كلام سليم حسن ـ ان مصر انقسمت في مدة هؤلاء الملوك إلى عشرين امارة كان امراؤها يتمتعون بشيء من الاستقلال وان أربـ ، منهم أدرجوا اسماءهم في طغراآت ملوكية وميزوا انفسهم بالالقاب والشارات الفرعونية ثم ظهر جماعة صالحجر بالوجه البحري(سايس أو صاو قديماً في الوجه البحري الغربي)فشرعوا في نزع الحكم من ايدي الامراء وحاولوا ان يقيموا دولة فلم يتمكنوا في بدء الامر بسبب المقاومة التي لقوها من الصاويين والامراء معاً ، فاستعانوا بالاثيوبيين فأغار هؤلاء على مصر واستولوا على الوجه القبلي ووقف الصاويون في وجه المغيرين ثم برز أمير صاوي جديد اسمه تفتخات فتمكن من ردعهم واقامة دولة جديدة هي الاسرة الرابعة والعشرون .

وبريستيد (١) متطابق اجمالا مع احمد كمال فيما اورده من سيرة هذه الاسرة .

---

(١) انظر تاريخ مصر من اقدم العصور تعريب حسن كمال ص ٣٦٢

الاسرة الرابعة والعشرون

-١-

وكما تباين سليم حسن وأحمد كمال وبريستيد في أسمـــاء ملوك الاسرة السابقة وسيرتهم تباينوا في أسماء ملوك وسيرة هذه الأسرة مع شيء من التطابق .

فأحمد كمال (١) يورد في الجدول الذي يعزوه إلى مانيتون خمسة أسماء لملوكها هكذا :

١ـ تختانس أو تناخنوس

٢- بكوريس

٣ـ استفاتس ومدته ٧ سنوات

٤ـ نخبسو « ٦ «

٥ـ نكاو الأول « ٨ «

ويورد في جدول الآثار ثلاثة أسماء وهي :

١ـ تفتخت

٢ـ بكنرتف وح كارع

٣ ـ نكاو الاول

ويضع نقاطاً محل ملكين بين الثاني والثالث كأنما يؤيد مانيتون بأن ملوكها خمسة لم يعرف من الآثار منهم إلا ثلاثة .

ولم يذكر أحمد كمال تاريخ بدء ونهاية حكم هذه الأسرة وقد ذكر ذلك شاروبيم (٢) حيث أرخ بدايتها بسنة ٧٢١ ق م وقال انها حكمت خمسين سنة عزواً إلى مانيتون مع مدة كل واحد منها بالتوالي هكذا : ١٢ـ٧ـ٧ـ٦ـ٨ والمجموع اربعون وليس خمسين ستة !

وقد قال أحمد كمال عن تفتخت انـــه كان قبل ان يتسلطن حاكما في مدينة تنر المسماة بالقبطية منوتي والمجاورة لمدينة كانوب على فرع رشيد . وكانت مصر متفسخة إلى عشرين ولاية وكان ولاتها بعضهم لبعض عدو ؛ وكل منهم يجهز نفسه بالجنـــد المستأجرين مـــن المشواشيين وغيرهم ويقيم الحصون حول ولايته لحمايتها من جيرانه ثم يبذل جهده في مهاجمة

---

(١) العقد الثمين ص ١٦٣

(٢) الكافي ج ١ ص ١٢٤ -- ١٢٥

هؤلاء الجيران (١) ، وقد برز تفتخنت وأخذ يستكثر من الجند ويقاتل الولاة واستطاع في النهاية إخضاع معظمهم . منهم من خضع له رغبة وطمعاً ومنهم من فعل ذلك كرهاًوعنوة وهكذا تسلطن على معظم أقسام مصر في الوجهين البحري والقبلي غير انه ترك حكم شرق الدلتا للأمراء التنسيين الذين هم من سلالة الملوك .

أما بريستيد فلم يذكر في قائمة ملوك هذه الأسرة إلا واحداً هو بكتر اتف وجعل مدته وبالتالي مدة الأسرة ست سنوات (٧١٨ـ٧١٢ ق.م) غير انه ذكر في سياق كلامه عن الاسرة اسماً آخر مع تفتخنت وهو بخوريس . وقال ان تفتخنت هو الذي تمرد على الاسرة الثالثة والعشرين وقوض حكمها وأخضع أمراء غربي الوجه البحري ثم شاطىء الصعيد إلى مدينة بني حسن ثم أمراء شرقي الدلتا ووسطها وأصبح بذلك ملكاً على الوجه البحري جميعه وعلى الجزء الاسفل من الوجه القبلي

ويبدو من هذا ان رأس هذه الأسرة من الدلتا التي كانت غاصة بالاورومات العربية الجنس ، وان الاحتمال قوي بأن يكون هو منها كمن سبقه في البروز والسلطان في الدلتاعلى ما هو المتبادر .

ـ٣

ولقد ذكر أحمد كمال في سياق سيرةهذه الأسرة ان مصر تعرضت في عهد ملكهاالاول لغزوة ملك اثيوبي اسمه بعنجي كان مد سلطانه إلى الصعيد ، ثم زحف وطارد تفتخنتلأنه لم يرق له بروزه واستطاع ان يفرض سلطانه على جميع القطر المصري . ولم يقو تفتخنتعلى مقاومته فاضطر للخضوع لسلطانه فأقره ملكاً على مصرتحت سيادته ، وان الملك الثانيالذي هو ابن الاول حاول ان يتفلت من هذه السيادة ونجح في محاولته وتمتع بالسيادة ردحاً من الزمن غير ان الملك الذي خلف بعنجي واسمه شباكا أو شباكون زحف على مصروحاربه وغلبه وأحرقه بالنار ونادى بنفسه ملكاً على مصر . غير ان امر هذا لم يطل حتى تعرضت مصر لغزوة عراقية بقيادة ملك آشور سرجون . ولم يستطع شباكا ان يصمد امامه ففر إلى الوجه القبلي . وحينئذ تولى الحكم في مصر السفلى استيفانتيس الملك الثالث في جدول ما نيتون تحت سيادة الآشوريين وتلقب بألقاب الفراعنة . ولم ينفض الأثيوبيون يدهمحيث كر شباتاكا ابن شباكا الذي خلف اباه فهاجم الوجه البحري وتغلب على امرائـه وبسط حكمه على جميع مصر ، وكر الآشوريون بدورهمفتمكنوا من اعادةسلطانهم على مصروولوا

---

(١) العقد الثمين ١٦٣ـ٧٦١

نبخنبشو ابن استيفانتس الملك الرابع في جدول مانيتون . وكان العرش الاثيوبي قد آل إلى طهراقة فكر بدوره على مصر السفلى وتمكن من التغلب عليها . فزحف اسرحدون الملك الآشوري على مصر وهزمه وولى حكم مصر نخاو الملك الخامس في جدول مانيتون . وقد نشط هذا الملك لاصلاح شؤون البلاد وترميم ما دمرته الحروب غير ان ايامه لم تطل حيث كر الاثيوبيون ثانية فقتلوه في معركة نشبت بينه وبين القوات الآشورية التي كان معها فكان ذلك نهاية حكم هذه الاسرة .

وذكر أسماء الملوك الواردين في جدول مانيتون في سياق سيرة الاسرة دون الواردين في جدول الآثار يدل على ان ما رواه احمد كمال من سيرتهم مروي عن مانيتون .

وقصة زحف بغنجي ومطاردته لتفتحت وبسطه سلطانه على جميع مصر قد ذكرت في كتابة طويلة على حجر عثر عليه في جبل برقل في ١٥٨ سطراً سقط منها ١٥ ، وقد سردت القصة ونتائجها بأسلوب قصصي شائق ودونت بأمر بعنخي نفسه . وقد استغرقت ترجمتها التي أوردها أحمد كمال نقلا عن عالم اثري اسمه ده روجه عشر صحائف من العقد الثمين عدا الاسطر الساقطة (١) . وقد وصف بغنجي فيها بأنه ملك الوجه القبلي والبحري وان مطاردته لتفتحت كانت في السنة الحادية والعشرين من حكمه ، ووصف تفتحت فيها بصفة امير الجنوب الحاكم الاكبر في مدينة نتر وكاهن المعبودة نيت سيدة صالحجر وقسيس بتاح ، وجاء في الوثيقة فيما جاء انه لما برز تفتحت واستولى على كثير من المدن وأخضع كثيراً من الأمراء طوعاً أو كرهاً وبسط سلطانه على اكثر أقسام مصر جاء اليه رسل عديدون يخبرونه بما فعل ويذكرون له ان كثيراً من أنصاره اضطروا للخروج من ولائه والخضوع لتفتحت ويشكون تصرف هذا ويستغربون سكوت بغنجي عنه . وحينئذ أمر ضباطه وجيشه الذين كانوا في طيبه بالزحف عليه ومطاردته ، وقد كانت وقائع حربية عديدة بين الطرفين انتصر في اولها تفتحت وقتل كثيراً من رجال بغنجي ثم دار النصر نحو هؤلاء فأخذوا يستولون على مدن وأقسام مصر السفلى والوسطى ويخضعون الامراء والحكام لسلطان بغنجي ويهزمون قوات تفتحت ، وكان كثير من الامراء والحكام يسارعون إلى إعلان ولائهم للغزاة كرهاً بتفتحت وإلى تقديم هداياهم من ذهب وفضة وأوان وملابس واقمشة وخيول الخ حتى لم يكد يبقى احد تحت سلطان تفتحت أو موالياً له مما جعله يرسل إلى بغنجي رسلا يظهر فزعه منه ويطلب العفو ويصفه بأنه كمعبود الجنوب نبتي وكمعبود الشمال

(٣) ص ١٦٤-١٧٥

مونن الموصوف بالثور المنصور الذي لا يقدرأحدعلى مقاومةشيء يريده ، ويظهر استعداده لتقديم جميع ما يملكه من ذهب وفضة وحجارة كريمة وثياب وخيل ، ولحلف يمين مقدسة عند المعبودات على الطاعة والامتثال لكل أمر له ، فقبل بغنجي منه وأرسل وفداً مؤلفاً من رئيس الكهان ورئيس الجيش فحلف لهما اليمين المقدسة وسلمهما ما عنده من ذهب وفضة وثياب وحجارة نفيسه وخيل وحينئذ رضي الملك عنه وغـدا جميع أقسام مصر خاضعة لسيادته بدون معارض وجاء اليه ملكا الوجه القبلي والوجه البحري وتاج الثعبان مضيء على جباههم ومعهم رؤساء الوجه البحري وكانت فرائصهم ترتعد أمامه .

وحينما تم له ما أراد شحن سفنه بما أهدى اليه من النفائس والخيرات وقفل راجعاً إلى بلاده وكان أهلها يستقبلونه بالسروو والابتهاج قائلين له أيها الملك المنصور لقد أتيت بعد أن حكمت الوجه البحري وصيرت رجاله اذلة كالنساء .

وقد ذكر في الوثيقة اسماء اربعة عشر ملكاً من ملوك مصر ـ امرائها المحليين على ما هو المتبادر ـ الذين جاؤوا الى بغنجي واعلنوا له ولاءهم واستعدادهم لتقديم كل شيء عندهم مـن خيول وذهب وفضة وغلة وملابس الخ وهم : اركون ملك مدينتي بسطه ورع نفر وابوت ملك مدينتي تنرينو وتاعان وتاتا من اف عنخ رئيس مدينة تا ارع وثمى الامديد وعنخ حور رئيس العساكر في ياتوت ابزحح وموكانشو رئيس بنوتس وباحبى وسمهود وبتنف رئيس المشواشيين الاكبر في جهتي بسوبتى واين سوبتى مز وبحو رئيس المشواشيين الاكبر في قسم ابي صير وباسنا كاي رئيس المشواشيين الاكبر في قسم حسب ونخت‌حورتا سنو رئيس المشواشيين وينتابوخن رئيس المشواشيين كاهن حور سيد مدينة شخم ستوحار سمتو وحوربـا رئيس قسمي ياسخت بنت ساويـا سخت نبرا حساوى ويابس رئيس خراو وبحابي .

وقد عقب احمد كمال على الوثيقة فقال (١) ان مصر لما انقادت لبغنجي جعلهـا ملحقة ببلاده وابقى لرؤسائها الامتياز وجعل نفتخت ملكا عليهم بالاصالة فاستقر بصالحجرمركز حكومته القديمة ، ثم رجع إلى وطنه واستقر في مدينة نيتا كتخت لملكه ، ثم ادركه الموت فورث ملكه شخص اسمه كاتشا الذي لم يكن من اسرة مالكة وانما كان متزوجا بابنة كاهن بيت الملك فساغ له بذلك ان يكون ملكا ، وان مصر قامت عليه فاضطر إلى سحب جيوشه من الوجه البحري ومصر السفلى والانحياز الى بلاد السودان فتحررت مصر مـن سيادة الاثيوبيين

---

(١) [illegible] ين ص ١٧٥ - ١٧٦

وفي هذه الاثناء مات تفنخت فورثه في ملك مصر ابنه بكوريس وكان ذا رأي صائب وعقل ثاقب وقاضيا عادلا مشرعا . وقـد بذل جهده ونجح في اخضاع الامراء والولاة لسلطانه وغدت مصر تتمتع بالسيادة والسلطان التامين . وفي اثناء ذلك مات كاتشا فقـام على الملك ابنه سباقون وعلم بما فعله بكوريس فزحف لقتاله وعاونـه الامراء الذين قضى بكوريس على سلطانهم وحكمهم واستطاع في النهاية القبض عـلى بكوريس وإلقائه حيا في النار وفرض سلطانه على مصر فكان ذلك بدء قيام الاسرة الخامسة والعشرين .

- ٣ -

ويتطابق بريستيد (١) مع احمد كمال في اكثر ما ذكره هذا ، ويفصل بعض النقاط فيقول ان تفنخت كان منهمكا في اخضاع امراء اهناس والاشمونين لسلطانه وكانوا متمردين عليه فاغتنم بعنجي الفرصة وغزا مصر وتظاهر بمساعدة المتمردين على تفنخت ، واشتبك مع اسطول ارسله هذا في النيل فتغلب عليه واستولى على عدد من السفن ورجالها ثم زحف نحو الشمال واخذ يهزم قوات تفنخت . وقد ساعده خصوم تفنخت وسارع اكثر الامراء إلى الترحيب به واظهار الخضوع له ، وظل في سيره حتي بلغ عين شمس ودخل قدس اقداس معبدها وهناك اعترف به رع . وبذل تفنخت جهوده في الدفاع والحصار فأخفق لأنه انفرد في الميدان وتظاهر الجميع عليه ، وحينئذ ضاق به الامر فأرسل الى الغازي بهدايـاه وأعلن خضوعه له فقبل هذا منه واقره في الحكم تحت سيادته . ولمـا عاد الى مقره في الجنوب مارس تفنخت السلطان مستقلا في الوجه البحري واخضع امراء الدلتا لحكمه . ولمـا آل العرش الى بخوريس بعد موت أبيه ظل يمارس السلطان مستقلا ويحاول التبسط نحو الجنوب وكان عادلا مجتهداً .

وقد ذكر بريستيد فيما ذكره ماكان من نشاط ملوك العراق الآشوريين وغزواتهم لبلاد الشام وفلسطين وقال ان بخوريس خاف منهم وامتنع عن مد يد المساعدة لفلسطين ودافع سرجون الثاني الملك الاشوري بالحسنى وارسل اليه هدايا عظيمة . ويقول في صدد زحف شباكا على مصر ثانية واسره بخوريس وحرقه اياه انه لم يهتد الى اثر يثبت ذلك وان مانيتون هو الذي روى الخبر .

- ٤ -

اما سليم حسن فقد ذكر اشياء كثيرة من سيرة هذه الاسرة منها المتطابق مع مـا مر

(١) تأريخ مصر من اقدم العصور ص ٣٦٤ ومابعدها

والمتخالف ومنها الزائد . غير ان معظم ما أورده من ذلك جـاء في سياق سيرة الأسرة الخامسة والعشرين معللا ذلك بأنه لا يمكن فصل تاريخ الأسرتين عن بعضهما حيث ظهرت أولاهما في الظرف الذي غزا فيه بعنخي الاثيوبي مصر واستولى عليها ؛ وكان تفنخت الذي يعد أول ملوك الرابعة والعشرين هو الذي وقف وقفة قوية في وجه الغزوة الاثيوبية وكان قبل أن يصبح ملكاً في سايس (صالحجر) يحمل لقب الأمير الوراثي والحاكم العظيم لبلدة نترت تفنخت (١) .

ومن العجيب ان سليم حسن يقول (٢) ان مانيتون لم يذكر في قائمه ملوك هذه الأسرة إلا ملكاً واحداً هو الملك بوخاريس الشهير الذي روى مانيتون خبر أسره وحرقه حياً من شبكا الملك الاثيوبي في حين ان احمد كمال وشاروبيم رويا عن مانيتون قائمة مؤلفة من خمسة ملوك لهذه الأسرة على ما مر بيانه، بل ويقول (٣) اننا اذا اتخذنا الاحتلال الكوشي اساساً لحكم البلاد فان الأسرة الرابعة والعشرين لم يكن لها في الواقع وجود لأن كشتا وبيعنخي الاثيوبيين ــ والثاني ابن الاول ــ قد توليا حكم مصر مباشرة من الأسرتين الثانية والعشرين والثالثة والعشرين المنحلتين مباشرة. وقد ظل خلفاؤهما الحقيقيين في مصر إلى ان هزم اشور بانيـبال تاتو تآمون آخرهم في مصر ثم قـام بسماتيك فطرد الآشوريين وأسس الأسرة السادسة والعشرين .

على ان هذا لم يمنعه من رواية احداث جرت في عهد تفنخت وابنه بوقاريس في سياق سيرة الاسرة الخامسة والعشرين بل ولم يمنعه من ذكر نبكاو أو نخاو ايضاً كملك من ملوكها في سياق سيرة الاسرة السادسة والعشرين .

ومما ذكره من ذلك (٤) زيادة عما نقلناه عن أحمد كمال وبريستيد او توضيحاً أو مبايناً ان تفنخت اصبح ملكاً في الشمال خلفاً لشيشنق الرابع آخر ملوك الاسرة الثانية والعشرين وان الشواهد تدل على انه كان يهدف إلى توحيد البلاد من جديد تحت سلطانـه وتأسيس أسرة جديدة فتية ، وان اكبر منافس له كان نمروت ملك الأشمونين الذي كان يؤلب عليه معظم الامراء الآخرين الذين من اهمهم امير خرعى (مصر القديمة كما فسرها سليم حسن) وملك اتريب وامير ابو صير وامير سمنود . وان تفنخت تمكن من التغلب عليهم ومن ثم أخذ يمد نفوذه نحو الجنوب الى ان اصبح خطراً يهدد طيبه عاصمة بيعنخي في مصر فكان

---

(١) مصر القديمة ج ٩ ص ٤٣٧ – ٤٣٨

(١) ج ٩ ص ٤٣٨

(٢) مصر القديمة ج ١٠ ص ٤٧٦

(٢) ج ١١ ص٣٦-٣٧

ذلك مما حمل هذا على القيام بحركته التي وصفهـا ذلك الوصف الشائق المسهب في النقش الذي أمر بنقشه .

ومما ذكره (١) من ذلك في سياق سيرة شبا كا خليفة بيغنجي زحف سرجون الآشوري نحو مصر وهزيمته للجيش المصري في رفح وارتداد شبا كا نحو الجنوب وتفلت الدلتا من الحكم الاثيوبي ، وبروز تفنخت ثانية على المسرح وجمعه حكام مقاطعة الدلتا تحت سلطانه وغدوه ملكا على مصر عوداً على بدء . وقد استرضى سرجون بالهدايا وعدّ سرجون ذلك جزية وعد مصر انها دخلت في سلطانه وكان ذلك حوالي سنة ٣٢٠ ق م وقد روى ديودور ان تفنخت كان مشهوراً بشجاعته الحربية .

ومع انه ذكر (٢) خلافة بكنرف بخوريس لتفنخت ووصفه بأنه ابنه وذكر رواية اسره وحرقه من قبل شبا كا إلا انه ذكر ذلك بأسلوب يدل على انه غير واثق من الرواية وهذا ما فعله بريستيد على ما مر بيانه .

وقد نوه بما كان عليه بخوريس من عقل وسداد وقال انه كان من المشرعين العظام الذين أنجبتهم مصر وكان مشهوراً بغناه وحكمته وعدله ، وانه حدد قانون العقود اكثر من ذي قبل فصار المدين الذي ينكر الدين الذي لا يستند الى اتفاق مكتوب معفى منه اذا حلف اليمين على ما رواه ديودور ؛ وان شاعراً مـن الاسكندرية اسمه بانكراتس في عهـد الامبراطور الروماني هدريان صاغ قراراته واحكامه في مجموعة من الشعر . وكانت وفاته سنة ٧١٢ ق م

ومع ان سياقه يفيد ان بخوريس هو آخر ملوك الاسرة ولم يذكر في سياق سيرة الاسرة الخامسة والعشرين احداً من الملوك الآخرين الذين ذكرهم احمد كمال فانه قال في سياق سيرة الاسرة السادسة والعشرين (٣) ان ما نيتون وضع في جدول ملوك هذه الاسرة ثلاثة يعدون من ملوك الاسرة الرابعة والعشرين وهم تفنحت الثاني الذي كان يتلقب بلقب (واح ايب رع) ونيكاوبا الذي كان يتلقب بلقب (اور اب رع) ونيكاو الذي كان يتلقب بلقب (من ايب رع) حيث عاد فتطابق في ذلك اجمالا مع احمد كمال .

وقد فصل بعض الشيء سيرة تكاو آخر الملوك الثلاثة فقال (٤) انه تولى بعد بخوريس

---

(١) مصر القديمة ج ١١ ص ١٠٤

(٢) ص ١٠٥–١٠٩

(٣) مصر القديمة ص ١٥

(٤) مصر القديمة ج ١٢ ص ١–١٢ و ص ١٦

وان هناك احتمالا بأنه من نسله دون القطع بما اذا كان ابنه او حفيده وانه حكم ثماني سنين؛ وتزوج قبل توليه الملك ابنة الملك الاثيوبي طهراقـا وهي ام بسماتيك اول ملوك الاسرة السادسة والعشرين ، وانه اتخذ تانيس (صان) مقراً لحكمه ليشرف عن كثب على حدوده الشرقية ، وكان مركز احلافه مدينة سايس (صالحجر) ثم اخذ يسرد ما جرى من الاحداث في عهده متطابقا اجمالا مع احمد كمال وبريستيد.

ويذهب سليم حسن الى ان ارومة هذه الاسرة لوبية بل انه يذهب الى ان معظم الأمراء والملوك الذين قاموا في هذه الحقبة في مصر السفلى والوسطى لوبيو الارومة استدلالا من علامة الريشتين التي كانوا يضعونها والتي كانت من الرموز الليبية (١) ولا ندري هل تكفي هذه العلامة لهذا الذهاب ولا سيما ان معظم سكان الدلتا وحكامها منذ الحركة الهكسوسية بل وقبلها من الارومات كانت تتسرب من بلاد الشام والتي كانت ظروف هذه البـلاد تساعد على القول بشيء من الجزم انها ارومات عربية الجنس كنعانية ام آمورية ام آرامية . وكلام سليم حسن في صدد الدلتا يفيد ذلك في مختلف المناسبات التي ذكرها فيها . وليس مما يتجاوز الاحتمال ان تكون علامة الريشتين مقتبسة اقتباسا .

على انه اذا صحت نسبة هذه الأسرة الى الارومة اللوبية فان احتمال صلتها القديمـة بجزيرة العرب والجنس العربي يظل قائما على ما شرحنا مبرراته في سياق الاسرتين الرابعة عشرة والثانية والعشرين .

(١) مصر القديمة ج ٩ ص ٤٣٧

الاسرة الخامسة والعشرون

- ١ -

نشأت هذه الأسرة في نباتا التي كانت عاصمة حكام بلاد كوش في زمن سلطان مصر عليها .

ولقد جرت تنقيبات حديثة في هذه المنطقة أدت إلى اكتشاف قبور ملوك الأسرة ومعرفة كثير من تاريخهم بعد أن كان يكتنفه الغموض. وقد نوه سليم حسن (١) بالاكتشاف وأسهب في وصف القبور التي كانت هرمية الشكل وما وجد فيها من آثار وأوان ونقوش وتماثيل .

ولهذه الأسرة على ما يستفاد من كتاب مصر القديمة ثلاثة عهود . واحد قبل استيلائها على حكم مصر . وعهد هذا الاستيلاء الذي دخلت فيه في عداد الأسرة الحاكمة المصرية . ثم عهدها بعد انهيار حكمها عن مصر

وملوكها في العهدين الاول والثاني هم (٢) :

١ــ الارا ٢ــ كشتا ٣ــ بيعنخي ٤ ــشبكا ٥ــ شبكاتا ٦ــ طهراقه ٧ــ تانوتآمون

ويفيد سياق سليم حسن ان هذه الارومة متفرعة من زعيم لوبي كان نائباً للملك أو قائداً لحملة أو حامية في بلاد كوش في عهد الأسرة الثانية والعشرين . ومع ذلك فقد ظل ينعتها بنعت الأسرة الكوشية او الاثيوبية وينعت حركة فتحها وحكمها مصر بحركة الفتح الاثيوبي الكوشي حيناً والسوداني حيناً . وقد نعتها احمد كمال وبريستيد بذلك أيضاً .

على انه سواء أصح قول سليم حسن انها لوبية الارومة أم كان أصلها كوشياً أو أثيوبياً فان احتمال كونها تمت إلى الجنس العربي أي موجات جزيرة العرب يظل قائماً على ماشرحناه في المناسبات السابقة . وتماثيل وصور رجال ونساء هذه الأسرة تحمل الملامح العربية بقوة. ويظهر ان استيلاء هذه الأسرة على مصر وفرضها حكمها عليها لم يثر هيجاناً في المصريين القدماء ومر كحدث عادي دون ما نعت الدخلاء والبلاء والانجاس الذي نعتت بـــه

---

(١) مصر القديمة ج ١٠ ص ٤٥٢-٤٧٦

(٢) نفس الجزء ص ٤٧٦-٤٨١

حركة الهكسوس مع انها طارئة كهذه . وقد عف مؤلفنا الجليل سليم حسن عن نعتهم بمثل هذا النعت رغم انه فعل ذلك بالنسبة للهكسوس مجاراة للقدماء وحسب ...

- ٢ -

(١) واول ملوك الأسرة هو صاحب العهد الاول من العهود الثلاثة حيث كان حكمه قاصراً على بلاد كوش . وقد وصفه سليم حسن بوصف جد الأسرة الكوشية ، وقال ان اسمه ورد في عدة مصادر مع اسم زوجته كاستا التي كانت اخته بوصف الملك والملكة،وان قبره لم يعرف إلى الآن ولم يذكر المؤلف من سيرة هذا الملك غير ذلك .

(٢) ومما ذكره من سيرة كاشتا (١) ان من المحتمل أن يكون الاخ الاصغر للاول،وانه هو الذي زحف على مصر لأول مرة ووطد سيادته على طيبه ومنطقتها ، وانه عثر على نقش له فيه اسمه واللقب الفرعوني الذي تلقب به وهو (ماعت رع) وانه اجبر شبنوبت ابنة أوسركون الثالث التي كانت تشغل منصب المتعبدة الالهية في طيبة الذي كان بمثابة منصب الكاهن الاكبر لآمون على تبني ابنة آمون ردس لتخلفها في المنصب بعد موتها كلما ماتت خلفتها في المنصب ؛ وانه عثر على آثار ونقوش عديدة ذكر اسمها مع أبيها .

(٣) ومما ذكره من سيرة بعنخي (٢) انه ابن كاشتا وانه خلف اباه في ملك كوش ومصر بعد أبيه حوالي عام ٧٥١ ق م وانه لا يعرف شيء من سيرته قبل قيامه بفتح الوجه البحري ومصر الوسطى في السنة الحادية والعشرين من حكمه . ثم ذكر حجر برقل الذي دون بعنخي عليه قصه زحفه الذي قام به وكيفية العثور عليه ، ووصف ما عليه من كتابة ثم أورد ترجمتها باسهاب استغرق نحو ثلاثين صفحة ، وقد أوردنا خلاصتها المتطابقة مع هذه الترجمة نقلا عن العقد الثمين في سياق الاسرة السابقة . وقد ذكر إلى هذا ما وجد في مقبرة هذا الملك المنهوبة قديماً من أوان ونقوش وأثاث وما عثر عليه من آثار أخرى تحمل اسمه في أماكن مختلفة في مصر والسودان ، ونوه خاصة بمعبد بدأ أبوه بانشائه وأتمه هو في بلدة صنم ووصفه وما كان فيه من أوان وتماثيل ونقوش سمي فيها بملك الوجه القبلي والوجه البحري وملك بلاد كوش ولقب بلقب فرعوني هو « وسر ماعت رع » .

(٤) ومما ذكره من سيرة شبكا (٣) انه اخو بيعنخي الاصغر وان مانيتون عده أول

---

(١) ج ١٠ ض ٤٧١-٤٧٦

(٢) ج ١٠ ض ٤٧٧-٤٧٩و ج ١١ ض ١ - ٧٣

(٣) ج ١٠ ص ٤٧٩-٤٨٠و ج ١١ ض ٧٤-١٠٩

ملوك الاسرة لأن الذين قبله كانوا يحكمون مصر مع نباتا ، وانه اعتنى بتسجيل مقاييس فيضان النيل وتلقب بلقب فرعوني هو « نفر كارع » وان حكمه يتوافق مع امتداد سلطان آشور إلى فلسطين وزوال دولة اسرائيل وزحف سرجون نحو مصر؛ وانه ارتد إلى الجنوب لفترة قصيرة حينما تغلب سرجون على جيش مصر في رفح ثم كر على مصر حسب رواية مانيتون وقبض على بخوريس ابن تفتخنت الذي تولى حكم مصر تحت سيادة الآشوريين وأحرقه حياً . ومما ذكره من سيرة هذا الملك خبر اصلاحه بوابات الكارناك وتغشيته اياها وتغشية القاعة العظمى وبعض الاعمدة بالذهب ، وقد نوه بما كان من نهضة فنية في العهد الكوشي امتدت إلى ما بعده استنباطاً من نقش على حجر محفوظ في المتحف البريطاني قرىء عليه اسم شاباكا بالذات . والنقش بمثابة مسرحية تتضمن تفسير بعض مظاهر نظام العالم والعالم اللاهوتي . وقد عثر على آثار متنوعة لهذا الملك تحمل اسمه من اختام ولوحات وموائد ونقوش وطغراءات .

(٥) ومما ذكره من سيرة شبتاكا (١) انه ابن بيعنخي وانه لم يترك اثراً مؤرخاً إلا مقياساً للنيل بمناسبة فيضانه في السنة الثالثة من حكمه ، وانه عثر على آثار عديدة تحمل اسمه في مصر وجبل برقل .

(٦) ومما ذكره من سيرة طهراقة انه اخو شبتاكا وانه من اعظم ملوك الاسرة وان هناك من يظن انه كان يشارك اخاه شبتاكا في الحكم ، وانه أصلح معبد الكوة في بلاد النوبة . وكان لهذا المعبد شأن عظيم حيث كانت الكوة مدينة عظيمة نالت حظوة الفراعنة واهتمامهم . وأسهب كعادته في وصف الكوة ومعبدها وما أحدثه طهراقة فيه من اصلاحات وزخارف . وذكر كذلك ما كان من اصلاحاته في معبد صنم وما كان من هداياه وتقدماته له وترجم نقوشاً فيها قوائم تتضمن تعداد ذلك وتدل بما احتوته من اشياء كثيرة ذهبية وفضية وبرونزية وغيرهما على ما كانت عليه حالة مصر من رخاء وثراء . ونوه بما اكتشف لهذا الملك من لوحات عديدة عليها تسجيلات لأعماله ونشاطه وسيرته وعدله وفيضان عظيم وقع في عهده وحفاوته به وتقدماته للالهة من أوان وتماثيل في مناسبة ذلك . وقد وصف فيها بالاله الطيب بن آمون رع والرمز الفاخر لآتوم والبذرة الطاهرة التي خرجت منه وملك الوجه القبلي والوجه البحري الذي لم يأت للوجود مثله وذكر فيها انه قبض على الممالك واخضع الاقواس التسعة وتلقب بلقب فرعوني هو خوتاوى وخورع نفر رع . وقد عثر لهذا الملك على آثار عديدة في انحاء مختلفة في مصر وبلاد كوش منها الثابت ومنها المنقول

---

(١) جـ١٠ ص٤٨٠ وجـ١٢ ص١١٠-١١٦

تحمل اسمه وقد أسهب المؤلف في وصفها وبما تدل عليه من نشاطه وفعاليته . وقد نوه في سياق سيرة هذا الملك بظهور الخط المعروف بالديموطيقي في هذا العهد وهو خط شعبي متفرع عن خط أقدم منه يعرف بالخط الهيراطيقي المتفرع بدوره عن الخط الهيروغليفي المقدس .

(٧) ومما ذكره من سيرة تانوتآمون (١) انه كان يشارك طهراقة في الحكم وان مانيتون لم يذكره بل جعل طهراقة آخر ملوك الاسرة مع ان وجوده حقيقة تاريخية لأن هناك آثاراً عديدة تحمل اسمه وان النقوش الآشورية ذكرته في سياق الصيال بين آشور ومصر وان كانت اوردت اسمه محرفاً بصيغة ناندامانى حيناً واورد اماني حيناً ، وانه ابن شبتاكا ، وكان معاصراً لبسماتيك أول ملوك الاسرة السادسة والعشرين الذي نصبه اشور بانيبال ملكاً بعد ان تغلب عليه واضطر إلى الانسحاب إلى الجنوب نتيجة لذلك وقد ذكر خبر الحجر الذي نقش عليه قصة حلمه وما قام به من مجهود تمكن به من بسط سلطانه علـى مصر الوسطى والسفلى جاء كتصديق ذلك الحلم بما يتطابق اجمالاً مع ما ذكره احمد كمال وأوردناه قبل . وذلك قبل زحف اشور بانيبال واضطراره الى الانسحاب من مصر . وقد ذكر بالاضافة إلى هذا ما عثر عليه لهذا الملك من آثار متنوعة تحمل اسمه في مصر وبلاد كوش منها الثابت ومنها المنقول .

وقد عقد بعده نبذة بعنوان الشخصيات البارزة (٢) في عهد الكوشيين ذكر جملة اسماء كان لها مكانة وحيز وألقاب فخمة ونوه خاصة بأسرة منتومحات وأبيه وجده وأولاده .

ولم يذكر المؤلف ما كان من صيال بين ملوك هذه الاسرة وملوك الآشوريين في سياق سيرتهم وانما الحق بفصلهم لمحة في تاريخ آشور (٣) منذ القرن الخامس عشر قبل الميـلاد متطابقة اجمالاً مع ما اورده مؤرخو العراق من ذلك على ما سوف نشرحه في الجزء الثالث. وقد شرح في هذه اللمحة ما كان من صيال خلال ذلك .

ولقد كان ملوك آشور قد اخضعوا بلاد الشام (فينيقية وسوريـة وفلسطين وشرق الاردن) لسلطانهم فأرسل ملوكها الى شباكا يعرضون عليه التحالف معهم ضد آشور وكان ذلك في زمن سلمناصر الخامس (٧٢٧-٧٢٢ ق م) فوافق على ذلك على امـل ان يبسط سلطانه على هذه البلاد كما كان الامر في عهد اسلافه واعتبر مساعدته لهم كمساعدة الرئيس

---

(١) جـ ١٠ ض ٤٨١ وجـ ١١ ض ٢٧٠-٢٣٥
(٢) جـ ١١ ض ٢٨٧-٤١٤
(٣) جـ ١٠ ض ٤٢٤-٥٨٣

للمرؤوس حتى لقد ادته المبالغة في دعواه إلى آن نقش على حيطان الكارناك انه أخذ الجزية من بلاد الشام كمشاهير مصر . وبلغ خبر المحـالفة لسلمناصر فسارع إلى الزحف على بلاد الشام وتأخر شباكا عن النجدة فبادر ملوك الشام إلى إعلان خضوعهم وتقديم هداياهم .
ولما عاد الملك الاشوري إلى عاصمته عادوا إلى التمرد بالاتفاق مع شباكا أيضاً فعادسلمناصر ثانية وقسم جيشه إلى قسمين سير واحـداً منهما نحو فينيقية وزحف بالآخر على فلسطين وضرب الحصار على عاصمة اسرائيل ثم ألجأته بعض الأمور إلى العودة ولم يلبث ان توفي فزحف سرجون الثاني (٧٢٢ـ٧٠٥ ق م) الذي خلفه وفتح السامرة ونسف مملكة اسرائيل .
وبادر شباكا إلى الزحف نحو الشمال ووصل إلى غزة حيث انضم اليـه ملكهـا فزحف سرجون عليهم فانهزم شباكا ووقع ملك غزة في الأسر . وقد انسحب شباكا إلى الجنوب فاستعادت الاسرة الرابعة والعشرون الحكم على الوجه البحري تحت سيادة الآشوريين على ماذكرناه قبل. وبعد قليل كر شباكا واستطاع أن يتغلب على مصر ثانية فزحف سناجريب الذي خلف سرجون في ملك آشور (٦٨١ـ٧٠٥) واشتبك مع قوات شباكا التي كانت بقيادة اخيه طهراقة على الحدود وهزمها ووطد سلطانه على مصر بدوره . ولم يلبث شباكا ان مات فزحف شبتاكا الذي تولى الحكم بعده على مصر وتمكن من فرض سلطانه عليها عوداً على بدء . ولم يلبث هذا ان قتل أو مات حسب اختلاف الروايات فخلفه طهراقـة الذي اغتنم فرصة ارتباك الم بأشور فحرك بلاد الشام فاستجابت اليه وأعلنت تمردها على سلطان آشور فزحف اسرحدون (٦٦٧ـ٦٨٠) الذي آل إليه الملك على بلاد الشام فأخضعها ثم زحف نحو مصر واشتبك في جولتين مع طهراقة وتغلب عليه في الثانية ومزق شمل قواته واضطره إلى التقهقر نحو الجنوب واستولى على منف ثم عـلى طيبة وسلب كل ثمين فيهما وأقام نخاو ملكاً على مصر تحت سيادته . وقد نقش خبر انتصاره على حجر تذكاري نصبه عند نهر الكلب بجانب نصب رعمسيس الثاني وملوك آشور السابقين ورسم عليه صورتـه وامامه طهراقه راكعاً وفي أنفه حلقة العبودية ؛ ولم يكد اسرحدون يعود الى نينوى حتى كر طهراقة ثانية وتغلب على الحاميات الاشورية في منف واستولى على المدينة بعـد حصار شديد ، وزحف اشور بانيبال الذي تولى الملك بعد اسرحدون (٦٦٧ـ٦٢٧ق م) عـلى مصر واشتبك مع طهراقة وتمكن من التغلب عليه وهزيمته وتوطيد سلطانه ثانية وعاد إلى نينوى . وكر طهراقة لثالث مرة معتزماً على الانتقام الشديد مـن امراء مصر لمساعدتهم الآشوريين عليه مما اخافهم وجعلهم يرسلون اليه رسلهم يؤكدون له ولاءهم واستعدادهم للتضامن معه . وبلغ الرؤساء الآشوريين في مصر ذلك فبادروا الى القبض عـلى المخامرين

وإرسالهم إلى نينوى مكبلين بالحديد . ولم يمنع هذا طهراقه من الزحف فزحف على طيبة ثم على منف وتقدم نحو الوجه البحري دون أن تتمكن الحاميات الآشورية من صده . وخلع آشور بانيبال على الرؤساء الذين أرسلتهم حامياته مكبلين وأعادهم إلى مصر ليتضامنوا مع حامياته في صد زحف طهراقة وأرسل نجدة قوية اضطرت طهراقة إلى الانسحاب إلى الجنوب.ولم يلبث أن توفي فجمع تانوتآمون الذي خلفه قواته وزحف بها نحو مصر واستولى على الصعيد ثم زحف نحو منف وشدد عليها الحصار وقبض على نخاو الذي أعاده الآشوريون إلى الحكم وقتله أو أحرقه حياً حسب اختلاف الروايات . وسير الملك الآشوري حملة جديدة واشتبكت معه وتغلبت عليه وهزمته وتبعته إلى طيبة ففر منها إلى نباتا ، فكان ذلك آخر حكم الاسرة الاثيوبية لمصر ؛ حيث أقام الآشوريون بسماتيك ابن نخاو ملكاً تحت سيادتهم (١)

هذا ، ولقد قلنا ان الاسرة الخامسة والعشرين كان لها ثلاثة عهود وفي الصحف السابقة تفصيل العهدين الاولين . أما العهد الثالث فقد كان في بلاد كوش أو أثيوبيا مما رأينا أن نؤجل الكلام عنه إلى الفصل الذي نعقده على ذلك فيما بعد .

- ٣ -

ويتطابق أحمد كمال وبريستيد مع سليم حسن إجمالا في السيرة والأسماء .

ولقد ساق أحمد كمال سياقاً في صدد نشوء هذه الأسرة جاء فيه فيما جاء ان كهان آمون انسحبوا من طيبة إلى بلاد كوش التي كانت تدين لهم بالطاعة حينما تدخل شيشنق الاول وعين ابنه للكهانة الكبرى (وهذا ما ذكره سليم حسن ايضاً على ما مر في مناسبة سابقة) وهناك أقاموا دولة دينية وزمنية معاً وكان مركزها نباتا . وقد كانت هذه المنطقة ملأى بالمصريين وكانت تقاليد مصر وعاداتها وعبارة آمون منتشرة انتشاراً واسعاً فكان هذا مما ساعدهم على توطيد سلطانهم . وقد كان قواد دولتهم وجمهور جيشهم من الاثيوبين فاستغل كاشتا (٣) احد قوادهم فرصة تقوض سلطانهم وأحل سلطانه محله فقامت بذلك

---

(١) انظر لاجل نبذة الصيال بين مصر وآشور تاريخ كلده واشور لادي شير ص ٨٦ - ١٢٥ والعقد الثمين ض ١٧٦ وما بعدها وتاريخ مصر من اقدم العصور ٣٦٣-٣٧٧ ايضا

(٢) العقد الثمين ص ١٧٦ وما بعدها وتاريخ مصر من اقدم العصور ض ٤٠٣ و٣٦٣ - ٣٧٧

(٣) في هذا يتخالف احمد كمال مع سليم حسن حيث يجعل كاشتا هو رأس الاسرة ومؤسسها خلافاً لسليم الذي يجعل المؤسس والرأس هو (الارا)

الأسرة الأثيوبية .

ومما ذكره بريستيد ان شبا كا هو الذي حرك ملوك الشام على آشور وانه برغم هزيمة سناحريب لجيوشه ا حل ظكماً على القطر المصري بقية حياته حيث يسوغ هذا ترجيح اتفاقه مع سناحريب ؛ وانه عثر على ختمي شابا كا وسناحريب يجاور أحدهما الآخر على قالب لبن عثر عليه في تنقيبات اجريت في مكان يعرف باسم قويونجق في العراق مما قـد يكون مؤيداً لذلك . وقال في صدد قتل طهراقة لشبتا كا ان ذالك مروي عـن مانيتون وانه لم يعثر على ما يؤيده . ومما ذكره انه وجد في تنيس الدلتا نقش يذكر ان طهراقة أرسل إلى أمه في نباتا كي تحضر وتستلم مركزها السامي كالام الملكية حيث يدل هذا على انه اتخذ مدينة تنيس عاصمة له لقربها من الحدود الشمالية لأنه كان يتوقع غزوة آشورية .

الاسرة السادسة والعشرون

- ١ -

ان المؤلفين الثلاثة الذين نقتبس منهم متطابقون في عـدد واسماء والقاب ملوك هـذه الاسرة (١) وفي سيرتها ايضاً .

وهذه هي اسماء الملوك والقابهم المستنبطة من الآثار :

١ – بساتيك الاول – وح اب رع
٢ – نكاو الثاني – وح نم اب رع
٣ – بساتيك الثاني – نفر اب رع
٤ – وح اب رع (ابريز) – حع اب رع
٥ – احمس سانيث – خنم ابن رع
٦ – بسامتيك الثالث – عن نخ رع كاو

والتطابق بين هذه الاسماء وبين الاسماء التي يرويها احمد كمال عـن مانيتون تام ايضاً بصرف النظر عن الصيغة اليونانية كما ترى فيما يلي :

بسامتيكوس الاول ومدته ٥٤ سنة – نخاو الثاني ومدتـه ١٧ سنة – بسامتيك الثاني ومدته ٥ سنوات – ابريس ومدته ١٠ سنة – اموزيس الثاني ومدته ٤٤ سنة بسامخوتيس الثالث ومدته ستة اشهر .

ويسمي احمد كمال هذه الاسرة بالصاوية نسبة الى عاصمتها صالحجر – سايس قديماً – في الدلتا الغربية . وبسامتيك الاول هو ابن نخاو آخر مللوك الاسرة الرابعة والعشرين المعاصرة الاسرة الخامسة والعشرين على ما مر شرحه . فهذه الاسرة امتداد لتلك وما قلناه في احتمال انتساب تلك الى الجنس العربي وارد في حق هذه بطبيعة الحال .

والمستفاد من كلام المؤلفين انها عدت اسرة جديدة لان عهدها كان عهد استقلال واصلاح

---

(١) العقد الثمين ص ١٨٥–١٩٦ ومصر القديمة ج ١٢ ص ١–٤٢٩ وتاريخ مصر مـن اقدم العصور ص ٤٠٩ و ٣٨٢ وما بعدها .

جديد . فقد كان بسامتيك رئيس حكام الوجه البحري من قبل الآشوريين قبل كرة نوتا آمون فلما ارتد هذا إلى الجنوب نتيجة لكرة الآشوريين عاد فبرز واستأجر جنوداً يونانيين وتمكن من فرض سلطانه فقامت بذلك الاسرة الجديدة والعهد الجديد .

والذين يقسمون ادوار التاريخ المصري إلى اربعة أدوار يعتبرون هذه الاسرة بدء الدور الرابع الذي يسمونه كذلك بدور الانحطاط ، اما احمد كمال فهو يسير على خطة مانيتون فيعتبر الاسر من الثانية عشرة الى فتح الاسكندر دوراً واحداً هو الدور الثالث او الطبقة الثالثة .

ويسمي بريستيد (١) دور هذه الاسرة بدور الاصلاح لما كان في عهدها من حركة اصلاحية ونهضة عاد بها رونق الدولة وحيويتها إلى ما كانت عليه سابقاً . ويتطابق في الاسماء اجمالا مع المؤلفين الاولين ويؤرخ بداية حكم الاسرة بسنة ٦٦٣ ونهايته بسنة ٥٢٥ ق‌م(٢)

-٢-

وسيرة هذه الاسرة في العقد الثمين ملموسة ومنسقة اكثر ولذلك عولنا عليه فيها .

ومما ذكره مؤلف الكتاب (٣) من سيرة بسامتيك الاول اول ملوكها انه بعد ان اتم فتح الوجه البحري الى منف توجه الى فتح الوجه القبلي وتمكن من ذلك بدون قتال ثم وسع سلطانه الى الشلال الاول جنوباً واتم بذلك مشروع اسرته الصاوية الذي كان هدفاً لها منذ مئة سنة وهو تملكها لمصر واستبدادها بحكمها . وقد تزوج بنشا تب تب بنت الملكة آمون ردس التي كانت حاكمة على الوجه القبلي فتوطد بذلك ملكه على هذا الوجه بصورة شرعية . وقد مر ذكر امون ردس في سياق سيرة الاسرة الاثيوبية وهي بنت كاشتا وقد سمى سليم حسن منصبها في طيبة المتعبدة الالهية وكان بمثابة منصب الكاهن الاكبر لآمون الذي كان يخول صاحبه ممارسة السلطان في طيبة على ما مر شرحه .

ولقد كان الخراب والدمار عما المدن المصرية بسبب الغزوات الآشورية والحروب التي وقعت بين الملوك الاثيوبيين والآشوريين والامراء المصريين وطالت مدة طويلة فشرع بسماتيك على ما ذكره هيرودوت في احياء مصر واعادة رونقها اليها فاصلح الترع والطرق وبث العلوم والمعارف وعمر بيوت العبادة وبنى في منف واجهات معبد بتاح من الجهة الشرقية والقبلية وفتح فيها طرقات على عمد عديدة وبنى القاعة الكبرى التي كان يعلف فيها

(١) و (٢) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٤٠٩ و ٣٨٢

(٣) العقد الثمين ص ١٨٥ – ١٨٨

ابيس واصلح ما تهدم في معبد الكرنك حتى كانت مصر في عهده كمعمل تراكمت فيه الاشغال وتزايدت فيه العمال وحث الناس ولا سيما الامراء على اكتساب العلوم والمعارف والصنائع فارتقت صناعات النقش والرسم والتماثيل والرقش والتصوير وتميزت بدقة الصنع الجميل ، وجمعت التماثيل بين التناسب والاعتدال وتساوت فيها الاعضاء مع النعومة والدقة واللطافة ، وكانت في عصر ملوك منف ورمسيس الثاني تصنع اما عريضة او كبيرة او ضخمة او نحيفة غير متناسبة الاعضاء . ولم يقف نشاط بساتيك عند حد الشؤون الداخليه بل طمح الى التبسط الخارجي ايضاً .

وقد كان في الجنوب مملكة اثيوبيا وفي الشمال الشرقي مملكة آشور وفي الشمال الغربي مملكة القيروان التي كان اسسها اليونان وسكنها نزلاء مغاربة ليبيا (١) فبذل جهوده اولا في تحصين حدود بلاده فشيد الحصون والقلاع في مضايق طرق الشام من الجهة الشرقية وفي ضواحي بركة المنزلة من الجهة الغربية وفي الشلال الاول من الجهة القبلية وحشدها بالحاميات ، وقوى جيشه بجنود استأجرهم من اليونانيين، ثم غزا النوبة وظهر عليها ، ولم يعلم تفاصيل هذه الغزوة غير ان بعض اليونانيين المستأجرين نقشوا اسمه واسماء قواده على سوق التماثيل الموجودة في معبد ابي سنبل فاستدل بها على وقوع هذه الغزوة ، ويظن ان هذه الغزوة وصلت الى القرب من الشلال الثاني حيث سماها اليونانيون باسم « دود يكاشين » لان بين حدودها الجنوبية وجزيرة اسوان اثني عشر مرحلة والمرحلة في اليونانية « شين » ثم اتجه نحو بلاد الشام فزحف على فلسطين وملك قسمها الجنوبي الى مدينة اشدود .

وقد شجع بساتيك هجرة العناصر الاجنبية الى مصر فجاء اليها جماعات كبيرة من اليونانيين والكاويين والميليزيين فاكرم وفادتهم واقطعهم الاراضي على سواحل بحر الطينة وبحر رشيد ؛ فاخذوا ينمون ويكثرون ويساهمون في مختلف ميادين النشاط المصري . وقد ظن بساتيك ان اختلاط رعاياه بامم برعت في الصناعة يساعد على سريان روحها اليهم ولكن ظنه لم يصادف محله لان الاجانب ظلوا يعملون مئتي سنة في تكدير راحة مصر وقد اولع اليونانيون بمصر واعجبتهم ديانتها وعلومها فجنحوا الى الاقتباس والاندماج وحاولوا ان يخلطوا اسرهم الشهيرة بالاسر الملوكية المصرية فشبهوا معبودهم « اثينه » بمعبودة المصريين « نيت » واكثروا من مثل ذلك على ما ذكره هيرودوت حتى ملؤا كتبهم منها وادخلوا

---

(١) المتبادر ان هذه المملكة هي المملكة التي انشأها المستعمرون الفينيقيون والتي كانت عاصمتها قرطاجنة على ما سوف نشرحه في الجزء الرابع ، ولعله كان فيها طوائف من اليونانيين .

اطفالهم المدارس المصرية ليتعلموا فيها العلم والحكمة . وممن تعلم فيها وصار لهـــم شهرة عظيمة سولون وفيساغورس وادوكس وأفلاطون . ومع كل هذا فان المصريين لم يألفوهم بل وكرهوهم واحتقروهم وكانوا يعتبرونهم امـــة دنسة ويجتنبون معاشرتهم ولا يأكلون ولا يشربون معهم ولا يستعملون أوانيهم ، وكان ذلك مـــن جانب كل فئات المصريين حتى الرعاع ، وكانت كراهتهم في مبدأ الأمر مستترة ثم ذاعت . ولقد كان بسماتيك يألفهم ويحسن عليهم بالرتب العالية ويقربهم منه لانهم كانوا مساعديه على توطد سلطانه . واتخذ منهم حرساً وألف جناح جيشه الايمن منهم فاصبحت مصر تحت محافظتهم بعد ان كانت العساكر المصرية والمشواشية هي المحافظة فكان ذلك مما جعل المصريين والمشواشيين يشعرون بعظم الخطب ويشتد غيظهم حتى لقد وصل بهم الغيظ والكرب الى أن قرر نحو مئتين واربعين الف محارب منهم أن يتركوا البلاد لبسماتيك واصفيائه اليونانيين ويرحلوا إلى اثيوبية تاركين نساءهم وأطفالهم ، ولم يعرف بسماتيك أمر رحيلهم إلا بعد وقوعه وقد لحق بهم كثيرون يستعطفونهم ويلحون عليهم بالبقاء وعدم ترك معبوداتهم واولادهم ونسائهم فلم يصيخوا . وقد استقبلهم ملك الاثيوبيين بالترحيب وأكرم نزلهم واتخذهم جنوداً .

وكانت هجرة هؤلاء المحاربين المدربين ضربة على مصر وقوتها لم يستطع بسماتيك ان يخفف من اثرها في ملكه برغم استمراره على تنظيم جيشه وتشبيد السفن الحربية الى ان مات سنة ٦١١ قبل الميلاد ودفن في صالحجر على ما رواه هيرودوت .

ولقد كان بسماتيك قبل ان يستبد بالملك رئيساً على مصر وامرائها تحت سيادة الآشوريين على ما مر بيانه . ولم يذكر احمد كمال صفة الصلة التي ظلت تربط بهم بعد ان استبد بالملك ؛ وما ذكره من سيرته يدل على انه كان يمارس السيادة التامة . ولقد كان اشور بانيبال قد مات وارتبكت الدولة بعده فالمتبادر أن بسماتيك اغتنم الفرصة فمارس السيادة التامـــة . وهكذا استعادت مصر استقلالها وسيادتها في عهده .

ومما ذكره احمد كمال في صدد سيرة نخاو الثاني ابن بسماتيك وخليفته (١) انه ولي الملك طاعناً في السن ومع ذلك فقد سار فيه بهمة ونشاط مشاهير الفراعنة حتى البس الديار المصرية ثوب المجد والشرف ، وصار لها السطوة والثروة . وكان الجيش الذي انشأه والده قـــد تم فوجه مزيد اهتمامه الى اتمام السفن الحربية واستعان بمهندسين يونانيين على ذلك حيث انشأوا له معامل بحرية وغيروا المراكب القديمة بمراكب جديدة تسير بالمجاذيف .

---

(١) العقد الثمين ص١٨٦–١٩١

ومما حاوله توصيل بحر القلزم — الاحمر — بالبحر الابيض بشق برزخ السويس ،وقد حفر ترعة امتدادها اربع مراحل بحرية وعرضها سعة سفينتين ومبدؤها مدينة بسطة وآخرها بركة التمساح القريبة من البحر الاحمر . ولكنه ترك المحاولة لانه تشاءم منها بسبب هلاك مئـة وعشرين الف نفس في اثناء الحفر ولان الكهان اخبروه ان حظ الانتفاع بها يكون لدولة اجنبية . وعزا المؤلف الى اسطاطاليس ان الملك نخاو كف عن العمل لأن المهندسين اخبروه بان سطح البحر الاحمر مرتفع عـن ارض مصر فخاف عليها الغرق . ولذلك لم يتجاوز الحفر بركة التمساح المعروفة قديماً بالبحيرة المرة (١) .

ومما اثر من اعماله الدالة على بعد المطامح ارساله بعثة استكشافية دارت حول سواحل افريقية . فقد بلغه خبر استكشاف الملاحين الصوريين الذين انشأوا في منطقة تونس مدينة قرطاجة سواحل افريقية وما فيهامن ذهب وعاج واخشاب ثمينةوخيرات عظيمهفامر ملاحي الفينيقيين بالذهاب بسفنهم الى هذه السواحل فساحوا حـول افريقيا في مدة ثلاث سنين وكان مسيرهم من البحر الاحمر ومنه الى المحيط الهندي ثم الى المحيط الاطلسي ثم عبروا مضيق جبل طارق الى البحر المتوسط حتى وصلوا الى الساحل المصري عليه . ويقول احمد كمال بعد هذا ان الملاحين لم يخبروا الملك بما رأوه في رحلتهم ولم يعد على مصر منها نفـع ولا فائدة ؛ مع ان قيمة الفكرة وتنفيذها عظيمة من ناحية الاستكشاف والجرأة والمعرفة ؛ ويظل لمصر فيها فخر دائم .

ولقد كانت مملكة آشور قد وهنت فانتهز نخاو الفرصة وزحف على آسيا سنة ٦٠٣ قم

---

(١) يقول احمد كمال بهذه المناسبة ودون ان يعزو الى مصدر ان دارا الاول فتح البحرين في زمـن خضوع مصر للحكم الفارسي ومرت السفن الواردة من الهند الى البحر الابيض من القناة التي فتحها وان ملوك البطالسة اهتموا بامر هذه القناة واستمالوا بأبواب واقفال لحفظ الاراضي المصرية ثم انطمرت وظلت مسدودة الى زمن عمر بن الخطاب الذي امر بفتحها ثم انسدت في زمن المنصور العباسي الى ان فتحت في عهد الخديوي اسماعيل (ص ١٨٩ العقد الثمين) وننبه على ان المستفاد من كتب التاريخ العربي الاسلامي ان القناة الموصلة الى البحر الاحمر والتي حفرت في زمن عمر بن الخطاب وسميت بخليج امير المؤمنين انما كانت بين البحر الاحمر والنيل الذي يصب الى البحر الابيض . ولقد كتب سليم حسن (مصر القديمة ج ١٣ ص ٦٩٣ وما بعدها) ملحقاً بعنوان قصة قناة السويس ذكر فيه ان اول تفكير في ذلك يرجع الى الاسرة الثانية او قبلها وانالبحث الهندسي دل على وجود آثار قناتين قبل البطالسةوان بطليموس الثاني اصلح احداهماثم انسدتفاصلحها الامبراطور الروماني تراجان (٩٨–١١٧ ب م) وقد طهرت هذه بامر عمر بن الخطاب ثم انسدت .

فتصدى له جيش يوشيا ملك يهوذا فنشبت الحرب بينهما قرب المجدل (١) واصيب يوشيا بسهم مات به وكتبت الغلبة لنخاو فانبسطت سيطرته على فلسطين ثم زحف نحـو الشام فاستولى على كوش ثم على قرقميش عاصمتي الحيثيين بدون مقاومة ثم واصل سيره حتى وصل الى الفرات وكان يرتب الحرس في كل اقليم يستولي عليه ثم انعطف نحو الجنوب ونزل الى ربحا بجوار مدينة حامات (حماه) واقام ينتظر امراء الشام القادمين لتحيته ؛ وبلغه وهو هناك خبر تظاهر اليهود بالعصيان بعد ان نصبوا عليهم يهو خاز ملكاً فاستدعاه الى حيث هو وعزله وولى اخاه الياقيم وضرب على مملكة يهوذا خراجاً من الذهب والفضة وعاد بعد ذلك الى مصر وقد استولى على فلسطين وبلاد الشام حتى الفرات ووهب مغفره لمعبـد برانشيدس اليوناني رمزاً لمكافأته لليونانيين الذين كانوا في جيشه .

وفي هذه الاثناء كانت مملكة آشور قد زالت وقام على انقاضها في العراق مملكة بابل ؛ فارسل ملكها نابو كودورصر (نبولا نصر) ابنه بختنصر (نبوخذ نصر) لفرض سلطان دولته على بلاد الشام وفلسطين واسترجاعها من المصريين فسارع نخاو الى لقائه ونشبت الحرب بين الطرفين قرب قرقميش فانهزم نخاو شر هزيمة ، وبينما كان بختنصر يهم بالاتجاه نحو فلسطين ومصر جاء خبر موت ابيه فجنح الى التعاهد مع نخاو وعاد الى بابل . واغتنم نخاو الفرصة فقوى اسطوله وجيشه واخذ يحرض بلاد الشام والاردن وفلسطين على دولـة اشور (مملكة بابل لأن دولة اشور كانت قد زالت) وكان أول العصاة يهوياقين ملك يهوذا وكان بختنصر قد وطد سلطانه وخلافته على عرش ابيه فزحف نحو فلسطين وقهر ملك يهوذا وضرب عليه الجزية . وعاد نخاو فحرضه على العصيان ووعده بالمساعدة فاعلن العصيان ثانية فارسل بختنصر حملة بقيادة أحد قواده فحاصرت اورشليم ولم يلبث أن وصل بختنصر ايضاً ؛ ولم يف نخاو بوعده فاستطاع بختنصر ان يستولي على القدس وينهب هيكلها وقصورها. وعزل الملك الذي خلف يهو ياقين وعـين ملكاً آخـر اسمه صدقيا تعهـد بالخضوع والجزية .

وفي هذه الاثناء مات نخاو الثاني وجلس على العرش بسماتيك الثاني الذي يذكر احمد كمال من سيرته (٢) ان الأثيوبيين اعلنوا عصيانهم في زمنه فذهب لقتالهم ومات عقب عودته من الحرب وانه لم يعلم من سيرته شيء آخر سوى انه وجد حجر في مقبرة العجل ابيس في سقاره

(١) هذا الرسم في الاصحاح ٣٥ من سفر اخبار الايام الثاني وادي مجدو
(٢) العقد الثمين ص ١٩١

عليه نقش يذكر ان العجل ولد في السنة السادسة عشرة من حكم نخاو الثاني ودخل معبد بتاح في السنة الاولى من حكم بسماتيك الثاني ومات في السنة الثانية عشرة من حكمه حيث استدل من هذا على مدة حكم نخاو بوجه التحقيق ومدة حكم بسماتيك بوجه التقريب.

ومما ذكره أحمد كمال (١) عن سيرة وح أبرع الذي خلف بسماتيك الثاني ان صدقيا ملك اليهود استنجد به على ملك بابل وجاهره بالعصيان وامتنع عن اداء الجزية وعقد حلفاً مع وح ابرع وملوك المـدن الفينيقية فثار غضب بختنصر عليه وسار بنفسه إلى فلسطين وحاصر بيت المقدس ثم تركها قليلا وذهب لقتال وح ابرع الذي جاء بجيشه لنجدة ملك يهوذا فهزمه وعاد إلى بيت المقدس ففتحها وقتل أولاد صدقيا بين يدي أبيهم ثم فقأ عينيه . ولما انتهى بختنصر من حروبه في آسيا (بلاد الشام فينيقية وسورية والاردن وفلسطين) زحف عـلى مصر وتمكن من التغلب على قوات وح ابرع واعتقال الملك نفسه وقتله واقـام على مصر حاكما من قبله ثم عاد إلى بلده وأخذ معه اليهود الذين فروا منه من فلسطين والتجأوا إلى مصر وانتشروا في مناطق منف ودفنه وبعض انحاء الصعيد . وقد عزا أحمد كمال هـذا إلى المؤرخ يوسف (المتبادر انه يقصد يوسيفوس اليهودي) ثم قال ان المؤرخين لم يعولوا على قوله اذ انه مخالف لما نقله هيرودوت من ان المصريين نسبوا الهزيمة إلى عساكر بابل وقالوا ان سفن وح ابرع التي كان يديرها الملاحون اليونانيون ضربت السفن الفينيقية التي كانت في خدمة البابليين، كان العساكر المصرية رفعت الحصار عن مدينة صيدا واضطر اهل الشام إلى التسليم بدون مقاومة ودخلت بذلك سواحـل الشام تحت سلطتهم رغم أنف بختنصر وشغلت العساكر المصرية جهة جبيل وشيدوا فيها معبداً استكشفت آثاره حديثاً كما رواه رينان (٢) وان الملك وح ابرع بعد ان تم له هذا النصر اغتر وتكبر وادعى انه اعظم ممن سبقه من الملوك وان المعبودات لا تقدر على ضرره ، ولكنه على ما قال هيرودوت لم يتمتع بالراحة زمناً طويلا حتى استنجدبه سكان سواحل ليبيا جيرانه على قبائل اليونان في القيروان فأرسل اليهم جيشاً واشتبك بالحرب معهم في جهة ايرانه وكانت الغلبة فيها على المصريين فمن ثبت منهم قتل ومن هرب نجا ، وعلى اثر ذلك ثار المصريون والكهان على وح ابرع

---

(١) العقد الثمين ص ١٩٢-١٩٣ ايضا

(٢) هناك آثار وروايات سنوردها في الجزء الثالث تذكران بختنصر تغلب على ملك مصر فتعهد له بالخضوع والجزية فأبقاه على عرشه ، وان الذي تمرد على بابل ومد يده الى فينيقية وسورية وتمكن من بسط سلطانه عليها لفترة ما هو اموزيس الذي خلف وح ابرع ثم زحف بختنصر سنة ٥٦٧ ق م وفرض سلطانه عـلى مصر ثانية

اعتقاداً منهم انه ارسل المصريين دون اليونانيين للهلاك لأنه لا يركن اليهم . وكان في مدينة وح ابرع رجل من الرعاع يقال له احمس واصله من سيوف وهي قريـــة بجوار صالحجر وكان قائداًعلى بعض كتائب الجيش فأرسله وح ابرع الى العصاة لينصحهم ويردهم عن عصيانهم وبينما كان يعظهم تقدم احد العصاة وألبسه مغفراً وصاح بأعلى صوته قد رضيناك ملكاً فرضي احمس بذلك وقاد العصاة إلى قتال الملك فدارت الدائرة على هـــذا واعتقل وسجن ثم سلمه احمس إلى العصاة فقتلوه خنـــقاً ، واستتب الملك لأحمعس الذي يسمى اموزيس ايضا .

ومما ذكره احمد كمال (١) مـــن سيرة هذا الملك الذي ليس هو مـــن الاسرة المالكة وذكره المؤرخون مع ذلك فيعداد ملوكها انه تزوج بحفيدة بسماتيك الاول المسماة عنخناس نفرت حت ليكسب بذلك الحق لنفسه وللدريته في الملك ، وانه استطاع ان يحتفظ بالسلطان المصري في فينيقية ويفتح جزيرة قبرص ، وكان عاقلا محتاطاً فالتزم الحياد تجـــاه الحروب التي كانت دائرة بين الليديين والعجم ومـــع ذلـــك لم يسلم منهم حيث اخـــذوا منـــه فينيقية ولم يتصد لهم لعلمه انهم اشد بطشا منه بل زاد في حسن سياسته مع ملكهم كيروش (كورش) واستعمل طريق السلم والاحتراس لسلامة بلاده من غائلتهم وبذلـــك صفا له الزمن وتمتع بالراحة والامن خمسا وعشرين سنة وجعل مملكته بما تحلى به من حزم وذكاء في درجة عالية من الثروة والرفعة،وقد وسع الترع وأصلح شأن الزراعة والتجارة حتىاصبحت البلاد غنية واقتطع الاحجار من محاجر طرة واسوان فأصلح جميع آثار الكرنك وغيرها في طيبة التي كانت زوجته مقيمة فيها على ما دل عليه نقش على تابوتهـــا المحفوظ في المتحف البريطاني ، وكان الوجه البحري مخربا مهدما فوجه مزيد همته الى تعميره فأصلح منف وبنى فيها معبداً لايزيس اندرست آثاره الآن ، وقد رآه هيرودت وقال عنه انه لم ير اكبر ولا اعظم منه في ديار مصر ، وقد نصب امام معبد بتاح في منف عموداً طوله خمس وسبعون قدما وبنى في صالحجر مداخل لمعبد نيت يتقدمها صفوف مـــن تماثيل ابي الهول المنتظمة الهيئة ونصب امام تلك المداخل مسلتين كبيرتين وصنع لذلك المعبد خلوة مـــن الصوان الاحمر المقتطع من محاجر اسوان وقد عمل في نقلها من اسوان الى صالحجر الفا ملاح مدة ثلاث سنين وطولها من الخارج احد عشر متراً وعرضها سبعة امتار وكسور وارتفاعهـــا اربعة عشر متراً ووزنها خالية خمسائة الف كيلو غرام.ولم يمكن وضعها داخل المعبد وبقيت خارجه لأن احد العمال هلك تحتها على ما رواه هيرودوت .

---

(١) العقد الثمين من ١٩٣-١٩٦

ولقد اخذت مصر زخرفها وازينت (والعبارة لاحمد كمال) نتيجة لما كان من نشاط هذا الملك وتنظيماته حتى لقد اطنب المؤرخون في مدحها وقال هيرودوت ان مصر لم تخصب في غير ايام هذا الملك بدرجة خصبها في ايامه الهينة ولم يفض النيل عليها بالخيرات كما فاض في مدته وبالغ حتى قال ان مدنها بلغت في عصره عشرين الف مدينة عامرة علي ما اخبره الكهان الذين يقول احمد كمال كانوا يحبون المغالاة والاطراء في مدح مصر في ايام تظاهر العجم . وقد نشطت تجارة مصر في هذا العهد وخاصه مع اليونانيين لانهم كانوا اصحاب نشاط وحركة في التجارة والصناعة . وقد كان هذا الملك مشجعا لهم وشاملا اياهم برعايته حتى انه تزوج بامرأة منهم وأهدى إلى مدنهم هدايا من التحف المصرية فأرسل الي مدينة القيروان تمثال زوجته لاديكة اليونانية وتمثال المعبودة نيت مطليين بالذهب وبعث ايضا الى طائفة الفينيقيين المسماة ليندوس تمثالين من حجر وذردية من كتان وإلى يونون سامين تمثالين من خشب رآهما هيرودوت بنفسه وغمر اليونان باحسانه وتلقاهم بالترحيب حتى نموا وكثروا حتى لقد بلغ عددهم مئتي الف وخشي ان يقع نزاع بينهم وبين الوطنيين فأعطاهم مدينة نقراطيس التي محلها الآن بندرفوة او كوم نكراش أو نقرهة حسب اختلاف تخمين الاثريين واباح لهم التمسك بديانتهم وأقطعهم أراضي خاصة لبناء معابدهم وهيا كلهم ومذابحهم . ولما كثروا في نقراطيس اختطوا حولها مدناً وكفوراً ودونوا قانوناً من مضمونه ان كل من يستوطن عندهم ينبغي ان ينقاد لقوانينهم فان لم يقبل يجبر على الرحيل ولآموزيس ان يأذن له بالاستيطان في أي مدينة شاء من مملكته . ومما قاله هيرودوت انه لما اتسعت دائرة التجارة اتخذ تجار اليونان لهم وكلاء من جنسهم وأرسلوهم إلى الجهات التي تمر منها القوافل فأرسلوا بعض الميليزيين إلى العرابة المدفونة وبعض الساميين إلى الواحات الكبرى وان اليونانيين كانوا ينقلون ما يسمعونه من اخبار المصريين إلى البلاد الخارجية حتى كان ذلك سبباً في تقوية الاطماع بمصر وكثرة الوافدين اليها من فلاسفة وتجار وعساكر لأغراض متنوعة ، وكان من عادة آموزيس اكرام كل وافد اليه فان استحسن الوفد الاقامة في مصر تمتع بعيشة مرضية وان اراد الرجوع عاد منشرح الصدر مما لقيه من حسن المعاملة . وقد وطد اموزيس عرى المودة بينه وبين اليونان بمعاهدة عقدها مع آثينة وكان ذلك في زمن كيروس (كورش) ملك العجم الذي قوض مملكة بابل وطمح إلى الاستيلاء على جميع البلاد التي كانت خاضعة لسلطان هذه المملكة ومن الجملة بلاد الشام ومصر وكان منهمكاً بالتجهز والاستعداد لتنفيذ غايته . ولقد مات هذا دون تحقيق هذه الغاية فأخذ كمبيز ابنه الذي خلفه يستعد لتحقيقها . ومما عمد اليه انه طلب من اموزيس ابنته زوجة له ظناً منه انه يمنعها عنه

فيكون ذلك سبباً للحرب على ما ذكره أحمد كمال ولكن أموزيس لم يرد طلبه غير انه بدلا من أن يزوجه بابنته زوجه بنت الملك وح ابرع وعرف كمبيز الحقيقة من زوجته هذه فاتخذها وسيلة لغزو مصر متظاهراً بأنه يريد الانتقام لزوجته التي اغتصب اموزيس العرش من أبيها ، وكان كمبيز يخشى التيه في الطريق ويخشى من العربان التي في طريقه فقيض له رجل يوناني اسمه فانيس كان قائداً لكتيبة يونانية في مصر وعهد لـه بارشاده إلى الطريق وأشار عليه عقد معاهدة مع مشايخ العرب فيها ليحرسوها له ويزودوا جيشه بالماء والجمال، وهكذا زحف كمبيز حتي دخلت جيوشه مصر وعسكرت أمام مدينة الطينة . وقد توفي احمس (اموزيس) في هذه الاثناء فخلفه على عرش مصر ابنه بسماتيك الثالث وحشد هذا قواه التي كانت تتألف من مصريين ويونانين وكاريين ؛ واشتبك الطرفان في معركة طاحنة كتبت فيها الهزيمة على القوات المصرية والنصر لكمبيز ، وطارد الفرس القوات المنهزمة إلى منف وتمكنوا من الاستيلاء عليها وقتل كثير من أعيان المصريين وجنودهم وكان ابن الملك في الجملة ووقع الملك وخلق كثير من جيشه ومن أهل مصر في الاسر، وكان مصيره ومصير كثير من الأسري القتل ايضاً وبذلك تم اخضاع مصر للفرس وزوال حكم الاسرة السادسة والعشرين .

- ٣ -

ويتطابق بريستيد (١) مع احمد كمال في معظم ما أورده من سيرة هذه الأسرة . ومماقاله زيادة عنه او ايضاحاً له تشبيه بسماتيك بأحمس الاول مؤسس الاسرة الثامنة عشرة في مـا كان منه من انهاض مصر واحيائها مع فارق واحد هو ان نهضة بسماتيك اعقبها اضمحلال وانهيار ؛ وذكره ان العساكر التي استأجرها بسماتيك ليست يونانية فقط كما قال احمد كمال بل كان فيها ليبيون وسوريون ايضاً ؛ وتنويه بنشاط الحركة التجارية الخارجية وتقـاطر السفن الفينيقية على الموانىء المصرية وكثرة تردد التجار السوريين عـلى مصر في عهده ، وتنويهه كذلك بما بلغت اليه فنون الرسم والحفر والبناء وصناعة البرونز والتماثيل في عهـد بسماتيك وخلفائه من مبلغ رفيع جعلت الصانع المصري في ذلك الوقت عديم النظير في العالم، وكان الصناع المصريون يصنعون قوالب فارغة للحيوانات والبشر بشكل بديع ويلبسونهـا بالذهب والفضة حتى لقد فاقت المصنوعات اجمالا والمصنوعات البرونزية والخزفية بتى

(١) تاريخ مصر من اقدم العصور ص ٣٩٤ ومابعدها

خاص امثالها في أي عهد سابق .

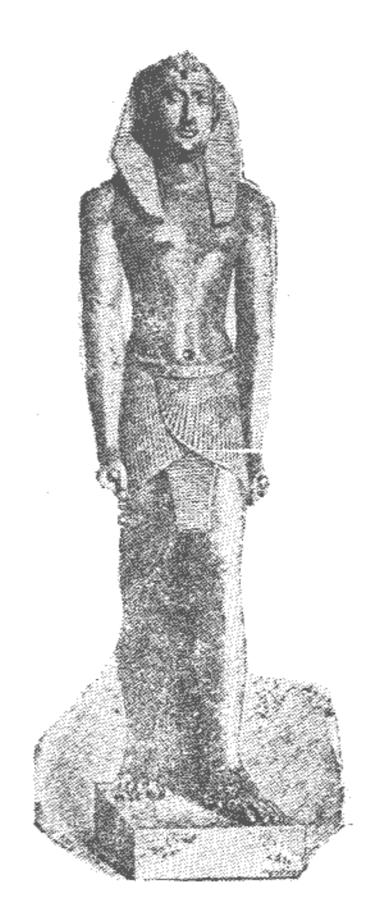
ومما ذكره بريستيد ان ادارة الحكومة كانت في عهد بسماتيك وخلفائه اقرب الى النظام الحديث واقل انصباغاً بالانظمة العتيقة ؛ وان صالحجر العاصمة قد ازدانت بالمعابد والمنشآت الضخمة ، وان طيبة فقدت منزلتها الدينية حتى صار بعض مدن الوجه البحري تفوق عليها بما قام فيها من معابد وما كانت عليه معابدها من مظاهر الفخامة والثراء .

وقد عظمت منزلة الالاهة ايزيس والاله بتاح في عهد بسماتيك وخلفائه ارتفاعاً كبيراً وازدادت عقيدة العجل ابيس قوة لأنه كان احد رموز بتـــاح . وقد اتسع نطاق الخـــط الديموطيقي الذي كان نوعاً مـــن اختزال الخط الهيروغليفي حتى صار هو الدارج العـــام وانحصر الخط الهيروغليفي في دائرة النصوص المقدسة . ويقول بريستيد ان كلمة هيروغليف يونانية تعني الخط المقدس وانها صارت تطلق على الخط القديم حينما انحصر في دائرة النصوص الدينية في هذا العهد .

ومما ذكره عن عهد نخاو انه عثر على حجر في صيدا يرجع الى عهد هذا الملك عليه نقش يدل على ان هذه المدينة كانت خاضعة لسلطان مصر أسوة بأقاليم سورية الاخرى . ومما ذكره في صدد الخراج الذي فرضه نخاو على ملك يهوذا يهوياقيم الذي أقامه بدلاً من يهوجاز انه كان مئة تالانت من الفضة وثالانت من الذهب وقدر التالانت بسبعة وخمسين رطلاً . وقال في صدد ما فعله نبوخذ نصر في مملكة يهوذا وملكها يهوياقيم انه نفاه هو وأمه ونساءه الى بابل مع عدد كبير من اهل مملكته وخاصة من ذوي المهن . ومما ذكره في صدد سيرة بسماتيك الثاني انه استطاع ان يتفلت من سيادة بابل اغتناماً لفرصة ارتباك ألم بهـــا وقضى بقية ايامه صاحب السلطان على مصر إلى الشلال الثاني جنوبـــاً وعين ابنته انخنس نفر اب رع رئيسة على كهنة آمون بطيبة وحاكمة عليها وظلت تمارس هذين المنصبين إلى غزوة الفرس .

ومما ذكره عن ابريس خف رع ابن بسمانيك الثاني وخليفته انه كان شجاعاً طموحاً هو الآخر وانه استطاع ان يعيد سلطان مصر على بعض انحاء فينيقية أمداً قصيراً على ما دلت عليه الآثار ، وانه أنشأ في صالحجر عاصمة الدولة معبداً يعد من أجمل المعابد ونصب أمامه عدداً من التماثيل الضخمة المشابهة لأبي الهول .

ومما ذكره عن اموزيس زيادة عما ذكره احمد كمال اصلاحه القانون المدني وكان يحتم على كل ساكن ان يخبر حاكم مدينته كل سنة بموارد الثروة التي يعيش منها . وان سولون



تمثال بسماتيك الثاني



جعران خاتم تحاد الاول

المشرع اليوناني قد اخذ هذه المادة من هذا القانون وقت زيارته لمصر ونفذها في اثينا عند عودته اليها ، وان نقراتيس المدينة التي أنشأتها الجالية اليونانية في مصر غدت في عهد هذا الملك وبفضل تشجيعه اهم مركز تجاري بمصر بل وبالبحر الابيض المتوسط وكانت يونانية بكل صفاتها . وان اليونانيين أنشأوا فيها معبداً يونانياً ضخما شاهقاً حوله حوش كبير ويحيط به سور عظيم وسموه هيلينام .

ومما ذكره عن المعاهدة التي عقدها امازيس انها كانت مع ملوك ليديا واسبارطة وبابل لدرء الخطر اللائح من نمو قوة الفرس بزعامة كورش . ولكن ذلك لم يكن ذا جدوى لأن كورش استطاع ان يقوض الدولة البابلية ويوطد سلطانه على جميع العراق وما جاوره شمالا وشرقا واخذ يتهيأ لغزو بلاد الشام ومصر ومات دون ذلك فنفذ ابنه قمبيز عزيمته في زمن بسماتيك الثالث على النحو الذي مر شرحه .

ومع التطابق الذي نوهنا به بين سليم حسن واحمد كمال في سيرة الاسرة فقد جاء في كتاب الاول (١) بعض زيادات ومباينات يحسن التنبيه عليها . فقد قال في صدد عدد ملوك الاسرة ان مانيتون وضع في جدوله ثمانية ملوك مضيفا اليه ثلاثة قبل بسماتيك يعدون في الواقع من ملوك الاسرة الرابعة والعشرين وهم تفتخنت الثاني ونيكاو وباونيكاو مع ان الجدول الذي اورده احمد كمال عن مانيتون وأثبتناه في مطلع البحث لا يحتوي هذه الاسماء وانما وردت في جدول مانيتون في ملوك الاسرة الرابعة والعشرين. وقد اثبتناه قبل .

وقد قال سليم حسن عن ارومة هذه الاسرة انها لوبية مثل الاسرة الرابعة والعشرين التي هي امتداد لها . وقد علقنا على هذا في سياق الاسرة الرابعة والعشرين بما فيه الكفاية .

ومن الجدير بالذكر ان سليما مع قوله ذاك فانه ذكر وجوه اشتقاق اسم بسماتيك ومنها احتمال ان يكون بمعنى ابن سام بمعنى الاسد في اللغة اللوبية وما بين هذا وبين اسامة التي في اللغة العربية بمعنى الاسد من صلة ، كما أورد رأيا للأثريين تبرى وبروكش باحتمال ان يكون الاسم اشتقاقا كوشيا (٢) .

وقد قال في صدد عهد بسماتيك انه فاتحة عهد جديد في تاريخ مصر وان اعتباره رأس أسرة جديدة مع انه ابن آخر ملوك الاسرة الرابعة والعشرين آت من ذلك ومن كون مصر

---

(١) مصر القديمة ج ١٢ ص ١-٤٢٩

(٢) ج ١٢ ص ١٦

مارست في عهده استقلالها التام وطفرت طفرة عظيمة (١)

وقد ذكر ان بسمانيك طرد الحاميات الآشورية (٢) . وهذا لم يذكره أحمد كمال . وقد توسع في شرح قضية المتعبدة الالهية شبنوبت الثانية التي كانت تحكم طيبة باسم ملك كوش وقال فيما قاله (٣) انه اجبرها على تبني ابنته بمنتوكريس لتخلفها في منصبها الذي كان يعادل منصب الكاهن الاكبر لآمون والذي كان يجعل صاحبه صاحب السلطان في طيبة ــ وهذا ما فعله كاشتا الاثيوبي أيضاً ــ وان شبنوبت حولت أملاكها وأموالها اليها وان المنصب انتهى اليها على ما تفيده نقوش قرئت على تمثال الاله اوزير . وقد أورد قائمة طويلة فيها تعداد للأملاك والاموال المحولة من المتعبدة السابقة لنينو كريس المتعبدة الجديدة . وقدذكر ما ذكره أحمد كمال من زواج بسمانيك بشنبوبت الثانية هذه ولكن بأسلوب يدل على الشك في صحة الخبر .

ومما قاله عن حكم بسماتيك (٤) انه وان كان شمل الوجه البحري والقبلي إلا أن أهل الوجه القبلي كان هواهم مع الكوشيين وان هذا الهوى اشتد بسبب ما كان من نمو الجاليات اليونانية وازدياد قوتها وحظوتها لديه . وذكر شك بعض الاثريين في حادث رحيل المئتين والاربعين الف محارب عن مصر حنقاً وغضباً وهو الحادث الذي أوردناه سابقاً عن كتاب أحمد كمال ولكنه قال باحتمال ذلك (٥) .

ومما ذكره عن أموزيس او احمس الثاني كما يسميه أيضاً انه من قرية كانت تسمى صيبوفي على مقربة من سايس وهي التي يحتمل أن تكون قرية الصفة الحالية هي القائمة مكانها (٦) .

ولا يذكر سليم حسن أرومته . ويمكن أن تكون من الارومات التي كانت تملأ الدلتا والتي تسربت اليها من بلادالشام كما يمكن أن تكون لوبية لأن سليما حسناً قال على ما ذكرناه قبل ان جل حكام وأمراء الدلتا في هذه الحقبة لوبيو الارومة . وعلى كل حال فهو من أرومة الملوك السابقين له وإن لم يكن من أسرتهم وهذا الذي جعل مانيتون يذكره ويذكر

---

(١) نفس الجزء ص ١٥ ــ ١٦
(٢) ج ١٢ ص ٢٢ – ٢٦
(٣) نفس الجزء ص ٢٨ – ٦٧
(٤) نفس الجزء ص ٢٤ وما بعدها
(٥) ج ١٢ ص ٤٠ – ٤٢
(٦) ٢٩٦

ابنه من بعده في عداد ملوك هذه الأسرة على ما هو المتبادر . وقد قال (١) ان سيرته قد شوهت وقيل انه من ابوين وضيعين وان هناك نقوشاً مع ذلك تذكر ألقاباً عديدة له مثل الامير الوراثي ورئيس القصر والمشرف على العرش ورئيس المعابد الخ

ولقد خصص سليم حسن لكل ملك من ملوك الأسرة كعادته صحفاً عديدة ذكر فيها أسماء أفراد الأسرة وما عثر عليه من آثار الملوك التي تحمل أسماءهم من منقول وثابت. وهي شيء كثير منثور في طول البلاد وعرضها وخارجها وخاصة مما يعود إلى بسماتيك الاول والثاني ونخاو الثاني وابريز واحمس تدل على قوة نشاطهم وحيويتهم . وذكر بالاضافة إلى ذلك كعادته أيضاً أسماء الرجال البارزين في عهد كل ملك وما عثر عليه لهم من آثار متنوعة تدل كذلك على ما كان لهم من نشاط وحيوية ومكانة .

---

(١) ج ١٢ ص ٣٥٢-٣٥٣

الاسر الخمسة الاخيرة

من السابعة والعشرين الى الحادية والثلاثين

– ١ –

ان ملوك الأسرتين السابعة والعشرين والحادية والثلاثين من هذه الأسر الخمس هم ملوك الدولة الفارسية الذين خضعت مصر لسلطانهم في حقبتين تخللهما حكم مصري مستقل . وقد سلكهما مانيتون في عداد الأسر الحاكمة المصرية فجرى احمد كمال وغيره على خطته .

وقد أورد أحمد كمال أسماء ملوك الفرس في المرة الاولى في جدولين كعادته تحت عنوان الاسرة السابعه والعشرين كما يلي (١)

جدول الآثار	جدول مانيتون	
كمبت رعمسون	كمبيز	ومدة حكمه ٥ سنوات
غومات ...	...	
نتاريوش الاول رع ستوت	دريوس الأول (دارا)	« ٣٦ سنة
خبيش – سنن تانن استبن بتاح (٢)	...	
	نتاريش الاول	« « ٣١ سنة
خشباروشا	ارتحشاثر الاول	« « ٤١ سنة
ارتخشارشا – خشبرش	شبارش الثاني	« « شهران
تناريوش الثاني – ميامون	سوعذبان	« « ٧ اشهر
	دريوس الثاني	« « ١٩ سنة (٣)

(١) العقد الثمين ص ١٩٧–١٩٨

(٢) ان سياق كلام احمد كمال وغيره من المؤرخين يفيد ان هذا الملك ليس فارسيا وانما كان معرياً استطاع ان يحرر مصر من حكم الفرس لفترة قصيرة ويارس حكمها مستقلا وكان الاولى ان يذكر كأسرة مصرية .

(٣) ان مؤرخ كتاب كلدو واشور ذكر في الجزء الاول اسماء ملوك الدولة الفارسية هكذا : كورش– قمبيز – غوماتا – درياش الاول – احشويريش الاول – ارتحشستا الاول – احشويريش الثاني – سعذيان – درياش الثاني – ارتحشستا الثاني – ارتحشستا الثالث – ارسيس – درياش الثالث . « انظر ج ١ ص ١٥٣ –١٦١ » والاخير هو ملك الاسرة الحادية والثلاثين ويبدو شيء من التباين بين الاسماء التي يوردها احمد كمال وهذه القائمة

ويبدو من جدول الآثار ان بعض ملوك الفرس تلقبوا بألقاب مصرية فرعونية أسوة بملوك مصر القدماء .

وقد ذكر احمد كمال ان بداية حكم هـذه الاسرة هي سنة ١١٤٧ قبل الهجرة وانهـا حكمت ١٢١ سنة .

وقد ذكر سليم حسن ان قمبيز استولى على مصر سنة ٥٢٥ ق م .

- ٢ -

والمستفاد من العقد الثمين (١) في صدد سيرة الفرس في حقبة حكمهم الاولى ان كمبيز سلك في أول الامر مع المصريين مسلكاً حسناً فاحترم تقاليدهم وعاداتهم وديانتهم وطيب خواطرهم وأمنهم . واتخذ لنفسه لقباً فرعونياً ونبش قبر اموزيس واخرج جثته ومثل بها ثم أحرقها بالنار وتظاهر بأنه فعل ذلك لاغتصابه الملك ، وأصلح جميع مـا أتلفه ودمره أثناء زحفه وقرب منه امناء الديانة المصرية ليعلم مـا اشتهروا به مـن العلم والحكمة ، واتخذ من الاحتياطات والتدابير ما منع التعصبات والتخربات التي كانت تحصل بين الحكام مما أدى إلى استتباب الراحة وتوطد السلم . وكان فتح الفرس لمصر قد أفزع الامم المجاورة فجاء الليبيون وأعلنوا ولاءهم لكمبيز ودفعوا له الخراج وأهدوا إليه هدايا عظيمة واقتدى بهم القورينيون سكان مدينة قورين التي يقول المؤلف انها ببلاد العرب !

ولكنه غير نهجه الودي إلى الضد بعد قليل . فقد اتجه عزمه إلى فتح افريقية فجهز ثلاث حملات وهو في مصر وسيرها لتحقيق قصده هذا ، واحـدة نحو قرطاجنة وثانيـة نحوة واحة سيوه التي كانت تسمى واحات آمون وثالثة قادها بنفسه نحو بلاد النوبـة واثيوبيا ، واستعان في الاولى بأسطول بحري يقوده فلاحون فينيقيون . فنيت الحملات الثلاث بالاخفاق وكان اخفاق حملة قرطاجه بسبب مخامرة وامتناع الملاحين الفينيقيين عن محاربة القرطاجيين لأنهم ارومة واحدة حيث كانت قرطاجة مستعمرة ثم مملكة فينيقية . وكان اخفـاق حملة الواحات بسبب مخامرة الادلاء المرشدين لأنهم رأوا ان الحملة تقصد فتح هذه المنطقة واستعباد أهلها وتمهيد الطريق لباقي الجيش وهدم هيكل المشتري الموجود بها المسمى هيكل آمون ، والذي كان مزاراً وحجاً للناس ، فأضلهم المرشدون عـن الطريق حتى نفدت أزوادهم وهلكت رواحلهم وتاهوا في الصحارى وهبت عليهم ريح السموم فأهلكتهم عن آخرهم . وكان اخفاق حملة اثيوبيا بسبب صحاريها الرملية الواسعة وفقدان الماء والشجر والنبات فيها

---

(١) ص ١٩٨ – ٢٠٩

فقــد تاهوا في الصحراء ونفد ما معهم مــن زاد وماء فجاعوا وظمئوا حتى انهم صاروا يأكلون دوابهم ثم يأكلون أنفسهم وقد هلك معظمهم ولم ينج كمبيز وفريق من جيشه إلا بشق النفس . وما يرويه احمد كمال ان كمبيز ارسل سفراء إلى ملك اثيوبيا من وادي الكفور وقبل أن يتوغل في الصحراء ومعهم هدايا من الذهب والثياب الارجوانية والعطور وانبذة التمر ، وقابلهم الاثيوبيون بالحذر ونظروا إليهم نظرتهم إلى العيون والجواسيس ، وتقبلوا هداياهم ولكن ملكهم قال للرسل انه ينصح ملك العجم ألا يحضر لحربنا إلا بنفسه وأن لا يحضر إلا اذا قدر هو أو أحد رعيته ان يوتر قوساً عظيمة وحده كمثل هذا القوس الذي أوتره أمامكم وحدي . فاذا لم يقدر فليحمد الله على السلامة وعلى ان الاثيوبيين لا يطمعون في المسير الى بلاده . فأثار هذا القول كمبيز اثارة شديدة وصمم على الزحف على اثيوبيا فكان من اخفاق حملته ومصيرها ما كان .

ولما رجع كمبيز خائبا مغيظاً وجد المصريين يعيدون عيداً لهم فتوهم انهم شامتون فثار غضبه عليهم وأخذ يوقع فيهم قتلا ونهبا ويدمر معابدهم وهياكلهم ويذبح كهانهم ويهتك جثث موتاهم وينبش قبورهم ويستولي على ما يجده فيها من نفائس ، وكان مما فعله طعن العجل ابيس الذي كانوا يحتفون به في منف بخنجر بيده زيادة في التشفي منهم والتنكيل بهم مما اطنب المؤرخون في وصف شدته وفظاعته ثم خرج من مصر مغيظا محنقا فمات في طريقه إلى بلاده . وفي اثناء غيابه خرج شخص اسمه فومات واستولى على العرش مدعيا انه اخو كمبيز وظل فيه ثلاث سنوات ثم قام عليه الشعب وقتله وصار الملك إلى دارا الاول . وقد حاول ان يصلح ما أفسده كمبيز في مصر فزارها وامر بأعمال عمرانية عديدة وأظهر احترامه لديانة المصريين ورمم معابدهم وعزل الوالي ارياندس الذي عينه قمبيز والذي كان سيء السيرة واتفق ان مات العجل فتوجه إلى منف وعزاهم بموته ووعد بمكافأة من يجد لهم عجلا بديلا وحفر ترعة لتوصيل البحر الاحمر بالبحر الابيض لتنشيط التجارة على ما يستدل عليه من حجارة كثيرة وجدت في بعض مواضع من برزخ السويس مكتوب عليها اسمه ، واصلح أيضا طريق قفط الموصل إلى البحر الاحمر فعادت الحركة التجارية إلى نشاطها وعاد من ذلك على مصر فوائد عظيمة ، وبنى في مدينة هيب المعروفة اليوم بالخرجة معبداً لآمون . غير ان المصريين ظلوا يضمرون للفرس العداء والحقد ، وقد اغتنموا فرصة اشتباك دارا مع اليونان بالحروب فثاروا وولوا عليهم شخصا سماه احمد كمال خبيش الملقب بلقب سنن تانن استبن بتاح وقال انه من ذرية بسماتيك وكان ذلك سنة ٤٨٦ ق م . وقد اهتم هذا لتحصين حدود مصر الشمالية من ناحية البر والبحر استعداداً لدفع غارة الفرس . ولكن هــذا لم يجده لأن

شيارش الذي تولى بعــد دارا زحف، على مصر واستطاع ان يتغلب على مقاومتها وعامل اهلها بالقسوة وضرب عليهم المغارم ونهب ما كان في معبد بوتو مــن الامتعة والنفائس واختفى خبيش ثم لم يظهر بالمرة . وقد عين الملك الفارسي اخاه اخيمنيس واليا على مصر فاتخذ الوسائل المانعة لثورة المصريين . غير ان المصـريين اغتنموا فرصة فتنة نشبت في بلاد الفرس فأقاموا ايناروس بن بسماتيك ملكا عليهم (١) ، وكان اميراً لمدينة ماريا فانضم اليه رؤساء الوجه البحري ، ورأى انه لن يستطيع بمفرده ان يعيد الفرس فتحالف مع اليونان أعدائهم فأمدوه بمئتي سفينة حربية ، وحينئذ قويت عزيمتهم وجـاهروا الفرس بالعصـيان حتى ان ايناروس قتل بيده اخيمنيس الوالي وأرسل جثته إلى ارتخشارشا الذي آل اليه الملك بعد شيارش نتيجة لتلك الفتنة . وقد هاجمت السفن اليونانية السفن الفينيقية التي كانت تعمل في خدمة الفرس وأغرقت منها ثلاثين وأسرت عشرين ، كما زحفت قوات ايناروس على منف حيث كان يعسكر فيهـا القوات الفرسية وحـاصرتها واستولت على المـدينة دون القلعة التي اعتصم فيها هذه القوات . وقد نشط ارتخشارشا وسير حملة كبيرة من جهة وأخذ يدس الدسائس لتوهين صفوف المصريين والافساد بينهم وبين اليونانيين من جهة ، وقد نجح في حركته وتمكن من التغلب على المصريين واليونانيين وأسر ايناروس وصلبه ، ولكنه اضطر على ما يبدو إلى مسايرة الظروف فعين ابنه ثانيراس حاكما مكان أبيه بعد ان تعهد له بالخضوع والطاعة .

وكان هناك زعيم من أنصار ايناروس اسمه اميريتوس كان حاكما هو وأبوه من قبله على بعض الاقاليم اغتنم فرصة فتنة جديدة نشبت في بلاد الفرس فتزعم حركة تمردية . وتمكن من طرد الحامية الفارسية من مصر فبايعه المصريون على الملك وقد أرخ أحمد كمال هــذه الحركة بسنة ١٠٢٨ قبل الهجرة ، وعدهــا أسرة حاكمة وهي الأسرة الثامنة والعشرين الصاوية نسبه إلى مدينة صالحجر التي كان اميريتوس حاكما عليها (٢) ، مع التنبيه على انــه كان الملك الوحيد . وقــد امتد حكمه سبع سنين ونشط في اصلاح ما أفسدتــه الحروب ودمرته من معابد وهياكل ومرافق ومصانع .

- ٣ -

ولم يكد امريتوس يموت حتى برز زعيم اسمــه المصري في الآثار نايبس واسمه في

---

(١) كان الاولى ان يذكر ايناروس كأسرة مصرية جديدة ولكن مانيتون لم يعدها كذلك كما كان شأن استبن بتاح فجرى احمد كمال وغيره على خطئه .

(٢) العقد الثمين ص ١٥٧

جدول مانيتون نفريتس من مدينة منديس التي يقوم مكانها اليوم مدينـــة أشمون الرمان في مصر السفلى واستطاع ان يفرض سلطانه على مصر فقام بذلك أسرة جديدة تعد في التسلسل تاسعة والعشرين . وكان ذلك سنة ١٠٢١ قبل الهجرة . وقد تولى الحكم منها أربعة ملوك أورد أحمد كمال (١) أسماءهم في جدولين كالمعتاد هكذا :

جدول الآثار	جدول مانيتون
نايف عاورود الاول بن رع مينترو	نفرتيس الاول ومدته ٦ سنوات
هاجوري رع خنوم معت استبن خنوم	اخوريس ومدته ١٣ سنة
بسيموت ...	بساموتيس ومدته سنة
نايف عاورود الثاني	نفريتس الثاني ومدته اربعة أشهر

وشعر الملك الاول حركة من جانب الفرس لاعـــادة سلطانهم على مصر فسارع إلى التحالف مع اسبارطه المسماة لقدمونية على ما ذكره احمـــد كمال من سيرته . وقـــد كانت اسبارطه في هذا الوقت في حرب مع الفرس فأرسل اليها نفريتس مراكب مشحونة بالسلاح والقمح ، وقد دارت الدائرة في هذه الحرب على اسبارطة وهم الفرس بالزحف على مصر ثم طرأ عليهم ما شغلهم فكان ذلك فرصة لتوطيد استقلال مصر وحكم الاسرة التي أنشأها . ومما فعله دخوله في حلف مع يونان قبرص واثينة ومع هيكاتومنوس ملك القيروان بسبيل تأمين سلامة مصر ورد العدوان عنها .

وحذا خليفته اخوريس حذوه في التحالف مع اليونانيين وبذل الجهد في سبيل توطيد استقلال مصر وتحسين حالتها ؛ وأجرى بعض الأصلاحات في ايوان الكرنك الكبير على ما دلت عليه النقوش المدونة على هذا الايوان والمؤرخة بالسنة الثانية من حكمه . وقـــد استطاع ان يقوي جيش مصر ودفاعها وتمكن بذلك من رد حملة فارسية خائبة إلى بلادها .

ولم يؤثر عن بساموتيس الذي خلفه سنة ٣٨٢ ق م سوى انه وجـــد مرسوماً في قصر الكرنك بقرب سلفه آخوريس ولم يزد حكمه عن سنة واحدة . وممـــا يروى ان افلاطون وغيره من حكماء اليونان قدموا في ايامه إلى مصر ليأخذوا الحكمة مـــن حكماء عين شمس ومنف وطيبه .

وكذلك لم يؤثر عن نفرتيس الثاني الذي لم تزد مدة حكمة عن أربعة أشهر سوى مايعزى اليه من صنم ابي الهول الموجود الآن في متحف باريس .

---

(١) نفس الكتاب ص ٢٠٩–٢١١ وفيها سيرة هذه الاسرة

ولم يكد هذا يموت حتى برز زعيم من سمنود اسمه المصري نخت حور حب فاستولى على الحكم ودانت له البلاد فقام بذلك الاسرة الثلاثون التي كانت سمنود عاصمة لها . وقد أرخ احمد كمال قيام هذه الاسرة بسنة ١٠٠٠ قبل الهجرة وقال ان ملوكها ثلاثة واورد اسماءهم(١) في جدولين كالمعتاد هكذا :

جدول الآثار

نخت حور حب ميانحورسا ولقبه رح سنوزم حت استبن انحور

زت حر

نخت منف ولقبه خير كارع

جدول مانيتون

نيكتانييس الاول ومدته ١٨ سنة

تيوس تاخو » سنتان

نكتانيبوس الثاني » ١٨ سنة

ومما ذكره أحمد كمال (٢) من سيرة هذه الاسرة ان الملك الاول اشتهر باسم نقطانب الاول ، وان مدته كانت هيجاناً واضطراباً لأن دولة الفرس كانت تتجهز وتستعد للزحف على مصر واعادة سلطانها ، وكان هو بدوره منهمكاً بالاستعدادات الدفاعية، وكانت جيوشه تحت قيادة قائد يوناني اسمه خابرباس ومعسكرة على ساحل بحر الطينة بعد ان حصن بالمتاريس والاستحكامات والخنادق . وقد زحفت القوات الفارسية من عكا بقيادة قائد فارسي اسمه فرناباز وآخر يوناني اسمه افيكرايتس وكان عددها مئتي الف ، والتقت بالعساكر المصرية في اشتوم ام فرج بالبحر المنديسي فكتبت الهزيمة على هذه . غير ان نخت حور حب كان محتفظاً بجيش احتياطي فقاده بنفسه وهاجم القوات الفارسية فهزمها وجعلها تترك مصر وتعود إلى بلاد الشام وبذلك وطد استقلال مصر وحكم أسرته معا . وقد نشط بعد ذلك نشاطا كبيراً في تحسين مرافق مصر وترميم المعابد والهياكل وتزيينها وتجديد نقوش معبد خونسو بالكرنك ؛ ومما يعزى اليه سلة صنعها للمعبود تحوت . وقد أرسل اليه ملك اسبارطه سفيراً طالبا المساعدة على فتنة في بلاده فأمده بقوة ساعدت على اخمادها ومات سنة ٣٦٤ ق م فتولى الملك زب حر الذي يقال له تاخو وابرم معاهدة حلفية

---

(١) العقد الثمين ص ٢١١

(٢) العقد الثمين ص ٢٢-٢٥

مع اسبارطه ، وهيأ قوة كبيرة وبدلاً من انتظار الفرس في مصر حسب ما أشار عليه قائده اليوناني سار إلى فينيقية للقاء القوات الفارسية ، وبمجرد خروجه اعلن نكتانيبوس الثـاني التمرد بالتآمر مع رجال الحـامية التي بقيت في مصر واستولى على السلطان مما جعل تاخو يلتجيء إلى أعدائه الفرس .

ولقد كانت مدة نكتانيبوس أو نقطانب الثاني مليئة بالفتن والاضطراب . وقد ثار عليه امير من الاسرة المنديسية وحصره في مدينة من مدائنه وقطع عنه المؤن ولم ينقذه إلا قائد من قواده اليونانيين . وفي هذه الاثناء مات ملك الفرس ارتخشارشا وخلفه ابنه اوخوس . واتصل نقطانب الثاني بملوك صور وصيدا وتحالف معهم لتوحيد جبهة الدفاع امام الفرس . غير ان الفرس تمكنوا من التغلب على مقاومة فينيقية وسائر بلاد الشام وزحفوا على مصر فكتب لهم الفوز بسبب ضعف القيادة وعدم الانسجام بين القوات المصرية والقوات اليونانية فيها ، وحينئذ حمل نقطانب أمواله وذخائره إلى النوبة حيث توفي فيها فكان ذلك نهاية هذه الأسرة وآخر عهد حكم مصر المستقلة .

ولقد وجد نقش يذكر خبر حبس هذا الملك اوقافا كبيرة على الالاهة بنيت لأنهـا نصرته على اعدائه الذين تآمروا على خلعه . ووصفت بنيت في هذا النقش بوصف سيـدة السماء وموجدة الكائنات وحاكمة البحر الابيض وسيدة الاحياء . وفي آخر الكتابة توقيع الملك موصوفا بالرئيس المتمتع بالصحة والسلامة الخالد الذكر واهب الحياة الوطيدة بالصحة والعافية والبشر والسرور كالشمس الابدية ! (١)

هذا ، ولم يذكر احمد كمال هوية الملوك المصريين الذين برزوا ومارسوا الحكم خـلال حقبة التغلب الفارسي الاول . ولكن سياقه عنهم يدل على انهم من زعماء الدلتا التي كانت أكثريتها العظمى من الاروماث المتسربة اليها مـن بلاد الشام والتي رجحنا في المناسبات السابقة انها تمت الى الجنس العربي .

— ٥ —

وتغلب الفرس ثانية على مصر بعد تحررهـا منهم وقتا غير قصير هو حقبة حكمهم الثانية التي لم تمتد إلا ثماني سنين في ظل ثلاثة من ملوكهم عدهم مانيتون ثم احمد كمال احتذاء به الاسرة الحادية والثلاثين وذكر أسماءهم هكذا (٢) :

---

(١) الكافي ج١ ص ١٩٤ وما بعدها

(٢) العقد الثمين ٢١٥

الحرف	ملاحظة
ا	راجع الشرح بشان استعماله حرف علة
ى	استعمل حرف علة على عهد اليونان
ع	
و	راجع الشرح بشان استعماله حرف علة
ب	
پ	
ف	
م	كذلك العلامة ⊂ بعدئذٍ
ن	
ر	
ل	في الازمنة المتاخرة ولكنها استعملت قبلاً للدلالة على ر
لا	
ح	

الحرف	ملاحظة
خ	
خ	
س	
س	كان التلفظ به يختلف اولاً بعض الاختلاف عن الحرف السابق
ش	
ق	كذلك ك على عهد اليونان
ك	
ج	كما يلفظه المصريون في القاهرة
ت	
ث	
د	
ج	كما يلفظه العامة في شمالي سوريه

١ــ اوخوس
٢ــ ارسيس
٣ــ دريوس الثالث
وتقابل هذه الحقبة لسني ٣٤٠ــ٣٣٣ ق م

ولقد كانت الدولة المكدونية اليونانية برزت في هذا الظرف وآل ملكها الى الاسكندر الكبير الذي بسط سلطانه على جميع بلاد اليونان وورث النزاع الناشب بين اليونان والفرس. وقد زحف على الشرق كالعاصفة في الثلث الاخير من القرن الرابع قبل الميلاد فاستولى على بلاد الشام ثم على مصر بعد تغلبه على الحاميات الفارسية فيها . وكان ذلك في عهد دارا الثالث . ثم زحف نحو فارس فانتصر على هذا الملك وقتله ونسف دولته .

ولقد كان حنق المصريين على الفرس كبيراً بسبب ما كان منهم من قسوة وتدمير فتلقوا زحف الاسكندر بالابتهاج (١) وتعاونوا معه على هزيمة الفرس واجلائهم عن البلاد .

ولقد عامل الاسكندر المصريين بالرفق واللين واقرهم على ما هم عليه من عادات وتقاليد مدنية ودينية وخفف عنهم الضرائب ، وزار معبد آمون في طيبه وسمى نفسه ابن آمون . وهو الذي امر بانشاء مدينة الاسكندرية مكان قرية قديمة اسمها راقودة . وقد قلد ولاية مصر لرجل من رجاله اسمه اقليومنوس ولم يلبث ان مات في ريعان شبابه وذروة مجده وانتصاراته . وصارت الولاية على مصر بعده لقائد من قواده اسمه بطليموس الذي اشترك في النزاع الناشب بعد الاسكندر بين قواده واسرته واستطاع في النهاية تثبيت سلطانه على مصر وفينيقية وتوريثه لأبنائه من بعده فنشأ نتيجة لذلك دولة يونانية عرفت بدولة البطالمة او البطالسة نسبة اليه وعمرت نحو ثلاثة قرون ٣٢٣ــ٣١ ق م ثم دخلت مصر تحت سلطان الرومان وظلت كذلك الى ان حررها العرب عوداً على بدء في ظل العروبة الصريحة والراية الاسلامية سنة ٢٠ هجرية و ٦٤١ ميلادية .

ـ٦ـ

وفي الجزء الثالث عشر من مصر القديمة نبذ عديدة في ملوك الفرس وملوك مصر الذين تولوا الحكم في الحقبة الممتدة بين سنة ٥٢٥ وسنة ٣٣٣ ق م فيها ما هو متطابق مع ما قلناه عن احمد كمال والمتباين والزائد عليه .

ولقد توسع مؤلف الكتاب في سيرة ملوك الفرس في مصر وبلادهم معا وعدد ما خلفوه في مصر من آثار متنوعة واسهب في وصفها وترجمة ما عليها من نقوش .

---

(١) العقد الثمين ص ٢١٥

وقال عن أرومة ايناروس بن بسماتيك الذي تولى قيادة الثورة ضد الفرس ونادى المصريون به ملكاً عليهم ان من المظنون انها نوبية ، وعن امريتوس الذي تمكن من طرد الفرس وانشاء أسرة كان هو ملكها الوحيد انه من الأسرة الملكية الساوية المنحلة — وهو يقصد الأسرة السادسة والعشرين — ونوه بما عثر عليه له من آثار عديدة تحمل اسمه ولقبه وتسميه ملك الوجه البحري والقبلي .

وقد تطابق في أسماء ملوك الأسرة التاسعة والعشرين وسيرتهم مع احمد كمال ومانيتون اجمالا مع تقديمه بساموت على هاجوري او اخوريس ؛ وذكر ما خلفوه من آثار متنوعة تحمل أسماءهم وألقابهم .

ولم يعقد نبذة بعنوان الأسرة الثلاثين كما فعل بالنسبة للتاسعة والعشرين ولكنه عقدلكل من ملوكها الثلاثة نبذاً خاصة وسمي الاول نقطانب الاول والثاني تاخوس الثاني والثالث نقطانب الثاني ، وتطابق اجمالا في سيرتهم مع احمد كمال ، وقد نوه بعهد أولهم قائلا انمصر وصلت فيه الى أعلى ذروة وانه كان عهد مبان ضخمة وانتاج فني رفيع وانه عثر له علىنحو مئة أثر متنوعة من مبان ونقوش ولوحات وتماثيل ونواويس في انحاء مختلفة من مصر واسهب في وصفها وترجمة ما عليها من نقوش اسهاباً يدل على ما كان عليه هذا الملك من حيوية ونشاط عمراني بالاضافة إلى ما كان من تغلبه على الفرس وممارسة مصر على يده سيادتها التامة عوداً على بدء . ونوه كذلك بنشاط تاخوالعسكري والاقتصادي والتنظيمي والصناعي وذكر ما عثر عليه له من آثار عديدة وعزا نجاح نقطانب الثاني في حلوله محل تاخو إلى ما كان من ارهاق هذا للمصريين بالضرائب . وقال في صدد أرومة نقطانبالثاني انه من منديس — من مدن الدلتا الشرقية القديمة — وان من المحتمل ان يكون من الاسرة السابقة ، وذكر ما عثر عليه لهذا الملك من آثار متنوعة وكثيرة تدل على ما كان عليه من نشاط وحيوية . وقد سمي في بعضها باسم ملكالوجه البحري والقبلي. ومن جملة الآثار التي عثر عليها لوحة عرفت باللوحة السحرية عليها تعاويذ ورقي وابتهالات للآلهة ضد الشر وسموم الافاعي والعقارب . وقد ترجم نصوصها .

لمحة اجمالية

في الصور الحضارية المتنوعة لمصر القديمة

نوهنا في سياق سيرة الاسر بشيء كثير مما كان للمصريين ودولهم وملوكهم ورجال حكوماتهم الذين كانت غالبيتهم من الجنس العربي من مآثر حضارية متنوعة وتقاليد مدنية ودينية . وقد رأينا ان نورد بعد ان انتهينا من سيرة الاسر لمحة اجمالية اخرى مـــن ذلك . وهناك مصادر كثيرة بالعربية والاعجمية قد تناولت المآثر الحضارية المصرية القديمة بشيء كثير من التفصيل والاسهاب . وكثير من ذلك مستنبط من الآثار . ومنها ما جاء في كتب خاصة ومنها ما جاء في سياق سيرة الاسر كما فعل مؤلف كتاب مصر القديمة الـــتي احتوت اجزاؤه العجيب المذهل من الشرح والبيان .

والمقصد من هذه اللمحة هو اعطاء فكرة عامة ومجملة . وسوف يكون الايجاز اسلوبنا فيها كما كان اسلوبنا في سيرة الاسر ؛ وسوف يكون الكلام مطلقاً لا تفريق فيه فـــيما كان في دوردون دور ولا تفصيل فنياً . لان منهج الكتاب لا يتحمل غير ذلك(١) .

— ١ —

ونبدأ بمأثرة الكتابة لانها كانت الوسيلة الي معرفة كثير من المآثر الاخرى . فضلا عن انها تعد في الحقيقة في حد ذاتها من اهم المآثر لانها مـــن اولى محاولات البشر في تسجيل الأفكار ونقلها إلى الغير والأجيال التالية . وإذا لاحظنا ان اولى الكتابات المصرية تعود الى ما قبل خمسين قرناً لان هناك كتابات منقوشة من عهد الاسرة الاولى بدت خطورة هـــذه المأثرة .

ومهما يكن من امر ما ذكره بعض المؤرخين مـــن ان الموجات العربية التي نعتوها بالساميين هي التي جاءت إلى مصر بنواة الخط الهيروغليفي والكتابة وذلك قبل قيام عهد

---

(١) هذه اللمحة مقتبسة من اجزاء كتاب مصر القديمة وكتاب مصر والحياة المصرية في العصور القديمة تأليف ارمان ورانكة وتعريب عبد المنعم ومحرم كمال وكتاب مصر ومجدهـــا الغابر تأليف مرجريت مري وتعريب محرم كمال وكتاب العقد الثمين لاحمد كمال وادب الدنيا والدين عند قدماء المصريين لانطون زكري في الدرجة الاولى .

الاسر (١) فالراجح ان الكتابة المصرية القديمة انما ظهرت بمعالمها ونتائجها في مصر . ولقد كانت هذه الكتابة في بدء امرها قائمة على اساس التصوير فكانت عسيرة طويلة ضيقة ثم تحسنت بالتدريج فغدت مزيجة من الحروف والرموز والصور فساعد ذلك على الاختصار والتسهيل وسعة النطـاق . وكانت في بادىء الامر منحصرة بالكهان واعتبرت مقدسة وسميت هيروغليف ـ والكلمة يونانية ـ التي تعني التقديس . ثم تطور عن الاصل المقدس خطان وهما الهيراطيقي والديموطيقي اللذين سهلا الكتابة وجعلا نطاقها يتجاوز الكهان . وهكذا كان في مصر ثلاثة خطوط الهيروغليفي المقدس الخاص بالكهان والنقوش الدينية والديموطيقي والهيراطيقي اللذين كانا للتجارة والمراسلات والتسجيلات المتنوعة الاخرى . وليس معنى هذا ان الكتابة المصرية تبسطت حتى غدت حرفية ابجدية على النحو الذي كانت عليه الكتابة المعينية والسبئية والكنعانية والآرامية والبابلية فقد ظلت معقدة تعقيداً غـير يسير وظلت تحتاج الى كثير من الجهد والمهارة .

ولقد كتب احمد كمال في العقد الثمين (٢) فصلا عن الحروف والكتابة المصرية الـتي يسميها « البربائية » والتي هو ضليع فيها . وقد قال انها تنقسم الى ثلاثة اقسام حروف بسيطة وحروف مركبة وعلامات مخصصة . فالحروف البسيطة هي كحروف الهجاء العربية وسميت بسيطة لان كل حرف منها مستقل بلفظ واحد وعددها ستة وعشرون مرتبة هكذا : نصبه ـ ا ـ ع ـ ي خفضه ـ رفعه ـ و ـ ف ـ ب ـ ب ـ م ـ ن ـ ر ـ ل ـ ه ـ ح ـ خ ـ س ـ ش ـ ق ـ ج ـ ك ـ ت ـ ث ـ د ـ ز ؛ ولكل حرف علامة هي صورة او قسم من صورة .

والمركبة علامات ذات مقاطع للمعاني والمباني وتتفرع الى ثمانية وعشرين فصلا اوفرعاً ١ ـ في صور الرجـال ٢ ـ في صور النساء ـ ٣ ـ في صور المعبودات ٤ ـ في اعضاء الانسان ٥ ـ في الحيوانات ذات الاربع ٦ ـ في اعضاء هذه الحيوانات ٧ ـ في الطيور ٨ ـ في اعضاء الطيور ـ ٩ ـ في الاسماك ـ ١٠ ـ في حشرات البر والبحر ـ ١١ ـ في الهوام ـ ١٢ ـ في الاشجار والنبات والازهار ـ ١٣ ـ في الاشياء السماوية ـ ١٤ ـ في الارض وما يتعلق بها ـ ١٥ ـ في المياه وما يتعلق بها ـ ١٦ ـ في المباني وما يتعلق بها ـ ١٧ ـ في المراكب

(١) انظر تاريخ مصر الى الفتح العثماني لسفيدج الاسكندري ص ٦ ومصر القديمـة لسليم حسن ج ١ ص ١٤٣ وفي هذا ما فيه من توكيد عراقة الحضارة العربية الجنس .

(٢) ص ٢٢١-٢٢٣

وما يتعلق بهـــا ١٨ ــ في اثاث البيت ١٩ ــ في اثاث المعبد ٢٠ ــ في التيجـــان ٢١ ــ في الملبوسات وما يتعلق بها ٢٢ ــ في القضبان وما يتعلق بها ٢٣ ــ في عِدد الحرب ٢٤ ــ في عِدد الصناعة وآلات الزراعة ٢٥ ــ الربط في الصور ونحوها ٢٦ ــ في المواعين ومايتعلق بها ٢٧ ــ في القرابين وما يتعلق بها ٢٨ ــ في أدوات الكتابة وآلات الموسيقى .

والعلامات المخصصة كثيرة جداً لا يمكن استيفاؤها في فصل مختصر على ما يقول احمد كمال . وقد اكتفى بذكر المشهور منها كعلامات العبادة والرئاسة والرفعة والطفولة والتربية والعقل والمعبودات والاعيان والراحة والضعف والعداوة والكراهـــية والتصبير والرسوم والتماثيل والشعر والحزن والنظر والتباغد والمسير والذهاب والايـــاب والاستنشاق والحزن والحس والأذى والصغر والنبات والزمن الماضي والسماء والعرش والليل والظلام والشمس والنور والبلاد الجبلية والاجنبية والمدن والقرى والنار والحرارة والسفن والسياحة والريح والكتابة والملابس والمشروبات والحبوب . ولكل من هذه المعاني علامـات ترسم في آخر الكلمة لتخصص معناها ولا تقرأ .

والمستفاد من الامثلة التي ذكرها احمد كمال انوجود الحروف البسيطة الصائتة والصامتة لا يعني ان جميع الكلمات تكتب بها دائماً . فكثيراً ما تكون لأجل ضبط النطق . واحيـــاناً كثيرة ترسم الكلمات ذات المعنى المجسم كالرجل والمرأة والدابة والشجرة والبيت الخ رسماً يدل على معناها العام ثم تضاف اليهـــا قبلها أو بعدها علامات لتعيين نوعها وتحديـــد معناها .

الورق والحبر والمدونات الورقية

والمصريون هم اول من ابتكر ورق الكتابة . وقد صنعوه من نبات البردي حيث كانوا يصقلون ورق هذا النبات ويجعلون منه لفائفللكتابة كما انهم اول من ابتكر الحبرواستعمل قلم البوص في الكتابة وكانوا يستعملون الحبر الاسود في المتون والاحمر في العناوين واوائل الفصول . وكانوا الى هذا يرسمون احياناً بعض الكلمات بلونها الطبيعي فيرسمون الجملة التي تدل على الشمس مثلا باللون الاحمر والقمر باللون الاصفر والاشجار والاعشاب باللون الاخضر . وقد ساعدتهمهذه الابتكارات على تأليف الكتب الدينية والادبية والعلمية فضلا عن تسجيل الاعمال والحسابات والمراسلات والعقود والوصايا الخ . وقد ساعد مناخ مصر على بقاء كثير من مدوناتهم الورقية التي يسميها احمد كمال الاثرى (البربائية) حيث عثر على كثير منها سجل في شؤون متنوعة تاريخية وسياسية ودينية وحربية وفلسفية وشعريـــة

وأنظمة وشرائع وقواعد اخلاقية ومعاشية وعقود وقوائم بأوقاف المعابد ومحتوياتها واراضيها الخ ، منها ما يرجع إلى خمسين قرناً ومنها ما يرجع الى اربعين ثم الى ثلاثين ثم الى خمسة وعشرين الخ

هذا بالاضافة الى ما ساعد عليه ما عثر منها من استكناه تاريخ واسماء ملوك اسر عديدة من الأسر الحاكمة . مما نوهنا بكثير منه في سياق سيرة الاسر الحاكمة ومما جاء ذكر عدد لا يكاد يحصى منه في اجزاء كتاب مصر القديمة مما يعود الى مختلف عهود الأسر .

ومع ما سجلوه على الورق فان كثيراً مما عرف من تاريخهم ومآثرهم قد عرف من تسجيلاتهم ونقوشهم على الاحجار وجدران المعابد والهياكل حيث يدل هذا على انهم لم يجعلوا تعويلهم فيما ارادوا تسجيله وتخليده من مآثرهم وتاريخهم على الورق فقط لأنهم قدروا على ما يبدو ان اهتراء الورق اسرع واشد احتمالا . واذا لوحظ ان تسجيلاتهم على الاحجار ترجع الى العهود الاولى من الاسر الحاكمة بدا مقدار ما كان من اهتمامهم للتسجيل والتخليد من عهد سحيق في القدم يرجع بدوره الى خمسين قرناً أو أكثر مما مر منه نماذج كثيرة في سياق مختلف الأسر .

دور الكتب

وهم اول من أنشأوا دور الكتب . وقد نقل عن (١) مانيتون ان داراً للكتب انشئت في عهد الذين أنشأوا اهرام الجيزة اي قبل اكثر من خمسة آلاف سنة . وقد ذكر انطون زكوي (٢) انه كان في كل معبد دار كتب خاصة وان سنخيت المعروفة بسيدة دور الكتب المصرية أنشأت داراً للكتب في معبد مدينة طينة الذي كشف عنه في المكان المعروف بالعرابة المدفونة ونقشت على جدرانه فهرستا بما فيها من الكتب وقالت انها وضعت في هذه الدار كل علوم المعبود تحوت وكتبه (٣) .

وقد وجد حجر في مقبرة في الجيزة عليه اسم رجل من اوصافه « امين دار كتب الملك » .

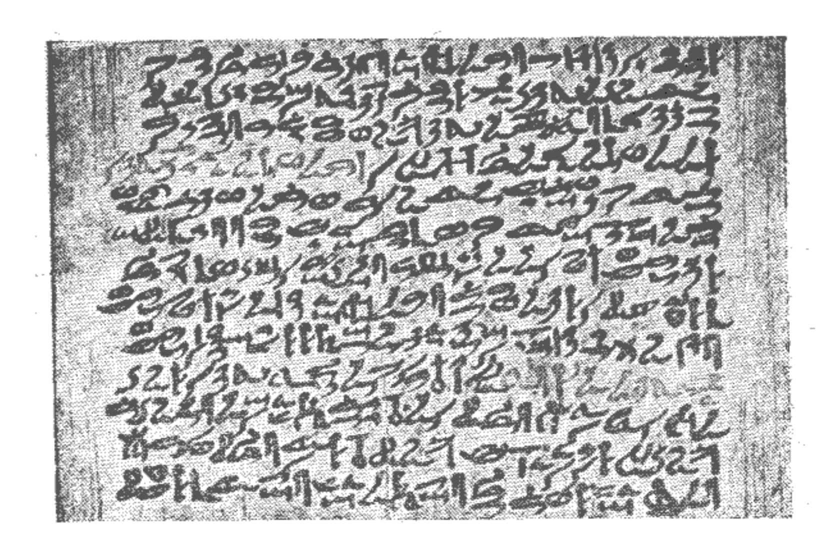
-٢-

العلوم والاداب والفنون

ولقد كانت عنايتهم بالعلوم والآداب كبيرة ، وكان للكتاب والمتعلمين مكانة عظيمة

---

(١) الكافي ج ١ ص ١٦٩
(٢) ادب الدنيا والدين ص٥
(٣) نفس الكتاب ص ١٠



كتابة بالخط الهيراطيقي



تمثال كاتب مصري

في الدولة والمجتمع . وقد اثر عنهم نشيد بعنوان نشيد العلم في تمجيد الكتابة والكتاب والعلم وحث على حب الكتب وتنويه بفضل ذلك على الصناعات اليدوية الأخرى وبما يتيحه أمام أصحابه من أبواب المجد والرفعة . وهناك إلى هذا النشيد مأثورات كثيرة عن حكماء مصر القدماء فيها مثل هذا الحث والتمجيد وردت في العقد الثمين وفي أجزاء كتاب مصر القديمة وغيرهما من المصادر .

ولقد ازدهرت الآداب نتيجة لذلك في مختلف عهود التاريخ المصري ازدهاراً كبيراً يدل على ما عثر عليه من مدونات ورقية ومنقوشات حجرية ومعدنية احتوت كثيراً من القصائد والاناشيد والقصص والتمثيليات الدينية وغير الدينية والحكم والمواعظ مما نوهنا ببعضه في سياق سيرة الأسر المختلفة ومما احتوت اجزاء كتاب مصر القديمة (١) منه الشيء الكثير الذي فيه من الروائع والصور البيانية والخيالية والنصائح والحكم الاخلاقية والاجتماعية ما فيه دلالة على ما بلغوا اليه من نضج في التفكير وسمو في العقل وسعة في الخيال وقوة في الاسلوب .

ولقد كانت عنايتهم بتعليم الناشئة كبيرة وكان هناك مدارس متفاوتة الدرجات منها الابتدائي ومنها القانوني ومنها العالي بل وقد عرف من بعض النقوش انه كان هناك رياض للأطفال يقبل الطفل فيها في سن الرابعة . وكانوا يسمون المدارس ببيوت النظام وبيوت الحياة . وكانت توضع في أيدي الطلاب كتب وكراريس وقد عثر على آلاف الكراريس في مقابر الموتى الاطفال حيث يدل على ما كان من تعلق الاطفال والآباء معاً بالتعليم وما كانت تشغله كراريس المدارس في نفوسهم من مكانة .

وكان يعقد للطلاب امتحانات سنوية . وكثيراً ما كان الاغنياء ينفقون على تعليم أبناء الفقراء ويتولون شؤونهم حتى يتموا دراستهم .

وقد اشتهرت كلية ختو ـ وهذا أحد كبار الامراء الوراثيين ـ وكان معظم طلابها من أبناء السراة . واشتهرت كذلك جامعة عين شمس التي كان فيها كليات للطب والفلك والهندسة والآداب واللاهوت . وكانت منهلا لطلاب يأتون اليها من اليونانيين وغيرهم في الوقت نفسه وظلت زاهرة إلى العصر الروماني وذكرها سترابون في كتابه .

---

(١) انظر ايضاً العقد الثمين وكتاب ادب الدنيا والدين عند قدماء المصريين لانطون زكري ومصر ومجدها الغابر لمرجريت تعريب كمال محرم ففيها من ذلك نماذج كثيرة ايضا .

ولقد كانت عنايتهم بالطب كبيرة منذ أقدم تاريخهم على ما يدل عليه ما وصل الينا خبره من كتبهم ورسائلهم الطبية . وقد ذكر هيرودوت انه كان هناك رسائل في الطب من عهد الملك خوفو وأخرى من عهد الملك منكو رع وأخري من عهد الملك سيتي وان هذه الرسائل جمعت في عهد الأسرة الثامنة عشرة وحفظت في مكتبة امنحتب وبقيت إلى عهد اليونان ، وفيها أسماء كثيرة من الأمراض وأعراضها والوصفات الطبية والنباتات والعقاقير والاملاح التي تعالج بها .

ولقد عرف من آثارهم ونقوشهم ومدوناتهم انهم وصلوا إلى درجة رفيعة في الموسيقى والنحت والتصوير والكيمياء والهندسة والفلك والرياضيات كانت مقتبساً لليونانيين وغيرهم ممن تحضروا بعدهم ، ولقد خلفوا كثيراً من الآلات والادوات الهندسية والفلكية والطبية والصناعية عثر عليها أثناء التنقيب كما عثر على تماثيل رائعة لملوكهم وغير ملوكهم ولحيواناتهم المقدسة ولآلهتهم وعلى صور ومشاهد وخرائط منقوشة طبيعية وبشرية وفلكية متنوعة الهيئات تدل على ما كانوا عليه في هذه الفنون من درجة عالية .

ولقد كتب احمد كمال نبذة بعد نهاية الاسرة الحادية عشرة بعنوان درجة العلم التي كانت عليها مصر في عهد الطبقة الاولى الذي يبدأ من الاسرة الاولى وينتهي بآخر الاسرة الحادية عشرة عنه والذي يؤرخه بين القرن السادس والخمسين والثلاثين قبل الهجرة (٤٤٠٠ ـ ٢٧٠٠ ق م) والذي يؤرخه سليم حسن وبريستيد بين (٣٤٠٠ ـ ٢٠٠٠ ق م) رأينا أن ننقلها نصاً لما فيها من بيانات شائقة عن المآثر المتنوعة منذ ذلك العهد المتقدم في القدم مستندة إلى نصوص قديمة ودراسة علماء مختصين من الاجانب والمصريين . وهذا نصها :

قال بيسوس : وجدت نقوش قديمة على جدران مقبرة من مقابر قدماء المصريين بجوار اهرام الجيزه مضمونها ان صاحب هذه المقبرة كان ناظراً على المكتبة الملوكية في مبدأ الاسرة السادسة وما ذاك إلا لكونهم كانوا يعتنون بكتب العلوم حتى جعلوا لها خزانة وناظراً . ومن هذه الكتب ما كان مدوناً في مدة الاسر الثلاث الاولى ومنها ما كان مؤلفاً في عهد الملك منا وما كان قبله مما يتعلق بالديانة وعلوم الهندسة والطب والفلك والتاريخ المشتمل على قصص الملوك وما وقع في مدتهم من الاحداث المهمة ومدة كل منهم وتاريخ حياته .

وكان في الخزانة المذكورة كتب فلسفة وادب وبعض مدونات خرافية أيضاً .

ولقد استكشف قدماء المصريين من النجوم السيارة المشتري وزحل والمريخ والزهرة وعطارد كما استكشفوا بعض النجوم الثوابت على ما ذكره ده روجه ؛ وكانوا يشبهون

الارض بالكواكب ويقولون انهـا تنتقل كالمريخ والمشتري على ما ذكره شاباس ؛ وان الشمس هي مركز الجميع ويعتقدون انها كانت تسير سيراً عمومياً وتسبح في السماء مع النجوم السيارة ، وان السماء لجة ماء تحيط بالارض من جميع جهاتها وتركز على الجو الذي حولها كالأساس المتين على ما جاء في ورقة اثرية موجودة في برلين . وقد وجد على بعض الآثار صورة للسماء على هيئة الماء وفيها تسبح الكواكب والنجوم على اشكال بشرية وحيوانـية كل منها في سفينة خلف الشمس وتشاهد فيها النجوم الثوابت أيضاً عـلى هيئة مصابيح منتشرة في القبة السماوية وكأن القدرة الالهية توقدها كل مساء لتضيء الارض اثناء الليل مما فيه دلالة على تصورهم الآنف الذكر . وقد جعلوا في مبدأ هـذه الهيئة النجوم التي كانوا يعبدونها مما لا يمكن مقارنة اسمائها القديمة بالاسماء الحـالية كما تشاهد مرسومة في المراصد القديمة الموجودة في دندرة وصان ومنف والمطرية . وكان المصريون يهتمون لتدوين تقاويم سنوية يبينون فيها ظهور وغروب الكواكب ولم تزل آثارها باقية إلى الآن . ومن أشهر الكواكب التي كانوا يدونون لها التقاويم الشعرى اليمانية التي كان ظهورها علامة على مبدأ فيضان النيل وعلى رأس السنة المصرية حتى انهم اتخذوها اساساً للتقويم . وقد قسموا السنة اثني عشر شهراً وكل شهر ثلاثـين ثم قسموا الشهور إلى ثلاثة فصول كل فصل أربعة أشهر الاول فصل فيضان النيل والثاني فصل التحضير والثالث فصل الحصيد ، ثم قسموا كل شهر إلى ثلاثة اقسام كل قسم عشرة ايام ؛ وقسموا الليل والنهار الى اثنتي عشرة ساعة ، ورأوا في مجموع ايام السنة عدم التوافق مع دورة القمر ومنازلـه فرصدوا الشمس واستقر رأيهم على اضافة خمسة ايام لكل سنة سموها بأيام النسيء ، ثم لاحظوا مع ذلك فرقاً صار يبلغ كل اربع سنين يوماً واحداً فصاروا يضيفون كل اربع سنين يوماً وقد سموه يوم الشعرى وكانوا يقيمون فيه موسماً وعيداً في معبد شيسوحور في مدينة منف .

هذا ما كان من امرهم في علم الفلك . اما علم الرياضة القديم فأحمد كمال يقول انه وان لم نطلع على شيء من كتبه فان بناء الاهرام الشامخة والعمارات المتسعة والمقابر المتقنة يدل على ان فن الهندسة كان متقدماً علما وعملا وان المصريين كانوا يعملون مقاييس الاجسام وجر الاثقال حتى امكن لمهندسيهم ان يصنعوا تلك الاهرام العظيمة والبرابي الجسيمة الموجودة بسقارة وغيرها على شكل غريب وصنع عجيب . على انه وجدت رسالة في الهنـدسة بعد بناء الاهرام بألفي سنة اظهرت الاشياء اللازمة لعملية التصبير كانت عرضة للعن والكراهة وكانت القوانين الطبية تحظر العمليات التشريحية فالتزم الاطباء ذلك وكان الذي يخالف ذلك يخاطر

بنفسه اذا توفي المريض حيث يكون عرضة للحكم بالقتل قصاصاً .

ولقد عثر على رسالة قديمة محفوظة اليوم بمتحف برلين فيها جملة ما يتعلق بالجسم ؛ ومن ذلك ان للرأس اثنين وثلاثين وعاء توصل النفس الى داخله ثم يسري منه هذا النفس الى جميع اعضاء الجسم وان في الصدر وعائين يوصلان الحرارة الى الشرج وان في مؤخرة الرأس وعائين وفي قمة الرأس وعائين وفي الاجفان وعائين وفي كل من الاذنين وعائين وفي الخياشيم وعائين ، وان النفس هو ما يتنشقه الانسان من الاهوية فيدخل في الاوردة والشرايين ويمتزج بالدم الذي به حركة الانسان وعند موته ينقطع النفس بخروج الروح وتبطل حركة الدم فيموت ، وقد عزا المؤلف هذا الكلام الى ابويماندر . ثم قال ولقد ذكر في الرسائل الطبية القديمة اسماء بعض الامراض كالرمد والدوالي والقرح والحمرة والديدان والصرع ونحو ذلك وفيها باب مخصوص لبعض علاجات نافعة للحمل والولادة .

ولقد ورد في رسالة قديمة محفوظة في متحف برلين بعض علامات لتشخيص الامراض التي هي اهم حقيقة ما كان عليه هذا الفن في عصر الاسرة التاسعة عشرة .

واما علم الطب فقد وجد كتاب فيه من عهد الملك خوفو وكتابان آخران احدهما من عصر الملك منكورع كله تذاكر طبية وثانيهما وجد في عصر الملك سيتي فتممه الملك سندا ثم نقلت هذه النسخ في مدة الاسرة الثانية عشرة والتاسعة عشرة ولنفاستها تداولتها ايدي مدارسهم وحفظت في مكتبة امنحتب التي استمرت موجودة الى عهد اليونان وكان حكماؤهم يستنبطون منها العلاج . وقد ذكر هيرودوت ان قدماء المصريين كانوا يعتنون بصحة اجسامهم زيادة عن غيرهم فكانوا كل شهر وثلاثة ايام يتعاطون مقيئات وشربات لتنظيف اجوافهم لاعتقادهم ان الامراض تنشأ من الطعام ، وان الطب كان مقسما عند المصريين الى انواع وان كل طبيب كان يشتغل بنوع خاص ولهذا النسبب كان اطباؤهم كثيرين جداً . والظاهر ان الطب كان متقدماً في العمل اكثر من تقدمه في العلم لأن الاطباء برعوا في عمليات التصبير (التحنيط) وعرفوا تركيب جوف الانسان . وقد كانوا يمتنعون عن تشريح الجسم لاعتقادهم ان الجسم اذا شرح يكون مشوهاً عند بعثه ولذلك كانوا يبغضون كل من كان سبباً في تشريح جثث موتاهم حتى المصبر الذي كان مكلفاً بعمل الفتحات الاعتيادية . كل شيء للحكيم ــ الطبيب ــ من ذلك تشخيص نوع من الالتهاب ترجمته نقلا عن بروكش « ان يحس الانسان بألم في البطن وبضعف في الابهر وبالتهاب في القلب ويشتد ضرب النبض وتشقل ملابسه دون ان تدفئه ويلتهب بطنه عند قضاء

الحاجة ويشتدظمؤه في الليل ويتغير معه طعم المأكل فيكون كرجل أكل جميزاً ويخدل جسمه . وعلاج ذلك على أربعة أنواع اما ان يعالج بالمراهم أو باللبخ أو بالجرع أوبالحقن حسب الطباع ويدخل في هذه الأنواع الأربعة خمسون نوعاً منها ما هو من النباتات والاشجار كالعوسج والارزة ومنها ما هو من المعدن مثل كبريتات النحاس والملح وملح البارود . وكان بعض علماء الطب يدخلون في تركيب المراهم المزيلة للالتهاب اللحم والقلب والكبد والمرارة والدم السائل والجاف لبعض الحيوانات وخاصة شعر الابل وقرنه اللذين كانوا يستعملونهما في تركيب بعض المراهم لمعالجة الالتهاب . وكانت أجزاء كل دواء تسحق على حدتها ثم تغلى وتصفى بخرقة وتمزج بعد ذلك بالماء القراح أو بسوائل لمغلي الشعير ولبن البقر والمعز وزيت الزيتون النقي وبول الانسان والحيوان ثم تحلى بالعسل ويأخذها المريض وهي ساخنة في الصباح والمساء »

أما الصرع المعروف عند العوام بالعفريت فكانت معالجته اما بالرقية واما بالطب ، والاول عزائم كانوا يقرأونها على المريض فيخرج منه الصرع ، وفي ورقة محفوظة بمتحف ليد نص رقية هذه ترجمته « ايها الجن الساكن في فلان بن فلان المسمى أبوك بضرّاب الرؤوس قد محي ولعن اسمك الى الأبد لأنه جالب للموت . يقال ذلك أربع مرات » .

فاذا لم يزل الصرع بهذه العزيمة أتى الطبيب بعزيمة أخرى فاذا زال اجتهد الطبيب حينئذ في معالجة الجسم بالادوية لدفع ما حصل للمريض من الهزال بسبب الصرع .

وقد اشتهرت الرقيه عند قدماء المصريين بازالة المرض الخفي والطب لازالة المرض الظاهري .

وقد قال احمد كمال بعد ايراده هذه النبذة الطويلة: والحاصل ان مصر بلغت في عهد الطبقة الاولى من التقدم والتمدن إلى مقام كبير ؛ وحين كانت جهات الارض الاخرى مغمورة في ظلمات الجهل والتوحش كان بشواطىء النيل قوم اولو حكمة وفضل من التمدن يلي امرهم حكومة ملكية محترمة يخدمها طوائف مهيبة منتظمة .

وإذا كان احمد كمال كتب نبذته هذه تعقيباً على الدور الاول من تاريخ مصر الذي انتهى حسب تقسيمه بالأسرة الحادية عشرة فالدلائل كثيرة على ان سير العلوم والفنون والآداب على اختلاف أنواعها وصورها قد استمر وارتقى في العهود التالية مما احتوت المصادر العديدة وفي مقدمتها اجزاء مصر القديمة الكثير منه . ولقد مر في سياق سيرة الاسرة الثانية عشرة ثم الثامنة عشر والتاسعة عشرة وما بعدها تنويهات بما أنشأه ملوك هذه الأسر ورجالهم

من منشآت فخمة ضخمة تمثلت فيها روائع الهندسة والنقش والزخارف والألوان والأصباغ والخرائط الفلكية والمشاهد الطبيعية والحربية والاجتماعية تمثلا يدل على ما بلغت اليه هـذه الفنون من تقدم ورفعة شأن . ولا شك في ان فروع العلوم والفنون الاخرى قد سارت سيراً متوازياً معها لأن ذلك هو المتسق مع طبائع الاشياء ومع ما كان من تقدم الدولة وبروزها . ونحن لم ننوه إلا بالقليل وتجاوزنا عن كثير مما كشف عنه الكاشفون وذكروه في كتبهم . ولقد احتوت اجزاء مصر القديمة من ذلك ما لا يكاد يحصى كثرة مع اسهاب في الوصف يثير الدهشة والاعجاب . وفي كتاب مصر والحياة المصرية في العصور القديمة تفصيلات كثيرة عما احرزه المصريون في عهد الدولة الحديثة من تقدم في العلوم والفنون المتنوعة ، مما لا يتحمل منهج الكتاب ايراده (١) .

– ٣ –

الشؤون الاقتصادية

ولقد اهتم ملوك مصر ورجال دولتهم بشؤون التجارة والملاحة والتعدين والري والصناعات المتنوعة منذ عهد مبكر . فكانوا يوالون البعثات إلى سيناء شمالا والواحات غرباً وبلاد النوبة جنوباً لاستغلال معادنها ويهتمون لتعبيد الطرق اليها واستنباط الماء في هذه الطرق . وكان ذلك من اهم ما شغلوا انفسهم به مما يدل على انه كان مورد ثروة فياض للدولة يهون في سبيله ما كانوا يسيرونه من حملات ويتكلفونه من مشقات . ولقد كثرت المعادن على اختلاف انواعها في مصر وخاصة الذهب والفضة والحديد والقصدير والنحاس كثرة كبيرة نتيجة لذلك يدل عليه ما جاء في سياق وصف المنشآت الدينية وغير الدينية المتنوعة في اجزاء كتاب مصر القديمة التي كان ينفق فيها الكثير من هذه المعادن وخاصة الذهب والنحاس للتزيين وللزخرفة والتماثيل، وما جاء في مدونة هاريس وغيرها من المدونات والمنقوشات من قوائم طويلة بما كان يغدق على المعابد من هدايا فيها المقادير العظيمة من اواني الذهب والفضة والنحاس والحديد على ما مر اشارة اليه في سياق الاسرة العشرين والاسرة الثانية والعشرين وعلى ما ورد كثير منه في اجزاء مصر القديمة في سياق وصف المعابد والمنشآت والمقابر والتماثيل والزخارف الخ .. وكانت مقالع بلاد النوبة الحجرية خاصة موضع اهتمام ملوك مصر لأنها كانت مقالع حجرية صلبة احتاجوا اليها لاستعمالها في

---

(١) أنظر ص ٤٠٩–٥٩٧ تعريب محرم كمال

ما أنشأوه من منشآت ومقابر وتماثيل ومسلات . وإلى هذا فقد عثروا في سيناء وبلادالنوبة والواحات على مناجم لأنواع عديدة من الحجارة الكريمة وخاصة الفيروز واليشب والعقيق واللازورد فاهتموا لاستغلالهـا استغلالا واسعاً ومهروا في تصنيعها . ومثل هذا يقـال بالنسبة للمرجان واللؤلؤ اللذين كانوا يستخرجونهما من شواطىء البحر الاحمر ويصنعون منها الحلي المتنوع .

ولقد اهتموا منذ عهد مبكر للملاحة في النيل والبحر الاحمر والبحر الابيض فأنشأوا الزوارق والسفن المتنوعة الاحجام والاشكال على ما يشاهد في كثير من نقوشهم التي تدل على انهم بلغوا في ذلك شأواً بعيداً وصار عندهم سفن كبيرة بطبقات متعددة ومجاذيف تعد بالعشرات مع الاشرعة . وقد اهتموا لتوسيع مجرى النيل في الجنوب وتحطيم وقلع ما فيه من صخور لتيسير سفر السفن فيه .

ولقد كانت لهم اساطيل للبحر الاحمر واخرى للبحر الابيض . وكانت اساطيل البحر الاحمر تصل الى سواحل المحيط الهندي الغربية والشرقية والشمالية وتنقل خيراتها الى مصر . وكانت بلاد (بُنت) التي تسمى بلاد الاله والبلاد المقدسة والتي كان المصريون يعتقدون ان اصلهم منها والواقعة في جنوب جزيرة العرب من اهم ما اهتموا له في نشاطهم الملاحي على ما مرت الاشارة اليه أكثر من مرة في سياق سيرة الأسر في الادوار الثلاثة من ادوار تاريخ مصر على السواء . ويخمن بعض الباحثين ان الاساطيل المصرية من هـذه الناحية كانت تصل الى شواطىء الهند ايضاً . وكانت اساطيل البحر الابيض تتعامل مع سواحل بلاد الشام واليونان وجزر البحر الابيض تعاملا واسعاً . وقد اهتم ملوك مصر مـن عهد مبكر للاستفادة من خشب ارز لبنان لبناء سفنهم التجارية والجنائزية والاستفادة كذلك من خبرة الملاحين الفينيقيين . ومن اهم ما كان من مظاهر نشاطهم الملاحي دورة الملاحين الفينيقيين التي قام بها هؤلاء بأمر بسماتيك الاول حول سواحل القارة الافريقية مبتدئين من اقصى نقطة شمالية من البحر الاحمر ومنتهين الى اقصى نقطة في الساحل المصري على البحر الابيض . وقد فكروا في ايصال البحر الابيض بالبحر الاحمر وحققوه بفتح ترعة وصلت بين البحر الاحمر والنيل على ما تدل عليه الآثار وقد أدى النشاط الملاحي هذا الى نشاط التبادل التجاري ثم الى التبادل الثقافي والاجتماعي بين مصر وبلاد الشام واليونان وغيرها .

وكان الاهتمام عظيما بشؤون الري منذ عهد مبكر لأنه اساسي في حياة مصر . وقد اهتم ملوك مصر كثيراً بفتح الترع وانشاء الخزانات والقناطر والخلجان وتسجيل مقاييس النيل

وتنظيم فيضاناته بسبيل ذلك . ومن اهم ما فعلوه من ذلك انشاء البحيرة التي عرفت ببحيرة موريس في منطقة الفيوم والتي وصفناها باقتضاب ووصفها سليم حسن باسهاب في سياق سيرة امنمحات الثالث من ملوك الاسرة الثانية عشرة . وكان عدة المزارعين في الري الشادوف الذي ظل مستعملا الى اليوم . وقد زرعوا كثيراً من ما هو معروف من بقول وحبوب وخضروات واشجار مثمرة مما اسهب في تعداده ووصفه مؤلف كتاب مصر القديمة في اكثر من مكان في كتابه القيم . وكانت عدتهم في الحراثة على البقر الذي كان له عندهم منزلة مقدسة حتى اعتبروه رمزاً لاله الخصب او اله السماء . ومع ذلك فقد استخدموا الحمير والكباش في دراسة الحبوب . وكانت ادواتهم في الحرث والحصاد والدراسة هي نفس ما ظل مستعملا الى اليوم .

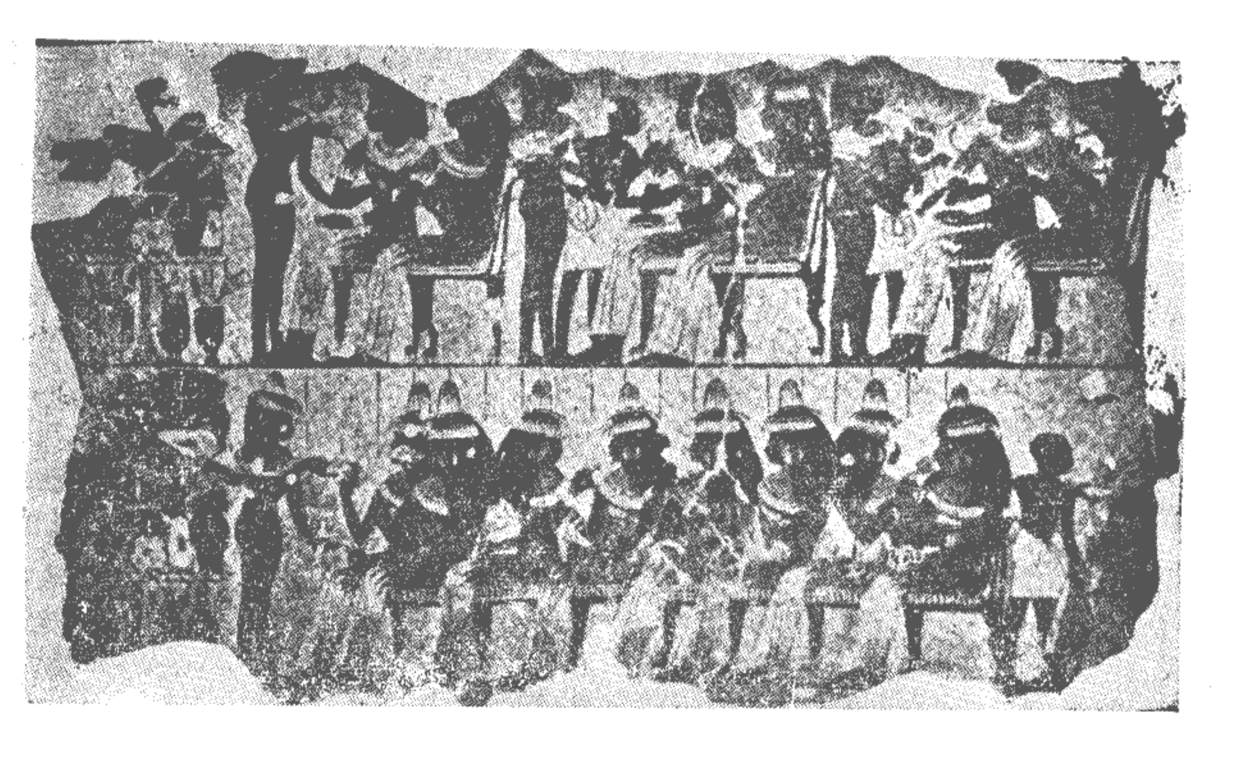
وكانت عنايتهم كبيرة في انشاء الحدائق وتربية الماشية والدواجن وطيور الماء وخاصة الاوز ، حيث كان منها عندهم مقادير عظيمة يدل عليه ما ورد في مدونة هريس من مئات آلاف الماشية والدواجن والاوز التي اهداها رعمسيس الثاني للمعابد ونوهنا بها في سيرته . .

ومع ان معظم ثيابهم كانت من الكتان فان الباحثين يظنون انهم عرفوا القطن وزرعوه ونسجوه ايضاً .

ولقد كانوا يعنون بتربية المواشي . وقد نسجوا اصوافها واوبارها واشعارها واتخذوها ملابس واستعملوها في استعمالات اخرى وان كان هذا قد كان منهم في عهد متأخر

ولقد كانت صناعاتهم اليدوية تسير متوازية مع سير فنونهم المتنوعة الاخرى وتطورهم الاقتصادي والاجتماعي وقد اشتغلوا منذ عهد مبكر بمتنوع الصناعات من نجارة وحدادة وحياكة وغزل وخياطة وصياغة وصباغة وخزف وزجاج وعاج وجلد مما تدل عليه ما لا يحصى من الرسوم والنقوش والآثار . وعرف من ذلك انهم بلغوا درجة رفيعة من المهارة في صناعاتهم . وكانت لهم مهارة في مزج الالوان والتذهيب والتفضيض والزجاج الملون وصقل الاحجار الكريمة . وكثير من الادوات التي كانوا يستعملونها في صناعاتهم اليدوية مما ظل مستعملا الى اليوم على ما تدل عليه المقارنة . وكان من عمالهم الصناعيين من يعمل لحسابه كما كان منهم من يعمل لحساب التجار والاغنياء ومنهم من كان يعمل في مصانع الحكومة ايضاً .

وقد كان النشاط الزراعي والصناعي والفني والملاحي والتجاري يؤدي الى توافر الثروة



مشهد مجتمع مصري قديم

والسلع في مصر واستمتاع سكانها وخاصة الطبقات الرفيعة منهم بحياة مترفة ميسورة. ومع انه لا يمكن القول انه كان لهم نقد معدني مضروب مماثل لما هو معروف في العصور المتأخرة وان المبادلات العينية هي التي كانت جارية في تعامل الناس فيما بينهم في أثمان السلع والأجور فانه عثر على آثار ونقوش يستدل منها على انهم استعملوا أيضاً ومنذ عهـد مبكر الذهب والنحاس في تقويم السلع والاجور وتسديدها بأوزان وأشكال معينة كما عرف انه كان لهم عملة عرفت باسم شعت ثم باسم كيت كان الاثنا عشر منها تعدل دبناً من الذهب ـ والدبن ٩٠ غراماً ـ والستة منها تعدل دبناً من الفضة والثلاثة منها تعدل دبناً من الرصاص . وهذا يعني ان الشعت والكيت كانا وحدة قياسية لعملة من المعدن وان لم يعرف ماهيتها .

— ٤ —

الشؤون الاجتماعية والاسروية والمعاشية

ولقد كان للمرأة مركز محترم في المجتمع المصري القديم . يدل عليه ما شغلته من حيز في مجال الالوهية والملك . حيث كانت الالاهة ايزيس السرمدية وكانت أسمى مقاماً من زوجها اوزيروس . وكانت نوت اونيت الاهة السماء حتى سميت في وقت مـا ملكة المعبودات . وكان اله الحق والعدل امرأة وهي ماعت . واله الموتى امرأة وهي نفتيش. واله دورالكتب امرأة وهي سنفخ . وكثيراً ما تولت المرأة الملك بالاشتراك أو الانفراد . وكان حقها في وراثة الملك قوياً ثابتاً حتى لقد كان المتغلبون يجتهدون في تزوج بنت الملك السابق أوزوجته لجعل ملكه شرعياً . وكثيراً ما كان من النساء كاهنات وسادنات للآلهة . ومنهن من شغلن منصب الكاهن الأكبر لآمون الذي كان يخول صاحبه أن يكون ذا سلطان دنيوي في طيبة بالاضافة إلى سلطانه الديني العظيم .

وكان الزواج يتم بموجب عقود كتابة على ما عرف من عقود كثيرة عثر عليها وان كان من المحتمل ان يكون ذلك قد صار يجري في عهد متأخر .

وكان زواج الاخ من اخته من الامور المألوفـة ؛ وكان الاهتمام عظيماً للرابطة الزوجية والتعامل الزوجي ؛ وقد جاء في عقد من العقود التي عثر عليها « ان الزوج يقول لزوجته قد تزوجتك وأعطيتك مهراً كذا مقداره فاذا أبغضتك وتزوجت غيرك في حياتك أعطيتك موالي الحاضرة والمستقبلة ؛ أ لك وضماناً للوفاء بعهدك . وان الزوجة تجيب قائلة قـد قبلت زواجك ومهرك وصرت زوجة لك فاذا أبغضتك أو أحببت غيرك أرد لك مهرك وأتنازل لك عن جميع اموالي » .

وكان الطلاق وتعدد الزوجات جائزين مع الكراهية والندرة . وقد عرف من نصوص بعض العقود انه كان يعطى احياناً للزوجة حق الطلاق .

ومما أثر من نصائح حكمائهم « اذا تزوجت فلا تكن بخيلا واجعل زوجتك مسرورة والزم بيتك وأحبب زوجتك ولاطفها واعطها ما تشتهي من الطيبات وأجذبها باللين دون الشراسة »

وكان الزواج يتم برعاية وموافقة الآباء . وكان الحكماء يحثون عليه والتحصن به ويحذرون من المرأة الاجنبية المجهولة وزيغان الاعين ويدعون إلى الاستقامة في السلوك الزوجي .

وكانت الام موضع احترام كبير . وكان الناس كثيراً ما يتسمون بأسماء أمهاتهم وهناك وصايا مأثورة ونصوص كثيرة تسجل رفعة شأن الآباء أيضاً .

وكانت العناية بالانساب وحفظها شديدة وخاصة بالنسبة للاسر الرفيعة . وقد قرئت تسجيلات كثيرة في صدد ذلك .

وكان البنون والبنات متساوين في الارث حتى في وراثة العرش وكثيراً ما كان يعمد الملوك المتغلبون إلى التزوج من بنت الملك السابق ليجعل بذلك ملكه شرعياً . وفي هذه الحالة يكون العرش لابناء هذه البنت حصراً .

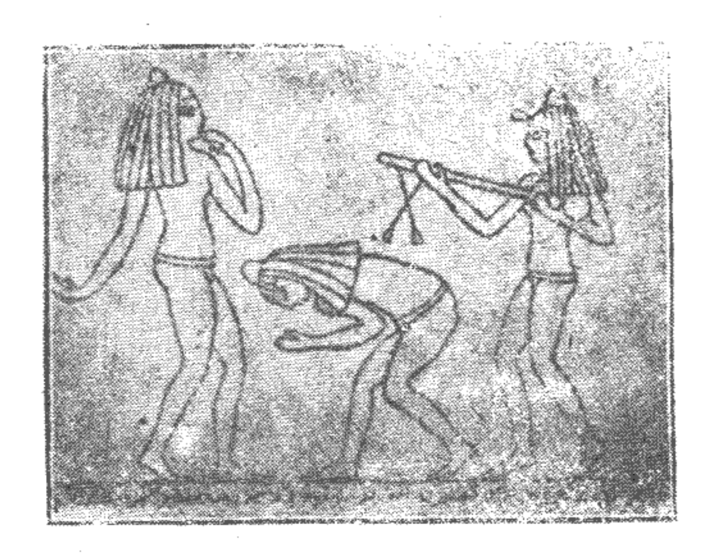
وكانت المنازل متنوعة الاشكال والدرجات حسب طبقات الناس . وكانت بيوت الاغنياء والوجهاء تنم عن ترف بما كانت تحتويه من اجنحة وساحات ووسائل صحة وما كان يحيط بها من حدائق اشجار وزهور .

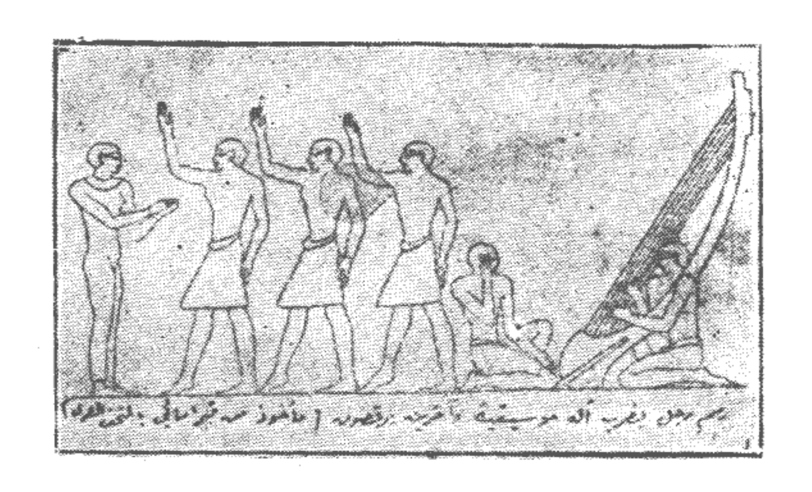
وقد استغل المصريون القدماء الاسرة للنوم بصورة عامة ومنذ عهد مبكر . وكان بنو الطبقات العالية يزخرفون أسرّتهم . واستعملوا كذلك المقاعد العالية للجلوس وزخرفوها . وكانوا يجلسون على حشايا ووسائد من الجلد وغير الجلد ايضاً . وقد عرف من الرسوم والنقوش انهم كانوا يتناولون طعامهم على موائد عالية . ولعل هذا كان في عهد متأخر او خاص بالطبقات الرفيعة . وكانوا يعتنون بتزيين الموائد بالزهور ويغطونها بالاغطية الملونة وكانوا يكثرون من الوان الطعام . وكان من مشروباتهم الجعة والنبيذ . وقد شوهدت رسوم كثيرة لأعمال عصر العنب .

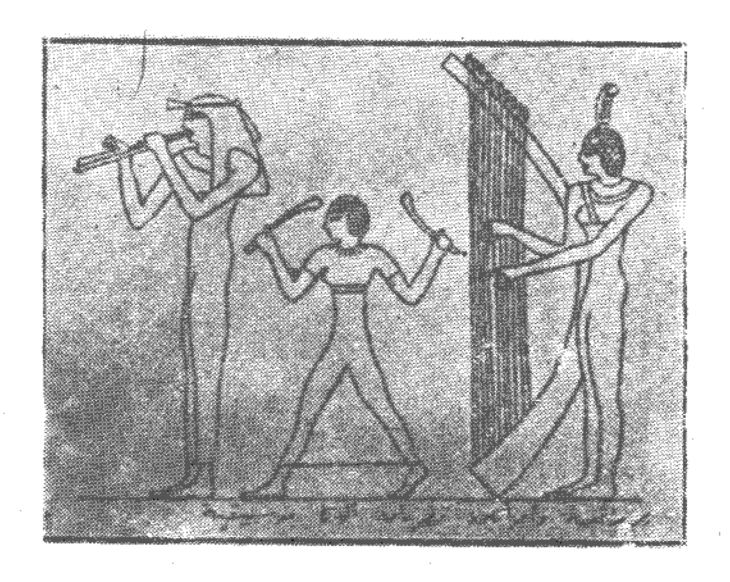
ومع انهم كانوا يستعملون جلود الحيوانات لباساً في عصور ما قبل الأسر فانهم استعملوا النسيج كذلك في عهد مبكر على ما عرف من المشاهد الكثيرة القديمة المحفورة على جدران

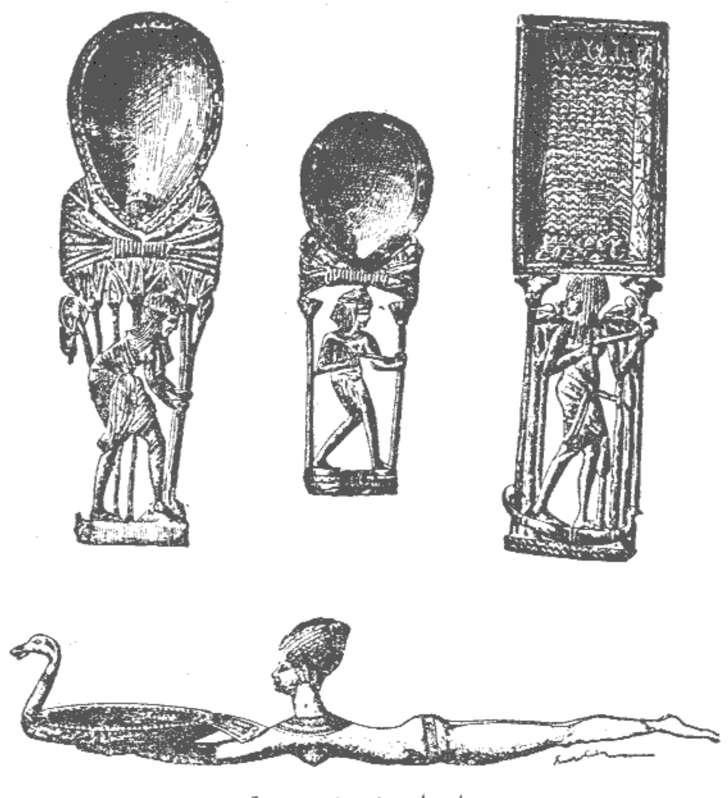


رسم نساء ترقصن وتعزفن
آلات موسيقية حداداً على
الميت من كتابي [سامي جبرة
مقابر الأسرة الطيبية]

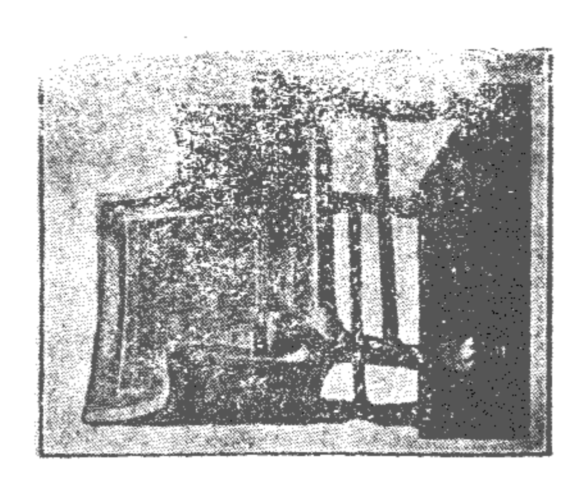



رسم رجل يضرب آلة موسيقية وآخرين يرقصون (مأخوذ من قبر ساقي بالقرن الخامس)





ادوات زينية مصرية



كرسي مصري قديم

المعابد والمقابر . وكان الكتان في الدرجة الاولى مادة ثيابهم . منها السميك الذي كان يلبسه العمال ومنها الرقيق الهفهاف لأبناء الطبقات الرفيعة . وكانوا الى هذا يلبسون المنسوجات الحريرية والصوفية . وغالباً ما كانت المنسوجات الحريرية تجلب من بلاد الشام. وقدتنوعت ازياء لباسهم على ماعرف من الرسوم والنقوش . وكان النساء في العهود الاولى يلبسن ثياباً طويلة تمسك بها من فوق الابطين والكتفين حمالات وتنسدل من تحت الابطين إلى العقبين . وكن يلبسن ثياباً قصيرة ايضاً مفتوحةعندالعنق ومجوفةتحت الذراعين ولها اهداب في اسفلها وحمالات في اعلاها وكن يلبسن فوق هذه معاطف خفيفة . ثم تطورت فصارت تزركش ويعمل لها اكمام وثنيات. وكان الرجال يلفون في العهود الاولى قطعاً من القماش جول حقوبهم يربطونها بحزام حول الوسط وتصل الى الركبتين ثم تطورت هي الاخرى وطالت من تحت ومن فوق وصارت تزركش ويعمل لها أكمام وثنيات ايضاً وكان النساء يعنين بالتزين وخاصة بالكحل . وقد عثر على كثير من المكاحل المتنوعة الاشكال والمادة . وقد خمن بعض الباحثين ان النساء كن يدهن شفاههم بدهان أحمر .

وكانت الحلي على انواعها من اقراط وخواتم واساور واحزمـــة وعقود وخلاخيـــل وا كاليل ذهبية وفضية وفيروزية وعقيقية الخ من الامور الشائعة في زينة النساء . وقد عثر على آثار وانواع كثيرة من ذلك في القبور وغير القبور . وكثير منها ما يبلغ حد الروعة في الجمال والاتقان والتفنن والمهارة . وكان النساء يعنين بتصفيف شعورهن وغالبــاً ما كن يضفرنه ضفيرة طويلة .

وكان الوشم من الزينة الشائعة للنساء والرجال معاً . وكان الرجال يعنون بحلق ذقونهم وشعورهم وان كان يظن ان هذا انما جرى بعد العهود القديمة .

وكانت لهم وسائل لهو يقضون بها اوقات فراغهم . من اهمها الصيد البري والنهري . وكانوا يستعملون القسي والحراب فيها ويستعينون بالكلاب في صيد البر. وكانت المصارعة من انواع لهوهم الشائعة . وكانوا يلعبون بلعب تشبه الشطرنج والضامــا بأحجار بيضاء وسوداء ومجسمة فوق رقاع مقسمة إلى مربعات . وكان الاغنياء يتلهون بألعــاب التسلية التي يقوم بها خدمهم من مصارعة وقذف وقفز وحركات بهلوانية متنوعة .

وكان الرقص من الفنون الشائعة عندهم على ما تدل عليه الفنون الراقصة التي لا تحصى كثرة . وكان رقصهم توقيعياً مترافقاً مع الموسيقى بعيداً عن الخلاعة واقرب ما يكون الى الباليه . ويكاد يكون معظمه دينياً لتمجيد الخــالق وشكر نعمه بدليل ان معظم الرسوم

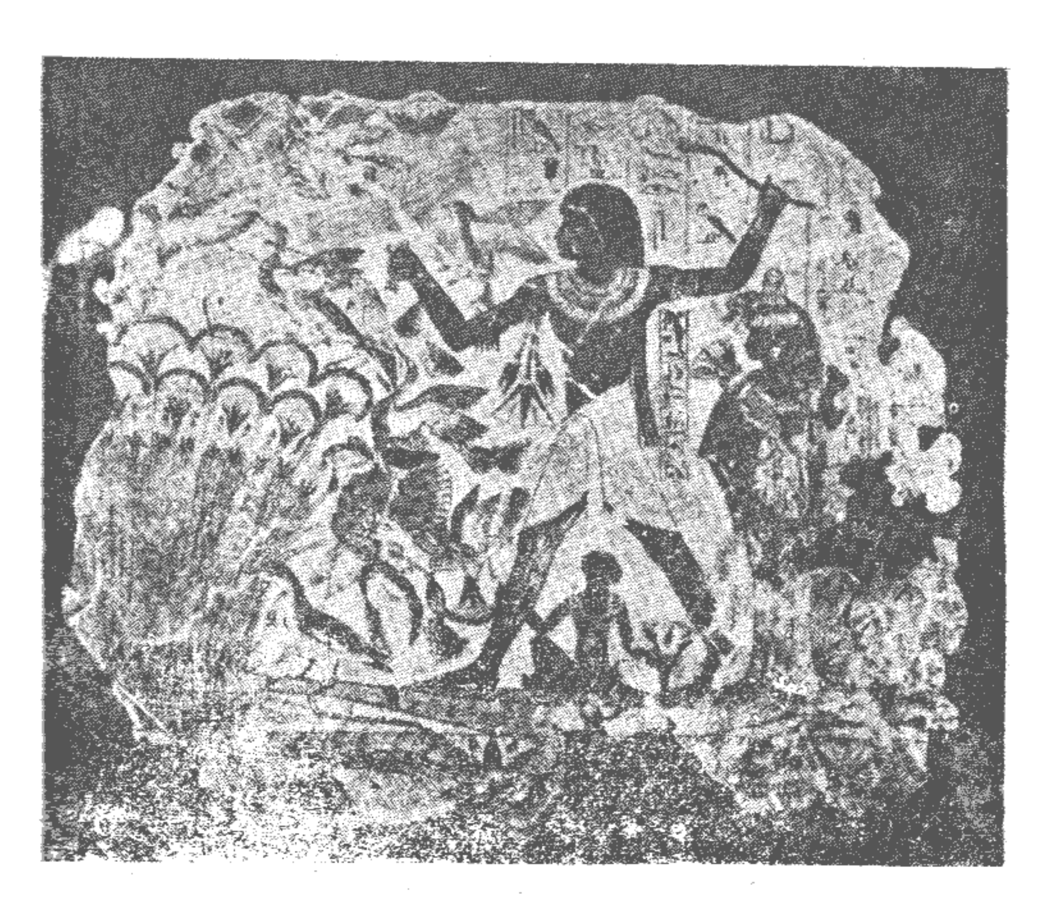
الراقصة نقشت على جدران المعابد والهياكل . بل لقد اعتبر الرقص والغناء في كثير من الظروف مقدسين لأنهما من لوازم الحفلات الدينية وكانت الملكات وبنات الملوك يشتركن في الرقص في هذه الحفلات مع الضرب بالصنوج . وقد تفننوا فيه فكانوا يرقصون فرادى ومثنى وثلاث ورباع وصفوفاً متقابلة واخرى متعاكسة والايدي او الاقدام ممدودة بحركات توقيعية . وكانت الموسيقى تسير عندهم متوازية مع الرقص . ومن آلات الموسيقى التي استعملوها الدفوف والصنوج والناي والمزمار والطنبور وكانت لهم الى هذه الآلات آلات وترية ذات ثلاثة اوتار وخمسة وسبعة . ومنها ما كان له عشرون وتراً على ما عرف من الرسوم والمشاهد المنقوشة . والاخيرة كان يضرب عليها الموسيقى واقفاً خلافا للاولى التي كان يُضرب عليها جلوسا .

وكان لهم اعياد عديدة فصلها مؤلف العقد الثمين في نبذة خاصة عزواً الى هيرودوت ، وقد جاء فيها ان مواسمهم او اعيادهم السنوية ثلاثة هي عيد رأس السنة وعيد السنة الكبيرة اي الكبيسة وعيد السنة الصغيرة اي العادة ، واعياد الشهور اثنان هما عيد الحر الاكبر وكان يقام في غرة امشير الثاني وعيد الحر الاصغر وكان يقام في غرة برمهات . واعياد الايام عشرة . وهي عيد غرة الشهر واعياد الايام الثاني والرابع والخامس والثامن والخامس عشر والسابع عشر والتاسع والعشرين والثلاثين من كل شهر ثم عيد ايام النسيء الخمسة . وهناك الى هذه الاعياد اعياد تسعة اخرى (١) عيد ظهور الشعرى اليمانية في غرة توت (٢) عيد يسمي واك كان يقام في السابع عشر والثامن عشر من كل شهر (٣) عيد المعبود تحوت وكان يقام في التاسع عشر من شهر توت (٤) عيد السفر في النيل (٥) عيد اول زيادة النيل (٦) عيد السفينة تبت (٧) العيد الكبير (٨) العيد الطيب وكان هذا يقام فوق الجبل (٩) عيد اسمه عاشع اي الرمل الكبير . وقد فصل هيرودوت كيفيات الاعياد ونقلها عنه احمد كمال وهي طويلة لا يتحملها منهج الكتاب .

- ٥ -

شؤون الحكم

كان الملوك في معظم الظروف مطلقي الحكم والتصرف . وكانوا يعتبرون حكمهم وسلطانهم مستمدين من الآلهة ويسمون انفسهم ابناءها . وقد وصف كثير منهم بل جلهم كوصف تقليدي بالاله الطيب . وعبد وقدس اكثر من واحد منهم على هذا الاعتبار . وقد درجوا منذ عهد مبكر على التلقب بألقاب مزيجة المدى والدلالة على الانتساب للآلهة



مشهد راقص

والانتصار بها وتوكيد شمول ملكهم وقوتهم ومطلق تصرفهم. وكانوا يحاطون حينما يذكرون او تكتب أسماؤهم بهالة من الاوصاف التفخيمية مع توكيد نسبتهم إلى الآلهة وتأييدها لهم. وفي لوحة أقيمت في عهد رمسيس الثاني في طريق مناجم الذهب في بلاد النوبة ورد اسم هذا الملك في الصيغة الآتية: الحور الثور القوي محبوب الآلهة الحق حامي مصر وقاهر الشعوب الاجنبية ملك مصر العليا والسفلى كثير الاعوام عظيم الانتصارات رمسيس ابن رع ومحبوب آمون الذي تعطى له الحياة دائماً وإلى الابد الذي يضيء على عرش حور الخاص بالاحياء مثل أبيه رع في كل يوم الاله الطيب سيد الوجه القبلي حور ادفو ذو الاجنحة المرقشة الباشق الذهبي الجميل الذي يحمي مصر بأجنحته الذي ينشر الظل على البشر كسور تتمثل فيه القوة والنصر. الذي خرج من بطن أمه بقوة خارقة لينال لنفسه الشهرة وليوسع حدوده. الذي كان حور وست يتهللان في السماء يوم مولده. وقال الآلهة لقد خلقناه. وقالت الالاهات إنا ولدناه لتتزعم مملكة رع. وقال آمون اني أنا الذي صنعته فوضعت الحق في موضعه. وان الارض لثابتة والسماء مبتهجة والآلهة التسعة فرحة مستبشرة من أجله.. وقد ورد مثل هذا أو قريب منه في سياق ذكر ووصف كثيرين غير رمسيس الثاني قبل الأسرة التاسعة عشرة التي هو ملكها الثالث وبعدها.

ونتيجة لذلك كانوا يجمعون في ايديهم جميع السلطات ويعتبرون أنفسهم المسؤولين عن كل الشؤون السياسية والحربية والاقتصادية والدينية وانهم غير مسؤولين عن ذلك إلا تجاه الآلهة. وكانوا يظهرون بسبيل ذلك اهتمامهم العظيم للالهة فينشؤون لها المعابـــد ويغدقون عليها الهدايا وحينما يسجلون اعمالهم ينسبونها اليهم. وكان اهتمامهم بسبيل ذلك ايضاً لتنظيم الكهنوت عظيما وكانوا يتواطأون مع كبار الكهان على تدعيم سلطانهم باسم الآلهـــة مقابل ما يمنحونه لهم من هدايا وتكريم ويحلونهم فيه من مكانة عليا. ولقد كان وقت رأى ملوك زمانه أن تكون الكهانة الكبرى بأيديهم لأنهم رأوا الكهان الكبار قد قووا وبطروا فصاروا يعينون ابناءهم وبناتهم في مناصبها. وكان كل من يتولى عملا يعتبر موظفاً بل خادماً مهما عظم عمله. وكان للوراثة شأن عظيم في الملك حيث كان ينتقل إلى أولاد الملك بنين وبنات الاكبر فالاكبر فان لم يكن له أولاد فالى اخوته أو بني عمومته واذا تخطى شخص من الاسرة دوره في ظرف من الظروف تغلباً سعى ليجعل ذلك نتيجة لأمر الآلهة وتصويبها وتواطأ مع الكهان. [illegible] إذا استطاع شخص من غير الأسرة ان يتغلب على الحكم في ظرف ما سعى في وصل حبله بحبل [illegible] المالكة بالمصاهرة ليغدو ملكه مشروعاً.

وقد درج الملوك منذ عهد مبكر على تقليد التلقب بالالقاب . فكان الملك حينما يجلس على العرش ويقيم حفلته التتويجية يختار لنفسه لقباً . وجميع الالقاب كانت تحتوي اسم اله رئيسي وبعضها اسمي الهين معاً بما يمت الى الفكرة المشروحة آنفا ومن الآلهة التي الحقت باسماء الملوك والقابهم آمون اله طيبة ورع اله عين شمس وبتاح اله منف ومنتو اله ارمنت وست اله الشمال حيناً واله الجنوب حيناً . وكانت اشارة حور وهي الصقر في معظم طغراءات الملوك والقابهم . واكثر ما استمر حظه بالاضافة اليه رع وآمون وخاصة رع حيث لحق بمعظم اسماء الملوك في معظم الاسر .

وكانوا يحيون حياة امة عظيمة في ملابسهم وقصورهم واثاثهم وطعامهم وشرابهم وخدمهم وحشمهم ولهوهم ومواكبهم . وكانوا يقابلون من العامة بالسجود كالآلهة ولم يكن الاتصال الشخصي بهم متيسراً الا للخاصة المقربين .

ويلحظ ان الاقوياء من الملوك في مختلف الادوار كانوا عظيمي المطامح والنشاط في سبيل التبسط والفتح والسيطرة على البلاد والشعوب المجاورة أي بلاد الشام شمالا ولوبية غرباً وبلاد كوش جنوباً وسواحل البحر الاحمر شرقاً ؛ بل كان هذا خطة دائمة التزمها كل من قدر عليها منذ عهد مبكر حيث كانوا يرون ذلك على ما يبدو حيوياً . ومما كان يسوقهم اليه حركات القبائل في الجهات الثلاث الي كانت تنشط في سبيل التسرب والغارات ، ثم ما اكتشفوه خاصة من معادن ومناجم في الجنوب والشمال . وكانوا لا يتورعون عن الشدة والقسوة في سبيل تحقيق مطامحهم والتنكيل بمناوئيهم والمتمردين عليهم كلما امكنهم ذلك .

وكانوا يجنون لمصر من وراء ذلك منافع عظمى تساعدهم وتساعد رعاياهم على الرفاه وعلى الاعمال والمشاريع الكبرى التي كانوا يقومون بها فضلا عن الامجاد القومية . وقد كانوا يسجلون اعمالهم باسلوب التفاخر ويعتبرونها من الامجاد التي يحق لهم ولمن بعدهم ان يفخروا بها . ومهما يكن من امر ذلك من الوجهة الادبية فان هذا لا يفقدها صفة المجد القومي على ما هو المتبادر لانه كان متسقاً مع طبيعة الزمن بل وظل كذلك الى عهد قريب .

ويظهر أن تطوراً ما وقع في ظرف من الظروف جعل الملوك يجنحون الى شيء من النظام الشوري وينشئون مجالس استشارية يشترك فيها الكهان ونواب الاقاليم للتشاور في الامور الهامة ، وكانت هذه المجالس تجتمع عند خلو العرش لتوافق او تبايع او تختار الملك الجديد .

وقد روي انه كان حينما يموت الملك توضع جثته المحنطة في دهليز مقبرته ثم يجتمع الكهان

والاعيان فيذكرون ما فعله الملك من محاسن ومساوىء بحضور جمهور من الناس ثم يطلبون منهم الحكم فان حكموا باحترامه دفن بما يليق به من الاكرام والا حرم من ذلك .
والمتبادر ان هذا كان في الظرف الذي جنح فيه الملوك الى ذلك النظام الشوري والذي ليس هناك ما يدل على انه كان نظاماً نافذاً باستمرار .

وكانت اعمال الحكم موزعة في مصالح عديدة يتولى الاشراف عليها موظفون رئيسيون ومن هذه المصالح او الادارات :

المعابد ـ المقابر ـ المناجم ـ المحاجر ـ الجمارك ـ الجيش البري ـ الاساطيل ـ مخازن غلال الملك ـ ضياع الملك ـ حقول الملك ـ اشغال الطرق ـ الري ـ الاشراف على الكهنة الاشراف على الخزينة التي كانت تسمى ايضاً باسم بيت الذهب وبيت الفضة .

وكان هناك إلى هذا موظفون رئيسيون يحملون عناوين حامل خاتم ملك الوجه البحري وحامل خاتم ملك الوجه القبلي وعينا ملك الوجه البحري واذناه وعينا ملك الوجه القبلي واذناه مما فسره الباحثون بأنهم كانوا يتولون في الحكومة المركزية ما يتصل بشؤون الوجه الذي يذكر اسمهم معه اويوفدون من قبل الملك بمهمات وبعثات خاصة او تفتيشية اواستطلاعية الى هذا الوجه . وكان بعض الموظفين الكبار يتولون اكثر من مصلحة من هذه المصالح والمهام .
وكان هناك الى هذا وذاك وزراء للملك لهم اشراف عام على المصالح في نطاق سلطان الملك واشرافه ثم موظف كبيرأو وزيرباسم كبير القضاة مهمته الاشراف على القضاء وتنظيمه وكان هذا يسمى في بعض الادوار باسم عظيم المحاكم الست .

وكان بالاضافة إلى ذلك عدد كبير يحمل عنوان كاتب الملك ويتولون مهام الكتابة والرسائل والتسجيل والخدمات المتنوعة الاخرى الخاصة والعامة للفراعنة ؛ ومن عناوين كتاب الملك : كاتب الفرعون الاول ـ كاتب الفرعون المشرف على المالية ـ كاتب الفرعون رئيس الاسرار على الارض وفي العالم السفلي ـ كاتب الفرعون ومدير البيت ـ كاتب الفرعون المشرف على الخاتم ـ كاتب وثائق الفرعون ـ كاتب مائدة الفرعون ـ كاتب الفرعون المشرف على عبيد رب الارضين ـ كاتب الفرعون وكاتب قوائم الجنود ـ كاتب القصر ـ كاتب العمال ...

وقد كان الوزراء ورؤساء المصالح وكثير من كتاب الملوك يحملون القاباً فخمة ضخمة منها التشريفي مثل سمير الفرعون ـ محبوب الفرعون ـ حامل مروحة الفرعون ـ ومنها الدال على منصب صاحبه وعمله . وكان الملوك يغدقون على هذه الطبقة انعاماتهم وهداياهم

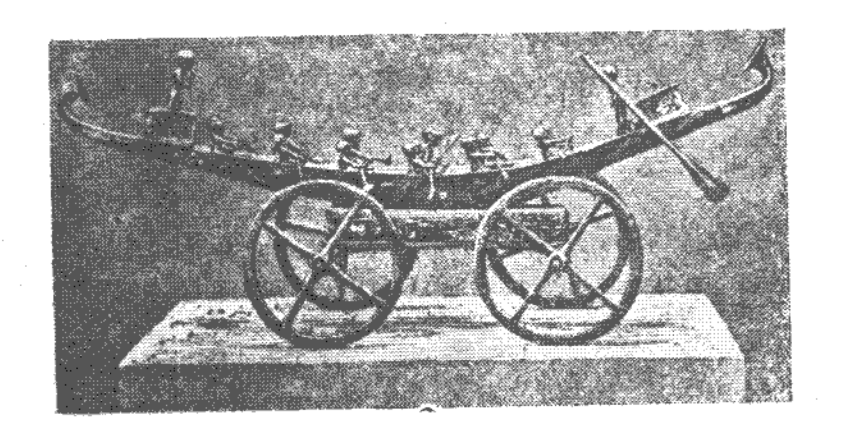
ليضمنوا ولاءهم ، ولقد اكتشفت مقابر فخمة لعدد كبير من هذه الطبقة العائدة لمختلف الاسر القديمة والمتوسطة والحديثه ، فعرف من فخامتها وضخامتها وزخارفها وما فيها من آثار وما عليها من نقوش ما كانت تتمتع به هذه الطبقة من حياة مترفة وتحوز عليه من ثروات طائلة وتشغله من مكانة عالية وتحمله من القاب عظيمة عديدة . وكثير منهم كان من القابهم « الامير الوراثي » مما يحتمل أن يكون الذي يحمله منحدراً من اسر اقطاعية ينتقل المنصب فيها من الآباء للابناء او ان يكون الملوك قد جعلوا المنصب لابناء اصحابه وراثياً ؛ ولا يبعد ان يكون الاحتمالان واردين معاً . وقد عرف من النقوش ان هذه المناصب كانت فعلا تنتقل من الآباء الى الابناء ، وان منها ما كانت له مخصصات تنتقل من الآباء الى الابناء ايضاً .

وكان هناك محاكم متنوعة تحت اشراف وتنظيم كبير القضاة الذي كان يعلق في عنقه تمثالا للالاهة ماعت الاهة العدل للدلالة على انه ممثل لها . وجل الذين عرف انهم تولوا هذا المنصب كانوا يتلقبون بلقب الامير الوراثي .

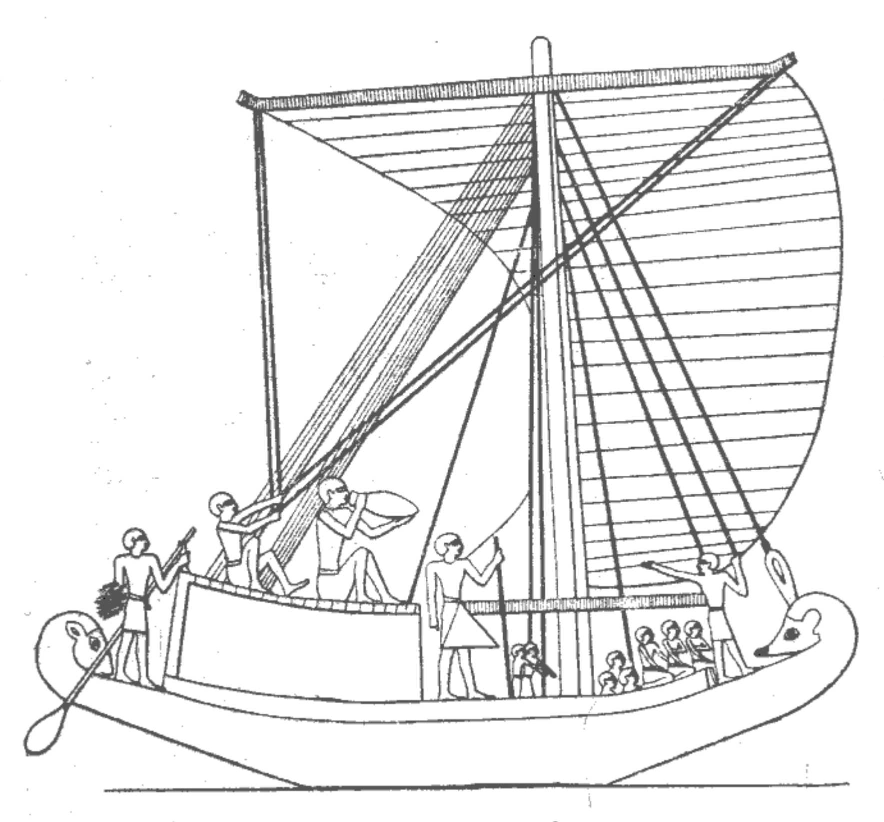
ومن المحاكم ما كان في عهدة قاض وحيد ومنها ما كان مؤلفاً من قاض ومستشار او اكثر . وقد عثر على مدونات قضائية عديدة تدل على ان الدعاوى الشخصية كانت ترفع من قبل اصحابها بعرائض وان التحقيق والمحاكمات كانت تجري على طرائق قريبة من طرائق اليوم من حيث السؤال والجواب والتسجيل والادعاء والاتهام والشهود والتحليف الخ . وعرف مما عثر عليه من نقوش ومدونات انه كان يؤلف محاكم خاصة للتحقيق والقضاء في بعض الاحداث الهامة كما جرى في قضايا سرقة مقابر الملوك التي كان متهماً فيها بعض موظفي المقابر والمعابد ؛ كما عرف ان قضايا الاشراف والسراة وكبار الموظفين كانت أحياناً ترى في محاكم خاصة .

وقد عثر على مدونات كثيرة تدل على ان المصريين القدماء في مختلف الادوار كانوا يعنون بتسجيل تعاملهم فيما بينهم من بيع وشراء وزواج ووصايا وهبات واجارة وصناعة وزراعة في عقود .

ولم يعثر المنقبون الا على عدد قليل من المدونات التي تحتوي تشريعات الدولة وقوانينها التي كانت تحكم المحاكم بها . وقد شوهد في بعض نقوش تمثل مشهداً من مشاهد المحاكم اربعين ملفا من الورق وضعت عند اقدام قاضي القضاة في قاعة المحكمة الكبرى وخمنها الباحثون انها ملفات القوانين والشرائع حيث يسوغ ان يقال اذا صح تخمينهم وهو معقول



زورق الملك كاموزيس الذهبي



مركب شراعي مصري قديم

ومتسق مع مظاهر الحياة المصرية القديمة ورفعة شأوها في المجالات المتنوعة انه كان عندهم قوانين وتشريعات مدونة تحكم المحاكم بموجبها وكل ما في الامر انها بادت او لا تزال تحت التراب. ومما عرف من ذلك قوانين حور محب آخر ملوك الأسرة التاسعة عشرة المنقوشة على جدران الكارناك والتي فيها مع ذلك ثغرات كثيرة بسبب تهشمها وهي قوانين عديدة معظمها ضد سوء تصرف واستعمال الموظفين وفيها ما هو بسبيل تنظيم مجلس القضاء والضرائب والاشراف على سير القوانين ، فهناك فصل لمنع التعدي على سفن النقل التي تستخدم لتوريد الضرائب وآخر بمساعدة اصحاب السفن التي تسرق حمولتها المرسلة الى الفرعون وآخر في الاجراآت الواجب اتخاذها ضد الذين يعرقلون توريد الضرائب والتقادم الالهية وآخر في الاجراآت الواجب اتخاذها لمنع تسخير عبيد الافراد ، وآخر لمنع الاستيلاء على نبات اسمه كث ونبات اسمه سم كان يصنع منه الجعة ، وآخر لمنع اغتصاب جلود الحيوانات من الفلاحين ، وآخر لمنع ابتزاز الاموال والرشوة في ادارة الدخل ، وفي بعضها ذكرت العقوبة الواجبة على المعتدين وهي جدع الانف والنفي .

ومما عرف من العقوبات الجزائية التي كانت نافذة القتل للقاتل والحالف يمين الزور وقطع اللسان للخائن وقطع الايدي لمزور العقود . ومئة جلدة لمن لم يعترف بحكم المحكمة . هذا الى نصوص قضائية عديدة في قضايا مدنية تدل على انها صدرت وفقاً لما هو نافذ من تشريعات وتقاليد مدنية .

وقد كان هناك على ما تفيده النصوص قوات امن من قبيل الشرطة والدرك لتنفيذ الاحكام وتبليغ الاوامر ومصادرة المجرمين وحفظ النظام . وهناك آثار تفيد انه كان شرطة صحراوية للقيام بمثل هذه المهمات في الصحراء والواحات ايضاً .

اما القوات الحربية ففي النصوص والنقوش والرسوم ما يساعد على القول ان ملوك مصر اهتموا منذ قيام المملكة المتحدة الاولى ممتداً الى ما قبل ذلك والى ما بعد ذلك اهتماماً شديداً بامر توفيرها وتنميتها واعدادها حيث كان ذلك من مقتضيات سلامة المملكة ومطامحها في آن واحد .

وكانت القوات الحربية تتألف على اساس ما من التجنيد الاجباري في المقاطعات وتكون تحت قيادات محلية ؛ فتعمل في تمهيد الطرق وتشييد الحصون وقت السلم وتشترك في رد الغارات والحملات التي يوجهها الملك حين ما تدعو الحاجة الى ذلك ثم صارت منذ الاسرة الثالثة تدخل في نطاق سلطان واشراف الحكومة المركزية على ما تدل عليه ما عرف من

آثار هذه الاسرة حيث قرئت نقوش ذ كر فيهـا مصلحة تسمى مصلحة الجيش واخرى تسمى مصلحة التجنيد . وتوطد هذا تدريجياً حتى صار هو الجـاري حيث نشأت مصالح اخرى في زمن الاسرة الخامسة باسم بيت الاسلحة وغلال الجيش ـ اي تموينه ـ ثم اتسع النطاق حيث نشأ في زمـن الاسرة السادسة وظيفة باسم مدير رؤساء المجندين واخرى باسم مدير فرق التجنيد واخرى باسم مدير القوافل والبعثات الحربية . وكان الى جانب الجنود المجندين المصريين جنود مرتزقة من عهد مبكر ايضا . وكان غالبهم في الدور الاول والاوسط من عناصر لوبية ونوبية . وكانوا في نطاق كيان خـاص يتميز عـن المجندين المصريين . وتخصص لهم مناطق للسكنى مع اسرهم في غير وقت الحرب ويمنحون اراض يفلحونها بالاضافة الى مخصصاتهم .

وكان المجندون يعفون من الضرائب وتخصص لهم لذلك مخصصات متنوعة ممـا كان يشجعهم على البقاء في الخدمة .

وكانت العناية بالاسطول او القوة البحرية متوازية مع العناية بالقوات البرية منذ الاسرة الثالثة ايضا . وقد ذكرت نقوش هـذه الاسرة ان الاسطول المصري غزا سواحل لبنان واحضر منها خشب الارز .

وكان للاسطول قيادة ومصالح خاصة وللقوات البرية قيادة ومصالح خاصة . وكانت قيادة القوات البرية والبحرية تجمع احيانا في يد قائد واحد ، مع اعتبار الملك هو القائـد الاعلى لهذه القوات .

وكان الملوك يدققون كثيراً في اختيار قوادهم وكثيراً ما كانوا يعهدون بالقيادة لأبنائهم او لمن يثقون به من افراد اسرهم .

وكان سلاحهم الحراب والسيوف والخناجر والبلطات والقسي والسهام والمقـاليع . وكانوا يستعملون دروعا ودرقا من الجلد السميك .

ولقد استمر نظام التجنيد ونظام الجنود المرتزقة يسيران جنباً إلى جنب في الدولـة المتوسطة والدولة الحديثة ايضاً وصار ينضم في الدولة الحديثة خاصة إلى العناصر اللوبـية والنوبية المرتزقة عناصر أخرى من بلاد الشام وجزر البحر الابيض وسواحل اوروبا الجنوبية ممن كانوا يتسللون إلى مصر او يقعون اسرى ويبدون رغبتهم في الانخراط في جيشها .

وفي عهد الدولة الحديثة ظهرت المركبات التي تجرها الخيل وانشئت كتائب من الفرسان التي كان ينخرط فيها ابناء الاسر البـارزة ونمت قوة الجيش البري والاسطول وتحسنت

الاسلحة حتى بلغ ذلك الذروة في عهد سيتي ثم في عهد تحتمس الثالث ثم في عهد رعمسيس الثاني وصار الجيش يتألف من فيالق تضم عشرات الالوف وتتنوع في مهماتها حيث كان هناك فيالق من المشاة واخرى من الفرسان واخرى من العربات واخرى للحصار واخرى للنقل والتموين بل وصار يصحب الجيوش ما يمكن ان يسمى وحدات صحية فيها الاطباء والممرضون والنقالات والأسرة . وصار للدولة اساطيل متعددة منها مـــا يمخر في البحر الابيض ومنها ما يمخر في البحر الاحمر ومنها ما يسير في النيل . واشتدت العناية بتدريب الجنود وأنشئت مصانع عديدة لتجهيز ما يحتاج اليه الجيش مـــن لباس وسلاح وأدوات اخرى (١) . وكان يعطى للجنود يومياً اربعة ارطال من الخبز (اي نحو كيلووين) وحزمتان من الخضرة وقطعة لحم مشوي وثوب من الكتان في كل شهر على ما جاء في احد النقوش. وصار يقام في البلاد المفتوحة حاميات وحصون على رأسها قواد من مصر مسؤولون عن امن البلاد ولهم حق الاشراف على حكامهـــا المحليين . وصار يوزع على الذين تبدو منهم الشجاعة اوسمة ذهبية في صور ذئاب واسود ويمنحون القاباً تشريفية مثل شجاع الفرعون وصاحب الغنائم ومحارب الحاكم .

وكان هناك منذ عهد مبكر نظام لما يعرف باسم الرديف من الجنود المسرحين فيستدعون حين الحاجة للقيام بأعمـــال النقل والتموين وتمهيد الطرق وانشاء الحصون التي كان ملوك مصر منذ عهد مبكر يهتمون لهـــا اعظم اهتمام لصد غارات القبائل البدوية مـــن الشمال والجنوب والغرب .

وكان الجنود الصالحون يستبقون في الخدمة ويفتح امامهم باب الترقي . ومن الرتب التي تمنح لهم بالتدرج حامل العلم ورئيس الاسطبل وفارس وضابط الخ .

وقـــد كان الملوك في مختلف الأدوار يمنحون ضباط وقواد الجيش والأسطول اراضي وضياعاً وحقولا وهدايا متنوعة في كل مناسبة ليضمنوا ولاءهم لهم .

اما الموارد التي كانت تسد نفقات الدولة فقد كانت متعددة ومتنوعة . منها ما كان يأتي من المناجم المعدنية والحجرية وموادالخام والطبيعة التي كانت الدولة تعتبرها ملكها وتستغلها لحسابها . ومنها ما كان يأتي من حقول وضياع عظيمة كانت في نطاق ملك الدولة . ومنها ما كان يأتي من المصانع التي كانت الدولة تنشئها وتستغلها لحسابها . ومنها ما كان يأتي من الضرائب التي تفرض على الانتاج الزراعي والتركات والأطيان . ومنها ما كان يجبى من

---

(١) انظر تاريخ مصر من اقدم العصور بريستيد تعريب حسن كمال ص ٢٦٧ ومابعدها

رسوم التجارة الخارجية بواسطة مصلحة شبيهة بمصلحة الجمارك . وكانت السخرة مألو كضريبة عينية يوفيها الشخص بنفسه في عمل من اعمال الدولة (١) او مصنع او حقل ا ضيعة من مصانعها وحقولها وضياعها . وكانت الضرائب على الأطيان متنوعة حسب مواق الأرض وخصبها . وكان هناك موظفون فنيون — مساحون — يقومون بتقدير ذلك .

وبالاضافة الى هذا فقد كانت الحروب مورداً عظيما او من اعظم موارد الدولة في احيان كثيرة بما يقع في يد الدولة منها من غنائم كبيرة متنوعة وما كان يجبى اليها من جزيات البلاد الخاضعة لها وماكا يستفاد من الاسرى نتيجة لتسخيرهم في مختلف اعمال الدولة .

ولقد عثر على قوائم حسابية حكومية تدل على تقدم ونضج في ما يمكن ان يسمى بحساب الدخل والخرج .

وكان حكم الولايات التي كان عددها في كل من الوجه القبلي والوجه البحري نحو عشرين في ظروف كثيرة اقطاعيا او ما في نطاق ذلك . وكان الولاة يتمتعون باستقلال ذاتي يتسع ويضيق حسب قوة الملوك في مختلف ادوار تاريخ مصر . وكان للوراثة شأن كبير في حكم الولايات حيث كان الملوك في اكثر الظروف لا يجدون مناصا من تعيين الابناء مكان الآباء مما يمكن ان يدل على انه كان للعصبيات المحلية اثر كبير في ذلك امتداداً للسابق .

وكان يلمح شيء من التصاول بين الحكام والملوك يشتد ويخف حسب الظروف ويصل احيانا الى تمرد الحكام واستمتاعهم باستقلال واسع . وكان في الولايات مصالح حكومية متعددة مماثلة اجمالا لما في الحكومة المركزية يتولاها موظفون مسؤولون امام حاكم المقاطعة. وغالبا ما كانت القوات المجندة في المقاطعة تحت امرة الحاكم ايضا .

ومع ان حكم كثير من الملوك في مختلف ادوار تاريخ مصر كان نافذاً وشاملا لجميع مصر فانهم كانوا يتلقبون بلقب ملك الوجه القبلي وملك الوجه البحري ويحملون شارتيهما وتاجيهما القديمين اللذين كانا شارة وتاج مملكتي الشمال والجنوب قبل توحيدهما تحت صولجان الملك منا ويحرصون على ذلك اشد الحرص ويسجلونه في اختامهم وطغرآتهم ونقوشهم مما ينطوي فيه استمرار تميز الوجهين بصورة ما ؛ ومما يفسر ما كان يقع من

---

(١) كان مثل هذا النظام موجوداً في عهد الدولة العثمانية ادركناه حيث كانت الحكومات تفرض على كل رجل من كل مدينة وقرية ان يعمل اربعة ايام في السنة في تمهيد الطرق الموصلة بين مدينة ومدينة اخرى وبين قرية وقرى اخرى ، وكان يقبل ممن يستنكف عن العمل بدل نقدي .

تصاول بين الوجهين ينتقل الحكم نتيجة له من أسر الجنوب إلى أسر الشمال ومن أسر الشمال إلى أسر الجنوب .

-٦-

الشؤون الدينية

ينطوي في عقائد المصريين التوحيد والتعدد والتجديد والوثنية في آن واحـــد . ويلحظ بصورة عامـــة ان الاعتبارات السياسية والقبيلية كانت تلعب دوراً كبيراً أو دوراً رئيسياً في ذلك .

ولقد كان لكل قبيلة إله خاص تعتبره حامياً لهـــا . ثم صار هذا الاله إله المدينة التي أنشأتها القبيلة ثم صار إله المقاطعة التي انتشرت فيها نتيجة لنموها .

وكان اله قبيلة او مقاطعة أو مدينة ما إلهاً لقبيلة أو مقاطعة أو مدينة أخرى أيضاً احياناً مما قد يكون دليلا على وحدة أرومة الجماعتين اللتين تفرقتا عن بعضهما في الموطن .

وحينما كانت أسرة من قبيلة ما أو من مقاطعة ما او من مدينة ما تتغلب على أكثر من قبيلة أو مدينة أو مقاطعة كان إلههـــا الخاص يصبح إله القبائل والمـــدن والمقاطعات التي خضعت لها ورئيس آلهتها أو ملك آلهتها ويصبح معبده اعظم المعابد وكهانه اعظم الكهان مع احتفاظ كل قبيلة او مدينة او مقاطعة بالهها الخاص في الوقت نفسه . وحينما كان سلطان الارومة المتغـــلبة يضعف او ينهار ينحط مركز الهها ويحل محله فيه إلـــه الارومة المتغلبة الجديدة .

وكان هذا قبل توحيد امارات مصر في مملكتين شمالية وجنوبية واستمر بعد توحيدها في المملكتين ثم استمر بعد توحيد المملكتين في مملكة واحدة تحت صولجان الاسرة الاولى ثم في جميع ادوار الاسر الحاكمة .

وإلى هذا فقد كان المصريون يعتقدون بوجود إله أكبر خالق الاكوان ومدبره وخالق الآلهة . وكانوا يتخذون الآلهة الخاصة للاستشفاع وان كان من الحق ان يقال ان الآلهـــة الخاصة كادت ان تغطي على فكرة الاله الاكبر التي لم نكن تظهر إلا لماماً . وقد اختلفت اسماء وصفات الاله الاكبر وكان احياناً هو نفس إله الأسرة المالكة التي صار إلهها الخاص رئيس الآلهـــة أو ملكها حيث كان يوصف بصفات الخـــالق المدبر الواحـــد الازلي السرمدي الخ ..

وإلى هذا وذاك فقد اعتقد المصريون بآلهة خاصة لمشاهد الكون وشؤون الحياة المتنوعة

فكان عندهم للشمس إله وللقمر إله وللسماء إله وللارض إله وللعلم والحكمة إله وللعدالة إله وللطب إله وللحرب إله وللشر إله وللخير إلــه وللنيل إله وللخصب إله وللحبالى إله وللجبانات إله وللصيد إله وللمحصول إله وللصناعات والفنون إله الخ .

وكان من هذه الآلهة ما هو ذكور ومنها ما هو اناث . فكانوا يتوجهون إلى هذه الآلهة في الشؤون التي اختصوا بها جلياً لمــا يريدونه مــن خير ومنفعة ودفعاً لما يزعجهم مــن شر وضر .

وكان احياناً آلهة بعض المناطق والمدن الخاصة تجمع الى صفتها هذه صفة الاله الخاص لمشاهد الكون وشؤون الحياة .

وكانوا يعتقدون ان الالهة على اختلاف انواعها تحل في اجساد حية تخيلوا فيها صفات واشكالاً وفوائد تماثل ما تخيلوه في آلهتهم من صفات واشكال وفوائد فقدسوا هذه الاجساد الحية من جهة وصنعوا لها تماثيل لتمثل الآلهة ووضعوها في معابد اقاموها لها ليقيموا عندها طقوسهم ويقدموا قرابينهم ويتقدموا بمطالبهم وحاجاتهم .

وكان لهم اساطير في نشوء معبوداتهم وحياتهم وزواجاتهم واختصاصاتهم وتجسداتهم ومناحراتهم فيما بينهم وتغلب بعضهم على بعض وقتل بعضهم لبعض يرى المدقق فيها اثر الاعتبارات والمصاولات والحروب القبيلية بادياً .

وكانوا احيانا يدمجون بعض الآلهة الرئيسية او الثانوية ببعض فيتكون من ذلك مجموعات تعتبر كيانا إلهيا واحداً ذا اقانيم متعددة .

وكانت اختصاصات بعض الآلهة ورموزها وصفاتها تتطور وتتبدل احيانا فتجد إلها قد صار له اختصاص إله آخر او شاركه فيه .

وكانوا يقيمون اعياداً دينية مقتبسة من اساطيرهم يحتفلون فيها ببعض آلهتهم حفاوات كبرى ويقدمون فيها القرابين لها .

وكانوا يعاملون تماثيل آلهتهم كأنها اجسام حية فيهيئون لها انواع الطعــام والشراب ويعتنون بلباسها وزينتها ويغنون لها ويرقصون امامها .

وكانوا يعتقدون بخلود الروح والبعث الجسدي بعد الموت وبالحساب على مــا فعله الانسان في الدنيا والثواب والعقاب عليه . وهــذه العقيدة خاصة كانت سائــدة في جميع الظروف والانحاء وشغلت حيزاً عظيما في حياة مصر وكان لها تأثير عظيم في ما أنشىء من مقابر ومعابد عظيمة . وقد برعوا بسببها بالتحنيط براعة عظيمة بحيث ظلت الجثث المحنطة

تماثيل ثالوث الآلهة ايزيس
وهاتور واوزيريس



تمثال البقرة حتحور



تمثال الاله حورس بن ازوريس وايزيس



تمثال الالاهة سخمت مساعدة الاله فتاح



تمثال الالاهة باستت برأس قطة

بحالتها الطبيعية آلاف السنين .

وكانت الآلهة ووجودها وتأثيرها في اعمال الناس والخوف منها في الدنيا والآخرة يشغل الحيز الاكبر من اذهان الناس على اختلاف طبقاتهم ويكون له التأثير الاعظم في سلوكهم واعمالهم . وقد كان الملوك يذكرون الآلهة وتأثيرها في جميع تسجيلاتهم كأنها هي التي فعلت كل ما فعلوه او امرت به ، وهذا ما كان من دوافع ما اقاموه من منشآت دينية في انحاء البلاد وما بذلوه في سبيلها من جهود عظيمة وما اغدقوه عليها من هدايا وحبسوه عليها من اوقاف .

هذه كلمة اجمالية مر في سياق سيرة الاسر بعض الامثلة التوضيحية لها واليك بعض الامثلة الاخرى على سبيل التمثيل لا الحصر وبايجاز يتناسب مع منهج الكتاب مقتبسة من الآثار والنصوص القديمة .

١ ــ كان فتاح ثم العجل ابيس ثم الالاهة سخمت ثم الاهة الجبانات سكر آلهة مدينة نفر (منف ثم البدرشين اليوم) في ظروف متنوعة . وحور إله سخم (اوسيم اليوم) وإله بلدة كانت تعرف باسم زبات مح . ونيت الاهة زكا والاهة (صالحجر اليوم) وتحوت إله بلدة برتحوت (البقلية اليوم) واله ونت (خمنو ثم الاشمونين اليوم) . وخنوم ثم اوزير آلهة بلدة كانت تعرف باسم برنانب زد . والثالوث اوزير وايزيس وحور الطفل آلهة برحانب (فوه اليوم) وباست الاهة برباست (تل بسطة والزقازيق اليوم) والثالوث حور الوالد وحتحور الام وايحي الابن آلهة بلدة كانت تسمى زبات بحدت وآلهة بلدة كانت تسمى تايونت نترت . والثالوث آمون رع وزوجته موت وابنهما خونسو آلهة برمنتو (ارمنت اليوم) . وحتحور آلهة زبتي وبر وازيت (بلدتا النعلين وكوم اشقاو اليوم) ثم الاهة جسا (القوصية اليوم) ثم الاهة بلدة كانت تسمى برحمت . وانوب ثم حور آلهة كاسا (القيس اليوم)

والمدن المذكورة هي اسماء عواصم مقاطعات في الوجه البحري والوجه القبلي وكانت الآلهة تعد في الوقت نفسه آلهة المقاطعات .

٢ ــ حينما وطدت اسرة الملك منا سلطانها ووحدت مصر تحت صولجانها صار حور الهها الخاص رئيس الالهة وصار اسمه ورمزه ــ وهو الصقر ــ عنصرين اساسيين في القاب معظم ملوك مصر في مختلف الادوار . وقد وصف في بعض النصوص بصفات الازلية والابدية والخالق الاكبر .

وحينما صارت منف عاصمة للدولة في زمن الاسرة الثانية صار الهها بتاح رأساً للآلهـة بدوره ووصف بمثل تلك الصفات .

وحينما صارت طيبة عاصمة للدولة صارالهها آمون بدوره رئيس الآلهة او ملكهاووصف بمثل تلك الصفات ايضا .

وتزوج احد ملوك الأسرة الرابعة بنت كاهن رع اله اور (او عين شمس اليوم) فأخذ هذا الاله يتبوأ بالاشتراك مع آمون مركز الرئاسة وازدادت مكانته حتى عمت عبادته ثم استمر نجمه صاعداً في معظم الاسر التالية مع آمون الذي اعتبر انه ابنه .

وحينما توطد الملك للأسرة التاسعة عشرة التي كانت من اهل الدلتا ارتفع الههـا سيت الى مركز الرآسة ، وكذلك كان شأن باسيت اله مصر الوسطى حينما توطـد الملك للاسرة الثانية والعشرين التي هي منها وهذا كان شأن الاله سبك اله منطقة الفيوم او اهناس نتيجة لقيام الاسرة الاهناسية الرابعة عشرة ، مع فارق واحد هو بقاء آمون ورع محتفظين بمركزيهما الساميين المشتركين نتيجه لطول المدة التي قضياها فيها .

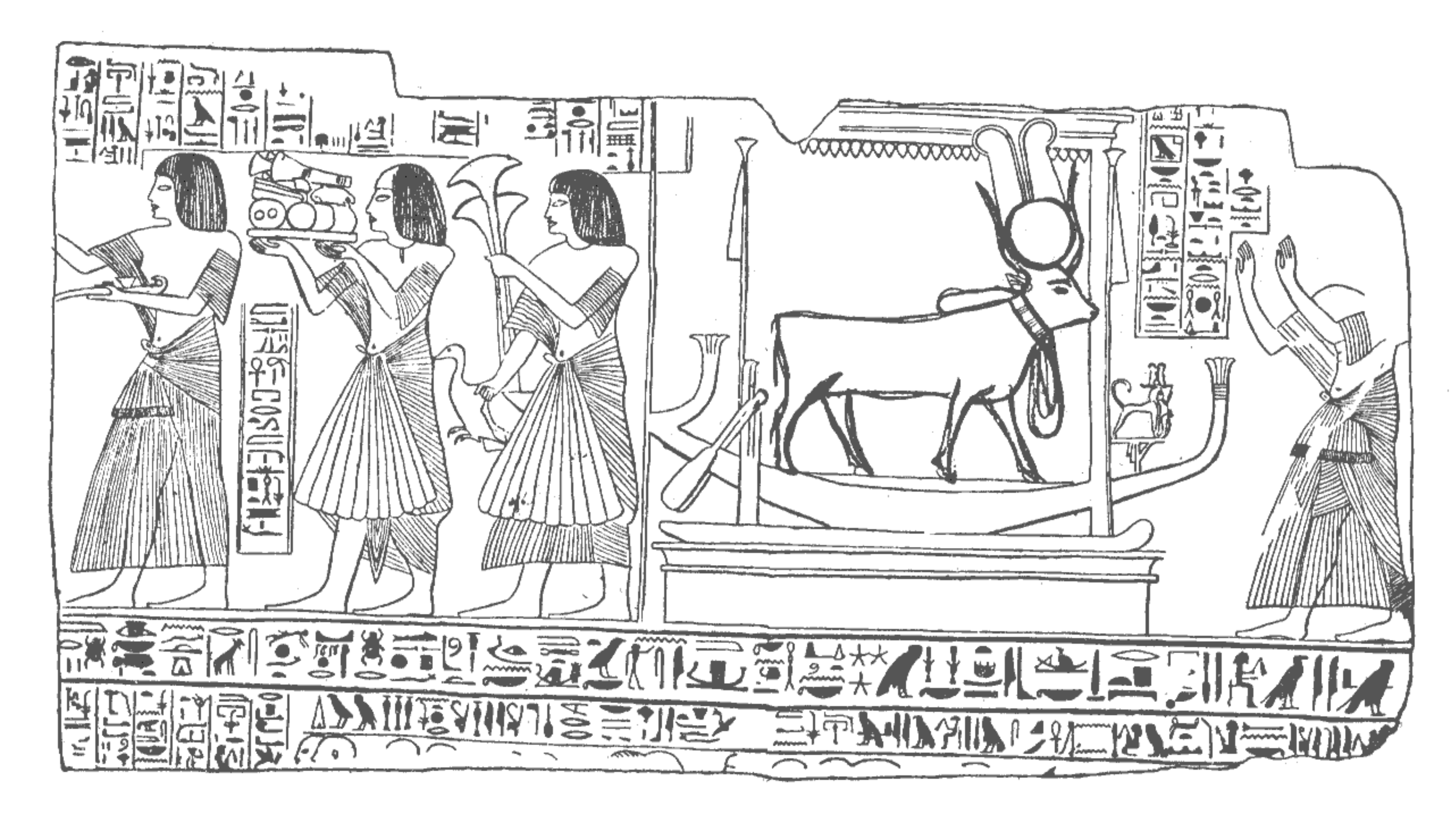
٤ ـ كان آمون ورع كما قلنا متحدين كوالد وولد . وكان بتـاح وسكر واوزيس في الدولة الوسطى يكونون ثالوثاً . وكان آمون ورع وحور في الدولة الحديثة يكونون ثالوثاً وكان آمون وزوجته موت وابنه خونسو ، في ظرف من الظروف ،يكونون ثالوثاً

٥ ـ كان اوزيريس اله بوسيريس المحلي الهاً للنيل حيناً والهاً للسماء حينا . وتحوت الـه الاشمونين الها للعلم والحكمة والسحر ثم الها للقمر . ومنتو اله ارمنت الها للحرب وخونسو اله منطقة في الجنوب الها للطب . وبتاح اله منف الها للصناع والفنيين . وباست الاهـة بوبسطه الآهة للطرب والغناء والرقص وسخمت الهة الحرب في الدولة الحديثة بدلا مـن منتو اله الحرب في الدولة القديمة ، وتيفون الها للشر واوزيريس الها للأموات .

٦ ـ كان الاله سبك يمثل في تمساح والاهة الحبالى بويريس تمثل على هيأة فرس نهر يسير منتصبا على ساقيه الخلفيتين . وكان آمون يمثل حينا في شكل كبش وحينا في شكل انسان على رأسه تاج فيه ريشتان كرمز لرآسته على جميع آلهة مصر . وكانت الالاهة باست تمثل في جسم انسان ورأس هرة . وكانت الالاهة سخمت تمثل في جسم انسان ورأس لبوة متوجة بقرص الشمس وعليه ثعبان . وكان فتاح يمثل في شكل انسان يحمل صولجانا . ومعت الهة العدل تمثل بامرأة على رأسها ريشة العدالة . وتحوت يمثل في شكل طائر اللقلق واحيانا في شكل انسان برأس طائر . وكان ايزوريس يمثل في شكل انسان جالس على



تمثال الكبش المقدس



العجل ابيس قائم على سفينته للشمس وأمامه الكاهن يقدم له فرائض العبادة
والكاهنات يقدمن له القرابين و الذبائح

كرسي وزوجته ايزيس تمثــل في شكل امرأة تحمل قرص الشمس على رأسها بين قرنين وحور يمثل حيناً بالصقر وحينا في شكل بقرة عرفت بحتحور . والالاهة رنتوبت الاهــة المحصول تمثل في شكل ثعبان .

وكانت مجسدات الآلهة هذه تقدس وتوضع في المعابد وتخدم وتقدم لها القرابين ويقام عندها الطقوس ويتقدم الناس اليها بمطالبهم وحاجاتهم .

ومما كان من عقائد المصريين ـ وهو من هــذا الباب حلول أوزيريس اله النيل واله السماء من حين لآخر في عجل حي ذي علامات معينةوهي ان يكون لونه اسود وعلىجبهته مربع أبيض وعلى ظهره صورة نسر وفي ذيله شعر مزدوج العدد وعلى لسانه صورة جعل . وكانوا يؤدون الطقوس لخمس وعشرين سنة . فاذا مات قبل ذلك حنطوه ودفنوه باحتفال عظيم ثم اعلنوا الحداد واخذوا يبحثون عن خلف له فيه العلامات المذكورة وحينما يجدونه يستبدلون الحداد بثياب الفرح ويقيمون الاعياد والاحتفالات . وإذا عاش أكثر من خمس وعشرين سنة اغرقوه في النيل باحتفال كبير وفتشوا عن خلف غيره . وهذا الطقس متصل بأسطورة موت اوزيريس غرقاً . وكانت منف مركز عبادة هذا العجل الذي عرف باسم ابيس ثم كانت ظروف انتشرت فيها عبادته وعظمت مكانته واستمر ذلك إلى آخر أدوار تاريخ مصر القديمة وقد عثر على مقبرة فيها عدد كبير من عجول ابيس المحنطة .

٧ـ من المأثورات التي تدل على عقيدتهم التوحيدية نشيد في آمون رع وهــذا نصه : الاله العظيم سيد جميع الآلهة آمون رع الازلي الحق الواحد الخالق لكل شيء المسيطر على كل شيء الذي لم يكن قبله شيء . .

وهذا نص ثان فيه مناجاة للاله الاعظم :

أنت الاله الاكبر . سيد السماء والأرض . خالق كل شيء . يا الهي وربي وخالقي . قو بصري وبصيرتي لأستشعر بمجدك واجعل اذني صاغية لأقوالك .

وهذا نص ثالث وهو نشيد على لسان الاله الاعظم :

أنا الذي خلقت الارض والمياه والسماء . انا الذي اظهر النور اذا فتحت عيني . واجلب الظلام اذا اغمضتها . انا الذي اجري النيل وأدبر فيضانه متى أردت . انا الذي تعرف اسمي جميع الآلهة . انا الذي قسمت الوقت الى ايام وساعات. انا الذي احدد الاعياد . انا خبرى في الصباح . ورع في الظهر . وأتوم في المساء (١) .

---

(١) يلمح في هذا التوزيع فكرة التثليث للاله الواحد .

وقد وجد في نقوش الاسرة السادسة هذا الوصف :

« أيها السيد المالك لكل شيء والذي لا نهاية ولا حد له » وواضح ان النص يحتوي على وصف الاله الأكبر الواحد الخالق المالك لكل شيء .

وناهيك باناشيد اخناتون التوحيدية التي اوردناها في سيرته (الاسرة الثامنة عشرة) والتي نرجح ان لم نقل نجزم ان ما فيها من افكار ومعان ليس مبتكراً وانما هو تكرار او تجديد لما جال في أذهان المصريين القدماء واثر عنهم من أوصاف الله الأكبر الواحد ؛ وإن لم يكن في مأثوراتهم ما يساعد على ايضاح ماكان عندهم من أفكار حول اصل خلقة العالم ووجود الخالق الأكبر باسلوب صريح .

٨ ـ ومن اساطيرهم اسطورة اوزيريس فقد كان الاله الحاكم الاله في الارض والسماء وكان الهاً طيباً عادلا سن للعالم القوانين النافعة وعلم اهل الارض الزراعة . وقد حسده اخوه الاله سيت ودبر له مكيدة حتى قبض عليه ووضعه في صندوق والقاه في البحر حيث مات غرقاً واستولى على سلطان العالم . وبحثت ايزيس زوجة اوزيرس عن الصندوق الذي فيه جثته حتى وجدته ولكن سيت استعاده منها ومزق الجثة وبعثر مزقها . وقد نذرت ايزيس الانتقام من سيت وربت ابنها حوريس على ذلك فلما كبر وترعرع تمكن من التغلب على سيت بمساعدة الآلهة الاخرى . وقد اخذت ايزيس ترثي زوجها وتجمع اشلاءه واشفق الآلهة عليها فاعادوا الحياة إلى اوزيريس . ومن ثم صار عند المصريين عيد ديني تقليدي اسمه عيد إحياء اوزيريس كانوا مع ملوكهم يحتفلون فيه احتفالات كبيرة . وهناك مأثورات اخرى تقص هذه الاسطورة بشيء من التباين والزيادة والنقص .

واثر التنافس والتصاول بين الجماعتين اللتين كان حور إله احدهما وسيت إله ثانيهما قبل توحيد المملكة والتي انتصرت قبيلة حور وصارت صاحبة السلطان على مصر مما اوردنا خبره في مطلع الكتاب ظاهر في هذه الاسطورة .

وهناك اسطورة مشابهة لهذه الاسطورة عند الاله رع . فقد كان رع صاحب السلطان في الارض والسماء فتمرد عليه بعض رعاياه ولكن اباه الاله الاكبر اون وغيره من الآلهة ساعدوه على قمع التمرد والبطش بالمتمردين وقدأورد الباحثون هذه الاسطورة في سياق طويل واثر التصاول والتنافس بين الجماعات المصرية القديمة على الحكم باد فيها كذلك .

٩ - ولقد أورد مؤلف كتاب مصر ومجدها الغابر نموذجاً من طقوس المصريين القدماء (١) يدل على أنهم كانوا يعاملون تماثيل معبوداتهم معاملة البشر الأحياء حيث كان كهان المعبود يأتون في الصباح فيفتحون المقصورة التي هو فيها في المعبد مرتلين منشدين كأنما كانوا يوقظونه ثم يغسلونه ويضمخونه بالعطور ويلبسونه ويتوجونه ويقدمون اليه وجبة الصباح ذبيحة ثم يخرجونه من المقصورة الى بهو المعبد فيتقدم الناس اليه بشكاواهم ومطالبهم ومعهم تقدمات يقدمونها اليه فيتلقاها منهم ويصدر احكامه في شكاواهم ومطالبهم . ثم يعيده الكهان ثانية الى مقصورته لقضاء وقت الظهيرة حيث يغني له المغنون وترقص أمامه الراقصات . وفي المساء يخرجه الكهان ثانية الى بهو المعبد فتقدم له ذبيحة وجبة المساء ثم يعاد إلى مقصورته فيخلع عنه لباسه وتيجانه ويحرق البخور امامه وترتل له انشودة المساء وتقفل ابواب المقصورة عليه الى الصباح حيث يجري الامر على المنوال نفسه . وكان يحمل احياناً في موكب الى مكان ارض متنازع عليها ليقضي في النزاع بعد المعاينة . وظاهر ان الكهان هم الذين يبلغون احكام واوامر المعبود استناداً الى وحي يتلقونه عنهم بزعمهم . وفي الاعياد والمواكب العامة يحمل الكهان المعبود ويخرجون به الى خارج المعبد حيث تقام الاعياد وتسير المواكب مترافقة بالترتيل والرقص ويكون المعبود في كامل الابهة لباساً وتيجاناً وعطوراً وزينة .

وكانت هذه الطقوس والمراسم تجري للآلهة جميعها الخاصه منها والعامة . وكان لكل معبود اعياد دورية تقام الحفلات والمواكب في مناسباتها . وكان من تماثيل المعبودات ما يبلغ ارتفاعه اربعة امتار كتمثال عشرعليه لاوزيريس وثلاثة امتار كتمثال ليتاح ومترين ونصفاً لتمثال لخونسو .

وكانت الواجبات تقدم للمعبودات فوق مائدة توضع امام تماثيلهم . وقد كان لكل معبود مخصصات من الطعام متنوعة تتناسب مقاديرها مع اهمية المعبود . وكان الملوك يهتمون اهتماماً كبيراً بتزويد المعابد والمعبودات بمثل هذه المخصصات مما احتوت مدونة هريس التي اوردنا ارقامها في سيرة الاسرة التاسعة عشرة العجائب منه . هذا إلى ما كان الملوك يحبسونه على المعابد والمعبودات من اوقاف عظيمة مذهلة .

---

(١) تعريب محرم كمال ٢٦٧ وما بعدها انظر ايضاً الحياة المصرية في العصور القديمة تعريب المعرب نفسه ص ٢٧٧-٣٢٤

ومن تحصيل الحاصل ان يقال ان الكهان وخدمة المعابد هم الذين كانوا يتصرفون بكل ذلك ؛ وهذا ما ادى الى كثرة افراد هذه الطبقة كثرة عظيمة حتى بلغ افرادها مئات الآلاف على ما يستفاد من مدونة هريس ايضاً .

ولقد كان الكهان يلعبون نتيجة لمركزهم ولكونهم المبلغين لوحي المعبودات والمشرفين على مالهم وللمعابد من اوقاف عظيمة وموجورات عينية ثمينة دوراً عظيماً جداً في حياة المصريين في مختلف صورها ومجاليها وفي مختلف ادوار التاريخ المصري . وعاد عليهم ذلك بالمركز النافذ والكلمة المسموعة والثروات الضخمة .

وكان الملوك يهتمون اهتماماً كبيراً بطبقة الكهان لضمان ولائهم وتواطئهم معهم فكان ذلك مما وطد لهم المركز القوي النافذ الذي جعل بعضهم يجرأ على منازعة الملوك في بعض ادوار التاريخ السلطان على ما مر في بعض المناسبات .

ولقد كان الكهان يشتغلون بالتنجيم والسحر ويتنبئون بالغيب ويتظاهرون بمعرفة اسرار الكون وكونهم منزل وحي الآلهة ويختصون انفسهم بالخط الهيروغليفي المقدس. فكان ذلك من وسائلهم الى ذلك المركز والاحتفاظ به .

١٠ ـ ولقد كان تحنيط الموتى كما قلنا قبل تقليداً عاماً مستمراً الى آخر ادوار تاريخ مصر لانه متصل بعقيدة المصريين يبعث الاجساد الموتى في اليوم الآخر . وكان التحنيط يجري على انواع وفقاً لحالة الميت المادية والاجتماعية .

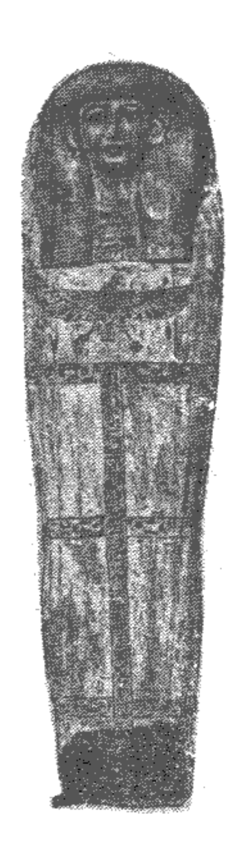
فاذا كان الميت ميسوراً وذا مقام رفيع حشيت تجاويفه بعد اخراج الاحشاء بالتوابل والعطور ولفت جثته بكتان رقيق وجعل على وجهه قناع من الجص مذهب احياناً وجعلت الجثة في تابوت خشبي مذهب مزخرف اما غير الميسورين فتنقع جثثهم بالجير الحي او الملح .

وكان من التقاليد العامة ان توضع الاشياء الخاصة بالميت معه في صندوقه كالحلى والاواني والملابس وكان يوضع في غرفة الدفن مواد غذائية ايضاً ثم صارت هذه المواد ترسم على الجدران . ومما كان وضعه مع الجثث تقليداً عاماً تماثيل خزفية تسمى « شيتي » اي الوكيل وكانوا يعتقدون انها تؤدي وظيفة مهمة يوم الحساب منها الاجابة عن الميت والقيام باعمال السخرة التي قد يكلف بها عقاباً . وقد وجد على بعضها في قبر شخص اسمه احمس نقش نصه :

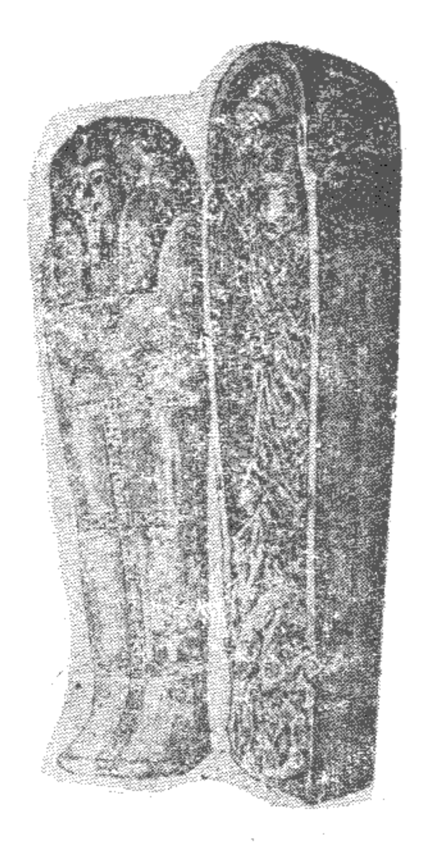
يا تا نب اذا نودي باسم احمس وطلب للشغل فاصرخ قائلا انا هو وتقدم للعمل .



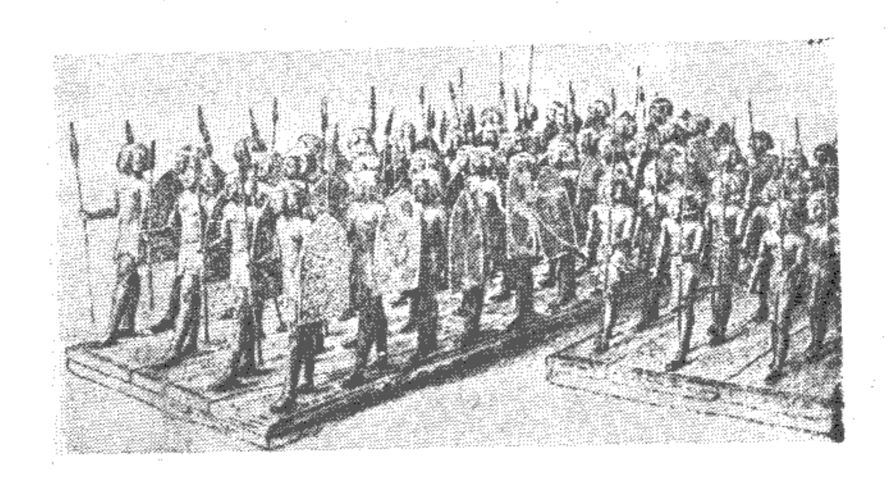
لوحة فيها مشهد لمحاكمة النفس بعد الموت ووزن اعماله



مومياء ملك مصري



مومياء محنطة في تابوتها



مشهد كتيبة عسكرية

١١ ـ ولقد عرف من المدافن المصرية القديمة ان المصريين ساروا في إعداد مقابرهم على اسلوبين اسلوب الهرم المرتفع عن سطح الارض واسلوب الدهاليز والسراديب في باطن الارض . والأول اسلوب الشمال والثاني اسلوب الجنوب . ومـع ذلك فان الجنوبيين والشماليين اقتبسوا اسلوبي بعضهما حيث وجدت مقابر ودهاليز وسراديب في الشمال كما وجدت مقابر هرمية في الجنوب . ولم تكن المقابر الهرمية خاصة بالملوك فقد وجـد مقابر هرمية صغيرة كثيرة فيها جثث من غير طبقة الملوك ايضاً . وكل من المقابر الهرمية والجوفية يحتوي دهاليز ومصاطب ومعابد وغرف الى جانب غرفة الدفن .

وكان الملوك واصحاب المقامات الرفيعة والميسورون يعتنون باعداد مدافنهم عنايـة عظمى من حيث الضخامة والفخامة والزخرفة وكانوا ينقشون على جدرانها ألقابهم وأعمالهم ووصاياهم . وقد كشف عن كثير منها فامدت التاريخ المصري بالمعارف القيمة من تاريخ وفن رائع مما مرت الاشارة الى كثير منه في سياق الاسر المختلفة .

١٢ ـ ولقد كانوا يرسمون على جدران مدافنهم صوراً لمشاهدة الآخرة مثـل موازين الاعمال ومحاكمة الميت وملائكة الرحمة والعذاب مما خمنوا انه يجري في الآخرة عند الحساب كما كانوا ينقشون نقوشاً فيها توسلات وابتهالات على الجدران والتوابيت بطلب الرحمـة للميت وخلاصه من العذاب .

١٣ ـ ولقد كان الفقراء يدفنرن موتاهم في لحود على عمق متر واحـد بدون اكفان وتوابيت ، والمتوسطون يدفنون موتاهم في اضرحة مربعة مبنية بطوب اصفر غير متقن ولا يضعون معهم شيئاً سوى اوان فخارية بجانب الجثة فيها طعام معد لغذاء الميت وقت بعثه يوم القيامة . واما الاغنياء فكانت مقابرهم متقنة تتركب من ثلاثة اجزاء اولها حجرة ظاهرة منقوشة بانواع النقوش والتصاوير المتقنة قليلا او كثيراً . وكانت هذه الحجرة معدة لاجتماع اقارب الميت وقت الزيارة وثانيهما حفرة صغيرة رأسية مفتوحة الفوهة في حجرة اخرى من حجرات المقبرة . وثالثها حجرة او عـدة حجرات اخرى في اسفل الحجرة الصغيرة وهي المعدة لوضع جثة الميت ولا يجوز لأحـد ان يدخلها . وكان بعضهم يصنع مقابره بكيفية اخرى وهي انهم كانوا يحفرون في الجبل آباراً عميقة جداً ينزل فيها الانسان فيصل الى مسامة جبلية او جملة منامات معدة لمواراة الموتى . وكان أهل هذه الطبقة يضعون موتاهم في توابيت على هيئة الانسان عارية عن الرسومات ومصنوعة من جملة قطع ويسمرونها بمسامير من خشب ويكتبون فوقها ما معناه « أنت فـلان ابن السـماء وخلفة الارض »

وفي عصر الاسرة الحادية عشرة كانوا يدهنون وجه التابوت امـــا بلون اصفر او ابيض او اسود ويصورون فوقــه المعبودتين ايزيس ونفتيس راكعتين ومحيطتين باجنحتهما على التابوت . وفي عصر الاسرة الثامنة عشرة كانوا يلونون التوابيت من باطنها وظاهرهـــا بلون اسود ويجعلون الوجه احمـــر ذهبياً ويرسمون على الصدر صورة عقاب . وفي عصر الاسرة التاسعة عشرة الى الحادية والعشرين كانوا يدهنون توابيتهم بالدهان اللامع المائــل الى الاصفرار ويبالغون في التصاوير دون النقوش وكانوا يضعون الجثة بعـــد تصبيرها اما في تابوت او اثنين او ثلاثة او أربعة بعضها داخل بعض . وفي عهـــد الاسرة الثانية والعشرين الى الثالثة والعشرين كانوا يلونون التوابيت من باطنها امـــا بلون اسود او بلون الخشب ويجعلون وجهها احمر وعلى رأسها عصابات مزخرفـــة ويلفون موتاهم بلفائف من القماش . ثم اصطلحوا بعدئـــذ على تلوين باطن التوابيت بالأبيض وتقسيم اغطيتها بالألوان الى اقسام عديدة يكتبون فوقها بمداد اخضر .

١٤ ــ ولقد كانوا يضعون عند رأس الميت لفافة مـــن البردي كتب عليها توسلات باسم الميت وتعليمات له بما يجب عليه ان يقوله حينما يبعث ويدعى الى المحاكمة . وقـــد عرفت باسم كتاب الموتى . وكانوا يعتقدون ان الميت حين بعثته يحاكم امام اسوريس اله الأموات الذي يجلس على منصة القضاء وأمامه احفاده ابناء حوروس وآلهة اربعـــة اركان المعمورة واثنين واربعين قاضياً برؤوس بشرية وحيوانية . ويقف الميت على باب المحكمة ويرافع عن نفسه مبرئاً اياها من كل دنس وفحش وظلم وعدوان وغش وكذب ونميمة مقرراً لها فعل كل خير وبر ومساعدة للمحتاج وقيام بواجباته نحو الناس والآلهة الخ ممـــا يكون مكتوباً في كتاب الموتى ، ويطلب الرضاء عنه . وبعـــد ذلك ينصب الميزان ويوضع قلب الميت في كفته اليسرى كرمز لأعماله وتقف في الكفة اليمنى معت الاهـــة العدل فان استقامت الكفتان عرف ان كلام الميت صادق فحكم اسوريس براءتـــه ونجاته وأمر بفتح ابواب الجنة له واعطائه مـــا يريد مما تشتهي الانفس وتلذ الأعين . وان شالت كفته عرف انـــه كاذب فصدر امر اسوريس بارساله الى الجحيم ليلاقي أشد العذاب الدائم وقد عثر في مقابر بعض الملوك على مراكب عرف انهم اعدوها لتحملهم عند البعث ويعبروا بها الى الجنة .

ولقد كشف عن عدد عظيم من مقابر الملوك ورجال الدولة والطبقات الاخرى وعـــثر فيها على الجثث المحنطة المدفونة فيها كما عثر على كثير من الذخائر والطرائف النفيسة العجيبة وعلى

مدونات متنوعة دينية وغير دينية امكن بها معرفة ما وصلت اليه مصر من فن وصناعة وزخرف وثروة وكثير من اسماء الملوك والوقائع والأحداث الحربية والاجتماعية وكثير من صور الحياة والعقائد . ولقد تعرضت هذه المقابر لايدي الجهلة واللصوص وتبعثر كثير من نفائسها وانتقل كثير منه الى الأجانب . وبقي مع ذلك كثير منه نقل إلى المتحف المصري حيث يعرض للمشاهدة فيثير اعجاب المشاهدين ودهشتهم ، ولا يزال يكشف عن مثل ذلك بالتنقيبات المستمرة .

ويلحظ في كثير من هذه العقائد والصور والتخيلات الدينية نواة لكثير من عقائد الامم وطقوسها التي ما زالت قائمة في اذهان كثير من الناس في مختلف البلاد مع بعض التطور مما ينطوي فيه كون المصريين مقتبساً مهماً للعقائد والصور الدينية .

مصر تحت حكم اليونان والرومان

مصر تحت حكم اليونان والرومان

-١-

حكم اليونان البطالمة

ليس من منهاج كتابنا التوسع في تاريخ اليونانيين والرومانيين في مصر . غير ان من المفيد ايراد نبذة منه لما له من صلة وثيقة بتاريخ الجنس العربي فيها فنقول انه تولى عرش دولة البطالمة التي انشأها بطليموس على ما ذكرناه قبل بعد منشئها الذي توفي سنة ٢٨٥ ق م أربعة عشر ملكاً وهم (١) :

١ـ بطليموس الثاني فيلادلفيوس	٢٨٥ـ٢٤٧
٢ـ بطليموس الثالث افرجات	٢٤٧ـ٢٢٢
٣ـ بطليموس الرابع فيلو باتور	٢٢٢ـ٢٠٥
٤ـ بطليموس الخامس ابيفان	٢٠٥ـ١٨١
٥ـ بطليموس السادس فيلو ماتور	١٨١ـ١٤٦
٦ـ بطليموس السابع فيسكون	١٤٦ـ١١٧
٧ـ بطليموس الثامن لاتير	١١٧ـ١٠٧
٨ـ بطليموس العاشر اسكندر وكليوبطره الاولى	١٠٧ـ٨٨
٩ـ بطليموس العاشر اسكندر وبرنيقة	٨٨ ـ٨٠
١٠ـ بطليموس الحادي عشر اولات	٨٠ ـ٥٢
١١ـ بطليموس الثاني عشر	٥٢ ـ٤٨
١٢ـ بطليموس الثالث عشر منفرداً	
١٣ـ بطليموس الثالث عشر مع كليوبطرا الثانية	٤٨ ـ٣٠
١٤ـ كليوبطره الثانية منفردة	

(١) سيرة دولة البطالسة وملوكها مقتبسة من الكافي ج ١ ص ٢٠٢ــ٢٠٤ وتاريخ مصر الى الفتح العثماني ص ٨٦ــ١٠٩ والجزء الثالث من تاريخ سورية للدبس ص ٩٢ــ٢٦١

وقد اتخذ البطالسة الاسكندرية عاصمة لدولتهم ، وساروا في كثير من الشؤون على سيرة الملوك المصريين ، واتخذ بعضهم شعار مصر شعاراً لهم واندمجوا في تقاليدهم وعقائدهم ؛ حتى ليصح ان يقال انهم تمصروا وان دولتهم كانت مصرية بشكل ما . ومما فيه الدلالة على ذلك رواق الاسكندر الذي أنشأه بعض ملوك هذه الدولة في طيبه وقد رسم عليه الاسكندر وهو يقدم القربان إلى آمون معبود مصر القديم الاكبر وعليه كتابة جاءفيها ان الاسكندربنى لأبيه رع مسكناً كبيراً من الحجر وجعل بابه من خشب السنط المطعم بالذهب كما كان في ايام الملك آمون حتب . ومما فيه الدلالة على ذلك ايضاً منشآت عديدة أنشأوها على الطراز والتقاليد المصرية القديمة وتزييهم بزي الفراعنة على ما يبدو من صورة اثرية لكليوباطرة آخر ملكة من ملوكهم .

وقـــد كان سلطان بطليموس الاول يشمل فلسطين وشرق الاردن وفينيقية وسوريا الوسطى او المجوفة (سهل البقاع) فلما قامت الدولة السلوقية في سورية عـــلى ما سوف نذكره في الجزء الرابع اخذ ينشب نزاع وتشاد بين ملوكها والملوك البطالسة على حكم هذه البلاد كثيراً ما كان يؤدي إلى حروب بين الدولتين . وكان الحكم على هذه المناطق يتداول نتيجة لذلك بينهما وان كانت مدة حكم السلوقيين عليها أطول .

- ٢ -

ولقد كان للبطالسة نشاط اقتصادي وعمراني وثقافي عظيم ، ومن مشاهيرهم بطليموس الاول (٣٢٣ـ٢٨٥) ق م وقد تلقب بلقب ملك مصر واهتم لتنظيم البلاد وترقية شؤونها . واليه يعزى إنشاء مكتبة الاسكندرية ومتحفها او الشروع به . وقد احترم ديانة المصريين ووفق بينها وبين الديانة اليونانية . وظهر بسبيل ذلك معبود جديد يدعى سرابيس . وقد أنشأ بطليموس لهذا المعبود معبداً فخماً في الاسكندرية يعرف بالسرابيوم وصار يتردد عليه اليونانيون والمصريون معاً .

كذلك من مشاهيرهم بطليموس الثاني . وقـــد جدد الخليج القديم الموصل بين النيل والبحر الاحمر وشيد المسالح والمعاقل . واليه تعزى المنارة الشهيرة التي كانت تسطع عـــلى ساحل الاسكندرية فيشع شعاعها ليلا إلى مسافة ثلاثين ميلا . وقـــد اتسعت دائرة العلوم والآداب في عهده كما نشطت الهجرة اليونانية الى مصر اكثر من ذي قبل .

وفي زمن هذا الملك ترجمت التوراة بأمره من قبل سبعين عالماً يهودياً استقدمهم مـــن اورشليم من العبرية الى اليونانية ، وهي الترجمة المشهورة بالسبعينية . وهو الذي امرمانيطون

المؤرخ المصري بكتابة تاريخ مصر القديم .

وقد اهتم بالملاحة والتجارة البحرية فأنشأ اسطولا بحرياً واعتني بالاستكشافات البحرية وباستكشاف منابع النيل معا .

وفي عهد بطليموس الثالث امتدعهد البطالسةإلىالنوبة جنوبا والى اواسط آسيةالصغرى وحدود بلاد الفرس شمالا وشرقا . واستمد ما سلبه قمبيز من ذخائر الهياكل المصريه .

وأنشأ بطليموس الرابع هيكل ادفو بين الاقصر واسوان . وهو من الهياكل الفخمة الرائعة . واشتبك في حرب مع انطوخيوس ملك سورية ثم انتهى الامر بينهما الى اقتسام بلاد الشام . وكانت الدولة في عهده في ذروة قوتها وثروتها وبهائها .

- ٣ -

على انه كان فظا غليظ القلب فأثار سخط الناس . واخذت الدولة في اواخر حكمه تنحرف نحو الانحطاط والتردي ثم اخذت بعده تضعف واخذ السلوقيون ينتصرون عليها وينتقصون من اطرافها .

وكانت عهود الملوك الذين اتوا بعد هذا الملك مليئة بسبب ذلك بالفتن والارتباكات .

ويعزى الى خامس البطالسة على ما ذكره المسعودي الكتاب الجغرافي الفلكي المشهور بالمجسطي ، وان كان الارجح ان هذا الكتاب من صنع عالم آخر عاش في العهد الروماني .

ويعزى الى سابعهم تنشيط الصناعة والزراعة وتأليف كتب عديدة في علم الحيوان .

ويعزى الى ثامنهم انه قاد حملة قوية نحو الجنوب فاستولى على نباتا ثم على مروى ثم على اكسوم في اقصى اثيوبيا . والمدن الثلاث هي عواصم الدول الاثيوبية في هذه الظروف وقبلها . وكان ذلك حوالي سنة ١٣٥ ق م . غير انه لم يستطع الاحتفاظ بسلطانه عليها جميعا واضطر لأسباب غامضة الى الانكماش عند حدود نباتا .

- ٤ -

ولقد اخذت روما تبرز في اواسط عهد البطالسة كسيدة للبحر الابيض المتوسط بالاضافة الى اوروبة وخاصة بعد قهرها قرطاجنة على ما سوف نبسطه في الجزء الثالث فأخذت تمد نظرها ويدها الى مصر وبلاد الشام وقد بدأ تدخلها في سنة ١٧٣ ق م حينما استنجد بطليموس السابع بها على انطيوخوس الثالث ملك الدولة السلوقية السورية الذي غزا مصر فنصرته على خصمه وأرغمته على الانكفاء عن مصر فتوطدت الصداقة بين روما ومصر مشوبة بما يشبه معنى الحماية .



كليوباطره

ولقد جنح بطليموس العاشر الى التحالف مع اليونان من وراء ظهر روما فكان من نتيجة ذلك ان تمرد عليه المصريون وخلعوه وقتلوه ، وولوا شخصاً من ذرية احد البطالسة السابق سفاحا مكانه وهو بطليموس الحادي عشر المعروف بالزامر . ومنذئذ اشتد نفوذ روما حتى صارت مرجعا لمصر وملوكها .

ولقد بدا من بطليموس الحادي عشر هذا فتور وجنوح الى اللهو فثار عليه المصريون ففر والتجأ الى روما فأخذت بيده واعادته الى العرش مؤيداً منها .

وكان الثاني عشر قاصراً فنابت عنه اخته كليوبطره الثانية . ولم تلبث ان جنحت الى الاستئثار بالحكم فأبى ذلـك عليها الاوصياء فاستنجد بيوليوس قيصر الذي كان في بلاد الشام بطارد خصمه بومبيوس فجاء وثبتها في العرش • ومن الطريف انها علقت بيوليوس وعلق بها فسافرت معه الى روما وولدت له ولداً سمته قيصرون •

وبعد قليل هلك بطليموس الثاني عشر وتولى العرش الثالث عشر وهو اخو كليوبطره فجاءت هذه من روما وتزوجت بأخيها وشاركته في الحكم ، ثم ما لبثت ان دست عليه السم وانفردت بالسلطان •

وكان النزاع ينشب من حين لآخر بين رجال روما • وفي هـذه الاثناء نشب بين بروتوس من جهة وانطونيوس واوكتافيوس مـن جهةاخرى،فأيدت كليوبطره بروتوس وامدته بأسطولها • فأحنق ذلك انطونيوس ورفيقه ؛ فلم يكادا يتغلبان على خصمها حتى سار انطونيوس نحو مصر للانتقام منها • وذهبت الى لقائه في البحر في موكب ساحر من البهاء والجمال ففتنته وجعلته ينسى مهمته ويغرق فيها • وبادلته حباً بحب • فأثار هـذا اوكتافيوس وزحف بنفسه للتنكيل بالعاشق الذي انساه العشق مهمته • وتحرجت حالـة العاشقين فانتحر انطونيو ثم انتحرت كليوبطرة واستولى اوكتافيوس على مصر سنة ٣١ ق م وجعلها ولاية رومانية فكان ذلك آخر عهد دولة البطالسة •

– ٥ –

حكم الرومان

ولقد ظلت مصر تحت حكم الرومان (١) الى الفتح الاسلامي سنة ٢٠ هـ و ٦٤١ ب م ، وظلت رومـا مرجعاً لشؤون مصر الى سنة ٣٢٨ ب م حيث انشأ الامبراطور قسطنطين

(١) سيرة الحكم الروماني لمصر مقتبسة في الدرجة الاولى من الكافي ج ١ ص ٢٤٠–٢٧٧ ثم من تاريخ مصر الى الفتح العثماني ص ١٢٠–١٣٨

الكبير مدينة القسطنطينية على مكان مدينة بيزانس اليونانية واتخذها عاصمة ثانية فغدت هذه المدينة مرجعاً، وصارت هذه المرجعية حاسمة حوالي سنة ٤١٠ ب م حينما انقسمت الامبراطورية الرومانية إلى قسمين غربي مركزه روما وشرقي مركزه القسطنطينية حيث كانت مصر من جملة ما لحق بالقسم الشرقي الذي صار يعرف بامبراطورية الروم البيزانسيين وكان أول قياصرتها ارقاديوس بن طيقوسيوس .

وقد قدر لهذه الامبراطورية ان تعمر اكثر من شقيقتها الغربية بل وأكثر من أكثر الدول حيث طال عمرها إلى سنة ١٤٥٣ ب م ، وان يكون بينها وبين الجنس العربي قبل الاسلام وبعده صلات واحداث متنوعة طيلة هذه المدة المديدة .

ولقد كانت حالة مصر تتقلب تحت الحكم الروماني بين الشدة والضيق والهدوء والاضطراب والعدل والاضطهاد والرعاية والاهمال تبعاً لتقلب القياصرة وولاتهم وعمالهم في مصر ، حيث كان منهم العادل المصلح الذي كانت مصر تنعم في عهده بالرعاية والراحة والحرية الدينية وحسن الحالة الاقتصادية بما يبدو من الولاة من اهتمام بحالة الري واصلاح وسائله وتنشيط الملاحة والتجارة والصناعة والعلوم والفنون ؛ مع التنبيه على ان كل هذا لم يكن يبلغ الشأو الذي كانت تصل اليه مصر في عهود استقلالها ، وحيث كان منهم الفاسد الشره الشرس الذي كانت مصر تقاسي على يده الشدائد من زيادة الضرائب واهمال المرافق أو تدميرها والمداخلة في الشؤون الدينية مداخلة كثيراً ما كانت تثير الفتن وتحفز المصريين إلى الثورة والتمرد وينشأ عنها الاضطهاد ويسفك فيها الدماء الغزيرة .

ولقد كان التنافس يستشري من حين إلى حين بل في معظم عهد الحكم الروماني بين قواد روما ورجالها ثم بين قواد القسطنطينية ورجالها على الحكم والسلطان فتكثر من جراء ذلك الفتن والاضطرابات في الامبراطورية ويكثر التبدل والتقلب على المملكة والولاة والعمال فكان ذلك يؤدي إلى تقلب حالة مصر وارتباكها واشتداد متاعب أهلها .

-٦-

وقد يصح ان يقسم الكلام عن الحكم الروماني في مصر إلى دورين . دور روما ودور القسطنطينية .

وبالنسبة لدور روما نقول ان من اهم الاحداث التي كانت فيه والتي ذا صلة بمصر ولادة السيد المسيح التي كانت في عهد القيصر اوغستوس ٢٩ ق م ١٤ ب م وتبشيره الذي كان في عهد خلفه طيباريوس (١٤ ب م ــ ٣٩) . ولقد أخذت النصرانية تنتشر في مصر

في وقت مبكر فتعرض أتباعها للاضطهادات والمطاردات الشديدة التي كانت تراق فيها دماؤهم ويمثل في جثثهم وتنهب اموالهم احياناً كثيرة ، وظل حالهم كذلك إلى أن تنصر قسطنطين الكبير (٣٢٧ـ٣٥٠) وغدت النصرانية دين الدولة الرسمي .

ومن العهود السوداء على النصرانية في مصر عهد دوميطانوس (٨١ـ٩٦) وادريانوس (١١٧ـ١٣٨) ودوقيوس (٢٦٣ـ٢٦٥) وغاليانوس (٢٧٥ـ٢٨٤) وارليانوش (٢٨٤ـ٢٨٧) ودقليانوس (٢٩٧ـ٣١٥) ، وكان عهد هذا خاصة آسوأ العهود بما وقع عليهم من الاضطهاد الرهيب مما لا يزال الاقباط يحيون ذكراه فيما يسمونه عيد الشهداء ..

ومن الاحداث التي جرت في عهد حكم روما مما له صلة بتاريخ الجنس العربي تأليف حملة في مصر بأمر من القيصر اوغوستوس سنة ٢٩ ق م بقيادة قائد اسمه غالوس اشترك فيها كتائب رومانية ومصرية ويونانية ونبطيه وسيرت على جزيرة العرب طمعاً بكنوزها وثرواتها وطيبها وذهبها التي كان لها صيت طائر . وقد وصلت الحملة الى اليمن في عهد الدولة الحميرية ولكنها آبت خائبة وقاست في رحلتها الشدائد والصعاب .

وقد اغتنمت قنداقة ملكة جبال برقل التي يرجح انها تمت الى الجنس العربي الاثيوبي فرصة خلو مصر من الجيوش فزحفت على حدود مصر الجنوبية واستولت على اسوان ، ثم توغلت في الصعيد وملأت يدها بالغنائم ، فسارع الوالي الى صدها بما جمعه من قوات ثم طاردها الى بلادها ولكنه جنح الى مسالمتها واتفق معها على الصلح على شرط ان ترسل وفداً إلى القيصر يقدم الولاء باسمها وان تدفع جزية سنوية ، وكان القيصر علم بحركتها فسارع الى مصر وحينما وصل الى جزيرة سيسام وافاه اليها وفدها واكد ولاء ملكته ووقع عهد الصلح وتنازل القيصر عن (١) الجزية .

كذلك مما جرى في حكم روما من هذا القبيل تمرد الزباء ملكة تدمر على روما واعلانها الاستقلال ، وبسطها سلطانها على جميع بلاد الشام ثم غزوها مصر وبسطها سلطانها عليها واعلان ابنها وهب اللاة ملكاً عليها لفترة من الوقت في عهد الامبراطور اورليانوس (٢٨٤ـ٢٨٧) مما سوف نبسطه في سياق تاريخ الجنس العربي في دور عروبته الصريحة قبل الاسلام . ومما يروى (٢) ان قبائل بليا العربية التي كانت نازلة على تخوم مصر الشمالية (الدلتا) قد ساعدت الزباء في حركتها هذه

---

(١) الكافي ج١ ص ٢٤٢

(٢) تاريخ مصر الى الفتح العثماني للاسكندروسفيدج ١ص١٣٥

ومن هذا القبيل أيضاً غارات قبائل عربية على شرق الصعيد بعد هذا الزمن بقليل أي عهد دقليانوس (٢٩٧ـ٣١٥) (١)

وينطوي في هذا وذاك صورة لما كان وظل يجري من التموج العربي قبـل الاسلام في اتجاه وادي النيل من شماله وجنوبه ونجاح الموجات العربية في التسلل والتوطن فـيه حيناً بعد آخر .

ولقد كان جاء الى مصر من فلسطين جماعات كبيرة من اليهود وتوطنت أكثريتهم في الاسكندرية في اثناء حكم الدولة السلوقية اليونانية وتنافسها مـع دولة البطالسة على بلاد الشام وفلسطين ، ثم بعد ما ضربهم طيطس في القرن الاول بعد الميلاد ضربته القاصمة عـلى ما سوف نشرحه في الجزء التالي ، فكانوا من حين لآخر يصطدمون مع اليونانيين تارة ومع المصريين تارة ويقع بينهم الاشتباكات الدموية . وكانوا يقسون في خصومهم حينما يتغلبون عليهم كما يتعرضون بسبب ذلك للتنكيل الشديد من الساطات الرومانية .

ولقد كان هذا منذ عهد مبكر من الحكم الروماني في عهد طيباريوس ١٤ ب م ـ ٣٩ ب م حتى لقد تمكن اليهود من قتل نائبه . ثم تكرر في عهد قلودوس ٤١ـ٥٤ ثم في عهد نيرون ٥٤ ـ٦٨ وطالت فتنتهم في هذا العهد امداً غير قصير وتمكنوا من قتل عدد كبير من اليونانيين والمصريين ومثلوا بضحاياهم بقسوة مما جعل الامبراطور يأتي بنفسه الى مصر ويضربهم ضربة قاصمة لم يفيقوا من شدتها إلا بعد أربعة قرون على ما سوف نذكره بعد (٢) .

ومما روي من احداث حسنة تمت في مصر في عهد روما اتساع نطاق العلم وتحسن حالة المدارس ، وانشاء مدرسة عالية في الاسكندرية في زمن قلودوس وتخفيف الضرائب وانشاء القناطر واصلاح الري وتنشيط الحركة الاقتصادية في زمن تراجان (٩٨ـ١١٧) ثم في عهد ادريانوس (١١٧ـ١٣٨) وتيتوس الطينوس (١٣٨ـ١٦١) ومرقوربلس (١٦١ـ١٨٠) ودقليانوس (٢٩٧ـ٣١٥) برغم ما كان من اضطهاد رهيب في زمن هـذا ضد نصارى مصر .

- ٧ -

ولقد تولى قسطنطين الكبير الملك بالمشاركة مع غيره اولا بعـد دقليانوس ثم انفرد بالسلطان ثم انشأ القسطنطينية واتخذها عاصمة له بسبب المقابلة السيئة التي قابلت روما بها تنصره

---

(١) تاريخ مصر الى الفتح العثماني للاسكندري وسفيدج ١ ص ٣٥
(٢) الكافي جـ ١ ص ٢٤٧ ـ ٢٦٠

ثم انقسمت الامبراطورية الى شرقية وغربية فكان ذلك بدء الدور الثاني الذي تقلبت فيه أحوال مصر على ادوار شتى حسب تقلب القياصرة والولاة ايضاً عـلى نحو ما كان الامر عليه في الدور الاول ، مع التنبيه على ان هذا الدور كان اقل حيوية ونشاطاً في مجال العمران والانشاء مع مشابهة له في التناحر والتنافس على الحكم ، وتميزه عنـه كذلك في الدسائس والحياة المترفة التي كانت تصل الى حد السفه، وكان يصل الامر الى ارتقاء اشخاص تافهين في مراكزهم وعقولهم الى العرش نتيجة لذلك . وقد كان للنساء يد طولى في هذه الحالة التي ألمت بالدولة في مختلف الظروف كما كان للرشاوى سوق رائجة فيها . وكان هذا يؤدي في ظروف كثيرة الى ارتباك شؤون الدولة والتفكك بين الاقـاليم والمراكز وتوطد النظام الاقطاعي وممارسة ولاة الاقاليم الحكم في نطاقه، وان لم يندر مع ذلك بروز بعض امبراطرة نشطوا في سبيل توسيع رقعة الدولة وتنظيم شؤونهـا ، وكان جوستينان ٥٤١ـ٥٧٩ ق م ابرزهم ، حيث كان ذا شخصية قوية ونشاط كبير في مختلف المجالات وقد اشتهر خاصة بتنظيم القوانين حتى صارت مجموعته من اسس التشريعات المدنية ومرجعها في القرون الوسطى والاخيرة ، ومنهم هرقل آخر الامبراطرة الروم الذين حكموا مصر وبلاد الشام .

ولقد كان قسطنطين الكبير حازماً مصلحاً ومحباً للعلوم والفنون فأدخل تحسينات كثيرة علي جهاز الدولة ونظمها وجيشها، وازدهرت العلوم والفنون والحركة الاقتصادية في عهده في مختلف انحاء المملكة ومن جملتها مصر .

ولقد تنصر قسطنطين سنة ٣٢٧ ب م لرؤيا رآها اثناء منازعاته وحروبه التنافسية على الحكم حيث راى على ما روى علامـة الصليب مكتوباً عليها « انك تنتصر به » فانتصر فتنصر فدخلت النصرانية منذئذ في دور جديد فعال ادى الى انتشارها انتشاراً واسعاً في الامبراطورية وفي جملتها مصر واندثار الوثنية فيها في النهاية .

وقد اصدر مرسوماً بإباحة التنصر وكان ذلك محظوراً وجعل النصارى تحت حمايته ، وأبطل عيد الزهرة وهدم هياكلها وامر ببناء الكنائس وتكسير الاصنام . وكان النصارى قبله يمارسون عبادتهم في المغاور والسراديب

ولم يستقبل اليهود تنصر قسطنطين بارتياح بل ظهر منهم تمرد وجموح ؛ فأدي ذلـك الى اضطهادهم من قبل عماله في مصر واكراههم على التنصر وقتل كثير مـن الممتنعين وتشرد جماعات كبيرة منهم .

ولقد تعرضت النصرانية لمحنة شديدة في زمن يوليـانوس ٣٤٠ ـ ٣٧٧ ب م بسبب

ارتداده عن النصرانية إلى الوثنية فجنح إلى اضهاد النصارى ومناوأة النصرانية . وقد اعتزت في عهده الديانة المصرية القديمة وعبادة العجل وأخذ أصحابها يتعرضون للنصاري بالاذى .

على ان هذه الفترة لم تطل حيث ثبت خليفته يويانوس في نصرانيته فرفع عنها ما ألم بها فعاد إليها اعتزازها الذي غدا نهائياً في عهد طيودوسيوس الاكبر (٣٩٢–٤٠٩) حيث حظر هذا الملك الديانة المصرية القديمة وأمر باغلاق هيا كلها ومعابدها وأوجب أنلايكون في مصر إلا النصرانية ؛ فأخذ أتباع الديانة القديمة يتوارون وينقصون إلى أن امحى أثرهم .

– ٨ –

حروب الرومان مع الفرس وآثارها في مصر

ولقد كان النزاع والحروب تتجدد بين الرومان والفرس امتداداً لما كان بين هؤلاء واليونان الذين خلفهم الرومان في أوربا ثم آسيا الصغرى وبلاد الشام ومصر وكان ذلك في عهد حكم روما ثم في عهد حكم القسطنطينية .

وكانت الايام تتداول بين الفريقين ، فيكتب النصر للفرس حيناً فيفرضون جزيتهم وشروطهم ويقتطعون ما يقدرون عليه مما هو في نطاق سلطان الرومان في آسية الصغرى وجزيرة الفرات وبلاد الشام ، وتدور الدائرة عليهم حيناً فيكون للرومان فرصة الجزية والاقتطاع .

وقدظلت مصر في منأى من آثار هذا التشاد إلى عهد فوقاس (٦١٦–٦٢٤) حيث انتصر الفرس بزعامة ملكهم ابرويز انتصاراً كبيراً على الرومان ـ الذين كانوا يسمون منذ انفراد الامبراطورية الشرقية في القسطنطينية بالروم البيزانسيين على ماذكرناه قبل ـ واحتل الفرس. نتيجة لذلك بلاد الشام ثم مصر فترة قصيرة فنشط هرقل الذي خلف فوقاس (٦٢٤–٦٤١) نشاطاً عظيما وأخذ يثير نعرة النصارى الدينية ولا سيما ان اليهود عاونوا الفرس ودلوهم على المكان الذي يقولون ان المسيح صلب ودفن فيه وجعلوهم ينبشونه ويأخذون منه خشبة الصليب المدفونة فيه فأدى هذا إلى شيء من رد الفعل تمكن به هرقل من اجلاء الفرس عن بلاد الشام ومصر بل وغزوهم في عقر دارهم وتسجيله النصر عليهم واسترداده خشبة الصليب منهم وفرض الصلح عليهم بشروط شديدة .

حركات اليهود

ولقد كانت الضربة التي أنزلها تراجان باليهود قاصمة كما قلنا ناموا منها طيلة بقية حكم روما وردحاً من حكم القسطنطينية . وفي عهد مرقانوس ٤٦٤ ـ ؟ اقاموا حفلا دينياً عظيما في الاسكندرية بمناسبة عيد الفصح وصلبوا جسما على مثال المسيح فثار النصاري واشتبكوا معهم ثم بعث مرقانوس حملة انزلت فيهم ضربة شديدة وافحشت فيهم قتلا وتدميراً . فناموا نومة أخرى . ثم تحركوا هم والسامريون الذين يشتركون معهم في الدين في زمن الامبراطور جوستنيان(٥٢٧ـ٥٦٧) فنكل بهم تنكيلا شديداً وأكره كثيراً منهم على التنصر. وتحركوا ثانية في الاسكندرية في عهد فوقاس (٦١٦ـ٦٢٤) وأثاروا فتنة شديدة فسارع هذا الملك ألى التنكيل بهم واكراه كثير منهم على التنصر . ولم يلبث فوقاس ان اشتبك مع الفرس فدارت الدائرة عليه واحتل هؤلاء بلاد الشام ومصر كما قلنا فساعدهم اليهود واغتنموا الفرصة فقاموا على النصارى في مصر وفلسطين وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وهدموا كثيراً من كنائسهم ونهبوا كثيراً من أموالهم . فلما انتصر هرقل على الفرس وأجلاهم عن بلاد الشام ومصر انتقم النصارى من اليهود انتقاماً شديداً ، وحرم القيصر على اليهود سكنى أورشليم .

وهكذا كان العداء على أشده بين النصارى واليهود قبيل الفتح الاسلامي . وهو يفسر لنا ما كان من اشتراط نصارى القدس بعدم إسكان اليهود إلى جانبهم حينما وافقوا على تسليم المدينة الى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكتب لهم عهده بذلك .

المقالات والمجامع النصرانية وآثارها

ولقد رافق اباحة التنصر ظهور مقالات متنوعة في النصرانية ؛ واستمر هذا طيلة عهد الرومان تقريباً . وكان ينتج عنه فتن واضطهادات ؛ وينعقد بسببه مجامع مقدسة آناً بعد آن .

وقد عقد أول هذه المجامع في عهد قسطنطين بالذات في مدينة نيقية بسبب مقالة قال بها راهب مصري اسمه اريوس حيث قال « بما ان الأب كان قبل الابن ثم حدث الابن وهو كلمة له وهو محدث وتجسدت الكلمة في مريم فصارت المسيح فهو مخلوق . وقد فوض الأب اليه كل شيء فخلق السماوات والأرض وما فيهما » . فأعلن بطرك النصارى الذي كان مركزه الاسكندرية حرمان هذا الراهب ومنعه من دخول الكنيسة ، فذهب الى القسطنطينية مع اسقفين كانا على رأيه ليشكوا البطرك لقسطنطين فأمر هذا باحضار البطرك وجعله يتناظر

مع اريوس ؛ واستصوب قسطنطين حجج البطرك وأيد حرمان اريوس ثم امر بجمع الأساقفة من جميع الامبراطورية فاجتمعوا في مدينة نيقية وكان عددهم (٢٣٤٠) وهناك ظهرت آراء متنوعة في المسيح وماهيته ، حيث كان من يقول : ان الاب والابن بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة اخرى فلم تنقص الاولى بانفصال الثانية ، ومن يقول ان مريم لم تحمل تسعة أشهر وانما مر المسيح بأحشائها مرور الماء بالميزاب ، ومن يقول ان المسيح بشر مخلوق اصطفاه الله فسماه ابنه وان الله واحد قيوم ؛ ومن يقول ان المسيح وامه إلهان ، ومـــن يقول ان الله خلق الابن وهو الكلمة في الازل روحاً طاهرة مقدسة مجردة ثم خلق المسيح في آخر الزمان من احشاء مريم فاتحد الابن المخلوق في الازل بالانسان المسيح ، ومـــن يقول : ان الابن مولود قبل الدهر وهو جوهر من نور وانه اتحد بالانسان المأخوذ من مريم فصار واحداً وهو المسيح . وكان القول الاخير رأي أكبر الكتل من الاساقفة وكان رؤساء هذه الكتله بطاركة الاسكندرية وأنطاكية والقدس ؛ فتقرر نبذ جميع المقالات التي تخالف هذا القول وحرمان من لم يرجع اليه ؛ ثم ركزت العقيدة النصرانية ووضعت أنظمة الكنيسة في المجمع فصارت أساساً للنصرانية (١) .

على ان مقالة اريوس عادت فظهرت في عهد قسطنطين الثاني وسادت في مصر وانطاكية والقسطنطينية ومال اليها قسطنطين الثاني واخذ يحمل الناس عليها .

ولما تولى طيودوسيوس (٣٩٣ـ٤٠٩) امر بطرك الاسكندرية بالتزام قرارات نيقية فصدع بالأمر فثار نصارى مصر على البطرك لأن جمهرتهم كانت اريوسية ففر فأقاموا بدلا منه بطركا اريوسياً ، وثار انصار البطرك الاول بدورهم على هذا البطرك واستطاعوا ان يخلعوه ويعيدوا بطركهم فثار الاريوسيون ثانية وتمكنوا من خلع هذا واعادة بطركهم مرة اخرى . وجاء اسقف انطاكية بمرسوم من الملك بتثبيت الاريوسيين في النهاية .

وفي زمن ارقاديوس ٤٠٩ـ٤٢٢ وهو أول امبراطور انفرد بامبراطورية الشرق ظهرت مقالة جديدة قال صاحبها « ان روح القدس مخلوق » فانعقد في القسطنطينية مجمع مقدس ثان اعلن حرمان صاحب المقالة واكد العقائد والقوانين التي اقرها مجمع نيقية وكانت الصيغة التي وضعها هذا المجمع هي « نؤمن بالروح القدس الرب المسيحي المنبثق من الاب » وقد حرم المجمع زيادة شيء عليها او انقاص شيء منها .

وفي زمن مرقـــانوس (٤٦٤ـ٤٨٥) ظهرت مقالة جديدة قالهـــا بطرك الاسكندرية

---

(١) الكافي ج ١ ص ٣١٩ـ٣٢٠

(يقورورس) وهي ان المسيح جوهر من جوهرين ومشيئة من مشيئتين وطبيعة من طبيعتين وكان رأي الامبراطور وجمهور الاساقفة ان للمسيح طبيعتين وجوهرين ومشيئتين فعقد مرقانوس مجمعاً وأحضر البطرك وناظره ثم أعلن حرمانه واهين وعزل واقيم مقامه بطرك على رأي الجمهور . غير ان مقالة ديسقوروس لم تزل لأنه كان في مصر جماعة كبيرة تقول بها وظلت قائمة مستقرة حتى انها غدت مقالة اكثرية نصارى مصر . وقد عرف أتباعها باليعقوبيين لأن اسم ديسقوروس قبل تعيينه بطركاً كان يعقوب ، وقد سرت هذه العقيدة إلى بلاد الشام أيضاً فصارت عقيدة الغالبية النصرانية فيها من العرب الصريحين وانسال الموجات العربية القديمة الكنعانية والآرامية والسورية .

وقد عرف مذهب المشيئتين والطبيعتين بالمذهب الملكاني لأن قياصرة الروم كانوا عليه على الاكثر . وصار كل ما أمكن يقوم في مصر وبلاد الشام بطركان واحد يعقوبي وآخر ملكاني . وكان اليعاقبة وبطاركتهم يتعرضون للاضطهاد والتشريد اذا تولى الامبراطورية شخص متعصب للملكانية ويتمتعون بالحرية حينما يتولى شخص متسامح (١) .

وفي زمن الامبراطور زينون (٤٨٩ــ٥٣٢) صدر مرسوم بجمع النصارى في نطاق اتحاد عام وهو الذي عرف بالكاثوليكية . غير ان كثيراً من النصارى لم يقبلوا الاندماج ، وهم الذين عرفوا بالارثوذكس اي الاصلاء رغم ما تعرضوا له من تنكيل زينون واضطهاده . ومنذئذ تميز النصارى فريقين فريقاً في نطاق الكاثوليكية وآخر في نطاق الاثوذكسية ، بالاضافة الى ما كان من الانقسام العقيدي اليعقوبي والملكاني .

ولقد اعتزت اليعقوبية في زمن زينون ، وكذلك في زمن يوسطينوس الذي تولى بعده (٥٣٢ــ٥٤١) والذي كان يقول بها : وقد كتب بطرك القدس اليه ينصحه بالارتجاع عن هذا المذهب فغضب وامر بنفي البطرك فما كان من بطاركة المذهب الملكاني الا ان اجتمعوا واعلنوا حرمان الملك . ولم تطل المدة له للانتقام حيث مات على اثر ذلك، وتولى جوستنيان

---

(١) هذا مقتبس من الكافي جـ ٢ ص ٣٥٥ وفي كتاب لبنان الطائفي لانيس الصائغ ص ٤٤ ان تسمية اليعاقبة هي نسبة ليعقوب البردعي احد اساقفة السريان في سورية والسريان هم آراميون اصلا . ولقد يسمى مذهب المشيئتين بالمذهب النسطوري نسبة الى راهب سوري اسمه نسطور ظهر في القرن الخامس وكان يقول ان الانسان الذي تجسد في جسم العذراء هو غير كلمة الله فالتجسد هو حلول كلمة الله في ذلك الانسان . وهذا يعني ان الله لم يولد ولم يمت وان المسيح ليس الها بل هيكلا لله وان فيه اقنومين واحد الهي وآخر بشري – لبنان الطائفي لانيس صائغ ص ٤٢ – ٤٣ – وبين مقالة نسطور والمقالة الملكانية توافق ما من حيث القول ان المسيح مشيئتين وطبيعتين . ومن هذا سمي هذا المذهب بالنسطوري ايضاً على ما هو المتبادر .

مكانه (٥٤١ـ٥٧٩)

وقد ظهر في زمن هذا الامبراطور راهب عرف باسم يوحنا النحوي بمقالة جديدة وهي « ان الاب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة وثلاثة طبائع وجوهر واحـد » وظهر راهب آخر اسمه يوليان بمقالة اخرى وهي « ان جسد المسيح نزل من السماء لأنه لطيف روحاني لا يقبل الالم الا عند مقارفة الخطيئة وهو لم يقترف خطيئة ولذلك لم يصلب حقيقة ولم يتألم ولم يمت وان كل ما صار له من ذلك خيالي . وكان ظهور المقالتين سبباً لانعقاد مجمع مقدس قرر حرمان اصحابهما .

وفي ايام جوستنيان وثب اليعقوبيون في الاسكندرية على البطرك الملكاني فقتلوه ونصبوا مكانه بطركاً منهم فأرسل الامبراطور قائداً جمعهم وأنذرهم بترك اليعقوبية فهموا برجمه فأعطى اشارة متفقاً عليها للجند فوضعوا فيهم السيف وأفحشوا فيهم قتـلا حتى روي ان عدد القتلى منهم بلغ مئة الف ، واستولى الملكانيون على كنائسهم .

ولقد اشتد جوستنيان ضد اليعاقبة بعد ذلك على ما كان عليه من عقل وتنظيم وتشريع فأصدر اوامره بطردهم من الجيش والوظائف والتضييق عليهم واجبارهم على ترك مذهبهم واعتناق المذهب الملكاني ، فكان ذلك مؤدياً الى تشرد جماعات كبيرة منهم والى اتخاذهم دير منقاد بوادي هبيب كرسياً لبطركيتهم ، واستمر هذا كذلك الى الفتح الاسلامي .

على ان المذهب اليعقوبي عاد فاعتز في مصر في زمن طيبريوس قسطنطين (٥٩٢ـ٦٩٦) ثم في زمن خلفه مريقوس (٥٩٦ـ٦١٦) حتى ان الاول هم بأن يجعله المذهب العام لولا انشغاله بالحرب التي نشبت بينه وبين الفرس . ثم عاد امره الى الانتكاس في زمن فوقاس (٦١٦ـ٦٢٤) وتعرض أتباعه لاضطهاد رهيب حتى وصل الامر الى ان صار يقتل بطاركتهم بل ويحرقون في ما روته الروايـات القديمة . وظـل أمرهم كذلك الى الفتح الاسلامي (٧٤١ بم) وكانت ذلك من أسباب ما بدا من جمهرة نصارى مصر وهي يعقوبية من ترحيب بجيوش الفتح ومساعدة لها .

ولقد كان الروم وخاصة في القرن السادس قد اخذوا يشتدون في فرض الضرائب وجباية المال حتى اصبح عمال الدولة ولا هم لهم في مصر إلا جمع المال لخزائن الامبراطور وحاشيته وجعل السيادة المطلقة (١) للمذهب الملكاني فكان هـذا وذاك ممـا يثير في نفوس جمهرة المصريين الحقد والبغضاء ضد الرووم فكان كذلك من عوامل ما بدا منهم مـن ترحيب

---

(١) تاريخ فتح العرب لمصر تعريب ابي حديد ص ٣

وتعاون .

ولقد حاول هرقل (٦٢٦ـ٦٤١) التخفيف والتوفيق غير ان محاولاته لم تثمر ولم يكن من شأنها ازالة شعور البغض والحـــقد الذي تأصل في النفوس وتغذى بالشدة والاضطهاد والدماء .

وهرقل هذا آخر قياصرة الروم الذين حكموا بلاد مصر والشام وهو الذي أرسل الينا النبي العربي محمد بن عبد الله عليه السلام كتابا مـــع رسول خاص يدعوه ويدعو قومه الى الاسلام ، ثم هو الذي قدمت في عهده جيوش الفتح الاسلامي الى بلاد الشام ومصر كموجة صريحة العروبة فقوضت حكم الرومان واحلت محله السلطان العربي عوداً على بدء ، ومن ثم اخذت حلقات هذه الموجة تتلاحق فتوطد سلطان العروبة الصريحة وطابعهــا في مصر توطيد الخلود والقدسية مما سوف نبسطه في جزء آخر .

ومما لا ريب فيه عندنا ان وحدة الاصل والدم والطبائع مما ساعـــد كثيراً على اندماج المصريين وانطباعهم بهذا الطابع بسهولة ويسر ، برغم ما يمكن ان يكون وقع اثناء الفتح وبعده من حركات تعاونية مع الروم او حركات تمردية مما مرده على الاغلب التوافق المذهبي بين الروم وبين الذين كان منهم هذه الحركات ، وهم قلة بالنسبة لجمهرة المصريين الـــذين كانوا من المذهب اليعقوبي .

ولقد سلكت هذه الموجة الى مصر الطريق الشمالي الشرقي التي سلكها كثير من الموجات العربية الجنس من قبل وخاصة موجة الشاسو التي ظلت تتلاحق امداً غير قصير وكان الحكم لها في عهود مصر الاستقلالية الاخيرة ، فكان طروؤها عوداً على بدء ولكنه عود طابعه الخلود والقدسية معاً .

ومن الجدير بالذكر ان اليونانيين ومن بعدهم الرومان قضوا قرابة الف عام ٣٣٧ ـ ٦٣٨ في مصر وان الوفا مؤلفة منهم جاؤوا الى مصر وتوطنوا فيها وشغلوا حيزاً كبيراً منها وحاولوا نشر لغاتهم وآدابهم بين المصريين وطبعهم بطابعهم . غير ان هذا الجهـــد لم يثمر الثمرة التي رجوها في الجمهور المصري الذي ظل منكمشا عنهم ، معتبراً اياهم دخلاء مريبين بل انجاسا (١) في حين انهم لم يلبثوا ان تجاوبوا مع الحركة العربية الاسلامية واخـــذوا

---

(١) التاريخ العام الكبير بالتركي لاحمد رفيق ج ١ ص ١١٥ والكافي لشاروبيم ج ١ ص ٦٤٦-٦٤٧ وبرستيد ص ٣٩٠ والعقد الثمين ص ١٨٧

يعتنقون الاسلام ويندمجون في العروبة الى ان غدت هذه وذاك طابع مصر الخالد المقـدس مما فيه دلالة حاسمة علي اصالة الجنسية العربية في مصر ووحـــدة الارومة والميول والطبائع والروح بين المصريين والموجة العربية الاسلامية الكبرى ولواحقها . . واذا كان ظل في مصر لمدة ما بعض ما يمكن ان يعد استثناء او شذوذاً عن ذلك فليس من شأنه ان يخل بهذا الحكم . ومرده الى الاحداث والاعتبارات الدينية أكثر من أي شيء آخر . على ان الديانة النصرانية التي كان يدين بها المصريون قبل الفتح والتي ظل فريق منهم يحتفظ بها إلى الآن لا تخرج في نشأتها عن نطاق الجنس العربي دون غيره من النبوات والكتب والعقائد التوحيدية والوحي الالهي . ولعل في اعتناق السواد المصري الأعظم مذهبا نصرانيا مخالفا للمذهب الذي كان عليه الروم مظهراً من مظاهر عدم الاندماج واستمرار التمايز بين المصريين والروم .

الموجات العربية القديمة

ومآثرها في اثيوبيا

الموجات العربية الجنس ومآثرها في اثيوبيا
قبل دور العروبة الصريحة

– أ –

كان كلامنا منصباً الى الآن على تاريخ ومآثر الموجات العربية في الشطر الشمالي من وادي النيل إلى مصر . غير أنه شمل وتناول في ظروف واحداث كثيرة شطر للوادي الجنوبي الذي كان يشمل بلاد النوبة والسودان وبعض انحاء بلاد الحبشة والذي كان احياناً يطلق عليه اسم اثيوبية .

ومع ذلك فهناك محل لبحث خاص بهذا الشطر ايضاً وهو متناول هذه النبذة .

ان كلمة اثيوبيا التي تسمى بها بلاد الحبشة اليوم والتي كانت تطلق في احيان كثيرة على الشطر الجنوبي لوادي النيل يونانية ومعناها الوجه المحترق . وقد أطلقها اليونانيون في القديم على سكان المناطق الواقعة في جنوب القطر المصري لأن وجوههم كانت سوداء كالمحترقة من شدة الحرارة . وكانت تعني بنوع خاص المناطق التي تبتدىء من الشلال الثاني في وادي خلفا الى الجنوب . وكان المصريون إلى هذا يطلقون احياناً اسم كوش وبلاد كوش والكوشيين على اهل هذه المناطق وخاصة على بلاد النوبة والسودان ؛ وكانت التسميتان تترادفان احياناً كثيرة (١) .

ولقد كانت هذه البلاد منذ اقدم الأزمنة مباءة لهجرات متوالية من جنوب جزيرة العرب عن طريق باب المندب ؛ منها ما كان يستقر وينتشر في انحائها المختلفة وينشىء القرى والمدن والامارات ، ومنها ما كان يتجه نحو الشمال فيدخل القسم الشمالي من وادي النيل الى مصر وينتشر في مختلف انحائها وينشىء القرى والمدن والامارات .

ولقد أيد ذلك كثير من المؤرخين والباحثين على ما ذكرنا في التمهيد الذي كتبناه في مطلع هذا الجزء .

---

(١) انظر مصر القديمة ج ١٣ ص ٤٩٤ مثلا

ولقد ظل التشارك والتشاكل قائمين بين سكان اثيوبيا ومصر نتيجة لذلك ايضاً . وقد روي عن ديودور الصقلي (١) ان الاثيوبيين كانوا يقولون ان مصر مستعمرة من مستعمراتنا مما ينطوي فيه كون سكانها جاؤوا إليها من اثيوبيا ؛ وقد قال ديودور معقباً على قولهم الذي نقله إن أصل المصريين القدماء هم من بلاد العرب الجنوبيـــة نزلوا على شواطىء اثيوبيا ثم تقدموا نحو الشمال حتى دخلوا مصر فعد الاثيوبيين النازحين إلى مصر منهم . وقد جاء في كتاب الحضارة المصرية لغوستاف لوبون « ان هناك مشابهات بينة بين عرف مصر والحبشة وقوانينها ، وللملوك في البلدين لقب الآلهة والعنايـــة بالجنائز واحدة والكتابة المستعملة في الحبشة هي المستعملة في مصر ، ومعرفة الأسرار المقدسة الخاصة بالكهان في مصر كانت مماثلة لما في الحبشة ، وكان في البلدين مدارس لرجال الدين نظمها واحدة ، ولباس رجالها واحد وقواعد القداس متشابهة ؛ ويلبس ملوك الحبشة كلباس ملوك مصر ويحملون نفس شاراتهم ؛ومن اجل هذه الاعتبارات يؤكد الاثيوبيون ان مصر مستعمرة من مستعمراتهم وسكانها منهم ؛ وقد جاء في كتاب تاريخ السودان القديم للدكتور حسن كمال « إن المصريين لم ينسوا في وقت من الاوقات بلاد السودان التي كانت طريقهم الى مصر من بلاد العرب الجنوبية التي ظلت معمورة باقوام من جنسهم المتحد معهم في العادات والتقاليد واللغة . ومما قاله هذا المؤلف ان سكان بلاد السودان والحبشة خليط من العناصر . غير ان الابرز والاغلب هو العنصر السامي الآتي من جنوب بلاد العرب أي العنصر العربي حسب اصطلاحنا . وكل ما هنالك انه كان يطرأ على البلاد قبل طروء العرب وبعده عناصر زنجية كانت تمتزج بالقادمين من جزيرة العرب فكان من ذلك السحنة الاثيوبية الخاصة .

ولعل فيما ظل بطرأ على اثيوبيا ــ السودان والحبشة ــ من قبائل صريحة العروبة منـــذ الفتح الاسلامي الى الآن كان معظمها يجيء من جنوب جزيرة العرب الى الساحل الافريقي ويستعمر مختلف انحائها وينشيء القرى والمدن فيها على ما سوف نسهب فيه في جزء آخر من اجزاء الكتاب دليلا حياً مستمراً على ذلك .

وفي السودان والحبشة اليوم وهما معظم ما كان يسمى اثوبيا مئات من المدن والقرى والانهار والجبال والاقاليم ما تزال اسماؤها تحمل اللمحة العربيـــة القديمة السابقة للاسلام والعروبة الصريحة يمكن ان تكون دليلا حياً على ذلك .

وهذه جملة مما في اقليم السودان مقتبسة من الجزء الاول من كتاب تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته لنعوم شقير (ص ٧٦ ــ ١١٠) :

---

(١) تاريخ السودان القديم لحسن كمال ص ٥

ابريم - اردوان - ارقو - ايوقس - ام بقول - ام درمـــان - ابو هرار - ام شنقه - ابو خراز - ابو دليق - برقل - بلل - بربر - بجراوى - بارى - بارو - بربى - تنزه - تنقاس - توتى - التيب - ترنكتات - جبل تعلى - جنس - جبل قبا - جبال شنقول - جبـــل الداير - جبل كدارو - جبل الدلن - جلفا - جلفايه - حنك - حلة كزبكان - حلة برتى - حلةسوبى - حلايب - حرطوم - خورس - خندق - دبور - دكا - در - دنقله - دبه - ديكه - دفا - دقايات - دامر - دهلك - دارقور - داره - رنقه - الرنق - رصيرص - سواكن - سبوع - سمنه - سكوت - سرس - سنار - سيت - سنكات - سنورس - سنوط - شندى - شعلى - شامبى - شكا - صلب - صنم - طوكر - عمده - عبرى - علفون - فريج - فرص - فركه - فامكه - فاشوده - فاشر - قبزان - قطينه - قضارف - كلكل - كسلا - كلابشه - كوبان - كوبان - كورسكو - كوشه - كويكه - كوكى - كدين - كورى - كركوج - كوه - كاكا - كوبى - كتم - لادو - مروى - مصوع - مصوع - لليط - ناوى - واو - ودعه - وديم - هرر .

وهذه جملة ممـــا في اقليم الحبشة مقتبسة مـــن كتاب الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان للقنائي :

اجو - اوجر - ايفات - داغوا - الومبا - اطبى - ألمو - ارا - ارابيني - احساء - اباي - اديبو - اباجرات - ابا طحمى - اسانا - اسنجا - انباسيتى - اديس ابابا - اكسوم - باركا - بالى - بواهات - بربره - تاجوره - تاباوا - تجرو - تكازه - تبنين - تعزاز - جالا - جبرته - جماباجنار - جيرة - جما - جنجر - حماسين حرمات حنطالو - ححيله - دنبعه - داغولا - دبره - دامو - داو - دوارو - داره - داويلا - دالتا - زاتا - زبول - زيلع - سراوى - سحرتى - سرايا - سرو - سمين - سيناقى - سميان - شخرتا - شرحا - شوا - صومال - صويره - عطبره - عدوه - عقبطلى - عزمو - عقب مرعى - عرقبا - غندر - فايت - فرسماوى - قوراقى - قجت - قدور - قومه - قه - كوكو - كنا - ليقا - لستا - مارب - مجدلا - نونو - ناصع - واوا - وفات - وشلو - وجرات - ورعى - ورتا - هديه - هاواس .

- ٢ -

اتصال تاريخ اثيوبية بتاريخ مصر

وتاريخ اثيوبيا متصل بتاريخ مصر وداخل فيـه ، لأن المملكة المصرية كانت وظلت

منذ أقدم عهودها مهتمة اهتماماً كبيراً بهذه البلاد ، تحفزها الى ذلك حوافز متنوعة عسكرية واقتصادية .

فقد كانت القبائل دائبة الحركة والتسلل من الجنوب إلى الشمال ، وكان ملوك مصر دائمي الانتباه والعمل لصدهم ووقاية العمران المصري من تخريبهم ، فكانوا دائبين على بسط سيطرتهم العسكرية على أبعد ما يمكن من الجنوب واقامة التحصينات والحاميات فيه لتأمين هذا الغرض . ثم اكتشفوا مناجم ذهب ونحاس غنية فيه ثم مقالع للحجارة الصلبة التي يحتاجون اليها من منشآتهم فاشتد اهتمامهم له وحرصهم على السيطرة عليه وتعبيد الطرق اليه منذ عهد مبكر . وكثيراً ما كان يقع الصدام بين ملوك مصر وأهل هذه البلاد الذين كانوا يتمردون على سلطان مصر كلما سنحت لهم الفرصة ، وكثيراً ما كانوا ينجحون في التسرب إلى مصر بهدوء حيناً وبعنف وقوة حيناً وقد نجحوا أكثر من مرة في فرض سلطانهم عليها مما أوردنا أحداثه في سياق سيرة الأسر المصرية في مختلف الادوار فلا نرى حاجة الى تكراره .

– ٣ –

وأول انفصال تاريخي بين مصر وبلاد كوش او اثيوبيا كان بعد انهيار حكم الأسرة الخامسة والعشرين الاثيوبية عن مصر . وآخر ملك حكم مصر منها هو تانو آمون . وقد ارتد عن مصر الى بلاده نتيجة لغلبة الاشوريين وحلفائهم زعماء الشمال على ما شرحناه في سيرة هذه الأسرة . وقد عاد هذا الملك الى نباتا التي كانت عاصمة الاسرة في بلاد كوش ومارس السلطان فيها مستقلا عن مصر . وخلفه من الاسرة ثمانية ملوك هم :

١ـ اتلانرسا	وهو ابن الملك طهراقه	ومدة حكمه من	٦٥٣ الى ٦٤٣ ق م
٢ـ سنكامانسكن	وهو ابن اتلانرسا	»	٦٤٣ـ٦٢٣
٣ـ انلامانى	وهو ابن سنكامانسكن	»	٦٢٣ـ٥٩٣
٤ـ اسلبتا	» » »	»	٥٩٣ـ٥٦٨
٥ـ امتالتا	» » اسبلتا	»	٥٦٨ـ٥٥٣
٦ـ مالنافن	» » امتالتا	»	٥٥٣ـ٥٣٨
٧ـ انالمعانى	ولا يعرف صلة بمن سبقه	»	٥٣٨ـ٥٣٣
٨ـ امانى نتكاى	» » » » »	»	٥٣٣ـ٤١٣

واحتمالات نسبة هؤلاء الملوك الى الجنس العربي واردة لأنهم من نفس الأسرة السابقة التي وردت فيهم هذه الاحتمالات على ما ذكرناه في سياق سيرتها . واللمحة العربية القديمة ملموحة ايضاً على هذه الاسماء كما كانت ملموحة على اسماء السابقين .

ولقد عقد سليم حسن الذي نقلنا من كتابه الاسماء نبذة لكل منهم (١) ذكر فيها ماعثر عليه من آثارهم التي تحمل اسماءهم وألقابهم . ويفيد سياقه ان امرهم عرف في الدرجة الاولى من مقابرهم التي كشفت حديثاً في منطقة نباتا وان الملوك الثمانية ظلوا يتلقبون بالالقاب الفرعونية الملحق بها مقاطع رع وآمون وان الاربعة الاولين منهم ظلوا يعتبرون أنفسهم ملوك الوجه القبلي والبحري ويسجلون ذلك في آثارهم ؛ وان التقاليد الدينية والحكومية المصرية ظلت جارية في عهدهم ، وان بعضهم حاول في زمن بسماتيك الثاني احد ملوك الأسرة السادسة والعشرين غزو مصر على ما تفيده نقوش لوحة عثر عليها في الكارناك تذكر خبر حملات قادها هذا الملك ضد زحف أو غزوة من بلاد كوش (٢) وحكم هذا الملك يصادف حكم سنكامان سكن وانلاماتي ثاني وثالث هؤلاء الملوك . غير انه لم يعثر في مدوناتهم وآثارهم على شيء من ذلك .

ولم يرو سليم حسن شيئاً هاماً من سيرة الاول والثاني والخامس والسادس والسابع والثامن عدا ما عثر عليه لهم من آثار متنوعة وغير هامة . وقد ذكر لوحة لثالثهم سجل عليها خبر حملة سيرها على بلاد سماها بولهو – وفسرها المؤلف ببلاد البجا وهي بلاد كوش – فانتصرت وقتلت وسبت وغنمت ، ومما سجل على اللوحة ايضاً خبر هبته اخوات اربع له ليكن لاعبات بالصاج في معابد آمون

وذكر كذلك خبر عدة لوحات لرابعهم في واحدة منها تسجيل حفلة انتخابه ملكاً . وقد ذكر فيها ان آمون رفض المرشحين للملك ما عداه واعلن فسارع القواد والموظفون الى السجود له والدعاء بحياته ، وانه اقام اعياداً على شرف آمون ووزع الهدايا على كهنته . والخبر يدل على ماكان لآمون وكهنته من نفوذ وعلى ان نظام الارث في الملك لم يكن موطداً حيث كان امراء الاسرة من ابناء الملك واخوته يترشحون للعرش بعد وفاة الجالس عليه ويجعلون آمون أو بالاحرى كهنته حكما بينهم . وفي لوحة ثانية تسجيل وقف وتخصيصات معينة من الملك لمعبد آمون رع بوصفه ثور النوبة واسماء عدد من الموظفين والكهان كشهود

---

(١) مصر القديمة ج ١٢ ص ٤٧٨–٥١٥

(٢) مصر القديمة ج ١٢ ص ٤٥٥–٤٧٨

ومنفذين . ومن الأسماء التي وردت في اللوحة رومى آمون تارو هاك نن المشرف على خزينة بيت الفرعون ونبوتو المشرف على خزانة الفرعون ... ولوحة ثالثة لهذا الملك اقامها تذكاراً لموت أحد أمراء الاسرة واسمه خليوت فيها ادعية وصلوات ومشهد جنازي وتقريرات عن لسان الميت بحسن سلوكه فهو لم يسرق ولم يجرم ولم يقتل ولم يأخذ رشوة ولم يضر فقيراً ولم يتصل بامرأة متزوجة ولم يحكم باطلا وانه سار على طرق الآلهة وابتعد عن لعنتهم .

ولقد ازدهرت نباتا في ظل هذه المملكة وكانت على جانب عظيم من المدنية والعمران على ما تدل عليه آثارها على ما نوه به نعوم شقير في كتابه تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته (١) .

— ٤ —

ولقد كتب سليم حسن في الجزء الثالث عشر من كتابه نبذة بعنوان تاريخ بلاد كوش من بداية العهد الفارسي في مصر الى فتح الاسكندر جاء فيها فيما جـــاء (٢) ان المحتمل ان تكون العاصمة تحولت مـــن نباتا الى مدينة مرو في عهد الملك انلاماقى وان هـــذا التحول يعد كعهد جديد في تاريخ بلاد كوش حيث اخذت مرو بدورها تزدهر وتعظم على ماتدل عليه الآثار الكثيرة الفخمة التي عثر عليها فيها ، وانه تولى الحكم فيها بعد اماني تتكاي ابتى احد عشر ملكاً وهم :

١ـ كاركاماني	ومدة حكمه من سنة ٥١٣ الى ٥٠٣ ق.م	
٢ـ اماني استابارقا	» » »	٥٠٣ـ٤٧٨
٣ـ سيعا سبيقا	» » »	٤٧٨ـ٤٥٨
٤ـ ناساخما	» » »	٤٥٨ـ٤٥٣
٥ـ مالو يباماني	» » »	٤٥٣ـ٤٢٣
٦ـ تانخاماني	» » »	٤٢٣ـ٤١٨
٧ـ اماني نيتي يريكي	» » »	٤١٨ـ٣٩٨
٨ـ باسكاكرنن	» » »	٣٩٨ـ٣٩٧
٩ـ حرسيوتف	» » »	٤٦٢ـ٣٥٩
١٠ـ اخراتان	» » »	٣٤٢ـ٣٢٨
١١ـ نستاسن	» » »	٣٢٨ـ٣٠٨

(١) ج ٢ ص ٢٢٥و٢٣

(٢) ص ٤٩٤ — ٥٧٠

ولا يذكر سليم حسن شيئاً عن ارومة هؤلاء الملوك. واللمحة العربية القديمة ملموحة على اسمائهم ايضاً مما ينطوي فيه احتمال نسبتهم الى الجنس العربي الذي كان دائم التموج والتسرب الى هذه البلاد .

ولقد كتب هذا المؤلف نبذاً في سيرة كل منهم ذكر فيها مّا عثر عليه من آثارهم وما افادته نقوش بعضهم من احداث .

ولقد كشفت مقابرهم ايضاً فكان ذلك مما ساعد على العلم بهم . والمستفاد اجمالا من الآثار والنقوش انهم ظلوا يصطنعون الاشكال الهرمية ؛ وساروا على شكل طريف في وضع ادوات معدنية وخزفية وخشبية متنوعة في أسس اركان اهراماتهم الاربعة ن جملتها عظام ثور وهواوين ومدقات ومدلكات وطواحين وكؤوس وأقداح الخ ...

وكانوا يكتبون اسماءهم والقابهم في طغراآت وكانوا يتلقبون بألقاب فرعونية ويصفون أنفسهم بوصف ملوك الوجه القبلي والوجه البحري كسابقيهم ويجرون في عقائدهم وتقاليدهم على قواعد العقائد والتقاليد المصرية ويعظمون خاصة امون رع ويسمون أنفسهم بأبنائه ومحبوبيه .

وقد قال المؤلف انه لا يعرف صلة اولهم وثانيهم وثالثهم ورابعهم ببعضهم ولا بسابقيهم وان من المحتمل ان يكون خامسهم ابن ناساخا (رابعهم) وان يكون سادسهم وسابعهم وثامنهم من ابناء مالويباماني وان يكون تاسعهم ابن اماني نيتي (سابعهم) وان يكون عاشرهم وحادي عاشرهم من ابناء حرسيوتف (تاسعهم) .

وقد توسع في سيرة اماني نيتي (سابعهم) وفي سيرة خرسيوتف (تاسعهم) وفي سيرة نستاسن (حادي عشرهم) بسبب نقوش عثر عليها لهم .

ومما جاء في سيرة اماني نيتي (١) انه عثر له على نقش طويل يذكر فيه خبر تمرد قبيلة اسمها رهرهرس على اثر موت اخيه ومبايعته بالملك . وقد قاد حملة زحف بها عليهم وتمكن من ضربهم وقتل واسر عدد منهم وتشتيت باقيهم واستولى على مقادير كبيرة من مواشيهم. وفي النقش أيضاً خبر رحلة قام بها الملك الى الجبل المقدس في نباتا لأداء الشعائر لوالده امون رع رب عروش الارض وتلقي التاج من يده ، ثم اقام وليمة عظيمة بهذه المناسبة ووزع كثيراً من ملابس كتان الوجه القبلي والبحري . كذلك في النقش خبر معركة بينه وبين قوم البهجا انتصر فيها ؛ وخبر فيضان عظيم للنيل احدث بعض الاضرار ، وقد بذل في سبيل

---

(١) مصر القديمة ج ١٣ ص ٥١٤–٥٣٠

إصلاح آثاره جهوداً كبيرة . وقد وصف الملك نفسه في النقش بوصف « حور الـذهبي قاهر كل البلاد الاجنبية ملك الوجه القبلي والوجـه البحري نفر اب رع ابن رع امان نبتي يريكي .

ومما جاء في سيرة خرسيوتف (١) انه عثر له على لوحة من الغرانيت منقوش عليـها اسمه بوصف « حور الذهبي قاهر كل الاراضي الاجنبية ملك الوجه القبلي والوجه البحري رب الارضين جميعاً ورب التيجان ورب الشعائر ابن رع من صلبه ومحبوبـه خرسيوتف المسمى سامري امون . ومما ذكر في نقش اللوحة انه رأى نفسه في المنام امام امون يقول له لقد منحتك ناج ارض السود ووهبتك أركان الدنيا الأربعة طراً ولن يفلح العدو الذي يأتي اليك . وقد طلب من شيخ مسن تفسير الحلم فبشره بسعة ملكه وسلطانه . وقد قام برحلة الى معبد آمون في نباتا وأجرى له اصلاحات وقدم اليه هدايا كثيرة على ما ذكره في النقش الذي ذكر فيه كذلك خبر حملات عديدة قادها او سيرها ضد عدد من القبائل والبلدان التي وصفها بوصف الاعداء في بلاد السودان من جملتها رهرهرس والبجـا وخردف ومخي وعقنات . وقد انتصر عليها بتأييد آمون . وفي النقش كذلك خبر اقامة هذا الملك اعياداً لأوزير وايزيس مرات عديدة في مدن عديدة .

ومما جاء في سيرة نساسن (٢) انه عثر على لوحة ضخمة له في دنقله (احـدى مدن السودان) عرفت لذلك بلوحة دنقله عليها صورته ماثلا امام رع وقد نقش فوقهـا اسمه بوصفه ملك الوجه القبلي والوجـه البحري عنخ كارع بن رع نستاسن . وفي النقش ذكر حملات عديدة شنها على اعدائه الذين كان منهم البجا وقد انتصر عليهم وغنم منهم غنائم عظيمة .

أما بقية الملوك فليس في النبذ التي كتبها سليم حسن عنهم شيء هام من الاحداث والآثار . وقد ذكر ما عثر عليه من آثارهم في مقابرهم وغيرها . وبعضها يحمل اسماءهم وألقابهم ولكن ليس عليها وصف لهم بملوك الوجه القبلي والبحري . ولا يعني هذا انهم تعففوا عن هـذا الوصف . والراجح انهم كانوا يصفون أنفسهم به قياساً على وصف غيرهم أنفسهم به على ما مر شرحه .

---

(١) نفس الجزء ص ٥٣٣-٥٥٢
(٢) نفس الجزء ص ٥٥٣-٥٧٠

وفي العقد الثمين (١) نبذة عن حالة اثيوبيا في القرن السابع قبل الميلاد وبعده لا بأس من ايراد فحواها لأن فيها بعض الصور التاريخية عن هذه البلاد . وقد جاء فيها ان اثيوبيا حينما قطعت علاقتها بمصر في زمن الأسرة السادسة والعشرين حافظت على استقلالهاوكانت ولاياتها التي بين الشلال الاول والثاني الشهيرةقديماً بكثرة العدد والعمران قد لحقها الخراب والدمار وآلت مدنها التي شيدها ملوك الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة الى اطلال وأوشكت هيا كلها تعلوها الرمال . غير ان الجهة التي كانت بعد الشلال الثاني كانت آخذة بالظهور والارتقاء وكانت منقسمة الى اقليمين كمصروكانت مدينة بينونى ودنقلهفي الجهات العليا منها ومدينة نبتا فوق جبل برقل ومدينة تكاسى في مجمع النيل عند موقع الخرطوم اليوم ثم مدينة مروة المسماة قديماً بروه وكان بعد مروه مملكة الواخ الممتدة على البحر الازرق والابيض حتى سهل سنار الاكبر ، وكان في حدودها الجنوبية طائفة الاسماخ واصلهم من المصريين الذين هاجروا في عهد بسماتيك الاول . وكان بين درفور وجبال الحبشة والبحر الاحمر قبائل ما بين متمدنة ومتبربرة بعضها من بني الاسود وبعضها من بني سام . وكانت طائفة الرهريشا قاطنة في جنوب مروه بين البحر الازرق ونهر تكاسي وطائفة المادي بين تكاسي وسلسلة الجبال المارة بسواحل البحر الاحمر . وكانت مطامع ملوك اثيوبيا تمتد الى محاربة تلك الجهات حتى ان اثنين من ملوكها المعاصرين للكمبيز الفارسي وهماحورسياتف ونستوسنن اضعفا غالب هذه القبائل وقمعا كل مقاومة منها .

ومما ذكره احمد كمال عزواً إلى ماريت ان المملكة الاثيوبية كانت شورية . وكان الملك ينتخب انتخاباً . فكان اذا خلا العرش عقد اجتماع في معبد آمون من الكهان والنواب الذين ينتخبهم القضاة والعلماء والضباط . فاذا ما انعقد المجلس دخل ابناء الملك السابق ووقفوا أمام آمون . ومتى وقع الاختيار على احدهم صار ملكاً مشروطاً عليه ان يكون تحت اشراف الكهان بحيث لا يمكن اعلان حرب او اجراء شيء معهم في حكومته إلا باذن آمون وكهانه فان عصى وأراد الاستبداد أمر الكهان بقتله ؛ وكان الكهان اصحاب سلطان على الرعية ايضاً فاذا خالف احدهم رأي الكهان او غير أدنى شيء في الشعائر الدينية اعتبروا ذلك بدعة وحكموا على صاحبه بالقتل ، ولقد اتفق في آخر القرن السابع انبعض

---

(١) ١٩٩- ٢٠١

الكهنة أبدع في شعائر الدين المصرية القديمة بعض البدع منها اباحة اكل لحم القربان نيئاً وهي عادة بني الاسود فتوجه الملك الى معبد امون في نبتا وحكم بطرد المبتدعين واحراق ما وجد من آثار بدعهم . وبناء على ذلك خرج اصحاب المذهب الجديد من البلاد إلى جهات بعيدة وظلوا يمارسون مذهبهم فيها ؛ وقد ظلت هذه العادة الى الآن عند بعض الاحباش حيث يأكلون اللحم النيء ويسمونه برينده .

- ٦ -

وفي تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته لنعوم شقير نبذ عديدة عن هذه البلاد . منها ما يتصل بتاريخها القديم وما كان بينها وبين مصر من علاقات وصيال في مختلف الادوار مما هو متطابق مع ما أوردناه في سيرة الاسر المصرية ، ومنها ما يتصل بتاريخها بعد أن انفصل هذا التاريخ عن تاريخ مصر في عهد ممالك نباتاو مروى وما بعدهما .

ومما ذكره (١) في صدد قيام مملكة مروى ان نزاعاً نشب بين ملوك نباتا وامراء مروى كان الفوز فيه للآخرــ فقام بذلك مملكة جديدة اثيوبية عاصمتها مروى التي تقع على النيل الكبير على بعد ٢٣ ميلا من شمال شندى ويعرف مكانها اليوم بالبجراوية . وقد نالت في التاريخ شهرة عظيمة لم تنلها مملكة نباتا وامتد سلطانها من الشلال الاول الى اعالي النيل الازرق . وقد ذكرها هيرودوس المؤرخ اليوناني من رجال القرن الخامس قبل الميلاد كما ذكرها كثيرون من مؤرخي اليونان والرومان بعده . وقد ذكر هيرودوس خبر خروج الجنود المصريين والمشواشيين من مصر مغاضبين في عهد بسماتيك الاول اول ملوك الاسرة السادسة والعشرين الى اثيوبية وهو ما أوردناه في سياق سيرة هذا الملك سابقاً ــ وقال انهم نزحوا الى مروى وان ملكها رحب بهم ووهبهم بلاد اعداء له من الاثيوبيين وقال لهم اطردوهم واسكنوا محلهم ففعلوا (٢) ؛ وان الاثيوبيين ازدادوا تمدناً باستيطان

---

(١) ج ٢ ص ٢٢ وما بعدها . في هذا شيء من التخالف وشيء من التطابق مع ما ذكره سليم حسن واوردناه سابقاً . فهذا المؤلف ذكر ان ملوك نباتا الاواخر اتخذوا مروي عاصمة : ومن المحتمل ان يكون نشب بينهم وبين زعماء مروى نزاع وصيال ادى الى خروج الملك منهم وقيام الاسرة الجديدة التي ذكرها سليم حسن واوردنا اخبارها قبل .

(٢) هذا عجيب لان عاصمة اثيوبية في عهد بسماتيك كانت نباتا وليست مروى : الا ان المقصود بملكها ملك اثيوبية بقطع النظر عن كون نباتا عاصمة الملك وهو المتسق مع الاحداث . وهيرودوس يذكر ان عدد النازحين «٢٤٠٠٠» في حين احمد كمال وسليم حسن رويا انه «٢٤٠٠٠٠» وقد ذكر هذا سليم حسن وقال ان العدد الاكبر غير مستبعد .

هؤلاء بينهم وتعلموا الآداب المصرية ــ مع ان هذه الآداب كانت سائدة قبلهم بمدة كبيرة وانه نشأ من ذريتهم طائفة كبيرة عرفت بطائفة الاسماخ الى الجالسين عن يسار الملك كما عرفت باسم الاتومولى .

ومما جاء في كتاب نعوم شقير عن مروى (١) انه كان فيها أيام ازدهارها (٤٠٠) الف من أرباب الصنائع وانها كانت تجهز للحرب جيشاً قوامه ٢٥٠ الف مقاتل وان عــدد الملوك والملكات الذين تولوا عرشها خمسة وأربعون (٢) أكثرهم ملكات . ويشاهــد على بعض آثار المدينة القائمة الى اليوم صور بعض الملكات وهن يقدمن القرابين للآلهة أو يمثلن أبطالا منتصرين ، وكن يتلقبن بلقب كنداكه وهو لقب ملوكي عام كلقب فرعون . ومع ان التشارك في العقائد والعادات واللغة ظل قائماً بين اثيوبية ومصر فــان المسحة الاثيوبية أخذت تغلب على المسحة المصرية في عهد مملكة مروى خلافاً لما كان عليه الامر في عهــد مملكة نباتا . ولقد اكتشف في خرائب مروى آثار كثيرة . وبلغ عدد الاهرام التي اكتشفت فيها ثمانون تشبه اهرام مصر إلا ان نسبة القاعدة إلى العلو أعظم في أهرام مصر . وعلى نحو ٣٢ ميلا من الجنوب الشرقي من شندى بركة حولها آثار هيا كل فخمة . وبين هذه البركة التي تعرف بالنقع وشندى جدران واعمدة هيكل يبلغ محيطه الف يرد . وهناك هيكل قائم الآن في بلدة عمارة على بعد ١٠٠ ميل من الشلال الثاني من بناء ملوك مروى . ويرجح ان هذه المدينة من انشاء الكهنة الذين طردوا من طيبة في القرن العاشر .

ويستمر نعوم شقير في سياقه فيقول (٣) ان مملكة مروى كانت طائرة الصيت بالغنى والثروة فكان ذلك ممــا أطمع كمبيز ملك الفرس بفتحها بعــد أن تم له فتح مصر ؛ وان هيرودوس روى قصة زحف كمبيز وعاقبته فذكر فيما ذكر خبر ارسالــه رسلا الى ملك اثيوبيا يحملون الهدايا الفاخرة واسترابة الملك ورجاله بهؤلاء الرسل ، ومجابهتهم لهم بذلك وتحدي الملك للكمبيز بقوس كبيرة أوترها وقال لرسله اطلبوا من مللككم ان يوترها فان

---

(١) ايضاً ج ٢ ص ٢٢ – ٣٤

(٢) ان هذا العدد متعارض مع ما ذكره سليم حسن واوردناه قبل حيث ذكر عدد الملوك في ـوى من الاسرة الجديدة «١١» غير انه يلحظ في جــدول سني الملوك ثغرات بين باسكا كرنن وحرسيوتف ثم بين حرسيوتف واخراتان فالثمرة الاولى «٣٥» سنة «١٧» ومن المحتمل ان يكون العدد شاملا للمدة التي بعد سنة ٣٠٨ لان سليم حسن ذكر انه يؤرخ هذه المملكة من بداية الفتح الفارسي الى فتح الاسكندر المكدونى على ما مر بيانه

(٣) الكتاب السابق الذكر ج ٢ ص ٢٤

لم يستطع فأولى له ان لا يحدث نفسه بغزونا وان يشكر الله الذي لم يلهمنا الرغبة في غزو بلاده ، ومما يذكره هيرودوس ان الاثيوبيين كانوا من احسن الناس خلقة وأطولهم قامة وانهم كانوا لا يولون الملك الا لأكبرهم جثة وأشدهم قوة ، وانهم كانوا يعمرون إلى ما فوق المئة والمئة والعشرين سنة وهم محتفظون بصحتهم وقوة اجسامهم ، وان رسل كمبيز دهشوا من ذلك وسألوا عن السبب فأخذهم الملك الى نبع ماء عجيب اذا اغتسل به احد اصبح جلده ناعماً لامعاً كأنه مرخ بالزيت وفاحت منه رائحة كرائحة البنفسج ، وان هذا الماء خفيف جداً حتى انه لا يطفو عليه شيء ، وان الملك اخذهم الى مرج خارج العاصمة يسمى مائدة الشمس يملأه الاغنياء ليلا بأنواع الاطعمة من لحوم الحيوانات فيأتي من شاء نهاراً ويتناول غذاءه منها ، وكان العوام يظنون ان هذه الاطعمة تنبت من المرج ، وان الملك اخذهم الى قبور الاثيوبيين ، وكانت التوابيت تصنع من البلور ، وكانوا يحنطون الجثث على طريقة المصريين ثم يطلونها بالجص فترى الجثث من التوابيت ولا يكون لها أي رائحة كريهة . وان الرسل نقلوا ما رأوه الى كمبيز فغضب من تحدي الملك الاثيوبي وطمع في ثروة البلاد فزحف زحفته القوية ولكن زاده وماءه نفدا في الطريق فهلك معظم جيشه ولم ينج منه إلا شرذمة قليلة مع الملك .

ومما ورد في كتاب نعوم شقير انه كان للكهنة على الملوك والشعب سلطة عظيمة حتى لقد كانوا اذا غضبوا على ملك ارسلوا اليه رسولا يأمره بالانتحار جلباً لرضاء الآلهة فكان الملوك يخضعون للأمر ؛ وانه لما آل الملك الى ملك اسمه ارجيمنس تمرد عليهم واظهر لهم الكراهية الشديدة ؛ وكان ذا شخصية قوية ومثقفاً بآداب اليونان ، فأرسلوا اليه أمراً بالانتحار فما كان منه إلا ان حمل عليهم في داخل المعبد وقتلهم عن آخرهم ؛ وان هذا الملك قد سن قوانين جديدة وحور كثيراً من العقائد والطقوس الدينية ، وان من آثاره هيكل في دكا اقامه على اطلال هيكل من آثار الاسرة الثانية عشرة ، وانه خلفه ملك اسمه ازخرآمون ومن آثاره هيكل دبود المعروفة قديماً باسم تاهت لا تزال بقاياه قائمة الى اليوم .

وقد قال المؤلف المذكور بعد ذلك ان مملكة مروى ضعفت فاستبد امراء الاقاليم بالحكم فقام نتيجة لذلك امارات وممالك عديدة في نطاقها أي مع بقاء مملكة مروى قائمة .

ومن أشهر هذه الممالك مملكة اكسوم في الجنوب ومملكة سوبا في الشمال . وا كسوم وسوبا اسما عاصمتي المملكتين . والاولى تقع في شمال ما يعرف اليوم ببلاد الحبشة على بعد

بضعة ايام من عدوه . والثانية تقع على النيل الازرق على بعد خمسة عشر ميلا من الخرطوم. وقد وجدت في خرائب اكسوم نقوش يستفاد منها ما يؤيد ذلك حيث تذكر ان مملكة مروى كانت في أوائل القرن الثالث قبل المسيح منقسمة الى امارات عديدة .

ولقد زحف بطليموس الثامن (١٤٦ـ١١٧ ق‌م) على مروى ففتحهـا ثم زحف على اكسوم ففتحها أيضاً وسجل خبر فتحه على حجر من الرخام وجد في ميناء ادوليس المعروفة بميناء زولا على عشرين ميلا من جنوب مصوع . غير انه لم يستطع الاحتفاظ بسلطانه طويلا على البقاع التي فتحها فانسحب منهـا الى ما وراء نباتـا . فعادت المملكتان الى ممارسة استقلالها (١) .

ولقد قويت اكسوم مع الزمن واخذت تتبسط في السيطرة في الانحاء الجنوبية وصار لها شخصية متميزة منفصلة عن الانحاء الشمالية . وهي التي عرفت ومـا تزال تعرف بالمملكة الحبشية .

وقد ذكر المؤرخون انه نشأ بين هذه المملكة والرومان بعد استيلاء هؤلاء عـلى مصر صلات ودية وتجاريه ، ثم تسربت اليها النصرانية وانتشرت بين أهلها فكان ذلك ما قوى تلك الصلات (٢) .

ولم يعرف شيء كثير من تاريخ المملكة الثانية الشمالية اي مملكة سوبا . غير ان آثارها الباقية الى الآن تدل على انها كانت على درجة سامية من الحضارة والعمران . وهناك آثار تدل على ان ملكاً اثيوبياً اسمه توياكوتاس خوانوس الذي يظن انه من ملوك هذه المملكة أرسل رسلاالى كرينليوس جالوس اول الولاة الرومان على مصر يطلب الدخول تحت الحماية الرومانية فنتج عن ذلك امتداد النفوذ الروماني إلى هذه المملكة النصرانية فقويت الصلات بينها وبين الرومان . وقد قـام فيها قبيل الفتح الاسلامي مملكة عرفت في كتب التاريخ الاسلامي باسم مملكة علوة اندمج تاريخها بتاريخ الفتح الاسلامي ومـا بعده مما لا محل لتفصيله هنا (٣) .

ولقد ذكر المؤرخون حادثاً كان بين الكنداكه ملكة مروى وبين الرومان سنة٢٣ ق‌م. فقد سير القيصر الروماني حملة الى بلاد العرب ضم اليها معظم الجيش الروماني في مصر .

---

(١) تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته نعوم شقير ج ٢ ص ٢٨

(٢) تاريخ السودان القديم والحديث ج ٢ ص ٣٠

(٣) تار ـ سود ن القديم والحديث ج ٢ ص ٢٩ و ٣٠ و ٣٩ـ٤٠

فاغتنمت الملكة فرصة خلو مصر من الجند فزحفت بجيش قوامه ثلاثون الف محارب على حدود مصر وغلبت حاميات فيلى واسوان ودخلت مصر العليا . وسارع الوالي الروماني الى جمع الحاميات الباقية والف منها جيشاً وسار على رأسه لصدها ففرت من أمامه فطاردها وفتح نبتا وخربها وتمكن من تشتيت شملها وطلب رد الأسرى والغنائم فرفضت وذهبت فتحصنت في قلعة عند الشلال الرابع ثم بعثت اليه تطلب الصلح. وكان زاد الجيش الروماني قد نفد وارهقه الحر فعاد الى مصر بعد ان وضع حامية في ابريم فجمعت الكنداكه شتات جيشها وزحفت الى ابريم فحاصرتها ثم ارسلت سفراءها بطلب الصلح وكان القيصر اغسطوس في جزيرة ساموس من جزر الارخبيل اليوناني في طريقه الى مصر فذهب الرسل اليه وقبل منهم العرض وعقد الصلح على أساس الصداقة وعدم أخذ الجزية حسب شروط الكنداكه (١) .

ولقد تميز في الانحاء الشمالية من اثيوبية اي في مملكتي مروى وسوبا شعبان هـ نوبة والبجة . والنوبة هم نزلاء ضفافي النيل من الشلال الاول إلى النيل الازرق . والبجه هم نزلاء المنطقة الشرقية المحاذية لمنازل النوبة والواقعة على ضفة النيل الشرقية الى البحر الأحمر .

والباحثون يرجحون ان الشعبين يمتان الى اصل واحد وانهما برغم ملامحهما ورطانتهما السودانية ليسا قبائل سودانية بل طارئان من جزيرة العرب في سياق ما كان يطرأ من هذه الجزيرة الى هذه الانحاء من قبائل وموجات (٢)

وقد انتظم للنوبة ملك في القرون الاولى بعد الميلاد المسيحي في مدينة تلمس التي يعرف مكانها اليوم باسم الكلابشة ، وكان بينهم وبين البجة في ظل هذا الملك وقائع معدودة . ويوجد على جدران هيكل الكلابشة كتابة يونانية تفيد ان الملك شلكو احد ملوك هذه المملكة ـ واللمحة العربية بادية على الاسم ـ انتصر هو وكل الاثيوبيين على البجة .

ثم كانت للنوبة مملكتان اخريان بعد مملكة تلمس . احداهما كانت ممتدة من الشلال الاول الى الشلال الرابع وعاصمتها دنقله وثانيتهما كانت ممتدة من الشلال الرابع الى اعالي جزيرة سنار وعاصمتها سوبه . ويكتنف الغموض تاريخ هاتين المملكتين . وكل ما عرف انهما كانتا تضمان امارات عديدة تحت حكم امرائها المحليين وفي ظل سيادة ملوك المملكتين

---

(١) نفس المصدر صحف

(٢) تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته لنعوم شقير جـ ١ ص٤٧ و ٤٩ و٥٠ وجـ ٢ ص٣٠-٣١

وان النصرانية انتشرت فيها بعد انتشارها في مصر وانحاء اثيوبيا الاخرى حتى سادت في القرن السادس بعد المسيح (١) .

أما البجه فالذي عرف عنها ان السلطان كان في يد أمرائها ومشايخها ، وانهم كان لهم مرجع اعلى يقيم في بليدة اسمها هجر ، وانها احتفظت بوثنيتها .

وظل امر هذه الانحاء على هذا المنوال الى ان جاءت موجة الفتح العربية الاسلامية الكبرى في أواسط القرن السابع بعد الميلاد فصار السلطان فيها للولاة المسلمين ، وأخذ ينتشر بين سكان هذة المناطق ، ثم اخذت القبائل العربية الصريحة تتسرب اليها من الشمال والجنوب وتستقر فيها كما كانت تتسرب الى مصر وتستقر فيها فيقوى التيار العربي الصريح ويتجاوب السكان الأقدمون الذين من الجنس العربي في دور ما قبل العروبة الصريحة معه حتى غدت العروبة والاسلام الطابع الخالد لمعظم هذه المناطق واهلها كما كان الأمر بالنسبة لمصر .

ولقد كان لأهل هذه البلاد احداث وبروز في مجال الحكم والساطان في ظل هذا الطابع مما سوف يكون موضوع البحث في جزء آخر من اجزاء الكتاب .

-٧-
الحبشة في التاريخ القديم

ان ما أوردناه في المباحث السابقة يشمل من حيث الاصل البلاد المتميزة اليوم باسم الحبشة من اثيوبيا والتي صارت مختصة بهذا الاسم كما هو المتبادر . غير ان تميزها الحاضر الممتد الى قرون عديدة قد تبلغ العشرين يجعل من المفيد ان يقال شيء خاص غير ما أوردناه قبل بالنسبة للحقبة السابقة لموجة الفتح الاسلامية .

في بلاد الحبشة اليوم ثلاثة اجناس رئيسية . جنس صريح العروبة نسباً ولغة هاجر اليها بعد الفتح الاسلامي . وجنس غير صريح العروبة ، ولونه يضرب الى البياض ، دقيق الانف مستدير الوجه متناسب التقاطيع رقيق الشفاه سبط الشعر معتدل القوام . وجمهرة الباحثين متفقون على انه من انسال الموجات العربية التي انساحت من جنوب الجزيرة الى هذه البلاد قبل الاسلام وقبل الميلاد المسيحي وبعده ، وهو العنصر الغالب . وآخر حالك اللون افطس الانف ضخم الشفاه متسع الاحداق طويلها فلفلي الشعر ، وهو الذي يمت الى الجنس

---

(١) نفس الكتاب ص ٣٠-٣١ و٣٩

الزنجي الذي كان يتسرب إلى هذه البلاد من أواسط افريقية . وقد نشأ من التزاوج بين هؤلاء وبين أولئك فتنة رابعة مزيجة من أوصاف الثلاثة (١)

وأصل اسم الحبشة « احبشت » وقد قرىء هذا الاسم على نقوش سبئية ترجع إلى ماقبل الميلاد المسيحي . وقد قال الاثريون استناداً إلى دراساتهم الأثرية (٢) انـه كان في جنوب جزيرة العرب شعب أو اقليم يحمل هذا الاسم وانه انساح منه جماعات إلى بلاد الحبشة قبل الميلاد المسيحي فغلب اسم احبشت على البـلاد على ما ذكرناه في الجزء الأول ثم تعربت الكلمة فصارت الحبشة والحبش والاحباش .

ولقد عثر على نقش سبئي ينعت ملكاً حبشياً اسمه اجدرت(٣)بنعت ملك احبشت يرجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد بمناسبة معاهدة تحالفية عقدها معه ملك سبئي اسمه علهان على ما ذكرناه في ذلك الجزء ايضاً مما فيه توكيد لما نحن بسبيل تقريره .

غير ان الكلمة لم تغلب على جميع بلاد الحبشة إلا في عهد متأخر على الارجح. فقدقرىء نقش حبشي يرجع إلى القرن الرابع بعد الميلاد (٤) ورد فيه اسمان من اسماء ملوك هـذه البلاد وهما الأعميده وابنه عزان يتلقبان بألقاب « ملك اكسوم وحمير وذوريـدان وسبا واحبشت واصلح وتهامه والبجا وصامو ملك الملوك »حيث يستفاد من ذلك ان « احبشت» لا تعني جميع البلاد الحبشية أو جميع شعوبها في ظرف تدوين النقش . وقد قرىء نقش حبشي آخر يرجع الى القرن السادس بعد الميلاد (٥) فيه اسم رمحز احد ملوك الحبشة بلقب ملـك الجعزيين ولم يرد فيه كلمة احبشت . وإذا لم يمكن تعيين شمول هذا الاسم لجميع بلاد الحبشة وسكانها تعييناً دقيقاً فان من الممكن أن يقال إن ذلك بالنسبة للعرب على الاقـل كان قبل الاسلام على كل حال بدليل ان اسم الاحباش وبلاد الحبشة ونجاشي الحبشة كان هو المنتشر بينهم على ما يستفاد من الكتب العربية القديمة وخاصة كتب السيرة القديمة (٦) .

---

(١) الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان للقنائي ض ه – و

(٢) العرب قبل الاسلام لجواد علي ص ٣ ج ١٥٠

(٣) نفس الكتاب ج ٢ ص ٢٣٤

(٤) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٣ ص ١٥٢

(٥) المصدر نفسه ص ١٩٨

(٦) طبقات ابن سعد الكبرى ج ١ ص ٧٢ و ١٩٩ و ج ٢ ص ٢٣ مثلا والاسم وارد مكرراً في الطبري وابن هشام وغيرهما

ونلفت النظر خاصة الى النقش الحبشي الاول حيث تذكر الاسماء فيـــه بصيغة عربية صريحة وحيث يبدو فيما تضمنه قوة الصلة بين بلاد الحبشة وبين بلاد اليمن سياسياً وجنسياً. ولقد أشار مؤلف كتاب تاريخ اللغات السامية (١) إلى هذا النقش بشيء من الزيادة فيها توكيد لاستنتاجنا حيث قال : ان اقدم آثار اكسوم كتابة جعزية مدونة بالقلم السبئي منسوبة للملك عيزن ملك اكسوم وحمير وريدان والحبشة وسبأ الخ ملك الملوك بن محرم الـــذي لم يغلب على أمره وحارب قبائل بجا ومزقهم كل ممزق وقدم للالهة الضحايا لأنها أنعمت عليه بالخيرات ؛ ويلي هذه الكتابة في القدم كتابة منسوبـــة للملك ال عميدا ملك اقسوم وحمير وريدان وسبأ الخ الذي أقام تمثالا بعد أن قهر أعداءه .

وقد جاء كلام هذا المؤلف في فصل عقده في كتابه عن الأحباش وأصلهم ولغتهم(٢) ومما جاء فيه ان اللهجات السامية أي العربية حسب اصطلاحنا في بلاد الحبشة قريـبة الشبه من مجموع اللهجات التي في جنوب الجزيرة العربية مما يدل على ان الذين يتكلمون بهـا في الاقاليم الافريقية انما نزحوا الى هذه الاقاليم من بلاد اليمن . واذا كان لا يعرف بالضبط الوقت الذي وطئت فيه القبائل النازحة أرض الحبشة فان مما لاشك فيه ان ذلك قد حدث منذ أزمان بعيدة جداً في القدم .

وأقدم لغة سامية في بلاد الحبشة هي المعروفة باسم « جعز » (٣) وكانت هي السائدة في منطقة تجرى التي كانت عاصمتها اكسوم ، وكان بعض الباحثين يظنون ان خط هـــذه اللغة مشتق من الخط اليوناني . ولكن تبين بعد التدقيق انه كان منتشراً في بلاد الحبشة قبل انتشار الخطوط اليونانية بمدة طويلة . ثم ترجح انه منقول عن الخط السبئي لأنه يشبهه شبهاً قريباً جداً . وكل ما هنالك من فرق بينهما اعتماد الخط الجعزي على الحروف في الدرجة الاولى

---

(١) ص ٢٥٧-٢٥٨

(٢) ص ٥٢٤-٢٦٨

(٣) يقول مؤلف الكتاب ان معنى «جعز» هو الاحرار وبالتالي ان اللغة الجعزية تعني لغة الاحرار . وهذا يعني ان كلمة جعز هي في اصلها وصفية . غير ان هناك نقوشاً حبشية ترجع الى ما بعد الميلاد المسيحي بستة قرون سنوردها بعد تنعت احد ملوك الحبشة بملك جعز وملك الجعزيين حيث يعني هذا ان الكلمة علم على الشعب وليست وصفية . فاذا كانت الكلمة تعني الاحرار كما يقول المؤلف فمن المحتمل ان تكون القبائل العربية الجنس التي اطلقتها على نفسها بعد استقرارها في بلاد الحبشة قد قصدت في بدء الامر ان تميز نفسها عن العناصر الزنجية الموجودة في هذه البلاد والتي كانت موسومة منذ اقدم الازمنة بسمة العبودية والرق ، ومن ثم اطلقت الكلمة على اللغة العربية التي كانت لغة هذه القبائل .

دون الحركات . ولقد كان أغلب اللغات والخطوط « السامية » ـ العربية في أطوارها الاولى تهمل الحركات ثم تطورت فاستعملتها فساعد ذلك على ضبط القراءة. على ان الخط الجعزي القديم أيضاً تطور وأخذت الحركات تبرز فيه من العهود المتأخرة على ما تدل عليه الكتابات الحبشية التي عثر عليها في بلاد الحبشة .

ولقد كشفت نقوش حبشية جعزية عديدة امكن تقسيم خطوطها الى ثلاثة اقسام او عهود أولاها يمثل اقدم نماذج الكتابات الحبشية . وقلمها هو السبئي القديم الذي كان في عهد ملوك سبأ الذين عرفوا باسم مكرب (وكان عهدهم يمتد تقريباً من الالف قبل الميلاد إلى الستمئة سنة . وقد كشف عنها في منطقة بها . وثانيتها يشبه القلم السبئي المتأخر ، وهي متأخرة عن الأولى بنحو ستة قرون او اكثر . وقد كشف عنها في اكسوم . وثالثتها هي التي تعرف باسم « ريبل » العالم الذي عرف بها . وهي كتابات جعزية متميزة خطاً ولغة . وفي صلب حروفها شيء يشبه الحركات مما هو غير مألوف في اللغات (السامية) . وبالاضافة إلى ذلك فهناك ظاهرة اخرى لهذه الكتابة وهي كتابتها من الشمال لليمين على خلاف كتابة العهدين الاولين.

ومهما يكن من امر فان الامعان في القلم الجعزي يظهر انه مشتق من السبئي ومتأثر بالصورة السبئية . والظاهر ان الخط السبئي لم يتسق اتساقاً تاماً مع النطق الجعزي فاضطر الاحباش في أول عهدهم بالمسيحية (اي في القرن الرابع الميلادي) الى اختراع هذا الخط الذي أضاف الى حروفه شيئاً يشبه الحركات وبأسلوب مستقل يجعله وسطاً بين الخطوط السامية والخطوط اليونانية .

ولقد قرر بعض العلماء ان النقوش الجعزية في العهدين الاولين من العهود الثلاثة هي سبئية وهذا صحيح من بعض الوجوه ولكن يظهر في هذه النقوش كثير من الكلمات التي ترجع في اشتقاقها إلى أصل حبشي محض .

ولقد كانت لغة جعز في باديء أمرها لغة لقبائل سامية كانت تعيش وسط قبائل افريقية في الحبشة ولما اخذ العنصران يندمجان ويكونان أمة واحدة ليست بسامية خالصة ولا حامية خالصة ظلت هذه اللغة لغة الأمة المزيجة في جميع أنحاء البلاد دون أن تفقد صبغتها وأصالتها السامية لأن أصول اشتقاقها موجودة في اللغة العربية وغيرها من اللغات السامية ، وكل ما كان من امر ان نطقها تحور بعض الشيء بالنسبة لما هو معروف عند الساميين ، ودخل عليها بعض المفردات الافريقية الحامية .

ولقد لاحظ المستشرقون ان اللغة الحبشية حافظت على عناصر سامية قديمة لم يبق لها اثر في جميع اللغات السامية الاخرى وخصوصاً في الأساليب فانها في الحبشة قديمة في تراكيبها ونظامها . كذلك هناك اشياء اخرى تدل على ان الجعزية حافظت على اقدم الصور السامية مثل عدم وجود تمييز بين المذكر والمؤنث في الاسماء . (ولعل ذلك دليل على قدم نزوح المتكلمين بها من جنوب الجزيرة إلى بلاد الحبشة) .

ولقد كثرت جموع القبائل الحبشية في الجنوب الغربي من تلك البلاد حوالي القرن الحادي عشر بعد الميلاد فنتج عن ذلك ظهور عنصر جديد عرف بالشعب الامحري وقد استطاع ان يبسط سلطانه على بلاد الحبشة فأخذت لغته تنتشر وتنافس اللغة الجعزية ونتج عن ذلك شيء من التمازج والتطور في المخاطبات مع بقاء الجعزية لغة التدوين والدين والسجلات والمراسلات الرسمية ؛ الى امد قريب حيث أخذت الامحرية المزيجة المتطورة تغدو لغة تدوين ودين ودولة ايضاً . ومن الجدير بالتنبيه ان الامحرية تعد من اللغات السامية لشدة تأثرها باللغة الجعزية . وكل ما هناك من امر ان صبغتها الحامية قوية ايضاً .

ولقد اثبت مؤلف تاريخ اللغات السامية الذي اقتبسنا منه ما تقدم في آخر كتابه وبعد فصل الحبشة جدولا (١) فيه مئات الكلمات العربية وما يقابلها من الكلمات الحبشية ولغات جنوب الجزيرة ثم من اللغات الآشورية والبابلية والآرامية والعبرانية . والتماثل يكاد يكون تاما بين هذه الكلمات مبنى ومعنى ووزنا ، مما فيه الدلالة على وحدة الأرومة والأصل بين المتكلمين بهذه اللغات ، وبالتالي على اصالة عروبة معظم سكان بلاد الحبشة ، وعلى ان ما حدث من تطور عنصري ولغوي لم يكن من شأنه اضعاف ذلك . وهذه جملة من تلك الكلمات :

عربي	اشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
اب	ابو	اب	ابا	اب
ابن	بنو	بن	برا	بن
اخ	اخو	اخ	اخا	اخو
اخذ يأخذ	اخوز	احزياحز	احدنحور	اخز ياخز
أذن	أزنو	أزن	اودنا	أزن

(١) ص ٢٨٣-٢٩٤

دون الحركات . ولقد كان أغلب اللغات والخطوط « السامية » ـ العربية في أطوارها الاولى تهمل الحركات ثم تطورت فاستعملتها فساعد ذلك على ضبط القراءة. على ان الخط الجعزي القديم أيضاً تطور وأخذت الحركات تبرز فيه من العهود المتأخرة على ما تدل عليه الكتابات الحبشية التي عثر عليها في بلاد الحبشة .

ولقد كشفت نقوش حبشية جعزية عديدة امكن تقسيم خطوطها الى ثلاثة اقسام او عهود أولاها يمثل اقدم نماذج الكتابات الحبشية . وقلمها هو السبئي القديم الذي كان في عهد ملوك سبأ الذين عرفوا باسم مكرب (وكان عهدهم يمتد تقريباً من الالف قبل الميلاد إلى الستمئة سنة . وقد كشف عنها في منطقة بها . وثانيتها يشبه القلم السبئي المتأخر ، وهي متأخرة عن الاولى بنحو ستة قرون او اكثر . وقد كشف عنها في اكسوم . وثالثتها هي التي تعرف باسم « ريبل » العالم الذي عرف بها . وهي كتابات جعزية متميزة خطاً ولغة . وفي صلب حروفها شيء يشبه الحركات مما هو غير مألوف في اللغات (السامية) . وبالاضافة إلى ذلك فهناك ظاهرة اخرى لهذه الكتابة وهي كتابتها من الشمال لليمين على خلاف كتابة العهدين الاولين.

ومهما يكن من امر فان الامعان في القلم الجعزي يظهر انه مشتق من السبئي ومتأثر بالصورة السبئية . والظاهر ان الخط السبئي لم يتسق اتساقاً تاماً مع النطق الجعزي فاضطر الاحباش في أول عهدهم بالمسيحية (اي في القرن الرابع الميلادي) الى اختراع هذا الخط الذي أضاف الى حروفه شيئاً يشبه الحركات وبأسلوب مستقل يجعله وسطاً بين الخطوط السامية والخطوط اليونانية .

ولقد قرر بعض العلماء ان النقوش الجعزية في العهدين الاولين من العهود الثلاثة هي سبئية وهذا صحيح من بعض الوجوه ولكن يظهر في هذه النقوش كثير من الكلمات التي ترجع في اشتقاقها إلى أصل حبشي محض .

ولقد كانت لغة جعز في باديء أمرها لغة لقبائل سامية كانت تعيش وسط قبائل افريقية في الحبشة ولما اخذ العنصران يندمجان ويكونان أمة واحدة ليست بسامية خالصة ولا حامية خالصة ظلت هذه اللغة لغة الأمة المزيجة في جميع أنحاء البلاد دون أن تفقد صبغتها وأصالتها السامية لأن أصول اشتقاقها موجودة في اللغة العربية وغيرها من اللغات السامية ، وكل ما كان من امر ان نطقها تحور بعض الشيء بالنسبة لما هو معروف عند الساميين ، ودخل عليها بعض المفردات الافريقية الحامية .

ولقد لاحظ المستشرقون ان اللغة الحبشية حافظت على عناصر سامية قديمة لم يبق لها اثر في جميع اللغات السامية الاخرى وخصوصاً في الأساليب فانها في الحبشة قديمة في تراكيبها ونظامها . كذلك هناك اشياء اخرى تدل على ان الجعزية حافظت على اقدم الصور السامية مثل عدم وجود تمييز بين المذكر والمؤنث في الاسماء . (ولعل ذلك دليل على قدم نزوح المتكلمين بها من جنوب الجزيرة إلى بلاد الحبشة) .

ولقد كثرت جموع القبائل الحبشية في الجنوب الغربي من تلك البلاد حوالي القرن الحادي عشر بعد الميلاد فنتج عن ذلك ظهور عنصر جديد عرف بالشعب الامحري وقد استطاع ان يبسط سلطانه على بلاد الحبشة فأخذت لغته تنتشر وتنافس اللغة الجعزية ونتج عن ذلك شيء من التمازج والتطور في المخاطبات مع بقاء الجعزية لغة التدوين والدين والسجلات والمراسلات الرسمية ؛ الى امد قريب حيث أخذت الامحرية المزيجه المتطورة تغدو لغة تدوين ودين ودولة ايضاً . ومن الجدير بالتنبيه ان الامحرية تعد من اللغات السامية لشدة تأثرها باللغة الجعزية . وكل ما هناك من امر ان صبغتها الحامية قوية ايضاً .

ولقد اثبت مؤلف تاريخ اللغات السامية الذي اقتبسنا منه ما تقدم في آخر كتابه وبعد فصل الحبشة جدولا (١) فيه مئات الكلمات العربية وما يقابلها من الكلمات الحبشية ولغات جنوب الجزيرة ثم من اللغات الآشورية والبابلية والآرامية والعبرانية . والتماثل يكاد يكون تاما بين هذه الكلمات مبنى ومعنى ووزنا ، مما فيه الدلالة على وحدة الارومة والاصل بين المتكلمين بهذه اللغات ، وبالتالي على اصالة عروبة معظم سكان بلاد الحبشة ، وعلى ان ما حدث من تطور عنصري ولغوي لم يكن من شأنه اضعاف ذلك . وهذه جملة من تلك الكلمات :

عربي	اشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
اب	ابو	اب	ابا	اب
ابن	بنو	بن	برا	بن
اخ	اخو	اخ	اخا	اخو
اخذ يأخذ	اخوز	احزياحز	احدنحور	اخز ياخز
أذن	أزنو	أزن	اودنا	أزن

(١) ص ٢٨٣-٢٩٤

عربي	اشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
ام	امّو	ام	اما	ام
انسان	نشو	انوش	ناشا	انش
بئر	بورو	بور	برا	بئر سبئى
برق	برقو	بارق	باراق	مبرق
بعل	بلو	بعل	بعلا	بعل
بكر	ُبكرو	بكور	ُبكرا	بكر
بنت	بنتو	بت	برتا	بنت
بيت	بتو	بيت	بيتا	بيت
تسع	تشو	تشع	تشع	تشع
ثلاث	شلاشو	شلوش	ثلاث	شلاس
ثمان	شمانو	شمونه	ثمانا	سماني
ثور	شورو	شور	ثورا	سور
ثوم	شومو	شوم	ثوما	سومات
جمل	جملو	جمل	جملا	جمل
حبل	ابلو	حبل	حبلا	حبل
حفر يحفر	حفر	حفر يحفر	حفر	حفر
حقل	أقلو	حلق	حقلا	حقل
حمار	امرو	حمور	حمارا	حمار
خبل	خبل	حبل يحبل	حبل	خبل
خمس	خمسو	حمش	حمشا	خمس
خنزير	خسر	حزير	حزيرا	خنزير
دبس	دشبو	دباش	دبشا	دبس
دم	دمو	دم	دم	دما
ذنب	زيبو	زاب	دابا	زاب
ذنب	زباتو	زاناب	دونبا	زناب

عربي	اشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
رأس	رشو	روش	ريشا	راس
رحم	إرم	رحم	رحم	رحم
ركب	ركب	ركب	ركب	ركب
زرع	زرو	زرع	زرعا	زرع
سبع	سبو	شبع	شبع	شبعو
ست	ششو	شش	شتا	سسو
سلم سلام	شلمو	شلم شلوم	شلما شلم	سلم سلام
سن	شنو	شن	شنا	سن
سماء	شمو	شمايم	شمايا	سماي
شمس	شمشو	شمش	شمشا	شمس
شعر	شرتو	سعار	سعرا	سعرت
صرخ	صرخ	صرح	صرح	صرخ
ضرة	صرتو	صاراه	عرتا	ضر
طحن يطحن	إطن	طحن يطخن	طخن نطخن	طحن
طيب	طبو	طوب	طبا	طيب
ظفر	صبرو	صبرن	طفر	ظفر
ظل	صلو	صل	طلا	صللوت
عشر	عشرو	عسر	عسر	عشرو
عظم	عصمتو	عصم	عطما	عضم
عقرب	عقربو	عقرب	عقربا	عقرب
عين	انو	عين	عينا	عين
فتح	ايث	فتح	فتح	فتح
فم	يو	يه	يوما	اف
قرن	قرنو	قرن	قرنا	قرن
قمح	قمو	قمح (دقيق)	قمحا (دقيق)	قمح (فاكهة)

عربي	اشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
ام	امّو	ام	اما	ام
انسان	نشو	انوش	ناشا	انش
بئر	بورو	بور	برا	بئر سبئي
برق	برقو	بارق	باراق	مبرق
بعل	بلو	بعل	بعلا	بعل
بكر	بُكرو	بكور	بُكرا	بكر
بنت	بنتو	بت	برتا	بنت
بيت	بتو	بيت	بيتا	بيت
تسع	تشو	تشع	تشع	تشع
ثلاث	شلاشو	شلوش	ثلاث	شلاس
ثمان	شمانو	شمونه	ثمانا	سماني
ثور	شورو	شور	ثورا	سور
ثوم	شومو	شوم	ثوما	سومات
جمل	جملو	جمل	جملا	جمل
حبل	ابلو	حبل	حبلا	حبل
حفر يحفر	حفر	خفر يخفر	حفر	حفر
حقل	أقلو	حلق	حقلا	حقل
حمار	امرو	حمور	حمارا	حمار
خبل	خبل	حبل يحبل	حبل	خبل
خمس	خمسو	حمش	حمشا	خمس
خنزير	خمسر	حزير	حزيرا	خنزير
دبس	دشبو	دباش	دبشا	دبس
دم	دمو	دم	دم	دما
ذئب	زيبو	زاب	دابا	زاب
ذنب	زباتو	زاناب	دوبنا	زناب

عربي	اشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
رأس	رشو	روش	ريشا	راس
رحم	إرم	رحم	رحم	رحم
ركب	ركب	ركب	ركب	ركب
زرع	زرو	زرع	زرعا	زرع
سبع	سبو	شبع	شبع	شبعو
ست	ششو	شش	شتا	سسو
سلم سلام	شلمو	شلم شلوم	شلما شلم	سلم سلام
سن	شتو	شن	شنا	سن
سماء	شمو	شمايم	شمايا	سماي
شمس	شمشو	شمش	شمشا	شمس
شعر	شرتو	سعار	سعرا	سعرت
صرخ	صرخ	صرح	صرح	صرخ
ضرة	صرتو	صاراه	عرتا	ضر
طحن يطحن	إطن	طحن يطخن	طخن نطخن	طحن
طيب	طبو	طوب	طبا	طيب
ظفر	صبرو	صبرن	طفر	ظفر
ظل	صلو	صل	طلا	صللوت
عشر	عشرو	عسر	عسر	عشرو
عظم	عصمتو	عصم	عطما	عضم
عقرب	عقربو	عقرب	عقربا	عقرب
عين	انو	عين	عينا	عين
فتح	ايت	فتح	فتح	فتح
فم	يو	يه	يوما	اف
قرن	قرنو	قرن	قرنا	قرن
قمح	قو	قمح (دقيق)	قمحا (دقيق)	قمح (فاكهة)

عربي	اشوري بابلي	عبري	آرامي	لغات جنوب الجزيرة والحبشة
كبد	كبتو	ذابد	كبدا	كبد
كلب	كلبو	كلب	كلبا	كلب
كليه	كلة	كليه	كلتا	كلت
لبس	.ش	لبش	لبش	لبس
لسان	لشانو	لشون	لشنا	لسان
ليا	ليلتو	ليله	لليا	ليله
ماء	مو	مايم	مايا	ماي
مائة	ماتو	مأه	ماا	ما آت
مر	مرو	مر	مرنمر	مرا ممرا
ملك	ملكو	ملك	ملكا	ملكي (سيد)
موت	موتو	موت	موتا	موت
نسر	نشرو	نشر	نشرا	نشر
نفس	نبشتو	نفش	نفشا	نفس
نمر	نمرو	نمر	نمرا	نمر
ود	ود	يدد	يد	ود
ورق	ورقو	يرق	يرقا	ورق (الذهب)
ولد	ولد	يلد	ايلد	ولد
يلد	إدو	يد	إبدا	اد
يوم	أمنو	يوم	يوما	يوم

ولقد أورد مؤلف كتاب الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان (١) نصا حبشيا دينيا باللغة الحبشية الحاضرة يكاد يكون هو الآخر عربيا وهذا هو :

« افونا ذا بسميات يتقدس سمك بكما بسماي كما بمدر هيدج لنا ايسانا كما نحنو نهدج لذا ابس لنا »

وهو ترجمة الآية الانجيلية المشهورة « ابانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك كما هو

---

(١) ص ٦٦

بالسماء كذلك على الأرض اغفر لنا سيئاتنا كما نحن نغفر لمن أساء الينا »

أما تاريخ الحبشة السياسي فقد تميز عن تاريخ اثيوبية الكبرى ومصر منذ قامت مملكة اكسوم بين القرن الرابع والقرن الثالث قبل الميلاد على ما ذكرناه قبل . وفي تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي (١) ان بعض الأثريين استناداً إلى دراساتهم قرروا ان الدولة السبئية غزت هذه البلاد في القرن الرابع قبل الميلاد وسيطرت عليها ، غير انها ثارت على السبئيين وأجلتهم عنها ثم قام فيها مملكتان واحدة مركزها مدينة اسمها أدوليس وثانية مركزها أكسوم ثم تنازعت الدولتان فكتبت الغلبة للثانية على الاولى فاتحدت البلاد تحت سلطانها .

وقد تعرضت هذه المملكة في اواخر القرن الثاني قبل المسيح لزحف البطالسة وتمكن بطليموس الثامن في الثلث الأخير من هذا القرن من فتح مروى ثم اكسوم . غير ان قوات البطالسة لم تلبث ان انكمشت عنها إلى حدود مصر الجنوبية (٢) وبعد ذلك اخذت تقوى حتى صار ملوك سبأ في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد يخطبون ودها ، وقد عقد أحدهم علهان نهنان مع اجدرت ملك احبشت معاهدة تحالفية حينما اشتد النزاع بين زعماء القبائل اليمنية الكبرى على الملك . وقد عد الملك وأنصاره توفيقهم إلى عقد تلك المعاهدة نصراً وفتحاً على ما ذكرناه في الجزء الأول (٣) مما يدل على ما صارت مملكة أكسوم عليه من قوة . ثم قويت اكثر حتى صارت تغزو اليمن في عهد الدولة الحميرية مرة بعد مرة . ولقد ذكر كاتب يوناني قديم خبر غزوة حبشية لحمير في اوائل القرن الاول قبل الميلاد(٤)

وقد وجد نقش في زيلع على ساحل بلاد الحبشة يدل على ان الاحباش غزوا اليمن في اوائل القرن الثاني بعد الميلاد ايضاً (٥) ووجدت نقوش في اكسوم لقب ملوك الحبشة فيها بألقاب « ملك اكسوم وحمير ودوريدان واحبشت وسبأ واصلح وتهامة والبجا وكسو وصامو ملك الملوك » وقد ذكر مع هذه الالقاب اسم الاعميدة واسم عزان الذي يظن انه ابن الاول . وحكمهما في اواسط القرن الرابع قبل الميلاد الى الثلث الأخير منه (٦) . واللمحة العربية بادية على الاسمين وتؤكد اصالة جنسيتهم العربية القديمة كما هو المتبادر.

والمتبادر ان ملوك حمير كانوا يقدرون على اجلا حباش مرة بعد مرة . بل ولقد

---

(١) ج ٣ ص ١٥٠-١٥١
(٢) الكافي ج ١ ص ٢٠٢-٢٣٤
(٣) العرب قبل الاسلام جواد علي ج ٢ ص ٢٣٥
(٤و٥و٦) العرب قبل الاسلام ج ٣ ص ١٥٠ ومابعدها

ذكر بعض الاثريين انهم كانوا يكرون فيبسطون سلطانهم عليهم ، وان الغزوة الحبشية التي حدثت في زمن حكم عزان انما كانت مقابلة لغزوة حميرية للحبشة في نهاية القرن الثالث او بداية القرن الرابع . وآخر غزوة حبشية لليمن كانت في الثلث الاول من القرن السادس قبل الميلاد . وقد تمكن الاحباش من بسط سلطانهم عليها نحو سبعين سنة وتلقب ملوكهم نتيجة لذلك بألقاب « ملك اجعز وسبأ وذوريدان وحضرموت ويمنت واعرابهم في الجبال والتهائم » (١) واسم ملك الحبشة الذي حدثت هذه الغزوة في عهده مختلف عليه عندالاثريين فمنهم من يسميه ايلاصبحاخ ومنهم من يسميه ايدو ارانداس او عداد او كالب (٢) . وقد توسل ملك الاحباش إلى هذه الغزوة باضطهاد ملك حمير المسمى بذي نواس للنصارى . ومما ذكره كاتب روماني قديم اسمه بروكوبيوس المتوفى سنة ٥٦٠ (٣) ان نجاشي الحبشة كان نصرانياً ورعاً فلما علم ان نصارى حمير يضطهدهم اليهود ويعذبونهم ـ وكان ذو نواس قد تهود بتأثير بعض احبار اليهود وتابعه كثير من قومه ـ عبر بأسطوله البحر فاستولى على بلاد حمير وقتل ملكهم واقام ملكاً حميري المولد اسمه اسميشوع وفرض عليه جزية سنوية ثم عاد الى بلاده . وقد استدل من بعض النقوش على ان هذا الحميري كان نصرانياً (٤) وقد وجد نقش آخر (٥) مؤرخ بسنة ٦٥٧ حميرية التي توافق لسنة ٥٤٢ ميلادية ترجمة مطلعه : « بحول وتأييد ورحمة الرحمن ومسيحه وروح القدس سطرت هذه الكتابة » وهذا النقش لشخص اسمه ابرهة وصف نفسه فيه بأنه نائب ملك الجعزيين محز ذبيان ملك سبأوذوريدان وحضرموت ويمنت واعرابها في النجاد والتهائم » والمتبادر ان رمحز هذا قد خلف الملك الذي تمت الغزوة في عهده وان ابرهة كان هو نائبه في اليمن بعد اشميشوع .

ويلحظ ان اسم اكسوم لم يذكر في القاب ملوك الحبشة التي قرنت في نقوش القرن الرابع والقرن السادس بعد الميلاد وان اسم جعز قد ذكر في نقوش القرن السادس بينما لم يذكر في النقوش السابقة . وجعز هو الاسم الذي تسمت به موجة من موجات جزيرة العرب التي فرضت سلطانها ولغتها على البلاد في ظرف من الظروف . ومن المحتمل ان يكون هذا الاسم قد غدا اسم الشعب الحبشي الغالب فصارت تسمى به البلاد وشعبها وملكها بدلا من اسم العاصمة أكسوم .

وتعد اكسوم اعظم مدينة قديمة في بلاد الحبشة اذ كانت دار الملك مدى قرون طويلا حتى لقد صارت مقدسة عند الاحباش (٦) . وفيها اطلال وخرائب كثير من القصور

(١و٢و٣و٤و٥) المصدر السابق

(٦) تاريخ اللغات السامية ص ٢٠٧

والهيا كل تدل على الفخامة والعظمة . وقد وجد في منطقتها عدد كبير من الاعمدة . ووجد في سهلها فيما وجد مسلة او برج ذو تسع طبقات في كل منها جملة نوافذ ويعـلو الجميع شبه هرم ملفوف القاعدة مستدير الرأس يبلغ ارتفاعه خمسة وعشرين متراً كما وجـد في الميدان المجاور لهذه المسلة نحو خمسين مسلة اخرى منها ما هو ساقط ومنها ما هو آيل للسقوط وقد قرىء في بعض النقوش الموجودة على بعض المسلات والآثـار اسماء الملوك « حلمف » و « الأعميده » و « عزين » . .

وفي القرن الرابع الميلادي دخلت المسيحية بلاد الحبشة . وكانت تدين من قبل بعقائد مماثلة لعقائد المصريين كسائر انحاء اثيوبيا .

وهناك روايتان (١) في صدد انتشار المسيحية في بـلاد الحبشة ليس ما يمنع ان تكون كلتاهما صحيحة . واحدة تذكر انها دخلت بواسطة مبشر ارسله الامبراطور قسطنطين الاول في سنة ٣٥٠ ب م وثانية تذكر انها دخلت على يد شابين سوريين آراميين جـاءا كعبدين وخدما الملك في اواخر القرن الميلادي ، وقد عين الملك احدهما واسمه فروتيوس ــ والصيغة اليونانية آتية من كون الخبر مقتبساً من الكتب اليونانية القديمة ــ معلما لابنه . فلما صار الملك إلى هذا الابن تنصر على يد معلمه . وقد توجه فروتيوس هذا إلى الاسكندرية فتلقى مـن بطركها لقب اسقف واخذ يقوم بالتبشير بالنصرانية حتى انتشرت انتشاراً واسعاً . وقـد ترجمت الاناجيل الى اللغة الجعزيـة ودخل فيها كثير من الاصطلاحات الآرامية مما يمكن ان يكون هذا من اثر الاسقف الآرامي . وقد قرر مجمع مقدس ان تظل الكنيسة الحبشية تابعة لبطرك الاسكندرية فهي كذلك إلى اليوم .

ولقد ادى انتشار المسيحية في بـلاد الحبشة الى ان تغدو دولتها حليفة طبيعية ورسمية للامبراطورية الرومانية البيزانسية التي كانت تدين بها وان تكون في صفها في ظروف التشاد الذي كان يقع بين هذه الامبراطورية وبين الدولة الفارسية . ولقد تمكن اليهود مـن نشر اليهودية في الدولة الحميرية وحمل ملكها ذا نواس في اوائل القرن السادس الميلادي عـلى اعتناقها ثم على اضطهاد النصارى الذين في اليمن فكان ذلك ذريعة الدولة الحبشية الى غزو بلاد اليمن الذي ذكرناه قبل ، ولما نجحت غزوتها اخذت تنتقم مـن اليهودية وتضطهد انصارها حتى كادت تمحوهم .

ومع ذلك فقد استطاعت اليهودية ان تتسرب الى بلاد الحبشة في القرن السادس الميلادي وان تنتشر في بعض انحائهـا . وقد عرف اليهود الاحبـاش باسم « الفلاشة » الذي يعني

(١) الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان ص ٧-٨

المنفيين (١) . والراجح ان دخول اليهودية الى الحبشة كان على يد بعض العناصر اليهودية العبرانية التي تشردت من فلسطين في عهد الحكم الروماني وانتشرت في آفاق الارض. ولعل في التسمية دليلا على ذلك. ويبلغ عدد اليهود نحو ربع مليون . قسم منهم يدعي بالـدم العبراني ويسكن الجبال الغربية وقسم حبشي ويسكن في انحاء مختلفة .

هذا ، وقد تبدو بلاد الحبشة اليوم شاذة بعض الشيء عن مهاجر الجنس العربي القديمة الاخرى من حيث ان سكان هذه المهاجر اخذوا ينسكبون في بوتقة العروبة الصريحة قبل موجة الفتح الكبرى ثم قويت عملية الانسكاب وعمت بعدها حتى غدت العروبة طابعها الخالد الشامل كبلاد الشام والعراق ومصر ؛ في حين ان أكثر سكان الحبشة ظلوا محتفظين بطابعهم القديم ــ العربي غير الصريح والمزيج من العناصر السوداء ــ الذي يصح ان يعد طابعاً متميزاً مهما مت في أصله الاغلب إلى الجنس العربي .

وسبب هذا أن تيار موجة الفتح الكبرى ثم سلطان العرب الاسلامي اللذين سبكا المواطن العربية الاخرى في بوتقة العروبة الصريحة لم يمتدا الى جميع هذه البلاد .

وقد قلنا « جميع هذه البلاد » لأن تيار العروبة والاسلام امتد الى انحاء كثيرة منهـا بل وظل يمتد من حين الى حين بما كان يتسرب اليها من قبائل العرب ويستقر فيها كما كان يجري قبل الاسلام . وكان للعرب نتيجة لذلك سلطان وأحداث سياسية هامة .

ولقد صار نتيجة لذلك ايضاً نحو ثلث سكان ومناطق هذه عربي اللغة والطابع اسلامي الدين . وهذا وذاك مما سوف نلم به في جزء آخر من أجزاء الكتاب .

---

(١) الجواهر الحسان ص

كلمة اخيرة

وهنا ينتهي ما رأينا تدوينه من تاريخ وادي النيل القديم في نطاق الايجاز الذي ترسمناه ويبدو من ثنايا ما أوردناه ما كان للموجات العربية الجنس من اثر وحيز عظيمين في هذا التاريخ حتى لكأنه تاريخه خالصاً .

ومع اننا نتوقع ان ينسب الينا المتزمتون والشعوبيون وذوو الاهواء الحماس في ما نوهنا به وابرزناه من ذلك فان القرائن والدلائل التي سقناها وأقوال الباحثين المستندة إلى الدراسات العلمية والاثرية التي أوردناها كافية فيما نرجو لاقناع المنصفين اذا ما ترووا فيها بأن حماسنا القومي لم يكن جزافاً بل هو قائم على حقائق ووقائع . ولا سيما ان ذلك قد اتصل بعد انقطاع وعاد كما بدا واستمر قائماً خالداً الى اليوم وإلى ما شاء الله .

كتب اخرى للمؤلف

المطبوعة

دروس في فن التربية القسم النظري مترجم عن الافرنسية
مختصر تاريخ العرب والاسلام جزآن
دروس التاريخ القديم
دروس التاريخ المتوسط والحديث
دورس التاريخ العربي
تركية الحديثة
بواعث الحرب العالمية الاولى مترجم عن التركية والافرنسية
عصر النبي وبيئته مقتبس من القرآن
سيرة الرسول » » جزآن
القرآن واليهود
القرآن والمرأة
القرآن والضمان الاجتماعي
القرآن المجيد ـ مقدمة التفسير الحديث للمؤلف
حول الحركة العربية الحديثة ستة اجزاء
مشاكل العالم العربي
الدستور القرآني
الوحدة العربية
تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم
الجزء الاول من تاريخ الجنس العربي

تحت الطبع والاعداد

بقية أجزاء تاريخ الجنس العربي
التفسير الحديث وهو تفسير كامل للقرآن
العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي

مراجع الكتاب الرئيسية

اسفار العهد القديم

تاريخ مصر من اقدم العصور الى الفتح الفارسي تأليف بريستد وترجمة حسن كمال

الاساس في الامم السامية ولغاتها » عطيه الابراشي ورفقاؤه

العرب قبل الاسلام الاجزء ١ و ٢ و ٣ » الدكتور جواد على

تاريخ العرب » احمد صالح العلى

تاريخ السودان القديم » » حسن كمال

» العرب » » فيليب حتي

» اللغات السامية » اسرائيل ولنفسون

الاثر الجليل لسكان وادي النيل » احمد نجيب الاثرى

العقد الثمين » احمد كمال الاثرى

التاريخ العام بالتركى الجزء الاول » احمد رفيق

الحضارة المصريه » غوستاف لوبون

تاريخ مصر الى الفتح العثماني » سفيدج والاسكندري

سوريه والسوريون من نافذة التاريخ » فيليب حتى

سواء السبيل في سكان ارض النيل » والسن بدج

الجزء الثاني من محاضرات في الاستعمار » للامير مصطفى الشهابي

كتاب مصر القديمة الاجزاء الثلاثة عشر » الدكتور سليم حسن

الدر المنتخب في تاريخ مصر والعرب » الاتربي

مصر ومجدها الغابر تأليف مرجريت مرى وتعريب محرم كمال

مصر والحياة المصرية في العصور القديمة تأليف ادولف ارمان وهرمان رانكن وتعريب عبد المنعم ابو بكر ومحرم كمال

تاريخ العرب قبل الاسلام الطبعة ثانية تأليف جرجي زيدان

مصر تأليف درايتون وتعريب عباس بيومي

معجم البلدان » ياقوت الحموى

الخطط التوفيقية اربعة اجزاء » على مبارك

تاريخ مصر المعروف بالكافي » شارو بيم

تاريخ الطبرى	
تاريخ مصر الفرعونية موكب الشمس	تأليف الدكتور احمد بدوي
مجلة المعهد المصرى للسنة ١٩٠٣	
الادب والدين عند قدماء المصريين	« انطون زكرى
تاريخ المشرق	« ماسبير وتعريب احمد زكي
تاريخ بني اسرائيل من اسفارهم	« محمد عزة دروزه
تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته خمسة اجزاء	تأليف نعوم شقير
تاريخ سوريه الجزء الاول والجزء الثالث	تأليف المطران الدبس
تاريخ كلده واشور الجزء الاول	« لادى شر اسقف سعرد
كتاب لبنان الطائفى	« انيس الصائغ
تاريخ فتح العرب لمصر	« بتلر وتعريب ابي حديد
الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان	« القنائى
طبقات ابن سعد الكبرى	

فهرس